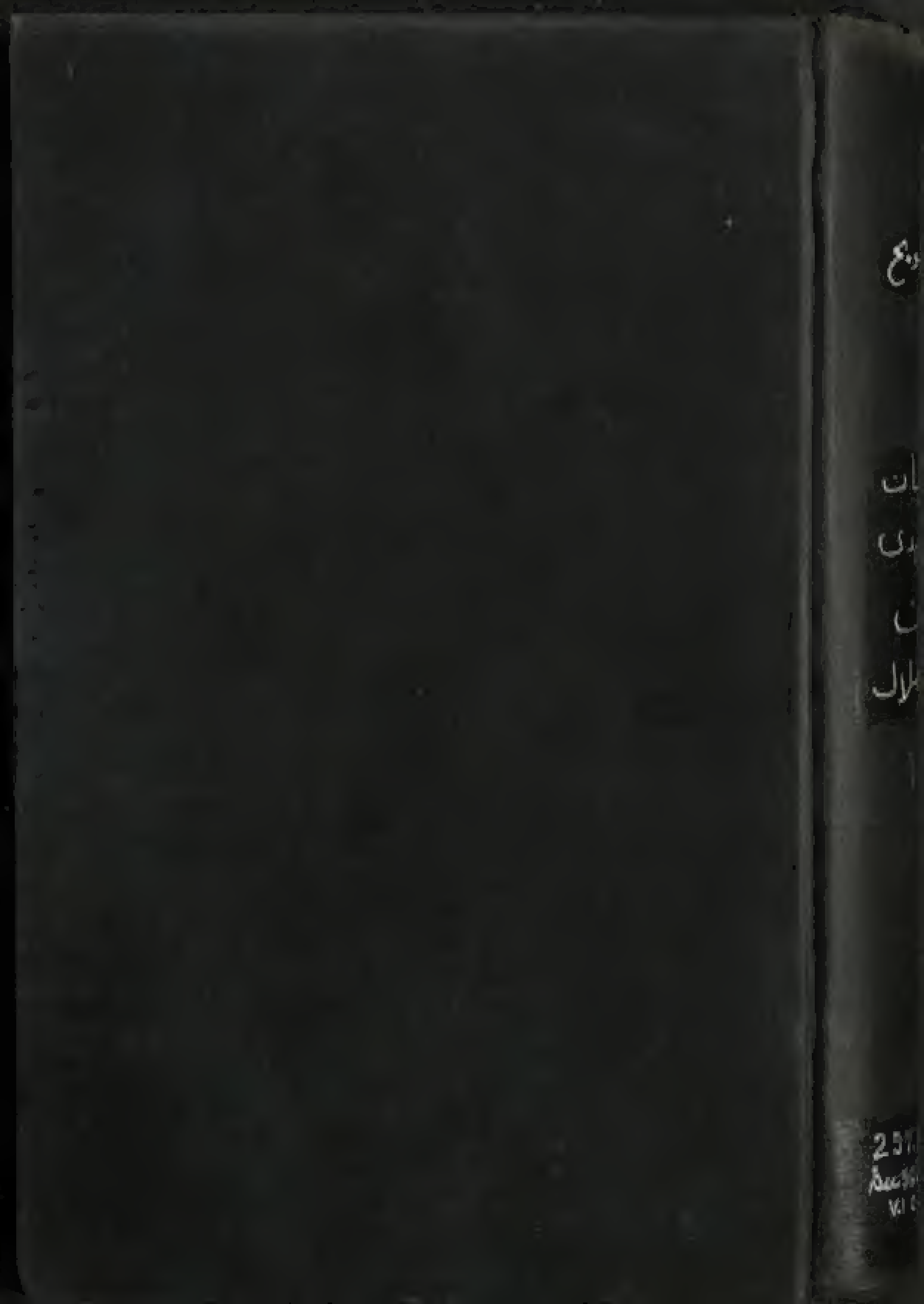
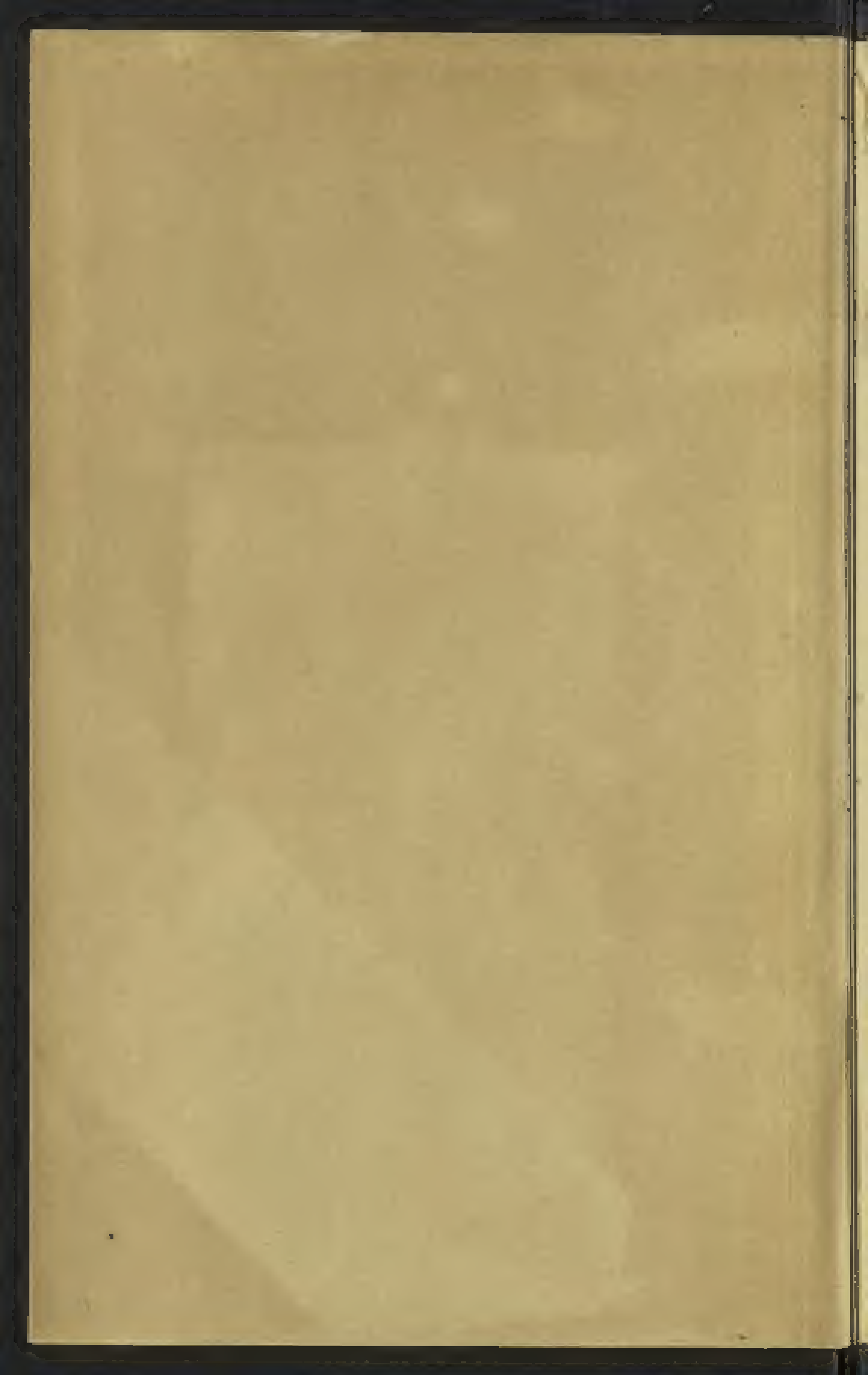
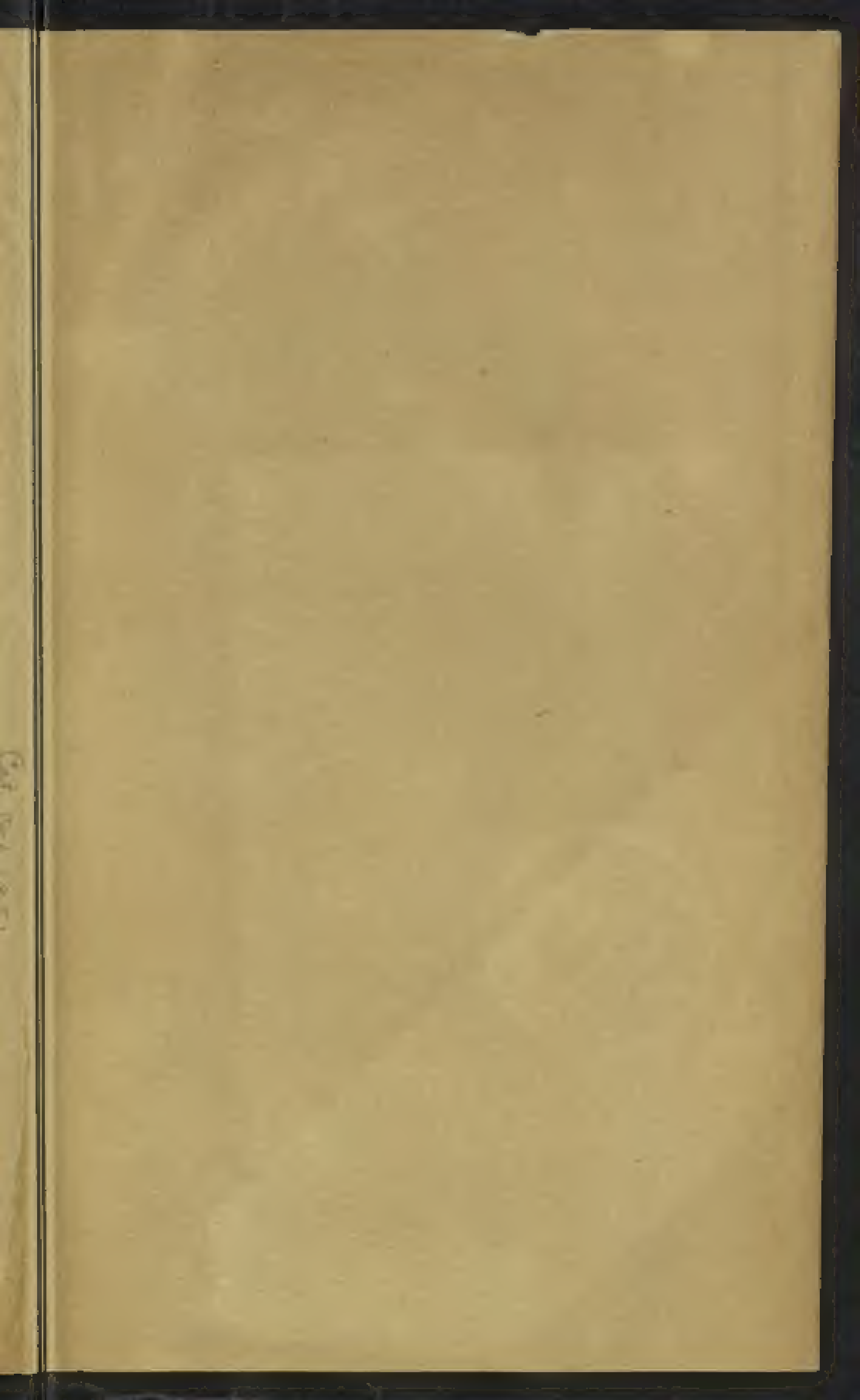


297.3:Su96bA V.1 C.2

السويح ـ ابراهيم بن عبد العزيز

بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الاغلال .





A S.
297.3
Su56bA

بيان الهدى من الضلال

في الرد على صاحب الاغلال

تأليف

العلامة المحقق الشيخ

ابراهيم بن عبد العزيز السويح النجدي

القاضي الشرعي

ورئيس محاكم المقاطعة الشمالية (في العلا وتبوك وملحقاتها)

الجزء الأول



حقوق الطبع محفوظة

١٣٦٨

77737

المطبعة السلفية - ومكتبتها

٢١ شارع الفتح - بجزيرة الروضة (القاهرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

النحل ٩٧

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾

المنافقون ٨

﴿ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ٭ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾

الحج ٤٠ — ٤١

﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾

طه ١٢٣ — ١٢٤

القرآن الحكيم

[library stamp]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد فإني وقفت على كتاب الفه عبد الله بن على القصيمي [1] سماه (هذى هى الاغلال) . ووجه تسميته بهذا الاسم - على زعمه - أنه نظر الى ما أصاب المسلمين من التأخر والضعف ، ففهم أن ذلك انما نشأ عن ارتكاب أمور أوثقت المسلمين عن العمل ، وعاقتهم عن اللحوق بمن سبقهم من الأمم الغربية ، فكانت هذه الأمور التى ارتكبوها كالأغلال التى تعوق الانسان عن السير الى غايته ، وقد ضل فى هذه التسمية كما زل فى موضوع مسماه

وقد ذكر فى أول كتابه هذا أنه بذل جهده فى البحث عن الأسباب التى أخرت المسلمين الى هذه الحالة ، وسأل كثيراً عمن اجتمع به عن أسباب هذا التأخر ، وما وجد أحدا عنده معرفة تكفى فى بيان الحقيقة . وليته طالع كتاب جمعية أم القرى [2] وأمثاله ليقتنع به ويسلم من التعب ان كان صادقا ، ولكنه - ويا للأسف - ذكر أنه وجد سبب هذا التأخر وعرفه حتى لم يكن لديه أدنى شك فيه ، فوهم هذا الوهم الخاطىء الذى أبرزه فى هذا الكتاب . وحاصله (أن التمسك بالدين هو الذى أخر المسلمين) فظفر بعد التعب بهذا الوهم المقلوب

---

(١) هو الذى لقب نفسه بهذا اللقب ، وإلا فلا يعرف له نسب من جهة أبيه فى القصيم

(٢) ويسمى أم القرى ايضا ، للعلامة المصلح السيد عبد الرحمن الكواكبي الحلبي رحمه الله . وكتبه محمد نصيف

الذى وجهه الى الوراء وتصوره هو الحقيقة التى لا مرية فيها ، فسقط منتكسا على أم رأسه فى هاوية عميقة من أجل هذا الوهم المقلوب والتصور المعكوس ، ثم ادّعى أن ما صنعه هو الدواء الوحيد الناجح ، فضرب بذلك عقدة مشئومة على تلك العقد التى أراد حلها ، وزاد المريض وهنا على وهن والمصيبة بلاء على بلاء . وهكذا كل من أراد أن يصنع دواء وهو لا يعرف كيفية الداء وتشخيصه ولا يعرف الدواء وتركيب مفرداته ، فانه ولا بد أن يكون دواؤه مضرا إن لم يكن سما قاتلا

إن من أعظم فساد التصور عكس الحقيقة الواضحة التى لا شك فيها عند جميع العقلاء وتغييرها عن حالتها الوضعية ، وهذا التصور المعكوس قد تطور ظهوره فى كثير من ذوى العقول الضيقة المعجبين بأنفسهم من العصريين الذين لم يستضيئوا بنور الوحى ولم تفهم قلوبهم تعاليم الديانة الصحيحة ، والقلب إن لم يستمد حياته من نور النبوة فانه لن يفلح بل يكون مظلما مريضا ، فتكون آراؤه وتصوراته كلها مظلمة مريضه لأنها صادرة عن تفكيره وارادته

وهذا الضرب فى الناس تجدهم بمجرد ما يبدو لهم أدنى لامع من لوامع المخترعات العصرية يقذفون بأنفسهم عليه كالفراش الذى يقذف بنفسه على ضوء المصباح الضئيل ، فيعشقونه ويظلون دائرين حوله دوران الفراش على مصباحه فلا ينزعهم عنه نازع ولا يردهم عنه رادّ مهما حاول واجتهد ، ما دام هذا اللامع الضئيل مضيئا ، حتى يحرقهم أو يطفأ ضوؤه . أما نور الشمس الواضح فانهم لا يرونه إلا صدفة أو كرها ، وإن قابلوه كاد أن يذهب بأبصارهم فتجدهم ينفرون منه ويهربون الى كل نفق وملجأ

لسنا بحاجة هنا الى الاستدلال على فساد تصور هذا الرجل وكثرة تقلب آرائه ، فان مضادّة كتابه هذا لكتبه السابقة فى كل شىء أمر لا يخفى على كل من تدبر ذلك . وقد أشار فى كتابه هذا الى أنه قضى عصرا من حياته وهو معتقد خلاف هذه الآراء التى نشرها فى هذا الكتاب . ولا شك أن اضطراب الرأى وتناقض الاعتقاد فى الأصول الضرورية الثابتة القطعية من أظهر

الدلائل على فساد التصور ، ولا سيما مع دعواه فى كل من هذه الكتب المتضادة بأن ما اعتقده وقرره فيها مبنى على براهين ثابتة صحيحة ، ومعلوم أن البراهين الثابتة لا تتناقض ، وهذا بخلاف الآراء الجزئية التى تبنى على الظنون والقرائن وامثال ذلك

لقد استغرب الناس انقلاب هذا الرجل بهذه السرعة ، وانسلاخه من آيات الله التى تظاهر بنصرهـا من قبل ، فذهبوا يتساءلون عن الأسباب التى أحدثت هذا الانهيار الخلقى والانقلاب المفاجىء الغريب والانسلاخ البلعامى المنكر ، لأن هذا الرجل كان يتظاهر قبلا بنصر السنة وقد ألف فى ذلك كتبا معروفة طريقته فيها ـ كما قلنا ـ نقيض طريقته فى هذا الكتاب ، فكان كتابه هذا هدماً لها من أساسها ، كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، فساءت لذلك فيه الظنون ، وذهبوا يعللون هذا التراجع والتقهقر تعليلات شتى بحسب ما يظهر من القرائن ، فعلل كثير بأنه ارتشى من بعض الدعايات المحاربة للأديان واستدلوا على ذلك بأمور كثيرة ستتبين اكثرها فى ثنايا هذا الكتاب ، ثم هو ليس ممن عرف بالتقوى والديانة المتينة التى تحجزه عن الدخول فى هذه المزالق الخطرة ، فان من سبر حاله علم أن به زهوا واعجابا بنفسه غير قليل ، ينبىء عن ذلك قوله من قصيدة له [1] :

لو أنصفوا كنتُ المقدم فى الأمر ولم يطلبوا غيرى لدى الحادث النكر
ولم يرغبوا إلا الىّ اذا ابتغوا رشادا وحزما يعزبان عن الفكر
ولم يذكروا غيرى متى ذكر الذكا ولم يبصروا غيرى لدى غيبة البدر
فما أنا إلا الشمس فى غير برجها وما أنا الا الدرّ فى لجج البحر . . .
أعلل نفسى بالأكاذيب والمنى وقد ينفع الكذاب فى ساعة الشر .
فلولا رجائى والرجاء مخادعى لعذت بشر لا يضيق به صدرى

---

(١) فى أول الفصل الخامس

وقال فى أخرى :

متى جريت فكل الناس فى أثرى   وإن وقفت فما فى الناس من يجرى

وخليق بمن هذا عقله ورأيه أن يشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وأن تكون عاقبته غير حميدة

إن من الغباوة الشديدة والبلادة المحققة أن تنخدع بتلك التمويهات التى خادع بهـــا فى بعض كلامه فى كونه ما يريد الا الاحسان ، وأنه مؤمن بالله واليوم الآخر ، فكلا وهيهات وأنى ذلك ، بل هذه الدعوى جريمة فوق جريمة فكيف يجتمع الايمان بالله واليوم الآخر مع محـــاربة الدين وسبه وتشويهه ورفضه ، وكيف يصرح الانسان بقول واعتقاد أو يعمل عـملا ثم يدعى أنه يريد خلاف ما يقول ويعمل ، فان هذا غير مقبول لا شرعا ولا عقـلا ولا عرفا ، فالمنافقون الذين قالوا للرسول ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ كاذبون فى شهادتهم بشهادة الله تعالى عليهم ، كما أن الذين بنوا مسجد الضرار وحلفوا أنهم ما أرادوا الا الحسنى كاذبون فى هذه الدعوى بشهادته تعالى عليهم أيضا ، لأن كلا من هؤلاء فعلوا ما يضادّ أقوالهم وادعاءهم ، وأصل النفاق مضادة القول الفعل ، ولو أن رجلا أهان المصحف أو سعى فى هدم الكعبة ثم ادعى أنه يريد بذلك التعظيم والاحسان لقطع الناس بكذبه ، وكما لو أن رجلا حارب نظاما محترما من الأنظمة المعمول بها وبذل جهده فى ازالته وتشويهه وخلعه ورفضه ثم ادّعى مع ذلك أنه مؤمن به ومعظم له فلا شك عند العقلاء أنه كاذب متلاعب وأن دعواه هذه مكر ومخادعة ، وقد حذرنا الله سبحانه عن الاغترار بمثل هذا القول ممن فعل هذا الفعل بقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ الى آخر الآيات . وقال تعالى ﴿ اتخذوا أيمانهم جنـــة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ والآيات فى هذا كثيرة

واضحة . وقد صادف هذا الخداع لبسيط المموه قلوبا غلفا ليس لها نصيب من البصيرة في معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله . فبقيت مضطربة في أمرها تتخبط في ظلمات الجهل والريب ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾

إن أعظم جرم يجره الإنسان على نفسه وعلى أمته أن يذهب إلى الكلاب الساعية و[illegible] لأسباب عادية [illegible] في شهوات العقول [illegible] بكمالها الكمال الذي لا [illegible] . واتضح ذلك اتضاحا لا يمكن جحده . فمنهم من هذه الكلاب [illegible] وخلاف [illegible] [illegible] فلا أدري هو [illegible] [illegible] جهلا أو غافلا . ثم يدعي مع ذلك [illegible] [illegible] فكيف [illegible] له [illegible] [illegible] سبيل

إن من تأمل [illegible] الكتاب المنكر علم بلا [illegible] شك أنه [illegible] مقصود بها هدم الإسلام [illegible] [illegible] والتزوير والموت والتعلق [illegible] [illegible] أن يقوم [illegible] [illegible] فيه خطر كبير على كثير من الناس [illegible] [illegible] يتساوون [illegible] [illegible] [illegible] عموم شريعته في [illegible] [illegible] أسرع ولا [illegible] [illegible] صحيحه [illegible] [illegible] واختراقات [illegible] [illegible] عنها

ولما كان هذا الرجل مصروفا عن [illegible] [illegible] التي هي غاية الجهل و [illegible] [illegible] ما يعول عليه ، ورأى أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [illegible] [illegible] ما يدعو إليه أسهب في تطويل أحاديثه [illegible] في [illegible] [illegible] في

كل كتابه فى هذا الغرض . يحاول صرف نصوص الشريعة عن مدلولاتها الى ما يوافق هواه ويخرج عن حدودها المعنوية فضلا عن الحدود الشرعية ، فيعطلها ويحرفها ، [illegible] فكان خاتمة مقالته [illegible] بالكتاب [illegible] الله به [illegible] فى ذلك ، [illegible] فيمن قال الله فيهم : ﴿ ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون ، الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ، اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ فكتابه هذا سلسلة أغلال صنعتها يده [illegible] الحياة الدنيا ، وما من شك عندنا أن له قصداً سيئاً فى ابراز هذا الكتاب الشنيع ، فانه لا يخفى ما فيه من [illegible] الالحاد ، فان كلامه فى هذه الأمور واضح كالشمس لا يخفى الا على أعمى البصيرة كما سوف [illegible] [illegible]

وقد عمد هذا الرجل الى [illegible] من أعداء الدين [illegible] الكتب [illegible] لدى العامة ليلبسوا عليهم دينهم [illegible] عن ذلك [illegible] الى الاباحية التى هى نهاية الكفر والالحاد ، [illegible] تلك الآراء المسمومة ونشرها فى هذا الكتاب [illegible] فى هواه ، فخلط الحق بالباطل [illegible] ولا يخفى [illegible] الا [illegible] مباحث وخلاصة ، وكل بحث يشتمل على [illegible] المسلمين ، وذكر فى خلاصة خاصة [illegible] وأتى فيها صريحاً بمقصوده [illegible] الأعمال [illegible] وتصريحه فى العلم هو سبب التأخر ، وأن الدين [illegible]

وفى [illegible] هذه الأغلال من الجنون والتخبيط والجرأة الحادة

عن الدين والاستهزاء به وبأهله و[illegible] و[illegible] بأصوله وفصائله ما لا يعلم
أحداً [illegible] واستعمل [illegible] ، حتى إنه تصرف في النصوص
المقدسة طبق ما [illegible] من المعنى [illegible] حرفه أو كذب به ، وما
[illegible] وصدقه واحتج به بكل [illegible] . وقد أدخل مع ذلك في
هذه المباحث من [illegible] والتلبيس وإخراج الباطل في قالب الحق شيئاً
كثيراً [illegible] في التهكم والأخذ

وقد [illegible] في هذا [illegible] مقبولاً [illegible] على
تلك المباحث [illegible] على [illegible] والمسيحيين ،
كما [illegible]
[illegible] وما لا حاجة ضرورية
الى الردّ عليه غالباً [illegible]
قليل الفائدة ، وكلامه كله [illegible] ،
و[illegible] طبيعة والاعتماد الكلي عليها لأن ذلك عنده
هو [illegible]

فصل

وهاهنا احدى عشرة ملاحظة تطلعك على [illegible] عليها ،
وتعرف بها كيفية ردنا عليه فيها [illegible] المعتقدة

الملاحظة الأولى [illegible] في هذه الكتب هي
طريقة من [illegible] الحق [illegible] الصحيحة الشرعية والعقلية
المقنعة بكل [illegible] صحيحاً ليست بطريقة
من تحاول [illegible] خصمه فقط ، [illegible] هذه الطريقة لا يفيد مع مثل هذا
الرجل ، لأنه اعتقد [illegible] وحصر الحق فيه وحده . [illegible] أحياناً في
تعمية قصده [illegible] تارة بالتجاهل ، و[illegible] بالمغالطة ، ومرة بالعنـــاد

والمكابرة ، فانه رفض امرا وجرى به باطنا وظاهرا ، ثم ادعى احيانا فى الظاهر أنه يراه ويعمل به ، فكان قوله لا يطابق حالته وقصده معقدا متناقضا لا يستقر على حالة ثابتة ، ومثل من هذه حاله لا يمكن اقناعه بجميع الوسائل المبينة للحقيقة ، لأن قصده الخفي اتباع هواه ورأيه الشاذ لا الحق ، ولهذا فهنا نستدل بالنصوص الشرعية حقيقة كما نستدل بها هو ولكنه مخادعة ، ونستدل بالمعقولات الصريحة والقواعد الثابتة والضرورة المحققة لأننا نتكلم بلسان المسلمين الصادق كما أنه هو يتكلم بلسان الملحد المنافق ، وقد وضع كتابه فى الحط على المتدينين فكان اذ [illegible] أحدهم (1) ولا نعرف أحدا [illegible] لا [illegible] دلالة [illegible] من الأئمة [illegible] ليس فى الشريعة المطهرة ما يخالف المعقول [illegible] فى نفس الأمر [illegible] عنه البعض من وجود التعارض فى [illegible] الأشياء [illegible] اما غلط فى فهم المنقول [illegible] أو [illegible] المنقول [illegible] الاسلام ابن تيمية فى كتاب [illegible] ولنقل [illegible] او غيره

[illegible] وقد جره هذا المغزى الخبيث الى ما ادعاه إخوانه من الملاحدة [illegible] لا بد من أن يكونوا على ثلاث حالات إما على دين صحيح ، واما على دين [illegible] ، واما على غير دين

(1) ولو أنه [illegible] الملاحدة [illegible] لم يدخروا فى الالحاد [illegible] وجدناه [illegible] فى الرد عليه [illegible] ما يعتمد عليه من باطل [illegible] عقيدة [illegible]

من على الجادة محض. أما الدين الصحيح فقد صرح بأنه لا يعرف، وأن الناس عاجزون عن معرفته، فقد سد هذا الباب سدا محكما ولكنه استثنى النادر مخادعة، ومعلوم أن النادر لا حكم له ووجوده كعدمه، فعنده أن الله كلف الناس ما لا يطيقون حيث صرح بأنهم عاجزون عن معرفته فقد كلفهم ما هم عاجزون عنه. وأما الجناية الثانية فإنه أجهد نفسه جهده في أن يعزو إلى الدين من القبائح والمفاسد وسوء السمعة ما لا يوجد فيه أبدا. وتوسل إلى ذلك ببعض كلمات للاتحادية من الصوفية ونحوهم وعزاها إلى المسلمين ليثبت بذلك أن الدين قد فسد وأن الناس على دين باطل، فسهل له الطريق إلى رفضه حيث صرح بأن الدين الباطل [illegible] ضعيف واختلط، وأن الأخذ المحض لا يقف في وجه الرقي ونقده، فحصل التقدم والرقي في الدين الصحيح أو الأخذ الصريح، والتأخر في الدين الباطل [illegible] ومعه [illegible] أن الدين صحيح وأثبت وجود الجناية الثانية [illegible]. وسهل الوصول إلى الجناية الثالثة أي الأخذ المحض [illegible] من أوجب ذلك لأن الأولى [illegible] معروفة، والثانية لا يمكن [illegible] عنها، [illegible]. ومن المثلة أنه ادعى أنه وضع كتابه [illegible] على [illegible] محصور في [illegible] الصحيح أو [illegible] وادعى أن [illegible] أن يكون [illegible] على [illegible] [illegible] الباطل وقد [illegible] [illegible] بل جمعه [illegible] [illegible] ولا بد من رفضه [illegible] باطل فيجب [illegible] كثير [illegible] الضعفاء [illegible]. وسنأتي مناقشته في هذه الدعوى العريضة تفصيلا [1]. ويبين [illegible]

(١) في المشكلة التي لم تحل في آخر الكتاب

هذا التقسيم على من أصله، وإن التفريع عليه ساقط بسقوط ما

وقد حمله غلوه وإسرافه في تشويه سمعة الإسلام وعلمائه لا حرصه على أن يخترع وهماً كاذباً يجعله في أول كل بحث من مباحث هذه الأغلال، فيدعي أن الناس والمسلمين على هذا الاعتقاد أو هذا الرأي أو العمل، وأنهم يدينون به، ولا يخص طائفة دون طائفة ولا قوما دون قوم، ثم يستشهد لهذه الدعوى الكاذبة بحديث يحكيه عن صادق أو بحديث باطل أو ضعيف لا أصل له أو صحيح لكن حمل معناه على وفق هواه [illegible] المسلمين كلهم [illegible] هذا الرأي [illegible] هذا التكذيب [illegible] على ما يقتضيه إرادته وتشهيه وهواه [illegible] ومعتقداً لهم، ثم أخذ في [illegible] عليهم وتشنيعهم [illegible] بأنهم [illegible] وبهذه الطريقة [illegible] على كثير من الأحيان أكثر ضلاله [illegible] من عقله [illegible] الإسلام [illegible] وقد [illegible] من أضداد الإسلام وأعدائه للتنفير منه [illegible] صواب [illegible] كما سلف

[illegible] أنه يجب أن يعرف أنه [illegible] وخلط الحق بالباطل ومزجه به مكراً وخداعاً، وكثيراً ما يعطف الجمل الكفرية والجمل المشتبهة والمسائل المباحة والصحيحة بعضها على بعض، ثم يجعل الحكم عليها حكماً واحداً من غير تفصيل [illegible] إلى المسلمين ويدعي أن حكمهم لديهم واحد، وتارة يذكرها عنهم ويحكم عليها حكما واحداً بلا فرق، وهذا [illegible] والمراوغة كثيراً ما يستعملهما في هذا الكتاب في مواضع لا تحصر كقوله ص ٢٨ [illegible] قال كل هؤلاء [illegible] المشكلات الإنسانية الكبرى كمشكلة الفقر ومشكلة المرض ومشكلة الصحة ومشكلة الجدب ومشكلة الجنس ومشكلة الأخلاق ومشكلة الاستقلال والسيادة الوطنية وكل

مشكلة، ويرون أنهم [illegible] أهلا لحل مشكلة من هذه المشاكل، بل وأنهم غير مخطئين بحلها، بل يرون أن محاولة حلها وعلاجها من التطاول على الله ومن محاولة الوثوب على مقام الألوهية المقدس، وما عليهم إلا أن ينتظروا من الله أن يصنعها لهم كما يشاؤون ويشتهون [illegible] هذا الضرب من الخلط الفاحش والخطأ المدهش [illegible] دعواه أن المسلمين يرون أن حل مشكلة [illegible] مقام الألوهية وأنهم يرون أنهم غير مخطئين [illegible] [illegible] [illegible] مع مشكلة جهل [illegible] هذه [illegible] أن إنزال المطر لا يقدر عليه إلا الله، وأن [illegible] على صاحبه أن [illegible] وأمثال هذه المواضع [illegible] إن شاء الله تعالى (1)

والملاحظة الرابعة [illegible] أن كل حديث يخالف رأيه وهواه فهو باطل لا صحة له [illegible] وكل تفسير يخالف فكرته وعقله فهو باطل سواء كان [illegible] أو لم يكن له أصل [illegible] كانت [illegible] [illegible] وهذا [illegible] على [illegible] كلامهم [illegible] على [illegible]

(1) ونظير هذه الجملة المتقدمة ما ذكر في ص [illegible] في قوله [illegible] في [illegible] ورجال الدين [illegible] رجال الدين يشدونا الأناشيد [illegible] الخطب [illegible] الإنسان ما حسن يكون عالما ولا يكون شيئا كبيرا ولا [illegible] ولا لينازع الله في علمه وقوته وقدرته.. إلخ!

ولم يمدح كتابا واحدا من كتب علماء المسلمين على كثرتها وتنوعها ، كما انه لم يثن فى أصل كتابه على عالم واحد من علماء المسلمين على كثرتهم بل رماهم كلهم عن قوس واحدة بالجهل وعدم الفهم . ولقد كان من أعظم تلبيسه فى قلب الحقائق أن العلم والثقافة والتقدم والرقى واحد وكل ذلك هو علم الطبيعة والمادة وعلوم الالحاد والعلوم الدنيوية المحضة وما يتعلق بذلك . وليس عنده مايسمى علما وحياة وتقدما وثقافة غير هذه العلوم ولواحقها . أما علم أصول الدين من التفسير والحديث والفقه وجميع الدين فليست عنده بعلم ولا يقيم لها أدنى وزن بل هى الجهل بعينه كما سوف تقف على ذلك . وهــــذا أكثر من السخرية والاستهزاء والازدراء بها . وقد صرح بأن العلماء سفهاء وتطرف حيث وقد قال فى بعض عباراته فى الحط على الفقهاء وأقوالهم (ص ٦٥) . «والاسلام لا يقبل شهادة الأطفال . ونحن نعلم أنه لا يقبل شهادتهم لما حرموا عليه من الكسب والشعور والنظر والأخلاق الدينية والجهة العملية . أما قول بعض الفقهاء أوفهمهم كلهم إنه لا يقبل شهادتهم لأمر آخر غير ذكروها فهو من جملة أقوالهم الكثيرة التى تموج بها الكتب من غير أن يكون لها قيمة علمية ولا عملية ولا دينية » انتهى . فأقوال الفقهاء كلهم ليس لها قيمة فى العلم والعقل والدين عنده كما ترى . اذا فهمت هذا فاعلم أنه اذا أطلق العلم فى هذه الكتب وأتى عليه بالثناء الطويل العريض وذم الجهل كذلك فاعلم أنه يريد بالعلم ماذكرنا تعريفه وبالجهل ما شرحنا حقيقته . وكذلك اذا ذكر الحياة والثقافة والتقدم فانه يريد بذلك هذا الذى ذكرنا . فافهم هذا ولاحظه فى جميع فصول هذه الكتب تجده صحيحا ولقد بلغ به التعصب والغلو فى متابعة الهوى ولجاجة الخصومة والعناد الى حد أن حاول سلب اسم العلم والعلماء من علماء الدين ومنحه لطلب بعض للملاحدة ، ولم يكتف بذلك حتى كابر وادعى أن علماء الملاحدة هم العلماء الممدوحون فى القرآن كما يأتى . وحاول أيضا سلب مسمى العقل والعقلاء من علماء الأمة وعقلائها وإعطاءه علماء الملاحدة الذين لهم معرفة فى أمور الطبيعة

ونحوها أو لهم معرفة في بعض الأمور المحرمة . فهؤلاء عندهم أهل العلم والعقل والحياة الصحيحة والثقافة والسعادة ، ومن خالفهم من أئمة الدين فهم أهل الجهل والعناء والجمود والشقاء وكل وصف ذميم . فلينظر العاقل المنصف هذا الخضوع التام والاستسلام الكامل والخدمة الصادقة للملاحدة ومروجيهم وهذا البغض المنكر والمقت الشديد لعلماء الملة . ولينظر ماذا يراد من وراء هذا وما هو الدافع إليه ، فإنه أمر لا ينبغي السكوت والإغضاء عنه

ثم لملاحظة الحكمة ننظر ما هي الأسباب التي دفعته إلى هذا الحد البعيد في التشنيع على المصنفين لكتب خطب أئمة الجمع وتزهيدهم في العبادة والتقوى ويدعي أن هذه الخطب مخدرة عن العمل ، ثم ننظر إلى سكوته الطويل عن جميع الروايات الوقحة التي تنشر في الإلحاد والفجور والفواحش وحضور مواضع اللهو من الرقص والغناء ونحو ذلك . وقد كتبت إحدى المجلات (أم . ...) وغيرها أن عدد الذاهبين إلى بيوت السينما أكثر من عدد الذاهبين إلى المدارس في الإحصاء ، هذا في المدارس فكيف بالمساجد ، ومن يدعي أنه يقصد الحث على العمل كيف يشنع على خطباء الدين أيام الجمع وعلى الذهاب إلى المساجد أوقات الصلوات ، ويسكت كأنه أخرس على كثرة المسلسلات الطويلة المتنوعة في الحث على الفجور والإلحاد وعن كثرة الذاهبين إلى مواضع اللهو ونحوها وضياع كثير أوقاتهم في ذلك . لا شك أنه ماكر مشبه منافق متلاعب في دعوته ، فقد علم العقلاء كلهم أنه لا أشد ولا أعظم في التخدير والتثبيط عن الأعمال النافعة من الاشتغال بأعمال اللهو والحرام والتعلق بالعشق والهيام وعبادة حب الصور ، من هذا عرفنا أن المنكر لا يهمه التخدير ، حيث لا تجد أعجز ولا أوهن ولا أكسل من المنهمكين في الملاهي والمفتونين بالعشق والتعلق بالصور الفاتنة ، ثم أي تخدير في الخطب التي تحذر من الكسل ومن فتنة الحب والوقوع في الأخلاق الرذيلة . بل هي الدافع القوي لإثارة العواطف الدينية الباعثة على الأعمال النافعة ، لأنها تلهب

الأخلاق والدين الصحيح ولطائف مستتبعة لكماله وتقدمه، فإن الدين الصحيح
من لوازمه الدعوة لأعمال الحق وجمع الكلمة وطلب مرضاة الله بالجهاد في
سبيله والقيام بخدمته وتجديد [illegible] وأن حاجة هذه [illegible]
حمية الإسلام [illegible] ولا شيء فيه من هذه [illegible] كلها [illegible] الحصول [illegible]
والانسجام معه [illegible] أشغل عن العمل وأحرى
الحديث، فلينظر المنصف ما هي الأسباب التي دعته إلى ما ذكر مع ما تقدم
[illegible] ملاحظة [illegible] أعظم الناس دعاية إلى الحث
على [illegible] ومع
[illegible]
[illegible] شيئا من ذلك، كما أنه
ليس في [illegible]
[illegible] بما يحصل عز الإسلام وتقدمه، وقد صرح
[illegible] بما به قوام الأمة فرض من
[illegible] كسب الأصول المعمول بها في
[illegible] بهذا الأصل
[illegible] وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة [illegible] جميع ما في
استطاعة [illegible] فهو سبحانه أمرنا بالاستعداد بجميع
ما يمكنه من قوة [illegible] لا يحصل إلا بمعرفة الوسائل التي
تمكن من [illegible] وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم
وهذا أمر [illegible] والاستعداد [illegible]
المحبوبة ولكن [illegible] أن نعلم ونعتقد أن تحصيل هذه الأمور من صناعات
وغيرها لا يحصل [illegible] المستقيم للطلب إلا إذا أقيمت على الدين
المتين، وإذن فالواجب علينا أن نسند هذه [illegible] كلها على الدين.

وتأسيسه الصحيح هو الاجتهاد في تطبيقه على ما كان عليه السلف الصالح أي الأخذ بالأخلاق الدينية الأولى وهو العمل بالكتاب والسنة . وذلك سهل يسير ولله الحمد إلا على القلوب المطبقة الخبيثة كما قال تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعّد في السماء ﴾ ويجب أن نعلم أنه لا تنافي بين الأخذ بعلوم الدين والعمل بالعلوم الصناعية والحربية والمادية والاقتصادية ونحو ذلك ، فليس في الدين حرف واحد ينهى عن الأخذ بهذه الأمور . وإنما يدّعي عدم إمكان التوفيق بينهما زنادقة الملاحدة والمفتونون الذين لم يفهموا الدين على حقيقته ، وهم معاندون له في الصد عن سبيل الله ويتخذون ذلك ذريعة إلى الانحلال والتفلت منه والمروق منه كما فعل صاحبنا في هذه الأغلال

* الملاحظة الثامنة : أن أعظم شيء ذكره الذي وجه إليه جميع اللوم والذم والحط الشديد في هذا الكتاب هم أولئك الذين أعطوا فكرة المسلمين بأن طريق المجد الإسلامي والقوي ينحصر في العمل بالكتاب والسنة في أصول الدين وما يتعلق به ثم بالأخذ بالأسباب المشروعة فيما يلزم الأمة ، وقد ذكرهم في صدر كتابه في عنوانه بأنهم جماعات عظيمة الشأن من حيث العدد والحماسة يرون أن طريق المجد الإسلامي المنشود ينحصر في الرجوع إلى الأخذ بالأخلاق الدينية الأولى وفي تنفيذ الحدود الشرعية وفي أداء الزكاة وفي إقامة سائر الفروض اليومية والشهرية والسنوية والإيمان بالله والجهاد الديني في سبيله . هكذا ذكر عنهم . ثم إنه خالفهم فادعى أن المجد القومي ينحصر في الأخلاق الصناعية والحربية والاقتصادية والمادية والعلمية ، ثم ذكر أن الأخلاق الدينية لما تنتج أخرى أي غير تنتج المجد . ولهذا فسرها في الموضع الآخر بأنها ملهاة وتعويق ومصرف حثيث ، فجميع ما في كتابه من سب وحط يوجه إلى الجامدين والجاهلين والهدامين والرجعيين والمعقلين والبائسين والخرافيين وأمثال ذلك فكله موجه إلى هذا الهدف وهم هؤلاء

الجماعات الدينية وذكرهم وذكر أسمائهم. وجميع ما يوجد في كلامه من مسبة الجمود والرجوع إلى الوراء والخرافة والبؤس والشقاء والأوهام والخرافات والأباطيل وأمثال ذلك فهو موجه إلى مقالتهم التي قالوها وهي الأخذ بالأخلاق السلفية والعمل بالكتاب والسنة على ما كان عليه السلف الصالح كما قال الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. والسبب الوحيد الذي دفعه إلى هذه الجراءة النكراء هو أنه رأى هذه الجماعات العظيمة، بيض الله وجوههم، واقفين في وجه دعايته وقاموا متشددين لما يدعو به ويجمع أتباعه في الحث على أمور من الدين والأخذ بأخلاق العصريين الملاحدة كما سجله في كتابه. فلذا حرج صدره وضاق بهم ذرعا فلم يجد بدا من الطعن فيهم والحط عنهم وإساءة أقوالهم وآرائهم بهذا الهراء المنكر ليمهد له الطريق. ولكن ما زاده هذا الصنيع إلا رجسا إلى رجسه وعدم نجاحه في غرضه. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

ثم الملاحدة العامة كما اعترف بأن قاعدته التي يعتمد عليها ونقطة دائرته التي يدور حولها في دعايته أن التقدم كله والرقي والسعادة العالمية كلها وملاك ناصية الوجود كله محصور في معرفة شيء واحد. وهذا الشيء الواحد هو معرفة قوى الطبيعة ونواميسها كما صرح بذلك. وهذه عبارته بحروفها في ص ٨٢ «وإن ضعف المسلمين وتأخرهم وفقدهم كل أنواع الاستقلال والسيادة لا يعود إلى فساد في الأخلاق ولا إلى خلاف في الرأي والقلوب[1] ولا إلى شيء مما يحسبه الجاهلون، بل يعود إلى شيء واحد فقط، يعود إلى الجهل بما به فاقه الآخرون أي الجهل بقوى الطبيعة ونواميسها» انتهت عبارته. وهي إحدى سجداته العمياء للطبيعة ونواميسها. فالمصيبة عنده والبلاء الذي أصاب المسلمين هو جهلهم بقوى الطبيعة ونواميسها، والعلم والقوة والسيادة العالمية وناصية الوجود كله

(١) كلامه صريح في أنه لا يرى فساد الأخلاق ولا الخلاف في الرأي ونحوه عائقا عن التقدم

بيد العالم في قوة الطبيعة ونواميسها. أما الأعراق التي تسمونها بالصحة وغيرها فكل ذلك بمعزل عن التقدم. بل هو أوهام وسفاهة وجهل وخرافات لها نتائج أخرى وهي التأخر والانحطاط. وعلى هذه القاعدة المنكرة بنى جميع كتابه وجعل الدين مضادا لها وحمل على أهله. فقد أطال في تكرير هذه القاعدة في كل صحيفة وجهة إلا ما ندر بكل الأشكال بعبارات ثائرة ومجازفة حادة وأساليب متنوعة. وكتابه كله مبني على هذا الغرض مع دعواه فيه أنه حاول به فهم الدين. فيكون قد فهم أن علم الطبيعة ونواميسها هو أصل الدين عنده. فيكون الدين هو فهم الطبيعة ونواميسها. فيكون الله خلقهم لذلك ويكون معنى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ليفهموا الطبيعة ونواميسها. وهذا من آيات الله فيمن خرج على [illegible] الدين(1)

﴿الملاحظة التاسعة﴾ اعلم أن أصل دعوته وأساسها الذي يدور عليه كلامه كله هو الحث على معرفة الطبيعة ونواميسها. وعلم أنه سهل الحصول على ذلك فجعل معرفة هذا الأصل الكبير عنده موقوفة على شيء واحد ولا سبيل إلى الوصول إليه إلا بهذا السبب الواحد. وهذا السبب هو الاعتماد الكلي على الأسباب المادية والاعتقاد بأنها فاعلة بطبعها حتى ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها. ولا يمكن الحصول على هذا الاعتقاد أيضا إلا من طريق واحد وهو إنكار مشيئة الله وتجريدها عن العلم والتصرف فيه جميع أسبابه بالقطع والوصل والإعطاء والمنع. فإنكار هذه المشيئة المطلقة كان سببا محضا والنجاح محتوم له. ولا يمكن أن ينجح إلا إذا كان سببا محضا. فطريقة

(1) هذا مع أنه ناقض نفسه فادعى أن طريق التقدم ونجاحه محصور أيضا في شيء واحد وهو تعليم المرأة، حيث ادعى في قوله: علموا المرأة ثم املأوا أيديكم بالثقة والأمل، ولا تخشوا بعد تعليمها شيئا. فجعل روح الرقي كله والتقدم بحذافيره في تعليم المرأة. فسبحان الخالق

الحصول على النجاح هي أن يكون الإنسان سبباً محضاً ، ولا يمكن أن يكون سبباً محضاً إذا آمن أن الله يتصرف في خلقه بمقتضى علمه ورحمته وحكمته تصرفاً مطلقاً بقوة قاهرة حاكمة مهيمنة على كل أسباب الوجود تتحكم في نهاياته وبدايته ، ثم إنه تحول ذلك إلى ما هو أكثر منه (١) وأشار إلى أن الحصول على الكفر بالمشيئة موقوف على الكفر بوجوده تعالى ، فإنه صرح بأنه لا إله بلا نفي ، وأن [illegible] ثم ادعى أن الإيمان بعقيدة يوجب عدم النجاح وهو خلاف المطلوب كما يأتي . وإنما طول هذه الطريق وجعلها ملتوية تعمية وسبباً على الجهال والضعفاء المتصوفين ومن ضرب الله على قلبه بالطمس والأقفال والعمى . ولهذا [illegible] هذا المنحدر في نحو الاعتماد على الأسباب والتعلق بها وحدها وصرح بأن نتائجها لذاتها لا لمشيئة الله وإرادته ، وادعى بأنه يجب أن يجزم بأن الله لا قدرة له على تغييرها عن سببها ولا يمكن أن يغيرها الله فيجعلها إن شاء أسباباً وإن شاء جعلها غير أسباب ، أو أنه يعمل بدون الأسباب ، فإن هذا عنده هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها . وقد كرر هذا الأصل مرار كثيرة ، فقال في بحث التوكل (ص ٢٦٨) : ليست حقيقة التوكل هو الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله يتدخل فيها (٢) فيجعلها إن شاء أسباباً ويجعلها إن شاء غير أسباب ، أو مع الاعتقاد بأنه تعالى قد يفعل من غير الأسباب ، فإن هذا هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها . انتهى فمن هذا فإنه لا يكفي الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله في حصول النتيجة كافٍ في نجاح العمل ، بل لا بد عند الأخذ بها من الكفر بقدرة الله على تغييرها . فلا يمكن عقل أن

---

(١) ولكنه لما وصل إلى هذه المرتبة أتأر ولوح وجمجم وغمغم وجعل ذلك مشكلة لم تحل

(٢) انظر إلى دقة الجاحد ، فإنه جعل لفظ «يتدخل» بدل «يتصرف» تشويهاً لسمعة المشيئة ، قاتله الله ما أخبثه

يغيرها الله أبداً ، فإنه جمع الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله له قدرة على تغييرها وقلبها أو له قدرة على أن يعطل تأثيرها فوضى وسفه لا ضابط له كما يقول ، وقد صرح بهذا في المشكلة التي لم تحل كما سيأتي . ولا شك أن هذا يبطل جميع النبوات [1] لأن النبوة لم تثبت إلا بالمعجزة والمعجزة هي خرق للأسباب العادية أو قلب لها وإلا لم تكن معجزة ، وهذا يبطل جميع الأديان ولهذا كان روح الكتاب هو رفض الأديان فتبين لك أن هذا الأصل الخبيث الوحيد الذي هو مفتاح الطريق في الوصول إلى تلك القاعدة التي اعتمدها هو جحد قدرة الله ومشيئته بعد [illegible] سنته . ومعنى هذا وجزاؤه إنكار وجود الرب جل جلاله ، أو على الأقل جحد كماله ، لأن الرب الذي لا يدبر ملكه ولا يتصرف فيه بالقطع والوصل على ما تقتضيه إرادته ورحمته وحكمته إما معدوم أو عاجز كالأصنام ، والمعدوم لا شيء ، والعاجز لا يكون إلها يستحق العبادة ولا يدعى ، ولهذا صرح في [illegible] بأن الدعاء لا فائدة فيه بعد أن قرر أنه عبادة ، فجعل عبادة الله كعبادة معبود من الأصنام الذي لا فائدة فيه ، فهذا حاصل ما في الكتاب [illegible] عقيدة المعتقد وبه تعرف أن حقيقة الكتاب الكفر بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

الملاحظة العاشرة : مما علمت أن كلامه يدور على مغالاة في التعلق بالأسباب العادية وتأثيرها الطبيعي فيجب أن تعلم أننا لا ننكر تأثير الأسباب وارتباطها بمسبباتها ، وأن تأثيرها بالقوة التي أودعها الله فيها ، فالماء سبب للري والسكين تقطع بطبعها والنار تحرق بطبعها وهكذا جميع الأسباب مربوطة بمسبباتها ، فهي عندنا كما هي عند جمهور المسلمين من أهل السنة وأصحاب الحديث مؤثرة بطبعها بالقوة التي أودعها الله فيها بمشيئته وقدرته ، ولا نقول

---

(١) بل ويبطل الاعتراف بالربوبية لأن الرب الذي لا يتصرف في ملكه تصرفا مطلقا ليس بكامل ، بل هو ناقص مقهور

ان الأسباب لا تؤثر بنفسها أو بالقوة المودعة فيها، وإنما ذلك التأثير بفعل الله عند اقتران السبب بالمسبب كما هو مذهب طائفة من المنتمين إلى السنة. فإن هذا القول مرجوح وليس بصحيح كما سوف يجيء بيانه في بحث الأسباب. وموضع النزاع بيننا وبينه في الأسباب إنما هو في إمكان تغييرها عن طبعها وصرفها عن وجهتها بقطع أو وصل كخلق أسباب تعارضها أو تفسدها. فهو يدعي أن الله لا يتصرف فيها أبدا فلا يجعلها إن شاء أسبابا وإن شاء جعلها غير أسباب، بل هي عنده مطبوعة طبعا مؤبدا ليس لقوة من القوى صرفها عن سبيلها. فلا يمكن أن يصرفها الله أو يغير فيها شيئا. ونحن ننازعه في هذا ونقول إن الله خلقها وأخرجها من العدم إلى الوجود، فهي ملكه، وتحت تصرفه، وله القدرة الكاملة والمشيئة المطلقة عليها، فهي خاضعة تحت سلطان إرادته الإلهية وقدرته الربانية. ولا تجري إلا على مقتضى مشيئته وإرادته، فإن شاء جعلها أسبابا موصلة إلى نتائجها كما هي العادة الأغلبية وإن شاء قطعها أو صرفها وأخرجها عن أسبابيتها بل قد يحولها إلى ضدها كما وقع كثيرا. وقد حول الله النار بردا وسلاما بعد أن كانت حرارة محرقة. ونظائر ذلك من المعجزات. فإن كون النتائج تتخلف عن الأسباب أمر معروف لدى الخاص والعام بالضرورة والحس، فإنه ليس في الدنيا سبب واحد مستقل بنتيجته بدون سبب آخر، كما أنه ليس في الدنيا سبب لا يبطله سبب آخر أو يفسده أو يغيره. ونعني أن نعبر بقولنا أطلق الأديان فيريد بذلك الإسلام ودين أهل الكتاب خاصة دون غيرهم من أهل النحل الأخرى، لأنها لا تسمى أديانا إلا مضافة إلى أهلها. وإذا أطلق الدين الصحيح فهو ما كان عليه أسلاف الصدر الأول والقرون المفضلة في أصول الدين وإثبات الصفات دون تحريفها الذي يسميه المتأخرون تأويلا. وإذا أطلق الإسلام فالمراد به ما كان عليه السلف الصالح ومن اتبعهم، ويدخل في ذلك أتباع الفرق المبتدعة التي لا تخرج من الملة دون خصومه المتصوفة والاتحادية وأمثالهم من ذوي ... كفار مرتدون

« الملاحظة الحادية عشرة » ينبغى أن يعلم أن أهم ما قصدناه فى موضوع كتابنا هذا هو بيان مصادمة كتابه للشريعة الإسلامية بل وغيرها من الشرائع السماوية، وأنه مصادم لها من كل وجه. فلا يروج كلامه الذى خادع به فيه على من لم يعرف حقيقة أمره. ولا سيما فإنه لما أسقط فى يده وارتكس فى هذا المأزق الحرج حاول الخروج والتخلص منه فى أكثر من صحيفة والمغالطة والخداع فى مخاطباته ومكاتباته. مدعيا أنه ليس فى كلامه ما يخالف الدين، وأنه ما قال غير الحق. وأن الناس لم يفهموا كلامه فأردنا أن ننبه على هذا الأمر. وإن كان فى كتابنا ما يتضمن مباحث أخرى متعلقة بهذا الأصل ويعذرنا القارئ الكريم عما يراه فى بعض الكلمات من شدة. فإنا لم نعامله أكثر مما اعتدى به علينا وعلى ديننا العظيم. ولا بد من أن يكون الجواب مناسبا لكلامه، ومن الواجب فى مثل هذا أن ينزل منزلته اللائقة به التى اختارها لنفسه، ويكال له بالصاع الذى كال به لغيره. وقد كان من الممكن له أن يبدى رأيه كغيره بدون سب وسخرية وتهكم واستهزاء، وكسب وهراء لا طائل تحته ولا فائدة فيه. وبدون أن يرتكب هذا الأمر الكبير ويقتحم هذا الشيء الخطير. ومعاملته لا تخرج عنه من العدل. وليس من العدل أن يحترم من لم يحترم شريعته وقصده. والذى كان مثل هذا. وصنيعه فى كتابه صنيع المتهكم المتحدى لا صنيع الباحث المسترشد، فلا بد من الأخذ به ما يليق به وبكتابه. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل

مقدمة

وقبل البدء في نقض مباحثه نذكر قاعدة مهمة لا بد من ذكرها لتكون
كالأساس لما نأتي في هدم جميع ما اعتمد عليه، فنقول:
من المعلوم أن لكل مخلوق بداية ونهاية وغاية، وأن المقصود من إيجاده
غايته التي هي الغاية المطلوبة منه، فإن الله لم يخلق خلقه عبثا، وكل مخلوق
فغايته تكون بحسب قدره في عظمه أو صغره وغير ذلك. ولما كان الإنسان
هو أرقى هذه المخلوقات بالمشاهدة وأشرفها وأرفعها كانت غايته المرادة منه
هي الغاية في الشرف والعظمة لشرف قدره ومنصبه. فكان من الواجب أن
يعرف الإنسان غايته المطلوبة منه. وقد كان من حسن حظه أن الذي خلقه
وأبدعه من العدم وأعطاه كل ما يحتاج إليه من النعم هو الذي بين له الغاية
بكلامه نفسه بأفصح بيان وأجله، فقال تعالى (وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون) فنص أنه خلقهم لعبادته نصا صريحا. وقد بين سبحانه
هذه الغاية الحسنة وفصلها في كتابه تفصيلا وشرحها جليا أعظمها وأجلها بل
قطعا، وصرح بقصده بالدعاء ونحو ذلك مما يتضمن ذلك من الأحوال الباطنة
من التوجه والإخلاص والدعاء حتى عادة في كل مهمة ومقصد. وتفصيل هذا
الأصل العظيم الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له مبسوطة في النصوص
لمن تدبرها [illegible]. والمراد من الأصل الذي هو الغاية المقصودة من إيجاد
هذا [illegible] أن ليس المراد من إيجاده [illegible] ما أصابه من
[illegible] منه إما [illegible] وإما
[illegible] أن الله سبحانه [illegible] عنه وعن عبادته،
وما أمره به من حكم عظمة من [illegible] وتعظيمه وتقديسه
والإنابة [illegible] لتحصيله في الدار
الآخرة مع ما له في الدنيا من روح الحياة [illegible] وفرحها وعزتها

وكل هذه التكاليف الدينية السهلة اليسيرة المفروضة عليه والمتعلقة بها سعادته لا تستغرق معظم حياة الانسان، وبعث من مظاهر وآثار رحمته وفضله وكرامه فلا بد من ظهور آثار أسمائه الحسنى المشتقة من صفاته العليا في هذا الوجود

ولما كان الانسان خلق ضعيفا جهولا مقذوفا به بين هذا الخضم المتلاطم المملوء بالطغيان والظلم والجور والعدوان، وهو عرضة للضعف والمصادمات القاسية، فلا يمكن بحال كما هو الواقع أن يرشد نفسه بنفسه وأن يحميها من شر غيره، فاقتضت رحمة من خلقه ورباه أن ينزل له في هذه الظلمة نورا ساطعا كالشمس ويعتد به عقلا كالبصر يبصر به هذا الدين الذي هو الكتاب والسنة وهي أصل الدين، فأعطى هذا النظام لعظم النفس الذي هو في غاية الإحكام والاتقان لتمشى على ضوئه وتعدل طبعه وتزين خلقه وتسلك به الطريق التي فيها خلاصه من كل سوء ومكروه، وهو مصباح الدين والخير والحكمة والحجة الواقية، وقد وعده ـ ومن أصدق من الله قيلا ـ بالسلامة والتوفيق والهداية والتمكين متى اعتصم بهذا النظام المحكم وعمل عمله بالواجب، وأعلمه أن شدة وعوره وعكسه وجحده موقوف على تجنبه عنه، وأنه إن أعرض عنه فقد تعرض للهلكة، وأن الشر والخسر والضلال في تركه والاعراض عنه فسماه نورا، فان من فقد النور فهو في معرض العطب، وسماه روحا لأن من فقد الروح فهو في حكم الميت، والنور والروح هما أصل القوى كلها. كما سماه أيضا برهانا وبينة وحقا وهدى وصراطا مستقيما، فان من فقد هذه الأمور فهو على باطل وفساد وجور وفوضى، ومن حظى بهذه النعم فاز بالحياة الصحيحة والدولة المستمرة، قال تعالى: يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما. وقال تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله

الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ . وقال
تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى
ورحمة للمؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به
الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه
ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ وقال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، الله الذى له ما فى
السموات وما فى الأرض [١] وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين
يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
أولئك فى ضلال بعيد ﴾ وقال تعالى ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى
أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ،
وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾
وقال تعالى ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم
فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله
عاقبة الأمور ﴾ والآيات فى هذا المعنى كثيرة شهيرة . وعن على رضى الله عنه
قال رسول الله ﷺ « ستكون فتن » قلت فما المخرج منها يا رسول الله .
قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس

---

(١) كثيرا ما يذكر الله سبحانه ملكه للسموات والأرض بعد الأمر بالاعتصام
بكتابه ومدحه وفى ذلك سر بديع وهو ارتباط سننه الكونية بسننه الشرعية وأن
من اتبع سننه الدينية التى شرعها حقيق أن يتمتع بخيرات هذه السموات والأرض
متمتعا مستمرا وفيه إشارة الى عظمته فإنه إذا كان مالك هذه السموات والأرض
فيكون لا أعظم منه فيكون لا أعظم من تأثيره فإن عظمة الرسالة تكون على قدر
عظمة المرسل

بالهزل من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، وفى رواية « ولا تختلف به الآراء هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد » ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » رواه الترمذى وغيره . والاحاديث فى هذا كثيرة معروفة . فكل من تمسك بهذا الدين العظيم واعتصم به فقد سار على نور وبصيرة مستمسكا بأسباب قوته ، ومن خرج عن هذا الدين أو تساهل فى الأخذ به فقد بعد عن هذا النور والروح والهداية والأمان بقدر خروجه وبعده وتساهله ولا يظلم ربك أحدا .

فاذا عرفت أن الله خلق الخلق لهذه الغاية الجليلة وأنه بين لهم الطريق التى توصلهم اليه والى ما خلقوا له فاعلم أنه سبحانه مكنهم فى الأرض وسخر لهم جميع ما فيها وأباح لهم من الطيبات ومن الأسباب ما لا يدخل تحت حصر ليتم نعمته عليهم بذلك وليتقووا به ويستعينوا به على عبادته وجهاد أعدائه ، فهنا أمران يجب ملاحظتهما : أحدهما أنه خلق الخلق لعبادته . وثانيهما أنه سخر لهم ما فى الأرض جميعا ومكنهم فيه ودلهم على فعل الأسباب الممكنة النافعة . كل ذلك لأجل العبادة لا واجب ، فالأمر الأول هو الغاية والثانى وسيلة اليها . وبهذا يتبين لك أن ما نال المسلمين من الوهن والضعف ليس ناشئا عن التدين بالدين ، وانما نشأ عن اضاعته والتقصير فى القيام به كما يجب ، فانهم لم يقوموا به على الوجه المطلوب ، بل منهم من أضاع ومنهم من قصر ، فلو طبقت التعاليم الدينية الصحيحة على أحوال غالب المسلمين أو من ينتسب الى الاسلام اليوم لوجد اختلاف كثير وخلل كبير ، فما نالهم من التأخر انما هو بسبب عدم المحافظة عليه والتضييع له . هذا هو أصل التأخر وأساسه . فكيف

بسبب تأخرهم ووهنهم إلى التمسك بالدين وهم لم يتمسكوا به لا في عبادة الله
ولا في فروعها كبعض الأسباب النافعة التي أرشدهم الله إلى فعلها فقصروا في
الأمرين جميعاً . فنتج عن هذا التقصير العظيم قصورهم عن غيرهم من فعل أكثر
الأمر الثاني . وإلا فلو فعلوا الأمرين لنجحوا حتماً . فمن المحال أن يوجد شعب
أو أمة حافظت على دينها كما ينبغي فآلها الضعف والوهن أبداً . ولو أن هذه
الشعوب الراقية في الأسباب المادية وفنونها أضافت إلى ذلك ديناً صحيحاً
لازدادوا قوة إلى قوتهم وحياة صحيحة إلى حياتهم المكدرة المهددة . ولكان ذلك
أعظم عاصم لهم من الأخطار المتوقعة . ومن أوضح أسبابه التي عم حلها وحتى كل عاقبة أمرها . ومما يثبت برهانه الواضح القاطع أن
الاعتصام بالدين ملازم للنصر والتقدم والتمكين أن الحالة الأولى التي كانت
قبل ظهور هذا الدين مصيبة تدعيهم كانت العرب في أسوأ حالة من الحالات
المزرية الوضيعة جداً فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه أو جاءوا وأخذوا بتعاليمه
ومبادئه المقدسة على حسب الحدود كان أول من عرف الدين كانوا على تلك
الحالة أعظم الناس استقامة في أخلاقهم وأرواحهم وآدابهم . فأزال عنهم هذا
الدين عقود الخمول والأغلال التي كانت عليهم في أسرع وقت ممكن حتى علوا على
قيصرهم وكسراهم أعظم دولتين على وجه الأرض . ونالوا من العز ما لم تنله أمة
قبلهم ولا بعدهم في أقصر وقت عرف . وصار المسلمون في تقدم وفي
اتساع مدة عزيز من مستمسكين على تلك الحالة الصحيحة الطيبة حتى خرجت
صدور أعدائهم من طائفة اليهود والمجوس ومن شاكلهم ممن لم يسلموا لما علموا
أنه لا طاقة لهم بحربه بالأسباب المادية . فدخلوا في الإسلام كيداً له ولأهله .
فدسوا وخدعوا وأدخلوا على أصوله وتعاليمه السامية ما أفسده من الدسائس
الغريبة الخبيثة التي لا تناسبه بل تناقضه . وادعوا أنها من أصول الدين .
فلبسوا على من قل نصيبه من العقل والدين . فدسوا قواعده وأصوله الصحيحة
بقواعد وأصول وهمية . كما مثلوا علوه تعالى فوق العرش بأنه لا داخل العالم

ولا جارحة، وبدلوا كلامه لموسى وكلامه بالقرآن بأنه خلق كلاما في غيره فتكلم عنه وأمثال ذلك من تحريف الصفات حتى غيروه. وما زال هذا البلاء يزيد وينتشر في صميم الاسلام حتى تنازلت أجزاؤه وتداعت أركانه

ومن المعلوم أنه من عهد الخلفاء الراشدين الى عهد المأمون والاسلام في عز منيع وقوة قاهرة وتقدم باهر. ولما غلبت الجهمية على عقل المأمون وأدخلوا عليه العلوم الخبيثة التي هي علوم الزندقة وهي طريقة الجهمية النافين لعلو الله تعالى حقيقة على عرشه المنكرين لكلامه حقيقة أو أنه لم يتكلم بحروفه ومعانيه، وصرفوه عن حقيقته التي هدموا بها القدح في الاسلام وأهله، فحسنت الجهمية له القول بخلق القرآن وأنه ليس على العرش، وأنكروا رؤيته في الآخرة، وغير ذلك كثيرا من الصفات حتى شغف المأمون بهذا الوباء الفاتك وأكره الناس على الدخول في هذه الطامة المنكرة الخبيثة وقتل وحبس وعذب كل من لم يدخل في ذلك وجعل هذه القواعد الكفرية دينا يدان الله به بدلا عن قواعد الشريعة الثابتة بدليل قولا على الذي قيل له: نقض قواعد الاسلام بقواعد الكفر، وحمل الناس عليها قهرا واضطرارا. فاضطرب الاسلام لذلك وتهدمت جوانبه فأخذ في النقص والتدهور. ونزل من أعلى قمته وصيتها من وقت المأمون الى هذا الوقت حتى صار بحيث لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وكل هذا بسبب الجهمية الزنادقة التي ارتكزت على قوة هذا الخليفة لنصب النظام الذي لا يعطيه الا جاهل لا خلاق له. فإنه أول خليفة سعى في هدم الاسلام، ثم لم تزل هذه النفس الخبيثة مصاحبة له سارية فيه تارة تضعف وحينا تقوى فإن قويت ضعف وإن ضعفت قوي بحسب العوامل والظروف المقارنة له، ولكن كلما بعد العهد عن زمن الرسالة قويت هذه العلل وتبعها الضعف. ولهذا لما اجتمع التجهم والرفض وفروعهما في وقت المعتصم بسبب تمكن دعاة هذه المذاهب من مقام الخلافة وتلاشى مذهب أهل الحديث والسنة في العراق وما والاه جرى على تلك الأقطار ما هو معروف

من فتنة أسرار الشيعة، مثل اجتياح هذه المذاهب الخبيثة في أصلها كاجتياح
الجذام والبرص في الجسم، وأن يحيى حسم عنه هذا البلاء. فأكبر دهليز دخل
منه الملاحدة وأعداء الدين على الإسلام دهليز التجهم والرفض. وأعظم
اعتقاد جرّ إلى الاتحاد اعتقاد التجهم والرفض، ولم يحصل الانحلال عن الأقطار
الإسلامية إلا لما فشت فيها هذه المذاهب. ولا شك عند كل عارف بدينه أنها
يضادّ بالإسلام أعظم مضادة، وأن من تدين بها فهو لا يعرف دين
الإسلام وحدوده وشرائعه، فأكبر الخذلان يصدق أعمال هؤلاء الفاتنين
بدين الإسلام وهم أعظم أعدائه وأضداده، ومجرد الانتساب بالدعوى لا
يغني في الحق شيئا

أما هذا فدين الإسلام هو النور والروح والحق والبرهان والهدى،
وهو دين الحكمة والعدل، وهو العقل والعلم والثقة والقوة الصارمة التي لا يقف
في وجهها شيء من أي قوة كانت، وهو مبني على صلاح الأرواح وتقويتها
ونفعها. فليس في الدنيا خير إلا والدين كفيل به، وليس في الدنيا شر إلا
والدين كفيل بدفعه والتحذير منه. فإنه ينهى عن عبادة المخلوقات بأنواعها
والخضوع لغيره، والتملق لهم، وعن جميع الفواحش والمنكرات كالكذب
والبهت والخيانة والنميمة والغش والنفاق والخداع والغل وجميع الأخلاق
المحقرة. كما أنه يأمر بالمساواة في الحقوق البشرية وأنه لا فضل لأحد على
أحد إلا بالتقوى. وهذه القاعدة الكبرى هي أصل العدالة والنظام في الحقوق
البشرية، ويأمر بنصر المظلوم وإغاثة الملهوف والضعيف والبر والصلة والرفق
بالضعفاء والبهائم، ويأمر بالشجاعة والكرم والصبر والثبات والنصح في الأعمال
والصدق في الأقوال والبعد عن الرذائل وأمثال ذلك. وهذه هي أسس النهضات
العلمية والعملية كلها، وما دخل الناس الغش إلا بسبب إهمالها أو إهمال أكثرها
فما من خصلة حميدة إلا قد أمر بها وما من خصلة ذميمة إلا وقد نهى عنها.
والحث على هذه الأمور مشهور في نصوص الكتاب والسنة، فمن جعل هذه

الخصال أغلالا فقد عكس الحقائق وكابر . وإنما جعلها هؤلاء أغلالا لأنهم وجدوها أغلالا تمنع الإنسان عما يحاوله ويجمح إليه من الانحدار في دركات الإلحاد والغي واللهو والفسوق والفجور التي تضاد هذه الخصال من كل وجه ، فلولا أخـــلاق الدين السامية لم يكن بين الإنسان وبين الحيوانات المطلقة وراء شهواتها أدنى فرق ، لا تحد إلا لصبوة الحسية لا غيرها

وينبغي أن يعلم أننا لا نريد بالعبادة المذكورة هنا لزوم المساجد والزوايا والعكوف فيها دواما ومتابعة الصيام والانقطاع عن جميع الأعمال الدنيوية وأمثال ذلك مما يظنه الجاهلون . وإنما نعني بالعبادة اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى التي أمر بها في كتابه ، وهي وإن كانت صعبة يسيرة على من باشر قلبه الإيمان ، وكل عمل يكون يسيره وعسيره بحسب ما في قلب صاحبه من الإقبال عليه والرغبة فيه ومحبته لذلك العمل ، والله سبحانه وتعالى يقول : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . وفروض الشرع كلها يسيرة معروفة عند ثقاتها وأعـــداها وأهواها . ومن المعلوم أن هؤلاء الذين يتركون الأوامر الدينية يبتلون بأغلال القوانين الوضعية ومذاهبها التي أتعب واشغال لا نفع فيها من ملاه وخلاعة وغيرها وهي تعطل عن نفع الدين والدنيا بالمرة . فهم كما لا يتقيدون بأوامر الشرع فلا بد أن يكونوا مقيدين بعوائد ضيقة عسيرة . فإن الإنسان مهما بلغ في الرقي لا يمكن أن يبقى بلا نظام يمسك عنان أغراضه وشهواته .

وعلى كل حال فإن الله سبحانه وتعالى قد ضمن لكل من قام بشرعه أن ييسر له أمره ويجعل له فرجا وأن يعطيه من الفرح والسرور والراحة والطمأنينة ما يوجب أن تكون حياته سعيدة صحيحة ، وأن من رفض شرعه فلا بد أن يعاقب بقوانين ونظم كالأغلال والقيود الضيقة العسيرة ستوصله إلى أصفاد وأغلال جهنمية مستمرة وبيلة . والعاقل يختار لنفسه ما يخصها ويسعدها . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

وكما أن الدين هو أساس كل خير ونهوض وفلاح ونجاح وهو مصدره

ومنه كما ذكرنا عن الالحاد ورفض الايمان هو أصل كل شر في الدنيا وعنصره وعلته . فلا يوجد في الدنيا مصيبة وعناء وشر وبلاء الا وهي نتيجة الكفر وفروعه وآثاره . وإذا تتبعت كل شر ونقمة وبلاء ومحنة حدثت في الدنيا من أولها الى آخرها وجدت أن أصل ذلك عدم التدين أو البعد عن الدين . فالهلاك الذي أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وأمثالهم ما هو الا بسبب عدم الاذعان الى دعوتهم الى رسلهم . ولما كان قوم لوط هم أشد الخلق انغماسا في الاباحة والضلال في اتباع شهواتهم كانت عقوبتهم أشنع عقوبة وأفظعها فناسب أن تكون عقوبتهم كجريمتهم . وكذلك الأمم التي جاءت بعد تلك الأمم الى هذا الوقت الحاضر فان العقوبات المتنوعة لا تزال متتابعة عليهم فهذه الحروب الواسعة النطاق والخراب والفاجعة المصيبة حسبما هي إلا نتيجة الكفر والالحاد . وكل أمة من هذه الامم قد تصاب بقدر ما معها من الالحاد والكفر . ولما ذكر الله سبحانه وتعالى تلك الامم السابقة وذكر ما حل بهم من العقوبات ذكر أن من سلك سبيلهم فيستحق به ما حل بهم فقال تعالى ﴿ فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴾ وقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴾ وقال تعالى ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ وقد اخبر ان سنته في الأولين أنه الهلاك لا محالة لكل من خالف الرسل . وقال تعالى ﴿ فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون . قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴾ فتأمل هاتين الآيتين وما فيهما من العبر ، فقوله ﴿ ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ﴾ فانه اذا استحصل على ما استحصل عليه من نعمة الدنيا قلت أو كثرت أسند ذلك الى نفسه وعمله وقوته وطبيعته

واستعداده ومواهبه لمعرفة ذلك وحقيقة هذا أنه استحصل على هذا بعلمه الذي به استعمل الأسباب الخاصة له دينـ(١) ولم يقل هذا تفضل من الله وتوفيقه . فقال الله تعالى رداً عليه : بل هي [illegible] أي هذه النعمة إنما أوتيها [illegible] كيف [illegible] بالطاعة فهي متاع حسن إلى حين وإما أن يكفر [illegible] وتعاقب بها كأسلافك . فلا [illegible] (قد قالها الذين من قبلهم [illegible] هذا الإنسان القائل تلك المسألة [illegible] قال تعالى في [illegible] عنهم ما كانوا [illegible] من الأسباب [illegible] على [illegible] [illegible] وما [illegible] حبا [illegible]

والمقصود [illegible] عامة لمسألة غني الحرب والمصائب [illegible] هؤلاء [illegible] وقد قال تعالى : وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً . وقال تعالى : وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) وقد وقع كل هذا [illegible] فهذه [illegible] بعد كرة حتى سحقتها سحقاً [illegible] وهي التي نبتت فيها أصوله ورسخ فيها [illegible] وأكثر [illegible] من العتو عن

(١) [illegible] كلام ملاحدة العصر كصاحب الأعلام

أمر ربه فيها اذ أذاقت الخلق الوانا من العض الشديد والفتك المفزع والعذاب
الفظيع والحكمة في أن عذاب هؤلاء المتأخرين ليس كعذاب الامم السابقين
في الصفة المتحدة بل كان مختلف [illegible] كفر أولئك كان متحدا حسب فكل
أمة منهم كان كفرها نوعا واحدا فكان عذاب كل أمة نوعا واحدا بخلاف الأمم
المتأخرة فان كفرهم كان مختلفا [illegible] أشباه لقوم نوح وأمثالهم ومنهم
الإباحي كالمزدكي ومنهم [illegible]
كفر هؤلاء [illegible] أولئك وكان عذابهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في كفرهم [illegible]
والصناعات المستخدمة [illegible]
جاءتهم منها الدعايات ونالوا منها اللذات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العالم كالطاقة الذرية ونحوها حتى هؤلاء الذين شنوا دعايات لا [illegible]

الأديان قد هيئوا بآرائها للملحدين من الكيد والمكر والاستعداد أسبابا من
حيث أسباب تلك الدعايات تقضي بهلاكهم وتكدير [illegible] فيه كما أنهم يصنعون
لهم من حيث [illegible] آلات للدعاية فهم يعملون لهم من حيث لا يشعرون عوامل هلاك
ودمار ومصائب وبلاء ومحن. وها نحن أولاء لا نزال نرى هؤلاء العابثين في
كل وقت وحين تصيبهم بما صنعوا قارعة [illegible] قريب
من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد

وباختصار [illegible]
خلقه وخلق [illegible] ويعتمد عليه
[illegible] الله [illegible]
[illegible] أو [illegible] عذاب الملحدين
[illegible] عذاب [illegible] لا يمكن [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] أن [illegible] هو [illegible]
ما [illegible] هو [illegible]
و [illegible]
أعماله وقصده [illegible] يكون [illegible]
[illegible] أنهم
وهو [illegible]
فسوف [illegible] أن [illegible]
[illegible] آمنوا وعملوا الصالحات [illegible] يحكمون

إذا عرف هذا كله [illegible] طريق [illegible]
[illegible] والخلاص [illegible]
الواضحة، هي طريقة الدين، هي الطريقة [illegible] التمسك بالأخلاق الدينية

الاولى في أصول الدين يجب ان نعلم ونعتقد أن نهوض المسلمين وتجددهم
واستقلالهم وخلاصهم كل ذلك معلق بهذا الخلق [illegible] معلق بالقيام بهذا
الدين المتين [illegible] في الشكوك والأوهام الملصقة به وابعاده
عن [illegible] المولدة من [illegible]
للمذاهب والأنساب [illegible] الاسلاف [illegible] كيف يتقدمهم ونجاحهم
ولا يمكن لهم تقدم ولا نجاح مهما حاولوا وعملوا [illegible] فان هذه
الدولة الاسلامية لم توجد وتتكون الا على [illegible] الدين [illegible] وحده وقوتها
تعظم [illegible] وضعفها [illegible] وكل هذه الاحزاب
والتعصبات [illegible]
[illegible]
الروح [illegible] ان شاء الله على
وبه الثقة والاعتـــــ

الكلام على اسم كتابه

(هدى هي الأغلال)

من عجيب أمر هذا الرجل أن الله لما قلب قلبه وعكس بصيرته تصور ما جعله الله نوراً وروحاً وفرحاً وسروراً من تعاليم الدين جبيب أغلالا وخرافات وأوهاما، فسمى كتابه (هدى هي الأغلال)، وقد أطال في تكرار ذكر الأغلال والخرافات والأوهام، ورمى المسلمين بذلك وصرح بهم بدعاته. ويا ليت هذا الأحمق فكر في نفسه ليعلم أنه هو الذي أصيب بهذه الأدواء، وأنه هو الذي غلت بها عنقه ويداه فالأولى به أن يسمي نفسه ولا يرمي بدائه غيره، وفي المثل «رمتني بدائها وانسلت»، فلقد كان من عظيم قدرة الله تعالى القاهرة وأنه يحول بين المرء وقلبه أنه طمس على بصيرة هذا الرجل وخسف نفسه حتى سمى كتابه (هدى هي الأغلال) وهذا من عجائب قدرته تعالى، ولو لم يسمه بهذا الاسم لسميناه به، ذلك أن الناس إذا صنف أحد منهم مصنفا فإنه يسميه بما يقصده من الغاية التي يحث عليها ذلك الكتاب فيختار له الاسم الحسن الذي يدل على مسماه كالهدى والسعادة والصلاح والفلاح والنور والأفراح وهكذا، لأن الاسم عنوان على ما يقصده الكتاب ويحث عليه، لا على ما يحذر منه. ولهذا لا تكاد تجد رجلا يسمي كتابه هدى هي السموم أو الضلال أو الظلام أو الفقر أو الأغلال، إلا إذا يريد أن يحث على ذلك ويدعو إليه، ثم إنه لعظم شقوته أكده بقوله «هدى هي الأغلال» لئلا يظن ظان أنه يريد بيان الأغلال أو يكون المحذوف شيئا يصرف ما يفهم ظاهر هذا الاسم، فقطع بهذا التأكيد هذا الاحتمال وبين وصرح بأن كتابه هو الأغلال التي لا شك فيها كما لو أن طبيبا سمى نوعا باسم السموم فكتب عليه عنوانا «هدى هي السموم» فلا يفهم أحد من هذا العنوان أن داخله دواء للسموم وهو مكتوب عليه ذلك. فهكذا قوله «هدى هي الأغلال» فإنه نص أن يكون

المراد [illegible] وإن كان [illegible] التوحيد فليس المراد
منه إلا الحث على التوحيد لا [illegible] على الكتب التي يحض
فيها على التوحيد [illegible] من الشرك لأن
المقصود [illegible] ونحو ذلك لكان له
[illegible] فقد كون
[illegible] دفعاً لإزالة
[illegible] فيها سموم
[illegible] السموم وهذى هي
[illegible] المسممات ، وكل عاقل
[illegible]

والغي والضلال . وكان هذا الذي [illegible] هو في الحقيقة لأغلال التي غلوا
بها في أعناقهم ، ولأنهم لشدة كراهيتهم للحق وعدم الانقياد له كانوا كمن
[illegible] بالأغلال فلا يستطيعون [illegible]
[illegible]
[illegible] وادعى أن [illegible]
[illegible]
[illegible] العمل لهذه الحياة ، فيكون
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل [illegible]

[illegible]

مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ
تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا . وأسروا الندامة لما رأوا العذاب
وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا . هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾
فمن هذه المتابعة والعصبية [illegible] في هذه [illegible] الأمر كما
ذكر . وما أحسن قوله بعد آخر الآية ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾
فإنهم جعلوا [illegible] الأغلال [illegible] التي تصوروها أغلالا
[illegible] هذه الأغلال [illegible] التي هي
[illegible] . وهكذا [illegible] مثل مجازي من جنس عمله

ومنه قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم
مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا
يبصرون ﴾ إلى قوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واتباع ذلك أغلال تعوقهم عن
[illegible] كما قالوا ﴿ إن نتبع الهدى معك

تخطف في أرضنا } أي يكن ضعفه أولا [illegible] عن مكافحة أعدائنا بالقوة كما تقول أدعياؤهم . وهذا الرجل كان كتابه في هذا الغرض في التكذيب بالكتب ومن أرسل الله به [illegible] والمكابرة في ذلك ، فقد اتصف بهذه الصفات كلها حتى [illegible] الدين بأنها أغلال فسمى كتابه (هذى هي الأغلال) . [illegible] الكفار والمنافقين في هذا العصر [illegible] في الأخلاق [illegible] من الإيمان والعمل الصالح ، بل هذه هي [illegible] ، [illegible] في هذا الصور [illegible] فقوله (هذى هي الأغلال) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأغلال [illegible]

(الكلام على فاتحة كتابه)

اعلم أن هذا الرجل [illegible] كتابه [illegible] من القديم الذي يجب [illegible] ولا [illegible] موضوع كتابه [illegible] الأمور [illegible] كتابه لا تناسب الرحمة [illegible] ، فكان من حكمة الله أن صرفه عن الابتداء بها . وقد ذكر [illegible] في أول كتابه [illegible]

بها ومستعينا بها على [illegible] والصلاة على النبي ﷺ كما
يفعله المسلمون في [illegible]

[illegible]

يسمي ما يصادر أيه جهلا وما يخالف اعتقاده عقدا وما تقرره حلا لغـــا ،
وملتبس لا يفسر عنه [illegible] بعكس هذه الدعوى عليه فنقول ما ادعته جهلا
فهو العلم ، وما ادعيته من الحل فهو [illegible] ، وليس [illegible] بأولى من
قبول قولنا لأن ما ذكرته [illegible] مثلها ، وما ذكرته من الأدلة
فنحن معك في تتمة [illegible] في حل عقدة [illegible]
[illegible] واحد في الحقيقة
[illegible] باطل كان المعنى الذي يريده
[illegible] هو عليه في
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على بالتقسيم أن الوهم الواحد الذي هو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فيهما فرعان لها فكيف تكون قسما ثالثا [illegible]
[illegible]

فان هذا الحصر شامل [illegible] ثلاث على حسب تقسيمه المقصود، [illegible] هو في
المسيحية لذاته أصلي، فهو أي [illegible] بعد الثلاث [illegible] جميعا لأنها ترتب
عليها كلها. او لو أنه [illegible] كل [illegible] مثلها لكان أولى على حسب تقسيمه
الباطل. أما تخصيص [illegible] بهذه الوحدة والإتيان بها في هذا المحل لدى
البحث [illegible] في تركيب العبارة لا سيما في هذا المقام

وأما بطلانه من جهة المعنى فمن وجهين أحدهما أنه ينقض في هذه الدعوى
فإنه ادعى هنا أن للوحدة [illegible] ثلاث [illegible]. [illegible] أنه [illegible] بكل حال.
ثم نقض هذه الدعوى [illegible] في صحيفة ٣٨ عن بعض المسيحيين كلاما يتضمن
أن [illegible] عقيدة. واستحسن [illegible] مع دعواه أنه باطل في حقيقته فقال
«ومن غريب الأمر [illegible] في حقيقته [illegible] في [illegible] أني قرأت في
كتاب مطبوع لأحد المسيحيين ما خلاصته [illegible] يقول في [illegible]
كان باطلا في نفسه إلا أنه مفيد في [illegible] إذا [illegible] الدائن
[illegible] في عظم [illegible] وكل صفاته استطاع أن
[illegible] حتى [illegible] فعلا من الآلهة [illegible] وخضع الأمم والشعوب
الى [illegible] سلطة [illegible] ورقي لا
[illegible] همم والأمم [illegible] تطمح بأنظارها الى هذا
[illegible] عظم [illegible] عن وصفه
الواصفون [illegible] عظمة الأمم [illegible] واتساع المطامع عظيم بين الامم
المسيحية [illegible] خلاصة [illegible] المسيح
[illegible] الأسباب والحقيقة
الأساسية [illegible] هذا [illegible] ومن ذلك
[illegible] في
التوحيد والأعداد. [illegible] في النتيجة والغاية انتهى. فانظر [illegible]
[illegible] وكلامه [illegible] مستدلا [illegible] على أن [illegible] كان باطلا في حقيقته

الا انه مفيد فى نتيجته لان فيه محاولة تسامى بالمواهب الانسانية . ولا شك
أن محاولة التسامى بالمواهب الحقيقية الانسانية نتيجة نافعة مفيدة مطلوبة ،
وهذا تصريح بأن الوهم وان كان باطلا فقد يكون نتيجته مفيدة ، فانه صرح
بأن هذا الوهم باطل فى حقيقته وصرح بأنه مفيد وبأن فيه محاولة للتسامى
بالمواهب الانسانية والحقيقة الانسانية . فكيف يدعى أن الوهم يفسد العقل
وهو يدعى أنه مفيد مع أن هذا [illegible] تصريح ، ثم ان القول الذى حكاه
عن [illegible] صدق فى كتابه بعض أصحابه [illegible] هذه
[illegible] فى [illegible] .
[illegible]
عليه لانه

[illegible]
[illegible] الوهم الذى تابعه هذه النتائج [illegible]
[illegible] فى [illegible]
[illegible] لا حقيقة له ، كما حكى
[illegible] على [illegible] فى [illegible]
على شىء ، وقالت [illegible] .
كذلك قال الذين لا [illegible] أن ما
هو [illegible] عليه
[illegible] فى [illegible] أو أكثره
أوهام لا حقيقة لها [illegible] ذلك أنك معترف فى هذا الكتاب
[illegible]
حتى ادعيت [illegible] كان هـذا شيئا قد
عرفت [illegible] على جميع الناس [illegible]
عليك [illegible] من أن ترى جميع أهل [illegible]

بالوهم فيه وخصوصاً إذا كنت معترفاً بأن هذا الرأى محرف لما كنت معتقده من قبل مع أنك قد أقمت البراهين على اعتقادك الأول . وهذا يقتضى أنك لست على بصيرة من أمرك وأنك فى شك منه . والشك فى الأساس عندك من أعظم ما يصاب به [illegible] وهذا [illegible] فى منشأه ضعف اليقين وقد [illegible] أيضاً [illegible] إلى اليوم .

فكان [illegible] فى الإشكال [illegible] فيتبين بهذا أن ما [illegible] فى هذا الكتاب [illegible] لا [illegible] من [illegible] الوهم [illegible] [illegible] وإخلاصك [illegible] وأوهام [illegible] عملك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من أن [illegible] [illegible] الأسماء [illegible]

وأما قوله « إن ما فى هذا الكتاب هو من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) [illegible] الأسباب المادية فى تناولها حيث جعل [illegible] الكون وما فيه من الحوادث [illegible] [illegible] فى [illegible] [illegible] المادة [illegible] يعمل [illegible] على [illegible] [illegible]

فيقال من تأمل هذا الكلام حقيقة التأمل فهم منه ان هذا الرجل يحاول به وبغيره من الدسائس التي أدخلها في مطاوي هذا الكتاب وغيره أن يكون بمنزلة الإله، وأن يجعل كتابه هذا محل الكتب السماوية، فإنه وصفه بوصف لا ينطبق إلا عليها، وهذا انه شبهه بغمامة نشأت من سحابة الحكمة العرفية التي يفكر بها أحد، حتى هطلت على شعوره بالفكر والإعجاب والزهو والاختيال كقوله :

لو أبصعوا [illegible] المقدس في [illegible] الحادث [illegible]

ولم [illegible]

ولم [illegible]

وأضف الى ذلك قوله :

اذا قلت قولا [illegible]

واضف الى ذلك قوله :

متى جربت فكل النـاس في [illegible]

وأضف الى [illegible]

[illegible]

وأضف الى [illegible]

الفكر انه بهذا الكتاب يدأب [illegible]

هذه الدسائس التي لا تعد ولا تحصى [illegible] محمد [illegible]

وأنتهى الى هذا الوقت [illegible] سنة ١٣٦٣ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وكذلك من بعدهم حتى جاء العلماء [illegible] هذه الأغلال فخرج [illegible]

من طبقات الجهال الى أن [illegible] فسبحان الله كيف العقول

التي تروج عليها مثل هذه السخافات [illegible]

الجملة التي قالها في هذا الكتاب متولدة عن هذه الفكرة الخبيثة ونزعة منها ، فالناس على مقتضى هذه النظرية وهذه الأسباب [illegible] وسلكوا طريق القسط والعدالة الا إذا قدّموه في الأمر ولم يطلبوا غيره ولم يرجعوا إلا إليه ، فتقديمه وإفراده بالطلب [illegible] فرض لازم على الناس ، لأن الإنصاف هو أعظم واجبات الامور لانه هو [illegible] وليسوا منصفين وليس لهم من الانصاف نصيب ، [illegible] [illegible] عنها مسلم ، والجائرون هم [illegible] وهذا المسلك الذى سلكه هذا [illegible] قاديانى الهندى الذى ادعى النبوة [illegible] على كل مسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible] بدلا عن [illegible] الله تعالى بالبسملة والتحميد والشهادة [illegible] هو من الحقائق الازلية الابدية التي [illegible] واحد

بين الأربعين المليون المسلم . ومعلوم أن هذا الوصف الذي وصف به كتابه لا ينطبق إلا على القرآن العزيز . قال تعالى : قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . ولا شك أن الذي لا يضل ولا يشقى هو الذي يعيش العيش الصحيح . والذي كانت معيشته ضنكا هو الذي [illegible] وحسبك دليلا على فساد هذه الدعوى [illegible] في هذا الكتاب ما [illegible] المصرية وأقرب [illegible] . فهل [illegible] الأدبية التي تنعم بها الأمة [illegible] لا [illegible] للمليون المسلم إذا [illegible] حياة صحيحة . وكل ما ذكر من الأشياء [illegible] أمثال هذه الزعونات الساقطة [illegible] لا تنطبق إلا على الكتب السماوية . [illegible] ليس لأحد أن [illegible] والأسبة هي الدائمة الخالدة التي لا يمحوها [illegible] ولا [illegible] هذا [illegible] ليس في [illegible] ولا في [illegible] من يجاسر على أن يصف كتابه بهذا الوصف . لأن الكلام الذي هو [illegible] معلق على الأخذ به النصوص [illegible] هو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . و[illegible] لا يوجد مسلم واحد يستغني عن هذه الأفكار وصف ذلك مؤكد [illegible] في وجوب [illegible] والاعتصام به . ولهذا قال : إذا أردت له حياة صحيحة طيبة ومعلوم أن كل [illegible] الحياة الصحيحة لا السقيمة . ولكن كيف تكون صحيحة وهي [illegible] . فإن هذا مبني على وجود الحياة الصحيحة بدون أخلاق دينية . وهذا لا يمكن . قال تعالى : (من

عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ الآية . ثم على قوله هذا أنه يجب على المسلمين ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم من كل مكلف أن يحفظوا هذا الكتاب ويدرسوه ويطبعوه وينشروه ، فهو بمنزلة القرآن العظيم ، بل هو أولى ، لأنه قد يقول كما قال أمثاله من الملاحدة أنه دخله التأويل واختلاف المفسرين . أما هذا الكتاب الجديد ففيه الحقائق الأزلية الأبدية وصاحبه حي سوي معروف مكانه ففي الامكان مراجعته في ما أشكل من المعاني والحقائق . وهذا صريح كلامه كما هو ظاهر . فيجب أن نعرف أن سبب تأخر المسلمين كلهم في هذه العصور هو عدم وجود هذا الكتاب عندهم ، فلقد حرم المسلمون منذ ثلاثة عشر قرنا من وجود هذا الكتاب لديهم ولم يتمتعوا بروئيته ويسرحوا أبصارهم وبصائرهم في صفحاته وحقائقه

مضت هذه القرون الطويلة كلها وهي محرومة من ثمرات هذا الكتاب وقطوفه الدانية وأنهاره المتدفقة . فسلكوا وأصيبوا بهذا الانحدار والدمار العام ، وصاروا على هذه الحالة المزرية من الشقاء والجهل والعمى ، فجميع ما أصاب المسلمين من التأخر والانحطاط في القرون الماضية الى اليوم هو من أجل شيء واحد . هذا الشيء الواحد هو عدم وجود هذا الرجل فيهم لارشادهم أو عدم وجود حقائقه بين أيديهم ليأخذوا ما فيها من الحقائق الأزلية الأبدية التي لن يستغني عنها مسلم . فالطريقة الوحيدة اذن لانقاذ المسلمين من هذه الورطات وتخليصهم من شباك العدو أمر واحد هو أن يأخذوا بهذه الحقائق وأن يعتصموا بها جميعا ولا يتفرقوا . فاذا حصل هذا حصل النهوض التام والاخلاص الكامل ، وان أعرضوا عن هذا هووا في دركات الويل والثبور فلا خلاص ولا نجاة ولا مفر ولا محيد عن ما هم فيه ، لأنه علق النهوض على الأخذ بما في كتابه ، والسقوط على ترك ما فيه . وليس العجب من كتب هذه الآراء الجنونية ، فانها كتبت حين كتبت عداد الأغراض والأهواء والشهوات

انما العجب ممن يدعى الاسلام أو المعرفة ثم تخفى عنه هذه الترهات الخرقية التي لا يقولها الا معتوه، أو من يرى الناس كالمعتوهين لا يعون شيئا فيحقرهم ويلبس عليهم فيريد أن يؤمنوا به فيعظموه ويعززوه ويوقروه ويقدموه بل ويعبدوه. فلينتبه المسلمون ولينظروا ماذا يراد بهم وبدينهم من هذا البلاء المبين فى هذا الكتاب الشنيع، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة، وان الله لسميع عليم

ولعل من أصيب بداء المعاكسة والجهالة العمياء يستبعد ويستغرب ما أجبنا به عن كلامه هذا، لشدة شناعته وفظاعته، ويزعم أن ذلك ليس بلازم من قوله. فاذا اعترض معترض بهذا قلنا: يظهر الجواب عن هذا الاعتراض ثلاثة أمور: أحدها أنه انما يستغرب ما ذكره فيمن كان معروفا بخلاف ما ذكر عنه، إما بديانته وتقواه، وإما بوجود كلام يكذب ذلك تكذيبا صريحا غير متناقض، أو يكون كلامه فى هذا متشابها ليس صريحا. وكل هذه الأمور منتفية عنه. فان من أحاط علما بما تضمنه هذا الكتاب من صريح الكفر وسب الأديان السماوية وأهلها وبهتهم والتهكم والاستهزاء ولتحريفه بهم وعرف مغزاه ومرماه فى ذلك فانه لا يستغرب هذا ولا أمثاله مما دونه ويكفى فى ذلك أن نحيل القارىء الى ما قاله هذا الملحد عن أيات الزمخشرى «العلم للرحمن جل جلاله» الى آخره كيف ناقشه تلك المناقشة وألزمه لوازم قطعية مستبعدة، وسيأتى كلامه. ونحن ننقل لك شيئا قليلا من فضائحه الكثيرة الآتية وسيأتى جوابها المفصل فى مواضعها لتعرف جرأته على الدين وأهله والزامهم ما لم يقولوه ولا له أصل فى كلامهم بل يكفرون من يدعيه فمن ذلك قوله ص ٢٢٥: «ومن الواجب أن نعرف سبب هذا الاستسلام والضعف الفكرى لدى هؤلاء المتدينين. والذى يظهر لنا كثيرا أن من أسبابه أنهم ينكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط عقلى وتعليل ثابت، بل يرون أن الوجود كله بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مجنونة أو هى كالمجنونة

في أفعالها وتصرفاتها . ولهذا فلا قوانين ولا ضوابط للمعجزات والخوارق
فكل شيء جائز وكل شيء مستحيل ، انتهى . فانظر إلى هذا البهت العظيم
للمتدينين أنهم [illegible] أن هذا تابع لحكومة [illegible] أو كالمجنونة . وقال في
[illegible] معروف من مذهب المتدينين يوجب هذا أو يعتقده أو [illegible]
به فهي أي كتاب وجده ومن هو الذي أثبته وأي رجل من المسلمين
من عالم وعامي [illegible] لا يعرف أن الله عز وجل حكيم في صنعه وحكمه وقضائه .
ثم من هو الأعمى الذي [illegible] حتى يحكم على المتدينين بهذا
الحكم [illegible] من يعتقده .
ومن ذلك قوله ص ٢١٦ [illegible] وجهة أخرى [illegible] عن أن
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عظم في الله تعالى [illegible]
فيا صاحب الأعلال [illegible]
وفي أي [illegible] وفي أي مذهب [illegible] وجدت [illegible] يحكم [illegible]
[illegible] ولو احتجوا (١) [illegible] الله في [illegible] مقتدرا

(١) [illegible] ولو احتجوا [illegible] على هذا الاعتقاد

لا يسمو كثيراً على ما يعرفون ، وأنه يلجأ الى الحسوية ، وأن هذه صفاته على ما ادعيته ووصفته . وانت قد قررت فى كتابك الصراع وغيره ـ صرعك الله تعالى ـ أن اعتقاد المسلمين فى الله تعالى وصفه به أنه ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، والمسلمون وان ذكروا أنه يغضب ويرضى وينتقم على ما ورد فى النصوص فهم لا يقولون ان رضاه وغضبه وسائر صفاته كسائر صفات المخلوقين . بل صفاته كذاته ، كما أن ذاته موجودة وليست تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات خلقه . والقول فى الصفات كالقول فى الذات . والآن لما نقلت عن عقيدتك انقلبت الى هذا البهت والفجور . ولعلك كنت تعتقد هذا باطنا فى ربك فيما سبق فكان سببا فى ردتك وانتكاسك ، ولا فى ملة أو نحلة معروفة هذا دينها قاتلك الله ، وهل هذا إلا من أعظم الجرأة على الله تعالى وعلى دينه وعباده المؤمنين . وكلامه على هذا النحو فى الأديان ومن ذلك شيء كثير جداً يأتى الكلام عليه فى مواضعه ثم انه لم يذكر الملاحدة ولا بعضهم ولا أعاظمهم وأخلاقهم الخبيثة بشيء يعابون به ، بل حث على الأخذ بآرائهم واقتفاء آثارهم كما يأتى ، فمن يتجاسر على هذه الخبائث الظاهرة والعظائم تشكك به كيف يستغرب منه ما ذكرنا

(الأمر الثانى) أن هذا الذى ذكرنا هو صريح كلامه ، ومدلوله الظاهر الواضح منه ليس كله من لوازمه . أليس أنه قال بصراحة إن ما فى هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية ، ومعلوم أنه من جملة ما تضمنه كتابه من الأمور التى يدعو اليها ، وقد كان معلوما حكم الحقائق الأزلية الأبدية ووجوب الأخذ بها واتباعها والعمل بها ولا سيما اذ صرح بأن تركها يوجب النقوص وأن الأخذ بها يوجب النهوض ، فانه قال بصراحة ، تفقدها أمة نهوض ، وبأخذها أمة نقوص ، ومعلوم أن النهوض من أوجب ما يطلبه الانسان ، والانحطاط من أوجب ما يحذره الانسان ويحذر أسبابه ، وقد جعل أسبابه عدم الأخذ بكتابه ، أوليس أنه قال بصراحة : ولن يوجد مسلم واحد

من الأربعمائة المليون المسلم ينبغي عن هذه الافكار اذا أريدت له حياة صحيحة ، فهذا تصريح بأن الحقائق هي هذه الافكار التي فكرها ورصدها في هذا الكتاب ، فهو تصريح أيضا بأن كل فرد من أفراد المسلمين مفتقر الى هذا الكتاب (1) ومعرفة ما فيه وحفظه والعمل به ، لأن كل مسلم يجب عليه إرادة الحياة الصحيحة لا الحياة المريضة السقيمة ولو أن هذا الختال ظفر بمثل هذه التصريحات لأحد علماء الدين لولد منها من الالزامات والمسائل الشنيعة ما لا يمكن حصره ، فانه يولد إرهابات على أوهام لا حقيقة لها يخترعها هو بنفسه مع علمه أن العلماء مصرحون بنفيها ، فكيف لو وجد لأحدهم مثل هذا القول ، فلقد ألزم المسلمين بأنهم يعتقدون أن العلم حجاب وأن الجهالة أم الفضائل ، حتى خرج بحمل لبحث بحثا خاصا وولد عليه من المسائل والالزامات المنكرة ما لا يعد ولا يحصى ، وادعى أن الناس على هذا الاعتقاد مع أنه عجز عن أن ينسب هذا القول الى شخص معين ، ومع علمه بأن أدنى كتاب من كتب المسلمين يتناوله الانسان فيفتحه يجده مملوءا بمدح العلم وذم الجهل ، ثم مع هذا أقدم على بهتهم ورميهم بأنهم يدعون أن العلم حجاب وأن الجهالة أم الفضائل ، وولد على ذلك من الالزامات ما هو أبعد شيء عن معتقدهم بمجرد قول عزاه الى مجهول لا يعرف ولقد شنع على الزمخشري والرازي وغيرهما ورماهم بالعظائم والجرائم لذكرى حين قال الزمخشري :

العلم للرحمن جل جلاله   وسواه في جهلاته يتغمغم الخ

وادعى عليه بأنه رمى البشرية بالدواهي والعظائم ، ثم ناقشه أعظم المناقشة كما يأتي ، وكل ذي مسكة من عقل يعلم الفرق بين أبيات أولئك وأبيات هذا الملحد المتقدمة ، فكيف يلزمهم بأشياء لعلها لم تكن تخطر على بالهم وينسى ما في أبياته من صرائح الكفر ودعوى الألوهية ، وما في كلامه من مدح كتابه

---

(1) قد صرح في بعض مقالاته بذلك أي بوجوب الأخذ به ودراسته والاعتماد عليه

وتنزيله منزلة القرآن العزيز فى وجوب الأخذ به والتحذير من تركه ، وهذا ظاهر لا خفاء به

(الأمر الثالث) أنه لو سلم على فرض التنزل أن ما ذكرناه من لازم قوله لا من صريحه فلا يشك من له أدنى علم أن هذا اللازم هو مقتضى كلامه وأنه إن لم يكن صريحه فهو لازم له لزوما بيّناً وأن إلزاماته التى ادّعاها على المسلمين أبعد منه ـ لو فرض أنها لازمة ـ فهو إما أن ينازل عن الاحتجاج بلازم القول مطلقا فينقض تشنيعه الذى شنع به على المذهبين كلهم ، وإما أن يلتزم بالاحتجاج باللازم الذى ادعاه مع بعده واستحالته ، فيحق عليه ، ويعامل بما عامل به غيره ، على فرض أن يكون ما ذكرناه من لازم قوله ، وإلا فقد ثبت ثبوتا كالشمس أنه صريحه ومقتضاه كما سبق

أما تعليل إفادة كتابه وحقائقه بأنه موافق للطبيعة الكاملة فمن أخذ به فقد قبس صبغته الكاملة لطبيعة كاملة ، ومن فقده فقد حقيقة من حقائق طبيعته ، فهذا التعليل هو العلة التى أصابت فؤاده ، وهو مبنى على ضلالات ومقدمات كلها باطلة أحدها أن الواجب على كل من أراد النهوض أن يقابل طبيعته بما يوافقها ، ولا يجوز له أن يعاكس طبيعته بل ينسجم معها انسجاما كاملا فى كل ما تريده وتصبو اليه [1] وهذا فى غاية الفساد كما هو فى غاية الضلال ، وكما هو فى غاية الاستحالة . فان من دعا الناس الى اتباع أهوائهم أو طباعهم مطلقا فقد ضل ضلالا بعيدا ، كما أنه مستحيل الوقوع فى كل فرد وشعب ، فانه يوقع فى الفوضى والهلاك ، فان شهوات النفوس وطبائعها لا تنضبط بحدود وقيود . الثانية أن طبائع جنس الانسان كلها متحدة فطبيعة الكافر كطبيعة المسلم لا فرق بينهما فى شىء ، وهذا فاسد أيضا كما هو معلوم الثالثة أن جنس الانسان من

---

(١) هذا مع أنه قرر أن طبيعة الانسان هى الشرّ والخبث والظلم ، فعلى هذا يقابل طبيعته بالشر والخبث والظلم

حيث النظر العام ليس له إلا طبيعة واحدة ، وهذا فاسد أيضاً فإن الإنسان له
طبيعتان أو بعبارة أخرى له نفسان : عقلية فطرية علوية وشأنه طلب معالي
الامور وشريفها ويكره سفاسفها ودنيئها ، ونفس أو طبيعة بهيمية [illegible]
مكتسبة وهي عكس الاولى تحب الغي والفساد وقضاء الشهوات النفسية ،
وهذا أمر موجود في كل إنسان يجده من نفسه ، فإن الإنسان له دافعان :
دافع حب للمكارم ومعالي الامور ، ودافع عكسه ولهذا كان كثير من الناس
يستترون من فعل المعاصي وهم يفعلونها [illegible] من فعلها [illegible]
ويكرهون اطلاع الناس عليهم في ذلك ، ولا شك أن هذا من أثر الدافعين
المذكورين ، وقد ورد في الشرع المطهر مدح النفس المطمئنة وذم النفس
الأمارة ، كما ورد ذم متابعة الهوى ومدح نهي النفس عن الهوى ، وهذا ظاهر

إذا عرفت هذا فاعلم أن الإسلام بما فيه من قواعد ومعتقدات موافقة
للطبيعة الاولى أي الفطرة الصحيحة الكامنة في النفس . فمبادئ الأديان
السماوية كلها [illegible] ، وهي مناكسة للنفس أو الطبيعة
الثانية لأنها تقيدها وتمنعها من [illegible] في [illegible] أغراضها ، [illegible]
في مطالبها [illegible] الرحمن يريد
بالطبيعة [illegible] على [illegible] وخلقه ، [illegible] أن الناس
[illegible] فطرتها [illegible] موافقها لطبيعة
الإنسان [illegible] بالاستعداد
[illegible] كما قال تعالى : [illegible] فطر الناس عليها
لا [illegible] فطرة الله التي فطر الناس عليها
هي [illegible] وهي إقامة الوجه للدين ، أي الإخلاص الذي هو التوحيد ،
[illegible] الإسلام في الحديث الصحيح
[illegible] أشخاص عن [illegible] ؛
[illegible] السماوية [illegible] موافقة للفطرة [illegible] الطبيعة

عنده . وقد صرح الأئمة بأن الأديان الصحيحة موافقة للفطرة المستقيمة ، بل قد صرح بذلك غيرهم من أهل الأديان الأخرى فقالوا إن الشرائع السماوية قد سارت على المبدأ الطبيعي السلمي فقد عرفت أن هذا المعترض لعليل الموروث العقل أتانا فبنى على هذه المقدمات والضلالات الباطلة وأن الصحيح خلاف ما ادّعاه . ثم من أين له أن كتابه موافق للطبيعة الكاملة ، بل هو معاكس لها فإن هذا لا يعلم إلا بالوحي ، أو على فرض التسليم بالتجربة ، وهي لم توجد ولن توجد . فالدعوى ساقطة عن كل حجة وتقدير فقد ظهر لك بالأدلة الواضحة بطلان صحة كتابه التي أعجب بها مع تعدياته هي أخس كلام قرره في كتابه ولذلك صدق فيه قول الشاعر :

أحسن ما في [illegible] وجهه ووجهه آية في القبح

ومما ينبغي ملاحظته هنا أن نعرف الأسباب التي رغبت بعض الجهلاء والأشقياء في هذه الأضاليل مع ما فيها من هذه السفاهة والضلال . ذلك أن صاحبها لما كفر بعد إسلامه ، وتمادى في [illegible] ، أقام دعايته هذه الخبيثة على أساس الترغيب في الشهوات المباحة ، وأنه سبب في حصول المطالب الكثيرة الدائمة ، وهذا هو مسلك الملاحدة في عصرنا الذين خدعوا الأغبياء وأفسدوا عليهم عقولهم فإن النفس بطبيعتها مطبوعة على محبة تكون دائماً من أمامها آمال تمنيها بنيل ما تحبه من الراحة وأمن حصول على الأماني طويلة لغرضها المستمرة ، فهي دائماً تسرع في الاندفاع إلى ما يلائم غرضها العاجل ويحقق مطالبها المتجددة . لهذا فإننا نجد بعض الجماهير المستخفين بالمروق بالأخلاق والدين يندفعون إلى كل من يمنيهم في الشهوات المباحة ، ويعدهم ويمنيهم بالمستحيلات الآجلة ، فيضرب لهم على وتر الآمال الكاذبة التي يمنيهم بها ويعطي لهم أشد شهوات التي يطلبونها . فإذا رأينا بعضاً من هذه الجماهير أخذها مسرعة في طلب أي ما يلائم غرضها وأمنها معتقدة أن تظفر بكل ما ترجوه عاجلاً ، وأن تحصل على كل ما تأمله

آجلا بهذه الوعود الرخيصة ، متعلقة بهذه الخيوط العنكبوتية التي نسجها وعلها هذا المغرور في هذا الكتاب الهزيل ، ووصفه بما يستحيل وجوده ـ فإنه مصدود أحد لناعقين لجماهير الضلالة ، وليس هو بأول أفاك أو دجال نعق وهذا بهذه الدعايات البارقة ، حتى انخدع له بعض البسطاء المغفلين فدفعهم في مهامه التلف ، حاسبين أن سرابه ماء بل أكذم وتطفىء حرارتها المتوهجة ، وما هي إلا الهلاك المحتوم ـ يجب أن لا يعد شيوع هذه الاقاويل المزورة أو الفتنة بها دليلا على صحة ، أو أن لها أدنى قيمة علمية أو عقلية ، بل يجب أن نعد أن صاحب هذه الا ... المزيفة عرف بحبه الضعف والعماء في هؤلاء الجهلاء الأشقياء فأراد أن يركز دعايته الجوفاء فيه لاستثمار أغراضه وآماله منها ، وأن يعد هذه الأقاويل لفاسدة وافقت أدنى النفس الفارغة الجاهلة المنحطة المؤملة حصول حاجاتها من غير أبوابها الطبيعية بل من الأبواب المفتوحة بمفاتيح الوعود الكاذبة الخادعة

ليس من شك في أن هؤلاء المصابين بالانهيار في أديانهم وعقولهم هم أسرع الناس إجابة لهذا التوهج بهذه الدعايات المزيفة التي توافق شهواتهم ، ولا سيما إذا اقترن بذلك أن في هذه الدعايات وجود كل ما يؤملونه ويتمنونه ، فيجتمع لهم داعي الشهوة الحاضرة وداعي الأمل العريض الذي يتلهفون لطلبه ويتعطشون إليه ، ولهذا كان هذا الرجل مؤسسا دعايته على هذين الغرضين المذكورين ، فوجد هؤلاء الأغبياءُ والسفهاء والحمقى والنوكى فيه مجالا واسعا لما يريدونه ويؤملونه ، فكانت هذه الطبقات المتطرفة مفتونة فيه لأنه صادف أغراضها وأهواءها وآمالها

لقد عرف أن هناك بعضا من هذا الصنف الذي ضرب عليه البؤس والشقاء الطويل الثقيل من جراء ما اجترحه من تمرّده وتطرفه في دينه ومحاولة التملص والتخلص منه حتى أصابه من أجل ذلك من الوباء والبلاء والقروح والجروح والأحوال والأهوال المذهلة المزعجة ما حطه من مقامه الأعلى إلى حضيضه الأدنى

حتى صار أسيرا لبلائه ونكالا لأعدائه . فكلما أراد النهوض تعثر وتعذر وسقط لوجهه لما به من هذه الأدواء الفظيعة

يريد هؤلاء الأغبياء المنكودون أن يعززوا هذا الكتاب الوضيع ، وأن يجعلوا أغلاله في أعناقهم ، وأن يضعوا سمومه ووباءه في طعمة المعاصين منها .
يريد هؤلاء الأشقياء المضروبون بهذه الذلة والمسكنة أن يضعوا سموم هذا الكتاب على قروحهم وجروحهم بل وعلى أسماعهم وأبصارهم ليستشفوا به من أسقامهم وأمراضهم فيذوقوا بذلك عذابا فوق العذاب . وكلما أرادوا أن يخرجوا من غم أعيدوا فيه . لا شك أنهم بهذا يريدون الموت الأبدي ، وقد حق ذلك عليهم ولا محالة كما فعل بأشياعهم من قبل . إنهم كانوا في شك مريب

الكلام على المبحث الأول

عنوانه في كتابه: (قبل البدء)

وخلاصة هذا المبحث أنه ادعى فيه أن قضية تأخر المسلمين أهملت وأهمل التفكير فيها، وأنه وحده فكر فيها تفكيراً لم يسبق إليه، وهو ما قرره في هذا الكتاب، وذكر فيه أنه عرف العوائق التي منعت المسلمين من التقدم، وعرف كيفية علاجها، وعرف الطرق التي بها يمكنهم أن يتقدموا على غيرهم وهو بمنزلة المقدمة لكتابه فقال: (قبل البدء)

«لست أعرف قضية أهملت وأهمل التفكير فيها والعناية بها — بينما هي أولى القضايا بالتفكير والعناية والبحث — من هذه القضية. وذلك أن جموعاً بشرية هائلة قد زادت أعدادها على أربعمائة مليون منتشرة في سهول فسيحة واسعة من أفريقيا وآسيا وأوربا يدينون بدين مبادئه السامية الأولى هي أسمى ما يصوره العقل البشري من القوة والحث على مواصلة السير في سبيل المجد والكمال، عاجزة منذ قرون عن اللحاق بالركب الإنساني المغذ الخطا إلى هذه الحياة التي تسفر كل يوم عن بدائع دقائق المثل الإنسانية العلية التي من تمسك بها فقد ملك ناصية الوجود واحتكم فيه، بما فيه من حيوان وجماد ونبات»

فنقول إن عنيت بأن قضية المسلمين أهملت وأهمل التفكير فيها والعناية بها أن علماء المسلمين لم يفكروا فيها ولم يعتنوا بها كتفكيرك وعنايتك التي تحصلها في أغلاطك هذه فنعم، ولكن علماءهم أسمى من ذلك وأجل وأكبر من أن يرضوا لأنفسهم ولدينهم ما رضيته لنفسك ولدينك من هذه النظريات المقلوتة والآراء الدنيئة. ولست أعتبرها أهملت التفكير فيها والعناية بها ولم تتعرض لها هذا التعرض الذي ذهبت إليه واستغلاقاً وتعقيداً. وإن عنيت أن علماء المسلمين لم يفكروا فيها ولم يعتنوا بها التفكير الجدي والعناية الصحيحة فنقول من أين لك أنهم لم يفكروا فيها ولم يعتنوا بها. وهذه كتبهم مشهورة مشهودة،

وقضاياهم الهامة مدونة معروفة ، وكونك لم تعلم بذلك ـ لو صدقت ـ لا يدل على عدم وقوعه ، فإن عدم العلم ليس علما بالعدم ، فلا يجوز لك الحكم على ما لم تعلمه ، وقد قام في هذه القضية من العلماء العظماء من يعسر حصرهم ، فهذه قضية الإمام أحمد ومن في عصره من الأئمة وعلماء الأمة لما حاول أعداء الإسلام من الجهمية ـ وغيرهم [illegible] الاجتهاد في الأمة ـ قلب أصوله وتغييرها عن أوضاعها [illegible] مشكورا . ثم قام بعد هؤلاء من [illegible] كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم [illegible] وأوهامهم في اختلاق [illegible] ، فشعف هذه الأوهام [illegible] والسنة [illegible] والعقائد الشركية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب [illegible] تصحيح حتى أصبح [illegible] كالشمس ، وقد خلف هؤلاء العلماء في موضوع [illegible] النافع ما هو [illegible] وكتبهم في هذا الموضوع كثيرة شهيرة ، وهذا كتاب [illegible] في موضوع [illegible] والمفكر [illegible] ، فكيف يقال [illegible] آلاف الكتب المتنوعة بل والمجلات والجرائد [illegible] ، ولكن إنما أردت المعنى الأول ، وهو أنه لم يفكر فيها أحد كتفكيرك وعبقريتك [illegible] توجيه النظر إلى كتابك [illegible] أبدية [illegible] (كيف ذل [illegible]) أن الناس قد كتبوا في هذه القضية وخاضوا فيها كثيرا .

وهذا يناقض دعواك هنا إلا على قصدك الذي أشرنا إليه وهو ساقط بلا ريب

ودعواه أن هذا العدد يدين بدين الإسلام دعوى تأتي مناقشته عليها في آخر الكتاب عند دعواه أن المتدينين على اختلاف أجناسهم عجزوا أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً الخ . ودعواه أن هذه الجموع عاجزة منذ مئات السنين الخ يقال له ماذا تريد بدعواك أنها عاجزة عن التقدم واللحاق بركب الإنسانية ، أتريد أنها عاجزة عن التقدم على غيرها في الصناعات ونحوها ، أم تريد أنها عاجزة عن مسابقة هذه الدول فيما وصلت إليه في جميع تقدمها . فيقال نحن هنا لا نتكلم في مسألة عجزها عن اللحوق ، إنما نتكلم معك في الأسباب التي أوجبت هذا العجز الذي تدعيه . فالعجز عن الحصول على الشيء إما أن يكون لعلل ملازمة لنفس العاجز كالجمود والفتور والكسل ونحوه ، وإما أن يكون لعوارض وعلل خارجة كالاشتغال بمقاومة ضد أو خصم . فإن أردت المعنى الأول فغير مسلم على هذا الإطلاق ، بل فيه مناقشة تفهم مما يأتي وإن أردت الثاني فصحيح ، لكن لا يفيدك شيئاً . فأكثر المسلمين شغلوا عن أسباب النهوض بالمصادمات الداخلية الكثيرة المتنوعة ، فإنها صدتهم عن التقدم وصدتهم عن استعمال ما يجب من الفهم ، وكلا الأمرين منشؤهما ضعف التمسك بالدين الصحيح على ما ينبغي كما تقدم تفصيله . ودعواه أن هذه المثل الإنسانية العلمية من ملكها فقد ملك ناصية الوجود واحتكم فيه وبمن فيه دعوى أقل ما يقال في بطلانها أنه يمنعه الشرع والعقل والحس . فإن ناصية الوجود بيد خالقه ومدبره الذي له ملك السموات والأرض كما قال تعالى ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ وهذا المسكين المغرور جعل من عرف شيئاً منها من هذه الصناعات التي كان أكثرها وبالاً على أهله لما سلطوا عليها فقد ملك ناصية الوجود من حيوان وجماد ونبات ، مع أنه لم يملك ناصية نفسه فيدبرها على كل ما يشاء ويريد . فكيف إذن يكون تدبير الله لملكه وعباده إذا كانت ناصية الوجود بيد غيره يعمل به كيف شاء . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فصل

ثم قال «وقد غلبت هذه الجموع على أمرها فى كل معنى من معانيها وضرب من ضروب حياتها، فهى من الناحيـــة السياسية خاضعة بل خاضع ما تحت أقدامها إما بالعقل وإما بالقوة – كما يقول الساطقة – للسلطان الأجنبى، ومن الناحية الأدبية عاجزة عن أن تقدم للتراث العلمى شيئا يمكن أن ينسب اليها، وعاجزة عن أن تستغنى عن الآخرين فى أمر من أمورها الدقيقة والجليلة. وهى من الناحية الصناعية عاجزة عن إيجاد ملاعق لأفواهها وإبر لأثوابها. ومن الناحية الزراعية عاجزة – لولا الآخرون – عن الانتفاع الصحيح بغزارة مياهها وخصب أراضيها. أما من الناحية التجارية فهى أكبر عاصمة من عواصمها عاجزة عن أن يكون لأحد أبنائها متجر واحد يضارع أحد متاجر هؤلاء الغرباء أو يغنى عنه، وهكذا هى فى كل وجه من وجوه حياتها وغرض من أغراض وجودها».

قلت: كل هذه الأمور التى ذكرها ونسبها الى جملة المسلمين مجازفات لا حقيقة لها، بل هى باطلة بالضرورة والمشاهدة، كقوله انها عاجزة عن أن تستغنى عن الآخرين فى أمر من أمورها الدقيقة والجليلة، فأين عاشت الأمة الاسلامية مئات السنين قبل دخول هؤلاء الأجانب منذ مائتى سنة تقريبا، وما هى حالها فى تلك القرون المتقدمة بالنسبة الى غيرها. ولا شك أنه يقصد من وراء هذه المبالغة أغراضا خبيثة فى تحقيرهم وتصغير شأنهم فى أعين اعدائهم والا ففى إمكانه الاقتصار على الحث على الاعمال وبيان منافعها بدون هذه الشناعات التى لا أصل لها ولا طائل تحتها، وليست معيشة المسلمين ولا حياتهم متوقفة ليوم وقبل اليوم على ما يأتيهم من هؤلاء الاجانب، ولو تركوهم وبلادهم لما احتاجوا اليهم فى شىء ضرورى، ولو قدر احتياجهم اليهم فى شىء من الأمور فهم محتاجون الى المسلمين فى أشياء أخرى أشد من حاجاتنا لهم،

وما زالت الامم والشعوب تحتاج بعضهم الى بعضهم فى بعض الأشياء على
اختلاف مذاهبهم ، ولم يكن ذلك عيبا تعاب به الأمم اذا لم يكن من الأمور
الضرورية . وهذا جعل هذه الأمور كلها عونا كبيرا فى المسلمين مع أنها لم
تختص بهم وحدهم فما ذكره من عدم الاستغناء عنهم وأن حياتنا بيد هؤلاء
تشنيع محض لا فائدة فيه

ثم ذكر أن حروب المسلمين [illegible] كما هى [illegible] أو [illegible] لفقدان الصوت
مساواة [illegible] فى تقدم الصناعى أمر معلوم . وهذا لا نزاع فيه ، انما
البراع فى الاسباب و[illegible] وحدث [illegible] تقدمها هذا إنما
هو عدم الصناعى [illegible] فى [illegible] (او الوهابية) ولكن
هذا [illegible] على المسلم ، فان الله قد حكى فى كتابه العزيز
عن عدم الجاهلين [illegible] تقدم الكفار على المسلمين
وقد أوتوا [illegible] حق [illegible] دين المسلمين ،
وأن [illegible] فان هذا لا يقوله من له أدنى
مسكة من عقل ودين ، [illegible] الاسلام [illegible] وتأخر ،
[illegible] أمر [illegible] على هدى من الله ، فهو
أمثال [illegible] ؛ ألم تنظر الى ذلك ولم [illegible]
فى [illegible] كما لا [illegible] أحد [illegible] على
غير هدى وصراط مستقيم [illegible] على الحق والباطل فهو
محمول فى [illegible] وفى الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه
الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد » الى آخر الحديث . فدل على أن الله
بعث الانبياء الى الأمم وكذبوا [illegible] منهم من اجابه قليل كنوح
عليه السلام ، ومع هذا فكل هؤلاء [illegible] على الباطل وان بلغوا
ما بلغوا من متاع الدنيا ، والذين اتبعوا الرسل على حق وان [illegible] ما [illegible]

من التأخر فى اسباب المعيشة . ولكن لا بد ان تكون العاقبة والنصر لأتباع الرسل كما قال تعالى فى كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز وقال تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [illegible] يقع تمحيصا وابتلاء وقد يقع بسبب التقصير [illegible] الناس لكن لا بد أن يكون لصاحب الحق [illegible] بخلاف الكافر والملحد المحض [illegible]

[illegible]

وحق له ذلك فانه متمكن [illegible] رأيه [illegible] احد وليس معه [illegible]

ثم [illegible] من التأخر بسبب سفور المرأة [illegible] بالرجل [illegible] بل هو سبب من اسباب [illegible] ترجع الى مخالفة [illegible] المرأة ان سبب تأخر [illegible] هنا وسبق كلامه فى موضعه

فصل

قال [illegible] الى جانب هؤلاء [illegible] من حيث العدد والخاصة [illegible] كما لا يحق [illegible] ديني فقط لا دنيا الأعداء [illegible] برسالة روحية خلقية استأنفت فى طريقها [illegible] واولئك نصيب فى معظمهم [illegible] من [illegible] والتى

النار او الجنون المقدس (1). خلاصة هذه الرسالة ان طريق المجد الاسلامى المنشود ينحصر فى الرجوع الى الأخلاق الدينية الأولى وفى تنفيذ الحـــدود الشرعية وفى اداء الزكاة وفى اقامة سائر الفروض اليومية والشهرية والسنوية ، ثم فى الايمان بالله والجهاد فى سبيله . وقد انطلقوا فى كل مكان ينشرون هذه الرسالة ، واتخذوا بأساليب قوية بارعة نشيطة لنشرها والدعوة اليها حتى كثر المؤمنون بها والمعجبون والمشيدون .

قلت : هذا الذى نقله عن هؤلاء الاعراب العظيمة الشأن هو الحق الذى لا مرية فيه ، وهو الدين الصحيح الذى ندعو اليه . فهو الدواء الوحيد الناجح لهذه الأمراض والعلل الفتاكة التى فتكت فى المسلمين بالاعتلال ، ووهنتهم واهلكت كثيرا منهم . فليس لهم دواء غير هذا ، لأن الدولة الاسلامية لم تكون إلا على هذه الروح وهى روح القرآن والسنة . واعلم ان كتابه كله من اوله الى آخره يدور على ذكر ما ذكره عن هؤلاء الاعراب واحمل عليهم وعلى آرائهم ، حتى انه لشدة عداوته لهم وحقده عليهم افرد لسبهم مقالة خاصة فى آخر الكتاب عنوانها (اعمتها لاوراءنا) ، وقام بكل ما خطر على باله من زور وفجور . وهيهات وما كيد الكافرين الا فى ضلال

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وكانت هذه كله فى نصر هذه الدعاية الدينية المحضة الخالصة الجبارة الصارمة التى لا يقف فى وجهها من يحمل به احد ، وانما خانها الوهن والضعف من تفريطنا فيها واهمالنا لأكثرها . ثم ان هذا الحيوان ما ساق هذه الجملة التى ذكرها عن هذه الجماعات الكريمة لم يرض بهذه الطريقة التى اختاروها ولم تطب به نفسه ولم تملأ عينه ، بل شمخ بأنفه عنها واختار طريقة اخرى ، اختار العمى على الهدى والثوم والبصل على المن والسلوى . وهكذا يكون كل من آثر الحياة

(1) تأمل هذا ، فانه جعل الفرج بفضل الله ورحمته جنونا مقدسا استهزاء

الدنيا، إذ لو كانت هذه الطريقة الدينية قد ملأت نفسه لما حصر المجد في غيرها فقال:

«ويا ليت هؤلاء يعرفون أن الأخلاق الدينية فحسب وكل ما يدعون إليه ويبشرون به من الفضائل هو سبيلنا بلا شك إلى دخول ملكوت الله وإلى امتلاء أنفسنا بالجمال والرضا والثقة».

فقال: «ويا ليتك تعلم أن هؤلاء العلماء العظماء الأعلام لم ينكروا ما لا بد من الأخذ به من الأسباب الصناعية والتجارية والاقتصادية ونحوها، بل حثوا على استعمالها والأخذ بها في جميع كتبهم ودعاياتهم. فلا معنى للاعتراض عليهم والاقتصار على قولك هذا الذي هو الدخول في ملكوت الله تعالى وملء النفس بالجمال والرضا والثقة فقط. فاعتراضك عليهم ثم قصرك على هذه الأخلاق دون ذكر التقدم والمجد والاستقلال فساد في النقل وإعراض عن الشرع. فإنك جعلت الأخلاق الدينية لا تفيد إلا ملء النفس من القناعة والرضا والثقة لا غير ذلك. وهذه هي نظرية الملاحدة في نظر الدين، وقد حصر المجد والتقدم في غير هذه الأخلاق الدينية كما ترى. ولا ندري ما مقصوده بملكوت الله والدخول فيه. فإن ملكوت الله ملكه كما قال تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ وقال جل وعلا ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾. فيكون معنى كلمته على هذا هو دخولنا في ملك الله. وهذا لا مانع منه، فإننا في ملك الله لا نخرج منه بعد خلقنا. وإنما جاء بهذه العبارة تهكماً واستهزاء. ثم قال بعد عبارته السابقة:

«لكن السبيل إلى المجد الدنيوي المطلوب ينحصر في أشياء أخرى، في الأخلاق الصناعية والتجارية والاقتصادية والمدنية والعلمية».

وقد علم من هذا التصريح أن هذا الرجل لا يقنع بالطريقة الأولى التي مضمونها العمل بالأخلاق الدينية كما ينبغي أصلاً وفرعاً، بل اختار انحصار المجد في هذه الأخلاق التي ذكرها. وهو يريد بعدم اقتناعه بالأولى واختياره

للثانية وحصر [illegible] . وهذا [illegible] وقصد هو محور
كلامه الذي [illegible] وحقيقته عدم [illegible] كما صرح [illegible]
[illegible] الأولى [illegible] تقدم
والحق [illegible] الثانية ولو كان يرى
[illegible] الدينية لها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
مع هذه الأحكام [illegible] كما هذا [illegible]
الحق والإنصاف [illegible] الأولى وجعلت الطريقة
الثانية [illegible] الأحكام [illegible]
و[illegible] ولا [illegible]
[illegible] لا يتم الواجب إلا به
فهو واجب [illegible] في أصل
الشرع ولا يحرم منها إلا ما [illegible] ولا يوجد نص

يحرم الأخذ بهذه الأمور في الجملة ، لكن قد يقع لشيء في فروعها ظن أنها نافعة فيكون هذا الظن خطأ ، فيكون ضرراً محضاً أو يكون ضرره أكثر من نفعها فتمنع من أجل هذا . فالأخلاق الصناعية والمدنية ونحوها لا تخالف أصول الدين أبداً ، فلا يظن لعين أننا نمنع الأخذ بالأخلاق الصناعية والتحلي بها ونحوها وندعي أنها منافية للأخلاق الدينية . فإن هذا لا يقوله أحد من المسلمين ممن يعتبر قوله ورأيه ، ولا يوجد في شيء من الكتب المعتمدة ما يؤيده . بل تعاليم الدين الصحيحة تحث على تحصيل هذه الأمور النافعة وترغب في طلبها . فكيف تكون مضادة له وهي [illegible] تكون من فروعه . وهذا المسلك الذي سلكه المصنف في التعريض بين الأخلاق الدينية والصناعية في عدم اتفاقهما هو مسلك بعض ملاحدة عصرنا الذين اتخذوا أمثال هذه الدعاية الخبيثة أعظم آلة لهم في هدم الأديان والتحلل منها . وهذا الرجل سلك هذه الطريقة [illegible] . وجهد في توسيعها وتعميمها ونشرها بعده . والله متم نوره ولو كره الكافرون

فصل

قال : وما كان لا أمل لنا في أن نخرج صيامنا من [illegible] من الحد فإنه كذلك لا أمل لنا أن نخرجهم ونساويهم من المتعصبين بصلاتنا وصيامنا وإيماننا المجرد وبأخلاقنا الدينية الصرف .

فأقول : هذا لا يصلح دليلاً على ما ذكره ، بل على انحطاط أمثاله ومن على شاكلته ممن يرون صيامهم من عدم [illegible] صيام من عشرات العالمين . وإلا فكيف يقاس صيام المسلمين على صيام الوثنيين . وإذا كان لا أمل لك أن تخرج عن [illegible] المدنية وإعجاب هؤلاء المتعصبين من أمثالك ونعتقد لله تعالى أن ذلك هو الذي يخرجهم كما أخرجهم من قبل ، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن نخرجهم إلا إيماناً وإخلاصاً لله تعالى ، فمن عمل بالأخلاق الدينية التي

منها فعل ما يجب فعله من الأسباب المشروعة فإن ذلك هو الطريق الوحيد لإخراجهم فإنهم لم يدخلوا علينا إلا من هذا الثغر الذي هو التفريط في القيام بالدين كما يجب، فإن كنا محافظين فيما مضى على هذا الأصل لم يدخلوا علينا فالأخلاق الدينية هي التي ترفع الشعوب وتعطيها الذروة العليا، والإلحاد هو الذي يهوي بها في الهوة التي ماهم من قرار، ولو أنها تمسكت قليلا وتقعت برهة فلا بد من سقوطها وإصابتها بالكوارث المدمرة كما علم ذلك بالدلائل القينية التي لا ريب فيها

ثم قال: فالأخلاق الصناعية الاقتصادية العلمية المادية هي التي تعز الشعوب وتعطيها الذروة، ويؤسفنا أننا لا نزال محتاجين إلى فهم هذه الحقيقة وإلى تفهيم الآخرين إياها. أما الأخلاق الدينية فتحصر فتلك أشياء أخرى لها نتائج أخرى.

قلت: هكذا ادعى هذا الرجل أن الأخلاق الصناعية ونحوها هي التي تعز الشعوب وتعطيها الذروة، ثم ادعى أن الأخلاق الدينية أشياء أخرى لها نتائج أخرى، فهي لا تعز الشعوب ولا تعطيها الذروة. وقد سبق قوله إن المجد ينحصر في الأخلاق الصناعية ونحوها فحصر المجد فيها وادعى أنها تعز الشعوب وأن للأخلاق الدينية نتائج أخرى. وهذا صريح في أن الأخلاق الدينية آلة ضعف وتأخر، وقد صرح بهذا في موضع من أغلاله هذه، فقد فسر هذه النتائج الأخرى في الكلام على الدعاء في المبحث الثاني الآتي، فإنه صرح أن الدعاء ملهاة وتعويق ومصرف خبيث، ومعلوم أن الدعاء قطب العبادة وقطب الأخلاق الدينية التي تدور عليه كما اعترف بذلك في كتبه كما يأتي، كما قال ﷺ «الدعاء هو العبادة». فكانت نتائج الأخلاق الدينية التعويق والملهاة والصرف الخبيث لأنها عنده تلهي عن العمل وتعوق عنه وتصد عن قضاء الشهوات النفسية. وليس هناك من يجيب من دعاه، بل هي الطبيعة تعاعل تفاعلها المستمر فلا حاجة إلى الدعاء. هذا روح دعايته كلها وكلامه يدور على هذا الأصل الخبيث الذي ليس وراءه كفر وزندقة، وحقيقته الحث على رفض

الأديين والاقبال على هذه الاخلاق لدنيويه فقط . ثم مع هذا يقول : ويؤسفنا أن لا نرى محتاجين الى فهم هذه الحقيقه والى تعميم الآخرين إياها ، فيقال له لا حاجة الى الأسف فالمسلمون أحق من أن يعيروا بهذه وأكبر من أن يرضوا لأنفسهم ذلك ، فهم يعتقدون أنه لا نجاة ولا نجاح لهم إلا بحبل الله المتين والسير على مقتضى صراطه المستقيم ، وذلك بتمسك الاخذ بأصول الدين وفعل ما يجب فعله من الأسباب المادية المشروعة ، وأن الاعتماد على الأخلاق المادية وحدها ليس كافيا فى نيل استقلالهم وخلاصهم من استيلاء العـــدو ، ودعواه : أن الأخلاق الدينية لها نتائج أخرى ، صريح فى أنها لا ترفع ولا تكسب المجد ، فانه حصر المجد فى الأخلاق الصناعية ونحوها وذكر أنها تحمل الشعوب للثروة والعزة ، ثم ذكر أن الأخلاق الدينية لها نتائج أخرى ، ومعلوم أنه لا واسطة بين المجد والعز والانحطاط والضعف ، وكلامه كله يدور على هذا المحور الخبيث ، فانه صرح فى مواضع لا تحصى بأن الأخذ بالأخلاق الدينية لا نفع فيه بل هو ضرر محض ، لانها عنده تشغل عن اتباع الشهوات والنظر فى العلوم المادية التى هى أساس التقدم ، ولم يلتفت الى فساد الاخلاق كلها وأثره فى التعويق والتثبيط بل حمل المصائب فى الأخلاق الدينية . فانظر الى هـذا التحامل الزائد على الأعمال الصالحة والايمان بالله تعالى . وقد تقدم نحو هـذا قريبا لكن أوضحناه هنا لشدة الحاجة اليه . والحق الذى لا شك فيه ولا مرية وهو واضح كالشمس أن المجد والتقدم منوط كله بالأخلاق الدينية الصحيحة ، فانها متى صحت وصلحت دفعت الى العمل المادى . وبقدر الاستهانة وضعف الاخذ بالاخلاق الدينية فى الاسلام يكون الضعف والوهن ، لأن هذا مقتضى روح الاسلام . أما وجود التقدم فى بعض الأمم التى لا دين لها أو غالبها الحاد فان ذلك انما يكون تقدما على حسبها أو الدين دونها فى أخلاقها ، ولأن الروح التى نشأت عليها غير روح دينية صحيحة طيبة ، بخلاف الاسلام فان روحه التى تكوّن عليها وقام صرحه روح سماوية دينية زكية فلا يمكنه أن يصح

أو يتقدم الا بالأخلاق التي تناسب روحه وأصله، والا كان عليلا ضعيفا، لان الأخلاق الخشنة لا تناسب روحه تفسده فلا ينمو ولا يقوى عليها أبدا [illegible] ثم ان تقدم اولئك تقدم مؤقت [illegible] كما تقدم بعض الأشياء على غير أساس صحيح [illegible] وتقدمها [illegible] بعض الشعوب [illegible] الأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولكن [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] في الأخلاق [illegible] [illegible] واحدة وهي أن الدين آلة ضعف [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في افساد الأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو هل [illegible] اذا كانت هذه الأخلاق لا [illegible]

وهل تشير أو توجب [illegible] كل ما لا يؤذيهم حسدا لهم . وهل هذا الاستدلال إلا من [illegible] الخرافية . في عدم علمهم بالأمور الثابتة في الدنيا لا علاقة له بتقدم ولا تأخر ولا صحة ولا فساد . [illegible] صدق ما ادعاه . وإلا فالدهاة من [illegible] المستعمرين [illegible] أن هذه الأخلاق الدينية هي أعظم سلاح [illegible] في وجوههم وكلامهم في هذا كثير جدا ، ولهذا فهم دائما يسعون في تشويه الأخلاق الدينية الصحيحة وإفسادها ومعاكسة من قام بها ودعا إليها [illegible] الأخلاق الصناعية والمادية ونحوها فهذا لا ينافي عدم حثهم [illegible] كما لا يدل على وجوب الاعتماد على الأخلاق المادية وحدهـا ، [illegible] وعدمه ليس [illegible] عند المسلمين ولا عند العقلاء على [illegible] شيء وتركه ، وإنما يستدل على صحة الشيء وفساده ببراهين الصحة والفساد [illegible] العقلاء .

فصل

قال : ومن الواضح المستغني عن كل بيان أن الألمان واليابان وأشباههم إنما انتصروا في بداية هذه الحرب [illegible] بالقنابل والطائرات والمدافع والدبابات الكثيرة المتنوعة [illegible] انتصروا في آخر الحرب [illegible] الأخلاق الدينية وأشباهها لم تدخل لا في البداية ولا في النهاية .

فيقال : هذا حجة عليك [illegible] أخلاق [illegible] مطلقا لا صحيحة ولا فاسدة [illegible] أن الذين [illegible] وهذه الدول المقابلة كلها دول كافرة [illegible] ما اعتمدت عليه . وعلى فرض أن لا يكون معها دين [illegible] تكون سواء ، فانتصرت إحدى القوتين على الأخرى ، وهذا [illegible] في كون الأخلاق

الدينية أنه ضعف وأنها لا تقدم أهلها ، وهذا الذى قلته خارج عن هذا ، فإن حاصل ما معنا قوتان مجردتان ، فانتصرت إحداهما على الأخرى بعشته لله ونحن لم ننكر قط تأثير زيادة القوة المادية على ما يقابلها من جنسها من الصناعية المحض كهذه المسألة ، إنما ننكر تأثير زيادة القوة المادية فى القوة المادية المقابلة لها اذا أسست على دين صحيح لا يخرج فى دائرة الكفر فننتصر عليها انتصارا بينا ، وهذه الدول ليس معها أخلاق دينية صحيحة كأخلاقنا حتى يصح قولك ان الفضائل والأخلاق الدينية وأشباههما تمحى لا فى البداية ولا فى النهاية ، فإن هذا القول لا معنى له ، إنما يصح هذا لو كانت إحدى هذه الدول المهزومة معها دين صحيح وهذا لم يوجد ، فالدعوى ساقطة جداً لا معنى لها ، فإن هذه الدول ان كان لها ديانة مقاربة وهى ناقصة وإن لم يكن لها ديانة فكذلك ما عدا اسبانيا ، وقد عرفت منها مع انك مدحت فى آخر الكتاب ديانتها وهى المهزومة . أما روسيا فبأى الكلام فيها وفى ديانتها فى محله [1] . وقد قدمت أن الأخلاق الدينية الصحيحة المحض توجب وجود ما به تستقيم حالها من الأخلاق الصناعية ، فإن الأخلاق الدينية المحض تحث على الاستعداد والعمل وأخذ الحذر والحيطة كما تقدم ، ولا بد أن الله سبحانه يوفق من قام بدينه الى تحصيل ما ينفعه من الأسباب المادية كما وفقه الى الاسباب الدينية الصحيحة ، فإن هذا من سنته التى لا تبديل لها ولا تحويل ، وإنما أتى النقص فى الأسباب المادية من حيث جاء النقص فى الاسباب الدينية فإنه الأصل والاساس . فمن أقام دينه واستقام عليه فلا بد أن تستقيم حالته فى الاخلاق الصناعية ولا عكس كما يأتى

ثم قال « أمريكا اليوم مثلا هى أقوى منا مع الفروق المحتملة بلا شك ، فإلى ماذا ترجع قوتها وتفوقها علينا ، وبماذا يرجع ضعفنا وعجزنا . من الجهل

(١) أى آخر الكتاب

المعروع منه أن أمريكا لم تتفوّق علينا بسبب إيمانها بالله أو بسبب أخلاقها الدينية والروحية ، وإنما فاقت هذا بتفوّقها بأخلاقها الصناعية والاقتصادية والعلمية . وإننا إنما تخلّفنا من التخلّف بعجزنا عن التخلق بأخلاقها هذه لا بعجز في روحانيتنا أو في إيماننا بالله أو في فضائلنا الدينية . انتهى

وهذا القول الذي قاله تمويه وهذيان لا قيمة له ، فلا حجة فيه على مراده فإنه من الواضح الجلي أن أمريكا لم تتفوق علينا بسبب رفضها الأديان و بعدها عن أخلاقها حتى يصح الاحتجاج به فإن هناك دولا مخالفة لها في الأخلاق والديانة وهي تقاربها في القوة وإنما تفوقها بالأخلاق الصناعية و المادية وغير ذلك . وهذه الأخلاق ليست برفض للأديان ومعاداة لها . وقد بينا أن هذه الأخلاق لا تنافي الديانة الصحيحة . بل تلائمها . ولو كان مع هذه الدول ديانة صحيحة لازدادت قوة الى قوتها هذه قطعا

ودعواه أن تأخرنا عنها ليس لتقصيرنا في إيماننا وفضائلنا الدينية دعوى في غاية السقوط ، قد نقضها في آخر الكتاب حيث ادّعى أن الناس اليوم على دين محرّف واهم . فكيف يدعي هنا أنه غير ناقص . هذا تناقض صريح اضطرته الحاجة واللجاجة الى السقوط فيه . بل إن تأخرنا إنما هو لعجزنا في إيماننا وفضائلنا الدينية ، وتقصيرنا في ذلك تقصير واضح لا شك فيه ولا يلزم من تقصيرنا أن يكون ديننا محرفا فإن الدين المحرف هو الدين الباطل المخرج عن الملة ، ولهذا يطلق علماء المسلمين على دين أهل الكتاب بأنه دين محرف أما دين المسلمين فلم يقل أحد منهم إنه دين محرف . ولا يلزم من التقصير في طاعة الله أن يكون عن عبادة محرفة فالفرق واضح . وبالجملة فدعواه أن تأخرنا ليس تأخرا في ديننا كلام باطل ، كما أنه نقضه نقضا صريحا كما تقدم . فإن كثيرا من المسلمين قصروا في معرفة الأصل ، ثم العمل به . وذلك في تأويل صفات الباري ، وفي دعوة الأنبياء والصالحين والاستعانة بهم في الشدائد عند قبورهم وغيرها . ثم في وضع ما يحل محل الاحكام الشرعية ، ثم في فساد الأخلاق

كالكذب والعجز والفسوق والخيانات وغيرها ، ثم في عدم القيام بالأسباب
المادية كالأمور الصناعية والتجارية ونحوها . فصار قصورنا من كل ناحية ، ثم
مع ذلك لا بد من أسباب أخرى في تفوقها عليه ككثرة عددها وزيادة
ثروتها المادية وموقعها الطبيعي وغير ذلك ، مع ملاحظة أنه قد مضى عليها في
القدم مئات السنين أو آلاف السنين وهي في غاية الانحطاط والخمول ، على حين
قوة وفي عصر [illegible] في الشرق الاوسط وتفوق كبير عليها ، وقد جعل الله
الدنيا دولا كما قال تعالى ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ والناس كلهم عبيده
وملكه . ولا بد أن تنال حظا من آثار الرحمة العامة سواء كان حظها دينيا أو
دنيويا فقصدت من حسن ما أصاب غيرها من متاع الدنيا أسوة بأمثالها وحجة
عليهم . وللقائل أن يعارضه أيضا ويقول إن تفوق الغرب عليهم وعلى غيرها
في القرون الأولى وبلادنا [illegible] وجود
الدين الصحيح فيها من الواضح [illegible] تفوق الغرب عليها أو على غيرها في
ذلك الوقت ليس بكثرة عدد ولا قوة صناعة ولا كثرة ثروة ، بل إنما هو
بالأخلاق الدينية فقط . هذا أمر معروف [illegible] . ولا عجب في تقريب هذا الى
أن يقع في النفس كما وقع ، بل هي دعوى صحيحة كالشمس ، فما أن استمر
على الشرق بلاؤها هم وأمثالها من دسائس الأجانب وفساد الأخلاق ضعفت
كالجسم الذي فقد عنه الغذاء الملائم له ويستبدل عنه بغذاء آخر غير ما يحتاجه لا يلائم
روحه ، فإنه يضعف شيئا فشيئا ما دام غذاؤها لا يلائم روحه وكل ذي عقل [illegible] يعلم أن
الأندلس [illegible] سقط حتى دخله مذهب الجهمية في كل الصفات كالغلو ومذهب
[illegible] وأمثالهم . ويدل على هذا كتبهم الأخيرة فمن طالع كتب
ابن عبد البر وكتب من جاء بعده في القرن السادس وما بعده عرف الفرق في
تحول علوم الأندلس وخصوص علوم الدين فيه هبوطا عظيما ، فلذلك هبطوا
لأنهم لم يتبعوا آباءهم . والحكم يدور مع علته ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴾

وقوته . وبما أن هذا [illegible] الأخلاق الصناعية ، يقال [illegible] لا
[illegible] الأديان وعقائدها ، ولو [illegible] الأديان و[illegible] هذه الأخلاق [illegible]
شيئاً وقد بينا أن هذه الأخلاق لا [illegible] الدين ، وهذا الملحد لم يبحث على
هذه الأخلاق فقط و[illegible] الأمور [illegible] حتى [illegible] الاحتجاج ، و[illegible]
[illegible]
[illegible] حيث
[illegible] على
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible] كثير ما
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لو [illegible]
على [illegible]
[illegible] قوة الى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين [illegible] على [illegible] كفرهم و[illegible]
[illegible]
أشد [illegible] الصلاة والسلام [illegible] الأديان لا [illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible]
أن الإيمان به [illegible] عليها . وأن ذلك
[illegible] وأعلاف [illegible] عن الاستمرار في هذه [illegible] ، فهذا

عصوه واستكبروا عن اتباعه وفرحوا بما عندهم من العلم بهذه القوة التي تحصلوا
عليها، فلهذا حرمهم الله ثمرة هذه القوة فما بارت عليهم فجاءتهم قوة أعظم من
قوتهم ودمروا تدميرا فظيعا كما دمر أمثالهم ممن طغى كما طغوا، وسيدمر من
اتبعهم في ذلك إلى يوم الدين. ولا شك أن كثيرا من هذه الدول والحكومات
التي حاقت بها الكوارث إنما تركت الإيمان الصحيح لظنها أن التدين يضعف
قوتها ويحرمها من الرقي والتقدم الذي تؤمه وتسعى إليه. وأعظم الأسباب في
ذلك أنها لا تعرف حقيقة الدين الصحيح. ولكن ليس هذا عذرا سائغا لها
فإنها دائما تبذل أقصى ما لديها في التنقيب والبحث عن كل ما فيه نفع دنيوي
لها كما تفعل في مكافحة الأمراض بالاجتهاد في العثور على الأدوية القاطعة
للأمراض القاتلة. وكما تفعل في المعادن وغيرها. فكان من الواجب أن تتعب
وتكون هيئات وجمعيات عظيمة للبحث والتنقيب والنظر في العقائد والأديان
النافعة. ولو فعلت هذا لكان من المحتم أن يتبين لها الدين الصحيح الذي
يعيش به العالم كله بسلام. فهو الذي تطمئن إليه النفوس والفطرة المستقيمة كما
هو موضح في كتب الإمام ابن تيمية وأمثاله من طالع كتاب العقل والنقل
له وغيره من كتبه وكتب تلميذه ابن القيم تبين له أن الدين بين كالشمس.
فهل فعلت شيئا من ذلك؟ إنها لم تفعله فهي إذن لم تعمل عملا صحيحا، وذلك
لضعف الداعي لا لعدم القدرة. فإن وجود القدرة والإرادة الجازمة وقوة
الداعي يوجب وقوع الفعل. والحجة فقد أخبر الله أنه يسر القرآن للذكر فهل
من مدكر، فكان التفريط وعدم التذكر هو السبب في عدم معرفة الحق، لا
عسر في معرفة الحق في نفسه

ومما يجب التنبه عليه والتفطن له أن تقدم الكافر على المسلم في الدنيا بالأمور
الصناعية والتجارية ونحوها لا يقتضي أنه مستمر، أو أن الكافر على صواب
في أخلاقه ونظامه، بل إن ذلك يقع ولكنه لا يستمر. فلا بد من وجود
النكبة. إن قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وكثيرا من الأنبياء

وأتباعهم قد تقدم عليهم قومهم وغير قومهم من الكفار فى هذه الامور ولم
يزحزحهم ذلك عن ايمانهم ، ولم يفتنهم هذا التقدم ، فان الله يمحص عباده ،
فمن رسخ الايمان فى قلبه علم أن الحق حق لا يتغير بمثل هذه الامور ، فان
الحق حق فى نفس الامر سواء تقدم أهله فى الدنيا أو تأخروا ، وليس برهان
الحق هو التقدم والتأخر حتى يزول بزواله ، وانما يزيغ قلب من يعبد الله على
حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر
الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، اذ لولا التأخر لم يتميز الصادق من
الكاذب والراسخ إيمانه ممن هو على شفا حرف . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا
فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم
بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به
فتحنا عليهم أبواب كل شىء ، حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ وقال تعالى
﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ . فتأمل
هذه الآيات وما فيها من العبر الباهرة والدلالة الظاهرة على أن الكفار قد
يتقدمون أحيانا على أهل الدين فى الامور المادية وأن وجود هذا التقدم
المادى متاع دنيوى وامتحان وتمحيص للصادق فى ايمانه من الكاذب ، ولا يلبث
هذا التقدم أن ينقلب وينهار لانه عرض من العوارض المقصودة لغيرها فلا
بد من انهياره وسوء عقباه ، وان ذلك سنة من سنن الله فى هذا الكون ،
وانه مطرد فى الامم المتقدمة والمتأخرة ، فهو تقدم يشبه التطور المؤقت الذى

لا بد من قتله وهبوطه ، كما فعل بعض أعداء الرسل وأعداء الأنبياء
كفرعون وقومه [illegible] ، فلا عجب أن حمل على
المسلمين [illegible] وقد تقووا قرونا كثيرة
جدا فربما كان في هذا [illegible] مصرة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
نفسها حين قال فيما حكاه الله تعالى عنه (١) ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ، فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين﴾ [illegible] حجة هذا
[illegible] عقول
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من الأ[illegible] مطردة وقاعدة
معروفة [illegible] حرقم في احتجاجهم [illegible]

---

(١) [illegible] ومن
حق خبثه أنه عرض بنقص [illegible] موسى عليه السلام [illegible] حتى من ناحية
الكلام ، فذكر الإهانة [illegible] الخارجي ، وذكر ضعف
الإبانة للضعف الجسمي [illegible] كهذا معارض

في الحياة على الصحة والصواب، والتأخر على خلاف ذلك، ولهذا قال جل من قائل ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ وهذا عين ما يحتج به هذا المارق كما هو ظاهر، ثم يقال لهذا الملحد أيضا: هل التقدم في الأمور المادية من صناعة أو تجارة أو غيرها دليل على الحق، وهل التأخر في هذه الأمور دليل على الباطل، أم ليس ذلك بدليل؟ فإن قلت بالأول فإنه دليل فصرح بذلك ولا تناقض وتغمغم مرة وتتلوى تارة أخرى، وقد تلويت في هذا ملتوية أحيانا وصريحة أحيانا أخرى، وقلت إنهم على الحق وإن المسلمين على الباطل، وإن قلت بالثاني فإنهم لم يدلوا على الحق، وما أكثر هذا عيبت به وجه هذه المدفعة والخدعة والمراوغة المنكرة، فبهذا يبطل تمويهك وتضليلك في هذه الأمور

فصل

ثم قال: «لا أحد يستطيع أن يمارى في هذه الحقائق بعد أن ظفرت روسيا وجيوشها بأعظم نصر عرفه البشر، مع أن هؤلاء سلبيون من هذه الناحية تماما».

فيقال: هل أحد من العقلاء يستطيع أن يدفع هذه الأوهام التي ادعيتها حقائق كما أوحاه، وكل هذا الذي وقع في هذه الحرب حجة عليك، فهنا كوارث ساحقة حلت بمواضع الإلحاد وخفقت على رءوس الملاحدة المعاندين الذين نبذوا النصوص السماوية وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. فليست ألمانيا ولا اليابان ولا إيطاليا دولا معتمدة على الإيمان والأعمال الصالحة فانتصرت عليها هذه الدول الملحدة كما تزعم حتى يكون هذا حجة لك وحقائق تعتمد عليها في أن الإيمان بالله والأخلاق الدينية لا تعز أهلها بل تفيدهم التأخر. وهذا هو محل النزاع الذي نجادلك فيه. فكيف تدعي أنه حقائق لا يمارى فيها وهي لم توجد البتة ونحن لم ننكر قط أن الدول الكافرة ينتصر بعضها على بعض

ثم انه قد علم أن هذه الاسباب التي تحث عليه في أغلالك وتعلق النصر عليها مطلقا قد نفعت من وجه وأضرت من وجوه كثيرة ، فان كانت نفعت روسيا فقد أضرت ألمانيا . وأما الأخلاق الدينية التي صرحت بأنها لا فائدة فيها وأنها مصرف حيث فقد نفعت أهلها ولم تضرهم قط ، بل ربما انها لو لم توجد لديهم لحل بهم ما حل بغيرهم ولا سيما مع ضعف أهلها من ناحية الاسباب المادية مع أنهم لم يأتوا بها الا ضعيفة

ودعواه ان نصر روسيا أعظم نصر عرفه البشر فهي دعوى تنم عن خبث كامن عميق إذ هي مكابرة واضحة . فأدنى عاقل يعلم أن روسيا لم تنفرد بحرب ألمانيا ، وأنها لم تستغن عن مساعدات غيرها لها بأنواع الوسائل الحربية ، وأمريكا أيضا تدعي أنها هي التي هزمت ألمانيا ، وكذلك الانجليز . فالنصر هذا انما وحد من الكل بلا ريب ، على أن نصر روسيا هذا لا حجة له فيه كما تقدم مرارا ، فإنها منتصرة على دولة من جنسها في أكثر المبادىء والبعد عن الدين الصحيح عن هم مسلمون من الدين ، فحقيقة هذا ـ لو سلم ـ أن تكون منتصرة على جنسها في أعظم مبادئها عقوبة لها ، وهذا خارج عن محل النزاع ، بل هو حجة عليه فانه يدعي أن الانحلال من الأديان هو طريق المجد والتقدم فاذا كان نصر روسيا من حيث كونها سلبية من ناحية الدين فعدوّها المهزوم كذلك على زعمه ، لأنه يدعي أن أكثر هذه الدول ملاحدة ، فان كان الانحلال سببا للنصر فقد صار أيضا سببا للهزيمة والدمار والوبال على أهله ، وان لم يكن سببا بطل احتجاجه . على أنه ينبغي أن يعرف أن روسيا ليست كلها سلبية كما يدعي ، بل فيها مذاهب وشيع مختلفة ، وقد غيرت كثيرا من مبادئها الشيوعية في الالحاد قبل الحرب لما عرفته من تأثير الفساد في شعبها ، وهي بكل حال مضطربة في أمر الديانات فليست سلبية تماما من هذه الناحية الدينية كما زعم . ومما لا شك فيه أن أكثر هذه الأفكار التي يدعو اليها في أغلاله هي من أعظم الأسباب التي حاقت بألمانيا حتى أوقعتها فيما وقعت فيه ، هذا

وهي دولة عظيمة قوية ، فكيف اذا كان يدعو دولا ضعيفة بالنسبة الى غيرها الى هذا المبدأ الهدام ، فلا حجة لما ادعاه في نصر روسيا مطلقا فانها لم تنتصر على أخلاق دينيه محضة حتى يكون حجة له ، وروسيا نفسها لم تدع هذه الدعوى ولم تدع أيضا أنها مستقلة بالنصر دون غيرها كما ادعاه لها هذا المكابر . ثم هذه الحرب التي دخلتها روسيا كانت صدمة عظيمة في روحها وشبابها سيبقى لها الأثر الى أمد طويل ، ولو لم تدخل الحرب لكان أولى بها وأقوى لها ، فانها ما استعاضت في انتصارها مقدار ما فاتها لو لم تدخل الحرب ولا مقـــدار خسارتها في حروبها ، فهذه الحرب والتي قبلها كلها ضارب على رأسها هي وأبنائها ومن معهم ممن شغفوا بهذه التعاليم الالحاديه فكم خرجوا من شقاء دخلوا في آخر ولا سيما بعد أن كثر الالحاد وتوسعت دائرته فيهم ، وفي المستقبل ينذر بشر أدهى وأمر على هؤلاء ومن أعجب بهم وسحر بآرائهم . فكيف يصح أن يقال إن نصر روسيا أعظم نصر عرفه البشر والحال المعروفه عند كل عاقل هي ما ذكرنا وقد شاهده الناس ، وهو أمر ظاهر لا تنكره روسيا نفسها ، فهو حقائق لا يمارى فيها لوضوحها . ولكن الهوى ينفوس شريرة لا تعمى .

فصل

ثم قال : « فطريق المجد القوى إذن يجب أن يكون معروفا واضحا متفقا عليه ، ويجب أن يعلم أنه غير ما يدعو اليه هؤلاء الصالحون اذا كان هؤلاء الاخوان يعرفون هذا الطريق ولكنهم انما يدورون حولها الآن اضطرارا او انهم بعد أن حشدوا الحشود سيتعرفون الى طريقهم الختفي » .

قلت : قد صرح هنا – كما ترى – بأن طريق المجد القوى هو غير ما يشير اليه هؤلاء الاخوان الصالحون الذين حصروا المجد في الأخلاق الدينية الأولى وفي تنفيذ الحدود الشرعيه الى آخر العبارة السابقة . وقد عنيت أنه ليس فيها تى للأخذ بالأسباب المادية بأنواعها كافيه استعداد للعدو ، بل هم قد صرحوا

فإن ذلك من أهم واجبات الدين وذلك موجود في كتبهم ومقالاتهم الكثيرة الشهيرة في المجلات والجرائد وغيرها فادعى هذا الملحد أن المجد في غير ما يدعون إليه، ثم صرح في مواضع أخرى بأن هذه الطريق لا تفيد شيئاً في التقدم بل هي أسباب التأخر، وادعى أنها أغلال تعوق عن الرقي، وصرح في البحث الثاني بأنها ملهاة ومصرف خبيث وتعويق للبشر. ثم قوله «وطريق المجد يجب أن يكون معروفاً واضحاً يقيناً» قد عرفناه معرفة أوضح من الشمس في نصف النهار ليس دونها أدنى حجاب أنه الأخذ بالأخلاق الدينية. ولكن أنت لم تعرفه لعماء بصرك فلهذا كنت أعظم الموغلين في الضلال في معرفته، فمن عمي بصره فلم ير عين الشمس على شدة وضوحها لم يجز له أن يحكم على غيره بأنه لا يراها، ومن عظيم إمعانك في الضلال وانعكاس الرأي أنك جعلت أسباب التقدم أسباباً للتأخر وجعلت أسباب التأخر هي أسباب التقدم، فقلبت الحقائق القيمة لما انعكس قلبك كالمريض الذي يصور الأشياء على غير حقائقها ويحكم عليها بما يراه في حالته المختلة. قال الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقوله «يجب أن يعلم أنه غير ما يشير به هؤلاء الصالحون» فنقول بل يجب أن يعلم أنه هو ما يشير به هؤلاء العلماء المخلصون، وأنه غير ما تدعو إليه أنت وأضرابك الهدامون، وقد تقدم أن الأخلاق الصناعية المادية لا تنافي الأخلاق الدينية بوجه من الوجوه، وتقدم أن هؤلاء الإخوان الصالحين لم ينفوا هذه الأخلاق المادية فإنها إن كانت داخلة في مسمى الجهاد وأنها من وسائله فهم قد ذكروها كما نقله عنهم صريحاً فلا معنى لاعتراضه عليهم ورده لكلامهم، وإن لم تكن داخلة فيه لم ينفوها في كلامهم المذكور وقد ذكروها صريحاً في المواضع الأخرى. وإن كان يرى أن هذه الأخلاق مضادة للدين فلا معنى لبحثه عليها وإضافة الجدال والترغيب في الاعتماد عليها وانتسابه مع ذلك إلى الدين ومحاولته التوفيق بينها وبين الدين على ما يزعم فإن المتضادات لا

يمكن الجمع بينها بحال . فما ذكره هو ساقط لا أساس له البتة

وقوله : « ان كان هذا هو الامر الذى ينوون به أبعد ما ذهبوا بأنفسهم وبأتباعهم » فيقال : لقائل أن يقول لك وما أبعد ما تذهب اليه أنت ومن على شاكلتك بأنفسكم وبأتباعكم ان كان لكم اتباع . فان هذا مجرد دعوى يتقابل عقلها

وقوله « ونظنه مخطئا جدا من حاول أن يقوى نظره بقراءة الحروف الصغيرة تحت النور الضئيل » . يقال : هذا المثل هو منطبق عليك تماما . فانك سلكت فى دعايتك هذه مسلكا لا أخى ولا أقدمه . لانك جعلت الانحلال من الأديان واعطاء النفس شهواتها حتى ترجع الى طور الحيوانية والطفولية سببا فى حصول المجد والرقى وحصول الامان للكبار . فهذه الدعاية الهوجاء انما ينطبق عليها هذا المثل الأهوج المناسب لها . فان حصول الرقى والمجد باتباع الأهواء وفساد الأخلاق لا يمكن أن يفهم من هذا . فلا أخفى ولا أغمض منه ان لم يكن مستحيلا

فصل

ثم قال « كم يستولى على شىء العواصف اذا رأيت هؤلاء الشبان المخلصين المتوقدين حمية وغيرة يغالون بهذه الأفكار دون أن يدروا من أمرها سوى أنها سوف فى إعطائهم الوعود السحبة الكريمة الرخيصة . وسوى أنها تؤكد لهم كل ما يرجون ويخشون من أمر تضعف الأسباب وأصغرها . انى لأهتف أحيانا كثيرة اذا رأيت هؤلاء المؤمنين كما كان يهتف أحد أدباء فرنسا اذا رأى أمثالهم بالسماحة المقدسة ، وببلاهة المحدودين »

(١) والعجب أنك أمعنت فى حث المرء أنها ما بعد فى غنى شئ بعد ذلك أبدا . جعلت رأس السياسة كلها والتهوض والمجد والاستقلال فى تعلم المرأة فأى انسان يقوى نظره حتى يستطيع أن ينظر حروف هذه السياسة البديعة فى هذه الظلمة الحالكة

قلت : لا يخفى مما مر أن هذه الأفكار التي أشار إليها هنا وهي التي يقاد بها
هؤلاء الشبان المخصوصون أنها هي ما ذكره عن أولئك الجماعات العظيمة الشأن في
تعريف طريقة المجد المنشود ، وقد عرفت أنها الأخذ بالأخلاق الدينية وفعل
ما يجب فعله من الأسباب لمشروعه المادية . فكان هذا الرجل حسب ما زعم
تستولي عليه شتى العواطف وشدة الأسف عندما يرى هؤلاء الشبان المخصوصين
ينقادون بهذه الأفكار الدينية . وذكر أن هـــذه الأفكار أضعف الأسباب
وأضرها في تحصيل آمالهم . وقد صرح بأنهم مؤمنون . ثم ذكر أنه يهتف
أحيانا إذا رأى هؤلاء المؤمنين على هذه الحالة الدينية يتوقدون حمية وغيرة كما
كان يهتف هذا الفرنسي مثلا : مسخرة ، وبلاهة وخدوع اه . فصار ما دعا
إليه أولئك الجماعات الناصحون مداجة وبلها وخدوعا . وقد نقلنا ما ذكره عن
أولئك الجماعات فلاحظ أن حقيقته الأخذ بالأخـــلاق الدينية الأولى في
الأصل والفرع أي الأخذ بالطريقة السلفية في أصول الدين ثم فعل ما يجب
فعله من الأسباب لمشروعه . فكانت هـــذه الأمور هي المداجة والبلاهة
والخدوع عنده . ويحق له أن يرى ذلك لأنه كما أصيب بداء النفاق والزندقة
اتبع سلفه في هذا الوصف ، فهذا الأثر مما تسلسل إليه في أسلافه أولئك
المنافقين الذين في قلوبهم مرض فإنهم يقولون بمثل هذا الوصف حينما يرون
الملة متبعين في زمانهم بطاعتهم حين متوقدين حميـــة وغيرة على الحق ، فإنهم
يظنون هذه الحالة ضلالا ، وغرّ هؤلاء دينهم ، وتارة يعدون ذلك من
هؤلاء الصبا [illegible] ولو أن هذا الفاسق اتبع أسلافه من منافقي العرب لكان أولى
ومن أن [illegible] كان يدعي أنه من العرب وأنه مضاد
لهم [illegible] إلى هذا الحد في الشقاق . قال الله
تعالى ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم
ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾ . وقال سبحانه وتعالى ﴿ إن الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا

انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون ﴾ .
وقال الله تعالى ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ الآية . فما ذكره هذا المؤلف هو من جنس ما حكاه الله عن أسلافه الكافرين والمنافقين من عيبهم المؤمنين والاستهزاء بهم ، ولكل قوم وارث . ثم هو انتقاد واستهزاء محض ليس من الحجة في شيء ، وقد سبق اليه من هو على شاكلته ممن طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم . وقوله : بأضعف الأسباب وأصغرها ، فيقال : كلا بل هي أقوى الأسباب وأعظمها ، وإن كانت ضعيفة صغيرة عندك لضعف بصيرتك وبعدك عنها ، فضعف البصيرة والبعد عن الشيء القوي الكبير يصوره صغيراً ضعيفاً وليس لك أن تحكم على الأشياء القوية العظيمة التي شهدت الشرائع والعقول السليمة بقوتها وعظمتها بنظرك الضعيف المنكوس مع بعدك عنها ، فإن هذا قلب للحقائق وضلال بعيد

فصل

ثم قال : ويقال ان الدعاة يسخرون كثيراً ويعقون المؤمنين الكافرين هم من الشعوب لاتكالهم الى محمد أو [illegible] على الآخرين في تحقيق آمالهم وعجزهم هم عن تحقيقها . فمثل هؤلاء [illegible] الى تصديق كل من جاءهم بفكرة ومبدأ أو دين أو مذهب [illegible] كل شيء [illegible] وجعلوا [illegible] في أيديهم ويسارعون الى [illegible] أو قائدهم أو زعيمهم أو [illegible] عن كل شيء [illegible] هو [illegible] في هذه السخافات التي تجيء في هذه الأعلام [illegible] أن كل من جاء بفكرة أو مبدأ أو دين أو مذهب جديد وعمل ليحتج على الآخرين بأنه صحيح ، فلا عجب أن جئت بهذه الفكرة [illegible] هذه [illegible] ، وادعيت أنها من الحقائق [illegible] وأنه [illegible]

ولن يوجد مسلم واحد بين الأربعمائة مليون المسلم يستغني عن هذه الأفكار ،
ثم بنيت هذه الدعوى على اتباع الشهوات وفساد الاخلاق وأنها سبب التقدم
والنجاح ، ثم ذهبت تعلق على الكتاب قولك الصحيح [illegible] «سيقول مؤرخ
الفكر انه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل» . فليت
شعرى متى كانت الأمم العربية مجانين او معتوهين حتى رفعت جنونهم بهذا
الهذيان والهراء والصديد والقيح الذى قذفته فى هذا الكتاب

يا صاحب الحقائق الأولية الاسمية ، إن من كان على هدى من أولئك الدعاة
لم يدعوا الناس الى ما دعوتهم اليه من رفض الايمان واتباع الشهوات ، أو
يدعون أن تحصيل العلم موقوف على الالحاد [illegible] التى [illegible] ، وكسوها
كما ادعيت ، إنما دعوا الناس الى أوثق العرى وأثبت الأصول . ودعوهم الى
النور المبين والروح الذى لا تفنى . دعوهم الى صراط العزيز الحميد الذى له ما فى
السموات وما فى الأرض . دعوهم الى إصلاح أخلاقهم التى هى الأساس
الأول لجميع الأعمال [illegible] ، وصلاح الأخلاق يصلح كل شئ وفسادها
يفسد كل شئ . وإنما الأمم الأخلاق ، كما [illegible] فلا عبرة بالماديات وسعتها
إنما تصدر عن الأفكار الصحيحة ، فلا يمكن تصور أى سبب أو نتيجة من
صناعة أو [illegible] أو غيرها حتى تصور [illegible] أولا . ولا يمكن أن تصورها
الفكر تصورا صحيحا حتى يكون [illegible] وأخلاقه صحيحة [illegible] . يا هذا ان الدعاة
الصالحين لم يعطلوا العقل [illegible] كما زعمته [illegible] وبينوا أنه ليس من
الدين الصحيح والعقل [illegible] أخوين ، والأصل المبين
[illegible] ، فان العقل إن كان قد صدق بالدين فيجب أن يتبعه ، والا
كان [illegible] لأنه قد صدقه فكيف يصدقه ثم يشك فى أمره
[illegible] وان كان العقل صدقه مضطرا فأى شئ يصدق . أيريد أن
يصدق عقله وحده ثم يعود [illegible] أو [illegible] أو جماعة مع تباين
عقولهم [illegible] ، ولا شك أن هذا يوقع فى التناقض والعناد والفوضى

التي لا تنضبط . ثم إن هؤلاء الدعاة الدينيين لم يدعوا الى اتباع آرائهم ولا لكل ما يقولونه ، فهم أعقل من أن يدّعوا أن ما في كتبهم حقائق أزلية أبدية . وإنما تأخذ بها أمة فتنهض وتتركها أمة فتهوى ولن تستغني عنها مسلم . فهم أجل وأكبر من ذلك ، إنما دعوا الى تعظيم الرب وعبادته واتباع أوامره على ألسنة رسله ، فاذا بحثوا فإن معاجزهم من أعظم البراهين على صحة دعايتهم ، لانهم لم يدعوا الى أنفسهم ولا الى كل ما يوافق الطبيعة والشهوات حتى يكون ذلك مرغباً في قبول دعايتهم ، بل دعوا الى الحق وهو ثقيل كبير على أكثر النفوس ، فاتباعهم دليل على وضوح برهان دعوتهم ، بخلاف من اتبع ما يوافق هواه فانه قد يكون إنما اتبعه لموافقته هواه لا لصدقه وصحته في نفس الأمر . وهذا ظاهر جلي . فما أورده وادعاه على الدعاة والعلماء الصالحين فهو حجة عليه فلا وجه لتشنيعه واستهزائه . وقد كرر هذا القول مراراً في عنوان هذا الكتاب ، وقد عرفت فساده فلا حاجة الى تكرار الكلام عنه

فصل

قال : ولا أحد ينكر من أن أكثر هؤلاء الأخوان أن الروح الدينية كثيراً ما تكون سداً تجاه حرية وعقالاً في سبيلها ، لا تشبهها روح متوثبة من المدنية والواقعة الصارمة ومن تربية عقلية ، وفي حق إنهم قليلون جداً إن لم يكونوا غير موجودين ، اولئك الذين استطاعوا أن يجمعوا بين التدين وبين الابداع في حياته والنهوض بها . ولهذا فانه يكاد يعجز الباحث ان يجد متديناً حرفياً يستطيع أن يكون في حياته شيئاً مذكوراً ، وأن ينفع بها ويعطيها ما ليس عندها . وجد كل الذين صنعوا الحياة وصنعوا لها العلوم والاساليب المبتكرة العظيمة هم من أولئك الموصوفين بالانحراف عن الدين وبالتحلل منه .

قلت : خليق بمن هذه حاله وهذا رأيه ، أن لا يجد مفرّاً من أن يبعث هذا الشر الكامن في قلبه ، لأن هذا قبيح منضغط في صدره لا بد من خروجه

والا فثله فلا مفر من نقده والقول به لكى يعاق منه . لانه حيث قاتل اجتمع
وتكون من الشك والريب وفساد العقيدة والقلق وانعكاس الرأى . هذه حقيقته
فما ذكره من أن الروح الدينية كثيرا ما تكون سلبية تجاه الحياة .. الى آخره
كذب ظاهر فإن الروح الدينية المحض روح فعالة قوية وثابة صارمة تدفع
بمقتضياتها الى الحرية العالية فانها توجب بتعاليمها تحصيل الاسباب المادية التى بها
قوام الدين وليس هناك روح دينية تنافى روح المادية بل روح الدين الصحيح
توجب تحصيل ما يؤيدها من الاسباب المادية من الاستعداد للاعداء وجمع
الكلمة وازالة العوائق التى فى سبيل ذلك . ولكن كلامه يدور على عدم اتفاق
الدين واسباب التقدم . بل روح الكتاب كله يدور على تضاد الدين والتقدم ،
ولهذا ادعى هنا انه بعد البحث لم نجد متدينا يستطيع ان يكون فى الحياة
شيئا مذكورا . وصرح بأن الذين صنعوا الحياة وصنعوا لها قومهم هم المنحرفون
عن الدين والمتحررون منه . وهذا نص صريح فى الدعوة الى رفض الدين
وتصريح بان الدين عقيم حجب عن النهوض والتقدم لان اهله على كثرتهم
لم يتحصلوا على صنع الحياة واعلاء امتهم وانما يحصل على ذلك من تحلل
من الدين . واى قدح فى الدين وسب له اعظم من هذا . وقد كرر هذا المعنى
مرارا كثيرة جدا وهو كفر صريح لانه قدح ظاهر فى الاديان لان مضمونه
ان الله ارصد للبشر دينا يمنعهم عن التقدم والنهوض فى حياتهم وان الانبياء
سعوا فى هدم الحياة والى حث الناس على الانحطاط والدمار فمن تركوهم
ومواهبهم واستعداداتهم الكامنة تقدموا . هذا مقتضى كلامه بل صريحه وقد
صادم قول الله تعالى « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور »
الآية الى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى كما تقدم بيانه . وقد نسى هذا الملحد
ان الذين هدموا [illegible] على [illegible] والآلات [illegible] والمصانع
المطامع واهانة [illegible] وامانة الاخلاق [illegible] هم المنحرفون عن الاديان
المتحررون منها . وقد صرح فى آخر كتابه بمثل ما صرح به هنا حيث ذكر ان

المتدينين على اختلاف ديارهم وأزمنتهم وأديانهم وأمزجتهم واجناسهم عجزوا عن أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً وان يكونوا فيها مخلوقات متألقة . انتهى .
فالكتب السماوية كلها ، وتعاليم الانبياء المقدسة التي سار على ضوئها الوجود كله وآراء فحول اهل الاديان كلها ، ليس شيء منها يهبوا الحياة ولم يصنعوا لها شيئاً جديداً . وأما أغلاله التي من أطول آيها او سورة من مسته ووراءه القبور المصرية حيث لم يسعه ورقها على القبور هو الشيء الذي يهب الحياة وهو الشيء الذي يكون به المخلوق متألقاً . ثم مع هذا يصرح بان ذلك كله لسادته من الملاحدة والزنادقة فقط . ونحن نتحداه بان يأتي بشيء واحد جديد صنعه الملاحدة استقلالاً بدون المتدينين وبدون شيء من مآثرهم فانه لا يمكن عن أن يجد هذا ابداً . كما نتحداه ان يوجد لنا ملحداً او زنديقاً أو منحلاً كان في الحياة شيئاً مذكوراً ولم يكن في المتدينين من هو ارفع منه قدراً او اظهر منه ذكراً . ولعله لم ينحل من دينه ويرتد بعد اسلامه الا من اجل ان يكون مثلهم فيهب الحياة شيئاً جديداً ويكون فيها مخلوقاً متألقاً ، ولكن الله عامله بنقيض قصده

ما اقدر الله ان يخزي خليقته ولا يصدق قوم في الذي زعموا

وما هي الحياة الصحيحة التي اختص بها الملحد المتحلل دون اتباع الانبياء .
ان الذي نقوله انه لا يوجد في الدنيا شيء جديد نافع سواء كان دينياً أو علمياً الا واصله اتباعه أو واحد من المتدينين . ولا يوجد ملحد في حياة صالحة مخلوقاً متألقاً ابداً ولو مع متدينين . ولا بد ان ينغص عليه حياته . قال تعالى (من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) . فالحياة الطيبة انما يختص بها من عمل صالحاً فقط ومن حرم من العمل الصالح فقد فقد من الحياة الطيبة بقدر حرمانه . وهذا أمر لا شك فيه لمن في قلبه ايمان ولم يسحر الاهواء ونظر اليها بعين البصيرة . ثم أي شيء هو أهون من ركوب الطيارات وغيرها من سائر المركوبات المتنوعة حديثة او أكل الماكولات اللذيذة ونحوها فان هذه كله قد اشترك فيه المتدينون والملحدون والكلاب والخنازير

وغيرها من أكثر المخلوقات وإن كان شيئاً آخر فليبنه حتى نعرفه ونجيب عنه

فصل

ثم قال « والعيب بلا ريب عندنا ليس عيب الدين ، ولكنه عيب المتدين العاجز عن التوفيق بينه وبين مطالب الحياة »

قلت : قد أصبت في قولك متفقة « عندنا » حيث أضفت هذا الرأي الى نفسك ، لأن العقلاء كلهم يتحاشون عن هذا الرأي . فإن عيب المتدين إنما ينشأ عن عيب دينه بلا شك . فكل متدين بدين فلا بد أن تظهر أخلاقه عليه ، ومن عاب أخلاقه التي بها يدين فقد عاب دينه . فإن الدين ليس شيئاً قائماً بنفسه إنما هو أعمال واعتقادات وأقوال تقوم بالمتدين ، فمن عاب المتدين لدينه فقد عاب دينه بلا شك . وإذا قيل إنه لم يعمل بالأخلاق الدينية المطابقة لحقيقة الدين فإن هذا يحتاج أولاً الى بيان ، ومتى ثبت خروجه عن العمل به كما يدعى ثبت التفريق بين الدين والمتدين ، ولا يثبت التفريق بمجرد الإجمال والدعوى ثم إذا ثبت التفريق فإن اسم المتدين المطلق لمسماه إما في ذاته وإما في العالم ، وإلا فمحاولة التفريق بين القدح في المتدين ومدح الدين محاولة خداع ونفاق ، فإن هذا يفضي الى سب الأديان وشتمها والقدح فيها بمجرد هذا العذر السقط الذي لا يعسر على أحد ادعاؤه . واحترام الأديان وتعظيمها من أعظم أركان الله فيمتنع القدح في المتدين حتى تظهر مخالفته للدين ، ثم بعد ظهورها يمدح فيه بأعماله المقرونة بالمدح ، فلا يجوز سب المتدين بمطلق الأخلاق حتى يعرف خروجه عن دينه ووجه القدح فيه ، كما يمتنع سب المصلي والمزكي والمصدق والموحد والعابد والمسلم ونحو ذلك حتى يتبين مخالفته لأعماله بياناً واضحاً ، ثم بعد البيان يقدح فيه ، لا باسم الدين بل باسم فعله الذي أوجب القدح فيه ومن أعظم الواجب أن يبين من قام بالدين الصحيح ومن قام بما يخالفه حتى يصح مدح الدين على وجه الإطلاق ويصح مدح من قام به ، أما الدين الذي

لا يدرى ما هو ولا من قام به فمن أين يعلم صحته وفساده ، ومن أين علم المدعى صحة الدين وهو قد ذكر فى آخر الكتاب أن البشر عاجزون عن فهم الدين الصحيح وتصويره على وجه نافع مفيد إلا فيما ندر ، فمن أين علم هذا النادر وهو لم يبينه ولم يشر اليه إلا فى دعوه أنه ما تضمنه هذا الكتاب الذى هو الاعلال ، فكيف يمدحه ويدعى أن العيب ليس عنه اذن ، وانما قصد بذلك الخداع . ثم اذا كان العيب ليس عيب الدين مع صحة الدين على ما يدعى فما هذا الحط الشديد على أهله مع عدم تحقيق مخالفتهم له ، وهـــذا أمر يجب التفطن له فانه طالما كرره وجعجع به ، ثم اذا كان جميع المتدينين على اختلاف أجناسهم ودينهم وأسنانهم وأمزجتهم ومذاهبهم كلهم قد عجزوا عن أن يجعلوا الحياة شيئاً جديداً لأنهم عجزوا عن التوفيق بين الدين وبين مطالب الحياة فكيف لا يكون العيب عيب الدين ، اللهم إلا أن يكون دماغ صاحب الذى هو أكبر دماغ فى العالم على مقتضى رأيك ـ يريد أن يوفق بين الدين وبين مطالب الحياة فى هذا الكتاب المصنوع أو فى هذه الأعلال المحكمة ، وحينئذ يحصل لنا الرجل القادر على التوفيق بين الدين وبين مطالب الحياة كما يحصل لنا معرفة الدين الذى لا يعاب وهو ما تضمنه هذا الكتاب ، ويكون ذلك ليس العيب عيب الدين بل عيب الأنبياء وأتباعهم على اختلاف أجناسهم ودينهم وأزمانهم وأمزجتهم ، لأنهم لم يقدروا على التوفيق بين الدين وبين مطالب الحياة ، اذ لو كانوا قدروا لجعلوا الحياة شيئاً جديداً ، ولصنعوا لك العلوم المتكرة ، ولكانوا فيها مخترعين متألقين ومن كان عاجزاً عن هذا فانه لم يوفق بين الدين وبين مطالب الحياة ، فيكون مذهب تديناً باطلاً ، لأن من لم يوفق بينهما فهو كذلك كما ذكره غير مرة ، وهو واضح فلا حاجة الى مخادعه .

فصل

قال : « وقد أدرك هذه الحقيقة القدماء ، ويروى أن بدأ ذلك القائد

الداهية العربي المشهور قال : « أما عبد الله بن عمر فقد قعدت به تقواه » ، يعني عن النهوض إلى السيادة والمجد . وقال المتنبي يصف الرجل الذي سيكون عونه في انتزاع الملك :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

يريد أنه غير متدين لأنه يرى المتدينين غير أهل لما يطلب ويراد منه ، ولما قال أحد الشعراء يمدح المأمون :

أمسى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

غضب وقال : « ما زدت أن جعلتني عجوزاً عاجزة عن الحياة » .

قلت : استدلاله بهذه الأمور مما يدل على رسوخه في الغباوة وسقوط الرأي . ولا عجب فالمضطر يأكل الجيف . ولو أنه كان له أدنى مسكة من عقل وحياء لم يسجل على نفسه هذه الفضائح المخزية مع أنها حجة عليه . وليس في هذه الأقوال على سذاجتها ما يدل على أن الذين صنعوا الحياة هم المتحللون من الأديان حتى تكون مطابقة لقوله . وقد أدرك هذه الحقيقة القدماء ، فليس هؤلاء هم القدماء مع أنه ادعى أن القدماء رجعيون لا يؤخذ بأقوالهم . أما ما ذكره عن زياد فكل رجل من عقلاء المسلمين يعلم أن ابن عمر أشرف وأجل وأعظم من زياد دينا وعقلا ورأيا ، بل لا نسبة بينهما في الفضيلة والشرف . هذا لو قدر أن زيادا هذا الظالم المعروف بالظلم انتقد على ابن عمر وسيرة زياد هذا وظلمه لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيام الناس ، وكم لزياد هذا من الأقوال والأفعال ما يعاند رأي هذا الملحد . ولكنه لم يعشق من قوله إلا هذه الكلمة . وهي ـ لو صحت ـ فليس له فيها حجة بوجه من الوجوه فإن قوله « أما عبد الله بن عمر فقد قعدت به تقواه » فهذا مدح له لا ذم ، فإنه ليس فيه أنه قعدت به تقواه عن السيادة والمجد والقيام بما يجب كما زعم هذا الضال ، ولا فيه ما يشير إلى هذا . وزياد أعقل من أن يقدح في ابن عمر وهو يعرف حالته وحالة ابن عمر عند الناس . وليس ابن عمر بعدو له حتى يتكلم

فيه بما يثبته ، فليس هناك باعث لا من عصبة ولا دين ، وانما أراد بهذه الكلمة ـ إن كان قالها ـ أن تقواه قعدت به عن الدخول فى الفتن وسفك الدماء وطلب مالا طائل تحته ولا فائدة فيه ويستبعد حصوله ، فان التقوى هى التى تقعد عن هذا ، لا تقعد به عن طلب السادة والمجد المشروع ، بل هى تبعث على ذلك . فمن أين لهذا الزائغ أن زيادا نوى هذا الذى ادعاه . ومعلوم أن ليس فى ظاهر كلامه ما يشير اليه ألبتة . وليس له أن يحرف كلام زياد ويؤوله على رأيه فيقوّله ما لم يقل ويطلع ابن عمر بضعف الهمة ويجزم بذلك بدون تردد ، بل يجعله حجة يحتج بها . فان ما ذكرنا هو المعقول من حال ابن عمر ، فانه لم يكن مع على فى تلك الحروب ولا مع معاوية ، بل اعتزل هذا وهذا ، فان هذه الحرب حرب فتنة لم يحصل للمسلمين منها طائل ، ولهذا لم يدخل فيها كثير من رؤساء الصحابة وبكل حال فلا حجة له فى كلام زياد هذا بل هو حجة عليه ، وقد كان زياد هذا معروفا بقتل الزنادقة والملاحدة فهلا احتج بما فعله فى ذلك كسائر أعماله

وأما استدلاله بقول المتنبى فهو أغرب الاستدلال أيضا ، والعجب أنه استحسن هذا القول الخبيث المنكر حيث كان ملائما لطبيعته الخبيثة

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

وجعل هذا القول دليلا على ضعف رجال الدين وضعف هممهم ، ونسى هذا الملحد أنه قال فى كتابه (الفصل الحاسم) ص ٨٠ فى اعتراضه على الدجوى لما استدل بقول المتنبى ، فقال هذا الملحد ما نصه ، ولا يحتج بكلام المتنبى على ايمانه إلا من يصدّقه فى ادعائه أنه رسول الله . وإلا فهل انسان يستدل بقول شاعر فاسق متهوّر متناقض على عقدته ، اعتبروا ياقوم وانصفونا ، هذا يكفرنا اذا احتججنا بكتاب الله وبكلام رسوله على أن لا يدعى الا الله ، وهو يحتج بشعر رجل يتعصب الالحاد والفسوق فى شعره تعصبا ، يكفرنا اذا آمنا بربنا واحتججنا به على صفاته ، وهو يستدل بكلام الشعراء ، اللهم

اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، ولماذا يحتج بقوله هذا ولا يحتج بقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

انتهى كلامه بحروفه . ونحن نحتج عليه بمثل ما احتج به ، ونقول له كما قال لعدوه :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

ومع هذا فالبيت الذي استشهد به لا حجة له فيه ، والمتنبي لم يرد ما ادعاه هذا الملحد من أنه يمدح هذا الشيخ بل هو ذم له في التحقيق لا مدح له ، ومن أين له أنه يريد مدحه ، فلو فرض أنه يريد عونه له على انتزاع الملك كما يدعي فهو لم يقل ذلك وقد يحتاج الإنسان إلى الأمانة والصبر كما يحتاج إلى إعانة أهله وعونه على بعض شئونه ، فليس في بيته مدح أو شرف ، ثم إنه لا يمدحه لأنه يرى أن المتدين غير أهل لما يطلب ويراد منه ، فيقال : إن كان يرى هذا فهو يرى أنه غير أهل لما يطلب منه من الإعانة على الفجور والمكر والظلم والنفاق والقساوة ونحو ذلك (١) فهذا أقوى ما حمل عليه كلامه لأنه مدح أناسا كثيرين من الملوك والأمراء وأثنى عليهم بالدين وأنهم أهل للملك بذلك . فأما أن يجمع بين كلامه كما ذكرنا ، فلا يكون متناقضا فقط ويكون لا حجة له فيه على كل تقدير . والعجب أنه حمل قول المتنبي على هذا الرأي الذي اخترعه على هواه ، ثم فرع عليه جعل هذا الرأي الذي رآه المتنبي أعظم من رأي الصحابة وأئمة المسلمين الذين اختاروا أبا بكر وعمر وعثمان واعتمدوا في ذلك على خصائصهم الدينية ، وتبعهم الأئمة على ذلك فقرروا أنه يجب تولية الأمثل فالأمثل في الدين وجعلوا الدين من أركان الولاية ، وأن الكافر لا تصح ولايته ، فلو كان عدم التدين هو المطلوب لذاته وأن المتدينين غير أهل لما يطلب ويراد

---

(١) وهو هنا إنما أراد أن يكون عونا له على نقض العهد وسفك الدماء وإثارة الفتنة ، وهذا ليس بمدح على التحقيق إلا عند الزنديق

[illegible] في [illegible] في هذا الغلط من الصحابة
[illegible] يتضمن القدح في الأمة بلا شك اذ استشهاده به
[illegible]
[illegible] ولقياه
[illegible]
[illegible]
عليه بالتواجب [illegible]
واتبع هواه

وأما احتجاجه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] حجة في هذا
[illegible]
والقول بخلق القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفصل

ثم قال [illegible] طبيعة [illegible] الموجبة للحركة

المولدة للإبداع ، ومن ثمة تبحث غير واجد أعجز ولا أوهن من هؤلاء الذين
يربطون مصيرهم بالجمعيات الدينية .

قلت : هذه دعوى مجردة من عدو على عدوه ، فتقابل بالرد على من
قاله ، بل تعكس عليه عكسا صحيحا ، لأن ذلك هو الحق بلا شك ، فإن طبيعة
الملحد طبيعة جامدة فاقدة لحرارة الإيمان المولدة للحركة الصحيحة المولدة
للإنتاج الناجح المفيد . ولهذا فإنه لا يوجد أكسل ولا أعجز ولا أوهن ممن
رفض دينه واتبع هواه . وهذا أمر قد عرف بالحس والاستقراء لا بمجرد
التخرص والمخرفة والدعوى . ويكفي دليلا على هذا أنك لا تجد أدين ولا أتقى
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأهل القرون المفضلة . ومع ذلك فلا تجد
أقوى حركة ونشاطا ولا أدوم صبرا ولا أثبت قدما منهم . وقد كانت نتائج
حركاتهم أعظم النتائج وأحمدها وأصلحها وأدومها . وقد قضوا حياتهم أو
أكثرها في الغزوات النافعة الشديدة والمديدة وإصلاح شئون البشرية حتى
دخل الناس في دين الله أفواجا ووجدوا عز التوحيد وراحة اليقين والطمأنينة
بعد أن ذاقوا من ويلات الكفر وعدم الدين والفوضى ما لا حد له ، وما
ضعفت الديانة فيمن جاء بعدهم ضعفت الحركة والحرارة فيهم بقدر ضعف
الديانة . فكانت القوة والحرارة تدور مع الدين ، وهكذا كانت الحالة في كل
من كان أشد صلابة في دينه في كل القرون ، فإنه يكون أشد حرارة وأحسن
آثارا . فكل من كان أشد تمسكا بما كان عليه أهل القرون المفضلة كان أشد قوة
وصلابة في كل شئونه وأعماله . وقد كان معروفا لدى الخاصة والعامة أنه بعد
القرون المفضلة لم يكن أشد صلابة في دينهم في القرون الوسطى من أمثال
السلطان محمود بن زنكي الشهيد وصلاح الدين الأيوبي والسلطان محمود بن
سبكتكين وأولاده وقد عرف قوة شكيمة هؤلاء وحركاتهم ونتائجها ، بخلاف
آل بويه والفاطميين العبيديين وأمثالهم من أعداء الدين فقد عرف ضعف
حركتهم وفساد نتائجها . فقد أصيب المسلمون في زمانهم بالضعف الشديد

لبعدهم عن الدين ، وقد عرف واستفاض لدى العالم ما ابدته الدولة السعودية
من البسالة النادرة والشجاعة المدهشة فى حركاتها كلها من اول ظهورها الى
هذا الوقت حتى ظهر لها من النتائج الحسنة فى العالم ما لا ينكره إلا مكابر ،
هذا مع قلتها وقلة ما لديها من العدة والعدد سوى قوة الدين الصحيح والايمان
القوى المتين . او ما علم هذا الاحمق انه بهذا الكلام قد صرح بسلب حكومته
التى ينسب نفسه اليها كما سلب سائر المسلمين ، وكل عاقل فى حال هذا الرجل يعلم
انه من اول عمره الى آخره لم يعش ويتمتع بما له من حركة المسلمين فى
مدخله ومخرجه ومأكله ومشربه وملبسه وكل شئونه بالنسبة الى المدنيين
ولا يخفى على كثير من الناس ما ابداه من شدة شغفه بالحضارة وتمسكه بآرائه
اولا وآخرا فى استحصال ما يستمده من عندهم ، ومن حصل له شيء من هذه
النعمة كفر بها وقابلها بالجحود والنسيان ، وقد ورد فى حكمه . ان النفس
الخبيثة ان تخرج من الدنيا الا وقد ساءت ان من حسن الظن وحسنه ذى
عقل يعلم ان طبيعة المدنية تنفى سعادة حياة الانسان بالايمان بالله وباليوم الآخر
ورحمة الله وطلب رضاه وما يرجوه من نعيم الآخرة وخشيته من عذاب
الآخرة اعظم من حياة من لم يدفعه فى عمله الا شهوات بطنه وفرجه
وامثال ذلك من الامور التى تجعله شبيها فى خصائصه بما هو من الوحوش او
الانعام ، ولهذا تجد هؤلاء فى حركاتهم ومقاصدهم كالوحوش فى معاملاتهم مع
غيرهم ، وكالانعام فى شهواتهم البهيمية ، فلا يعدوا ان تكون حركاتهم
لمصالحهم الخاصة فقط

ثم قال : « ورجع فكره مرة أخرى أن يبرئ نفسه لا ذنب له ، ولكن
الذنب ذنب النفس البشرية التى لم تستطع أن توجد التعادل بين الكفتين
والتوفيق بين الروحين : روح الدين ، وروح العصر الحديثة . وسيكون عملنا
هو محاولة التوفيق » انتهى

قلت : هذه هى نتيجته دائما فى المراوغة لمكره ، فهو كما قال فيه الاسعد

السيد قطب [illegible] أن [illegible] في عميم الدين خاصة ، ثم
يتوالى وتحصل في [illegible] ولكن [illegible] قد [illegible] من [illegible] مخصوص
ومن [illegible] الكتاب [illegible] وقد [illegible] في [illegible] من
[illegible] مقصد آخر [illegible] في [illegible] ما يظن
أنه [illegible] من [illegible] كتابه هذا هو
التذوق [illegible] يقدر عليه أحد
[illegible]
[illegible]
[illegible] على
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذا
[illegible] هو
[illegible]
[illegible]
هو [illegible] لا شك فيه

[illegible]

ثم قال [illegible] لم يكن
[illegible] من
[illegible]

فقلت [illegible] على أن ضعف [illegible] لا
[illegible] كثيرا من هذه

الشعوب [illegible] والوثنية محضة قد حاجتها هذا الضعف والانحطاط ، بل هو فيها أعظم من الشعوب المتمدنة بالاسلام ، فلو كانت ضعفة الدين كما تزعم ضعفة الفكر ، أن تنحرف عن الدين الصحيح فهى لم تستطع اصلاح الحياة لوجدت الحضارة والمدنية فى الشعوب المنحطة الغارقة فى الالحاد والوثنية المحض (١) . فما كان الحظ فى هذه الشعوب المنحطة الا ما لها [illegible] الى اليوم على أن الخرافة [illegible] فى [illegible] محض وآخر طاهر . ثم أخذ يعيب ما قدمت أمريكا وأوربا فقدمت علينا بصناعتها وتجارتها وغيرها ، وقد سبق الكلام على هذا فراجعه

ثم قال : ان المقتطف خرج الكتب [illegible] كل عدد ما يصعب عده من الاسفار [illegible] فى الآداب وغيرها ، ولكن أى كتاب أخرجه فى هذه القصة بل أى كاتب فكر فيها (٢)

فنقول قد أخرجت المقتطف كثيراً من الكتب الموضوعة كل عدد فى هذه القصة مما لا يعد ولا يحصى ، ومن جمع الكتب الدينية والادبية و [illegible] وغيرها من المجلات والجرائد علم ذلك يقيناً ، وهذا تفسير المنار والوحى المحمدى وأمثالهما وغير ذلك من الكتب العلمية [illegible] يصعب حصره كل ذلك كما نعلم [illegible] ولكن ما كانت هذه الكتب [illegible] خلاف [illegible] بلده [illegible] ونشرت وخصصت كتب [illegible] لسمى (الاسلام والمقتطف) [illegible] كل هذه الكتب توافق [illegible] ومراجعات ومعتقدات ، وكل ذلك [illegible] على [illegible] وجعلت مؤلفه فيلسوفاً عظيماً ، [illegible] الخبيثة التى هى ، ان الايمان بالله وحده

(١) كشعوب جنوب أفريقيا وغيرها

(٢) [illegible] أن هذه القصة كتب فيها كثيرون

كان نكبة على البشر ، وجعلتها هي روح كتابك كله . وقولك : أيُّ كاتب فكر فيه . فنقول لك أما على مكبرتك فنعم ، فمن هو الذي أوتى مثل ما أوتيته من عظمة العقل وكبر الدماغ والاحتيال والغطرسة . فقد جمعت المتدينين على اختلاف ديارهم وأجناسهم وأديانهم وأسمائهم وأمزجتهم في صعيد واحد وجعلتهم كلهم من أولهم الى آخرهم لم يعدوا الحياة شيئا جديدا ولم يكونوا فيها مخلوقات عاقلة لأنهم لم يستطيعوا ان يوفقوا بين روح الدين والعمل ، وأنت وحدك استطعت ذلك فأودعته في هذه الاعلاك وادعيت أن ما فيها حقائق ازلية أبديه لا تأخذ بها أمة إلا نهضت ولا تتركها أمة الا هوت ولم يستثن منهم مسلم واحد من الاربعمائة المليون المسلم فمن هو الذي يفكر هذا التفكير الواسع . وأين المسلم الذي يحمله . فتبا لك ما أسخف عقلك . وهذه سنة الله فيمن قصر دينه ولم يرد إلا الحياة الدنيا أن يكون هذا مبلغه من العلم

ثم ذكر أن الشعوب اذا مرضت أمراضا اجتماعية ضعف شعورها . وهذا لا حجة له فيه . لأن كلامنا معه في هذه الامراض وعللها لا في وقوعها ، فهو يريد أن يجعل أسباب أخلاق الدين ، ونحن نحقق أن أسبابها البعد عن الدين أو التطرف فيه

ثم استطرد الى ان المسلمين قد ألفوا ما هم فيه من الاستعباد ولم ينهضوا ولم يفكروا في النهوض . وأنهم في أسوأ حالة . وهذا لا نزاع فيه في الجملة ، ولكن لا علاقة له بالاستهزاء بالمتدينين والحط عليهم والسخرية بهم وأن الدين آلة ضعف ، وهذا هو أعظم ما ننازعه فيه ، وكلامه كله يدور على أن الدين هو الذي أضعف المسلمين . ونحن نقول : بل عدم التدين والتقصير فيه هو السبب للتأخر ، والبرهان على هذا إجمالا أمران :

أحدهما الواقع المشاهد . فان المسلمين منذ عهد القرون المفضلة لما كانوا متمسكين بالدين على وجهه الصحيح كانوا في أعظم عز وأرقى أمة ، وكلما يبعدون عن التمسك بعدوا عن العز والتقدم بمقدار بعدهم عن التمسك . وهذا ظاهر

والأمر الثاني النصوص الصحيحة الكثيرة التي لا تحصى في الدلالة على وجوب الاعتصام بالدين والتمسك به، وأن النجاح والتقدم والعز المستمر الصحيح الطيب معلق به، فمن تمسك به فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقد قدمنا الشواهد من النصوص على ذلك في أول هذا الكتاب. فتأخرهم ليس إلا نتائج تأخرهم عن التمسك به وعدم الأخذ الصحيح به والمحافظة عليه والتعظيم له. وما دخل على الناس هذا الذل إلا لما أدخلوا في أصوله ما أدخلوه من البدع الهدامة. وفقدوا معها أهواءهم وانقادوا لشهواتهم وقطعوا أوقاتهم في مواضع اللعب والملاهي وتضييع الصلوات لشهوات لا نفع فيها، وتهالكوا على الدنيا ومحبتها حتى لا تكاد تجد الآن إلا من شاء الله من يوثق به في النصح بالقيام بعلمه ووظيفته. والأغلب إنما يتبع مصالح نفسه الخاصة. وكل ذلك ناشيء عن ضعف الأخذ بالدين الذي أساسه قوة الإيمان وصحته. فما ذكره حجة عليه لا له. والله أعلم

فصل

قال: «أما أنا – وقد يكون هذا لسوء حظي [1] – فلقد فكرت في هذه المسألة تفكيرا شاقا مضنيا. وما زلت منذ ست سنوات ورأسي يلتهب بالتفكير فيها التهابا. مقلبا لها على كل الوجوه، محاولا إنضاجها في معمل الفكر، وما فتئت كل هذه الأعوام أثير مع الأصدقاء ومن يظن بهم الفهم والعلم حولها المعارك الكلامية والحروب الجدلية بغية الإحاطة بها من كل أطرافها والإلمام بأسبابها، حتى لقد أصبحت بها شبه مريض أشقى إذا تحدثت فيها، وأمرض إذا سكت عنها. وقد اجتهدت أن أدرس القضية درسا دقيقا من كل وجوهها واحتمالاتها ودرستها في الكتب التي ظننتها مصدر الداء. ودرستها في التاريخ

(١) ما في ذلك شك

في [illegible] ولا [illegible] ولا أكبر، ولا أعظم من
[illegible] ومن أعرض عن
ذكري [illegible] حشره أعمى
[illegible]
[illegible] وأصلح
[illegible] أوسث
أصحاب [illegible] وأعمت
عليكم [illegible] إلى
[illegible] والسلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible] ونبذ ما يخالف ذلك من
[illegible]

فصل

ثم ذكر أنه قد خيل اليه أن قد صدر في هذه [illegible] كاملة
[illegible] وقد [illegible] أن قد [illegible] في [illegible] صحيحة
كاملة من [illegible] صحيحة لا شك [illegible] عرضها عرض مؤمن

بها وأجعلها تسجيل مؤمن بما يجب .

فقال : كلا بل صدرت عن سيحة خبيثة مشئومة ، وداء عضال لا شفاء منه . ولا شك فى بطلان ما ذكرته وصحته عند كل عاقل يميز الحق من الباطل ، فإن هذه الجرائم الخبيثة التى قذفتها فى هذا الكتاب هى من المواد القذرة التى شربتها من آراء الزنادقة وحثالة الملاحدة . وخليق بمن صدر عن هذه الموارد القذرة شيئاً قليلة من عصارتها أن يصدق هذا الوباء الخبيث . وكونها صحيحة عندك وأنت مؤمن بها لا يدل على صحتها فى نفسها ، فكل حيوان يستطيب ريقه وإن كان خبيثا . وقد قال تعالى فى المنافقين « ويحسبون أنهم على شىء ، ألا إنهم هم الكاذبون . استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ثم ذكر أن التفاوت الذى بيننا وبين الغربيين فى التقدم ليس سببه تفاوتا فى أصل الخلقة أو صدفة من الصدف وإنما سببه أنهم فهموا الحياة وسنن الوجود وما بين الأسباب والمسببات من الارتباط . ونحن جهلنا ذلك . يعنى أنهم عرفوا قوانين الطبيعة ونواميسها ، ونحن لم نعلم ذلك كما ذكر فى المواضع الأخرى الآتية ، فعلمهم ذلك هو الذى قدمهم . وجهلنا به هو الذى أخرنا . وهذه دعوى ادعاها غير مسلم على اطلاقه ، فليس هذا هو السبب . بل فيه مزاحمات ومناقشات يأتى الكلام فيها . ثم إنه ضرب مثلا أهوج يثبت به ما ادعاه فى الفرق بيننا وبينهم ، لأنهم تقدموا بفهم قوانين الطبيعة ونحن تأخرنا حيث جهلنا ذلك فقال :

« شعبان هبطا هذا الكوكب الأرضى الواسع الأرجاء الكثير الأخطار ، أحدهما فكر فى نواميس هذا الكوكب الذى هبطه وفى قوانينه ونظمه وفى نواميس أهله وقوانينهم ونظمهم تفكير فاحص . فاهتدى الى كل شىء مما يتصل بذلك . فسار تحت ضمان معرفته فى قوة لا يكبو ولا يضل ، فاستغل واستقل وثبتت أقدامه وقواعده على العلم والعرفان . وشعب آخر هبط غريبا فى هذا الكوكب جاهلا نواميسه وقوانينه ونواميس من فيه وما فيه وقوانينه ، بل

جاهلا نواميس نفسه ونواميس وجوده لم يدر كيف يدع ولا كيف يسير وينحه ، ولم يعرف ما يقوده الى النجاح والفوز ولا ما يؤدّى به الى الفشل والدمار . هذان شعبان ، فماذا عسى ان يكون النتيجة لاجتماعهما ، ليس هناك أدنى ريب فى أن الغلبة ستكون للعلم والعرفان . وقد كان حقا وليس هناك أقل تردد فى هزيمة الجاهل اذا ما اصطدم بالعالم وقد حقت بلا صعوبة ، انتهى

قلت : هذا المثل الذى ذكره غير مطابق لما ادّعاه وقصده ، ومع عدم مطابقته فهو فاسد فى معناه ، فانه مبنى على مقدمات كلها باطلة أحدها أن جنس بنى آدم من عنصرين اثنين مختلفين فى النظر والتفكير ، ولا ندرى كيف جعلهم شعبين ولم يجعلهم أكثر من ذلك مع كثرة الشعوب وتباين السحن ومع اختلاف الألسن والألوان والافكار وغير ذلك ، اذا كان يرى أن التقسيم من أجل اختلاف النظر والتفكير ، ومعلوم تفاوت الناس فى ذلك ، ولا شك ان هذه المقدمة باطلة فان الانسان من حيث النظر العام جنس واحد فى عنصره وكفاءاته وفيما يطلب منه كما دلت عليه الشرائع والعقول ، ومبنى أيضا على أنهما هبطا موكولين الى عقولهما ومعارفهما فى جميع ما يسيران عليه ويعملانه ، فليس لهذا الكوكب مالك يدبره وينظر من يهبط فيه وماذا يصنع فيه ، وأيضا ليس هناك عناية غيبية تلاحظهما وتتصرف فيهما على مقتضى ناموس العدل والرحمة والحكمة فتجازى كل عامل على قدر عمله من دقيق وجليل ، ومبنى على أن ليس فيهما أو فى أحدهما من يحمل رسالة من رب هذا الكوكب تتضمن هذه الرسالة نظاماً يمشيان عليه ويسيران على ضوئه : من تمسك به نجا وتحصل على العناية الدفعة ، ومن رفضه تلف لا محالة ، فهو مبنى على هذه المقدمات الباطلة كما رأيت . أما فساد معناه فظاهر ، فقوله أحدهما فكر فى نواميس هذا الكوكب الى قوله فساد تحت ضمان معرفته فى قوة لا يكبو ولا يضل ، فهذا قول ساقط بالمرة ، فمن هو الشعب الذى هبط منذ هبط الى اليوم فسار فى قوة لا يكبو ولا يضل ، ان هذا لا يوجد ولم يوجد فى شعوب الارض كلها . ثم

قوله وشعب آخر هبط غريبا في هذا الكوكب جاهلا بنواميسه وقوانينه الى
آخر [illegible] في المشروط . فكيف يكون هذا الشعب غريبا دون
الآخر فانه [illegible] غريب . مع أنه قال أولا [illegible]
شعب هبط هذا الكوكب . فلا ندري لم اختص [illegible] دون الأول
وهو هبط جميعا . [illegible] في النواميس هذا
الكوكب . [illegible] هو السبب لمعرفة الشعب
الآخر . [illegible] في شعب الأول [illegible] الثاني
منه [illegible] في الحقيقة والأصل [illegible] والمواهب والاستعدادات
الكامنة [illegible]
الأول [illegible]
[illegible]
في الآخر [illegible] في الحقيقة فهما
[illegible] معقول لا
[illegible]
[illegible] هو أفسد
[illegible] في حقيقة الأحد [illegible]

فصل

ونحن نذكر مثلا صحيحا مطابقا لما ندعيه [illegible]
الناس [illegible] وشعوب
[illegible] شعب هبط غريبا في [illegible] كبيرة متحدة ولا بد له من المكث فيها
[illegible] في بلاده ومقره . وصل هذا الشعب الى هذه
الجزيرة [illegible] من الحيوانات المختلفة والنباتات المتنوعة والمعادن
[illegible] المختلفة مالا يعد ولا يحصى ، وفيها من

الأشباح والخيالات والحقائق والأوهام والمظاهر اللامعة والسموم [illegible]
والقاسية والآلام الشديدة [illegible] والأفراح والهموم والغموم والآلام
والمصائب مما لا يمكن حصره [illegible] ومن أين من هذه
الحرية [illegible] هذه الأمور [illegible] أحد أمرين في معرفة [illegible]
هذه الأشياء [illegible] وإما السير على مقتضى علم
خارجي صادر عن وحي [illegible]
[illegible]
عنها لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الاعتماد على العقل [illegible]
الذى لا ريب فيه أن [illegible]
كانت على طول [illegible] الأخطاء
والأغلاط التي نتج عنها الخراب [illegible] في كثير
من الأحيان [illegible]

الأمر الثاني [illegible] هو العلم
الذي على الإيحاء الخارجي [illegible] على أكمل
الوجوه الممكنة ، فقد [illegible] الحكيم
الخبير بها المتصرف فيها المحيط [illegible] ، وهي [illegible] صحيح لا

للعقول كلها ، لتكون مرجعا لحل الخلاف الناشيء عن اختلاف العقول الناقصة المتباينة . وفي هذه الرسالة من القواعد والاصول الكلية والنظام الباهر بيان ما ينفع وما يضر ، وما هو حلال وما هو حرام وما هو حقيقة وصدق ، وفيها من التحذير عن تناول بعض الأشياء التي منظرها القبيح محرمها . وفيها عكس ذلك . وفيها ايضا الحث على أشياء حسن منظرها ومحرمها . وقد تكررت فيها الوصاية بالتمسك بها والاعتصام بها بتأكيدات صارمة ، وعلق الفلاح والفوز على العمل بما فيها . وعلقت الخسارة والهلاك على التفريط فيها وتركها . وقد جرب العمال بهذه الرسالة مع صدقها فوجدت في غاية الصحة والنفع ، فاتفق برهان التجربة الواقعي وبرهان الخبر المشهود وهو أعظم برهان على الأخذ به . فافترق هؤلاء الشعب فرقاً شتى . فمن كذب بالرسالة ولم يرفع بها رأسا مطلقا فاحتقرها واعتمد على عقله وفكره وهواه وذوقه . لأنه تصور أن ما في هذه الرسالة يخالف أغراضه وأهواءه وذوقه ومعقولاته ، فرفضها وسمع فكره وعقله وهواه ، واخترع وخلط وساوى من بدله وجعل عقله شريكا زائدا وسيرا أعمى بدون حدود ولا قيد . ولا من حد له عقله وتفكيره وذوقه قد تكون عاقبته هذه الاشياء هي التي لا تحمد ، ما خذه بأمر صعب وهو الأخرى . وامتلأ علل وأمراض فكرية مدمرة . ومنهم من تأمل صدق هذه الرسالة وعلم أن نجاته وخيره في العمل بها ، فاجتهد غاية الجهد في معرفتها وفهمها ، ودرسها درسا دقيقا بصدق واخلاص (١) حتى فهمها فهما صحيحا ، فعلم أنها موافقة للعقل الصحيح والذوق السليم والفكر المستقيم ، فسار في هذه الجزيرة على نورها وبصيرة تقتضي هدا هذه الظاهر في أعماله كلها من تناوله حاجاته وأخذه وإعطائه . واستعمل الأسباب القوية الشرعية التي أرشدت إليها من حكم الإباحة في الأصل ومما بالاشارة والارشاد ، فثبت أقدامه على علمها ونظامها

---

(١) ومن اجتهد في أمر بفكر بتحقق واخلاص فلا بد أن يدركه ويفهمه

وقواعدها ، وبذلك عرف أمور أهلها وآرائهم وسعيهم ومعاشهم ، كما عرف ما فيها من منافع ومضار . فأصبح بسعيه وعمله وعمله ميزان الحق والعدل نشيطا عاملا قويا في روحه وعقله وجسمه وجميع آرائه ، وفي إمكانه حماية نفسه واستقلالها ما دام موجودا في هذه الجزيرة ، ثم في وصوله الى مقره سالما صحيحا قويا متزودا بكل ما يحتاجه . وفريق ثالث وهو نوعان [illegible] نوع خالف الرسالة ورفض [illegible] وحرّفها وحملها على ما يوافق هواه وشهوته ظاهرا ، وإلا فهو لا يعتقدها في نفس الأمر شيئا كبيرا نافعا . وقد فعل هذا ليسلك مع هذه الفرق المتشابهة ويحصل على غرضه [illegible] . فصار مذبذبا بين الفرق يتلون معهم على كل الألوان ليحصل مقاصده [illegible] . فهذا نوع لا شك في هلاكه ، ولا بد أن يكون عليلا في جسمه . لأن خلطه وخبث ضميره سيوقعه في الأمراض القاتلة بكل حال . وأما النوع [illegible] من هذه الفرق [illegible] فإنه أخـــذ بهذه الرسالة أخذا ضعيفا [illegible] شديد [illegible] يحرص كل الحرص على ذلك ، فأخذها بفتور [illegible] فصار يخلط في عمله وعلمه ، تارة يتبع هوى نفسه ويتناول ما لذ له وطاب ، وتارة يتبع [illegible] ، وحينا ينقاد لنظام هذه الرسالة ويعتقدها ويستفيد منها [illegible] ، ولما عوفي عند خلط القوة شهوته وضعف الإرادة [illegible] ، فأصبح عليلا ضعيفا علته وضعفه بقدر خلطه واستمراره . وهذا النوع درجات متفاوتة كل حسب عمله بالرسالة وعمله بها في القوة والضعف والتحكم ، للذي يغلب عليه من العادتين . وبكل حال فهذا النوع أحسن حالا من غيره ما عدا الفريق الأول ، والحكم واضح في الفرق بين هذه الأقسام [illegible] في الحال [illegible] من التقدم والتأخر والله أعلم

فصل

قال : « فهمت إذن في هذا الكتاب ـ بل فهمت العامة ـ أن تعمل على

[illegible] لا تبديل ولا تحويل
[illegible] مقدورا لا
[illegible]
[illegible] سواء
أقام بحلها المسلم أم قام بحلها [illegible]
الحقائق المجردة لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ٢٢٥ [illegible]
[illegible]
[illegible] عليا وعدله الشامل ،
[illegible] معها بلا اصطدام
[illegible] والقوانين وعارضها
[illegible] أن يقول انه مسلم وانه
[illegible]
[illegible] في موضعه

[illegible]
[illegible] والعدل والحكمه
[illegible]

الطبيعة لد بها. فالطبيعة على ما يرى ولدت النواميس، ثم هذه النواميس حكمتها
اى حكمت الطبيعة. فالنواميس أولاد الطبيعة وهى حاكمتها. والطبيعة الأم
المحكومة. فهذا العالم يحكم نفسه بنفسه. وهذا صريح الالحاد

وقال فى ص ٢٨٧ «ومن الحقائق التى رفعها العلم اليوم عن متناول النزاع أن
هذا العالم كله حيوانه ونباته وجماده لم يزل دائراً فى طريق التطور منتقلاً من
طور الى طور أنقص ومن حالة الى حالة هى أدنى الى الكمال بطريقة منتظمة
دائمة لا يعتريها توقف. وعند علمائه[1] أن شيئاً من هذا العالم لم يوجد بحالة
ثابتة دائمة ولا بحالة فيها الاستعداد والرجوع الى الوراء ولا الانتقال من
الكمال الى النقص. بل ثبت لديهم ثبوت الحقائق أن هذا الوجود قد وجد بدائياً
وأنه قد ظل ينتقل من وجود الى وجود ومن شكل الى شكل. وأنه قد ظل فى
عملية هذا التنقل ملايين الملايين من الأعوام حتى بلغ الحالة التى تصلح لوجود
الحياة. فالكون أول ما عرف كان فى حالة غازية منتشرة فى الفضاء انتشاراً
متناسباً متسقاً مثل أن نبخر مقداراً من الماء فى غرفة تساوى فيها ضغط الهواء.
أو مثل أن ننثر مقداراً من الدقائق فى مكان نثراً متساوياً. وقد بقى كذلك
ملايين السنين أو ملايين الملايين حتى استطاع بتفاعله المستمر[2] أن ينقلب
من هذه الحالة الغازية أو السديمية الى حالة التكثف والتقلص. فأصبح كتلة
واحدة هائلة أو ذرة كونية ضخمة اجتمع فيها الوجود أجمع. فبقى على هذه
الحالة ملايين السنين أو ملايين الملايين وهو يتفاعل فى حقيقته تفاعلاً مستمراً
استعداداً للانتقال الى وجود آخر أنقص وأكمل. وبعد التفاعل اللازم
المقدور انفجر هذا الكون المحشود فى ذرته انفجاراً فجائياً فى الظاهر موقتاً
معلوماً مقدوراً فى الباطن مثل ما تنفجر قنبلة محشوة بالمواد المتفجرة فتطاير

(١) اى ملاحدة علماء الطبيعة، اعتمد كلامهم ونبذ نصوص الدين المخالفة له
(٢) هذا تصريح بعدم خلق الله له كما هو ظاهر

منه الدقائق والذرات تطايرا قائما على الحساب الدقيق فتفرق فى الفضاء كتلا هائلة عارمة . فبقيت هذه الكتل المتفرقة تتفاعل وتجتمع وتتكتل ملايين السنين أو ملايين الملايين حتى أصبحت نجوما وشموسا ، ثم أخذت هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه وبالاستعداد المخبوء فيها للتطور تنقسم على نفسها وتنفصل عنها النجوم والسيارات والتوابع ليكون من كل شمس من هذه الشموس مجموعة متماسكة من هذه المجموعات التى ندعوها اليوم المجموعات الشمسية أو المجموعات النجمية التى إحداها مجموعتنا الشمسية التى نحن من رعاياها ، وقد راحت هذه السيارات التابعة لغيرها تنقسم على نفسها أيضا وتنفصل عنها الأتباع وتلد الأقمار لتكون — أى الأقمار — من حولها كما كانت هى من حول شمسها . وهذه العمليات الانفصالية أو التوالدية تشبه عمليات التوالد والانقسامات بين الأحياء التى تكون الغرض منها إيجاد مجموعات أو فصائل حيوانية أو نباتية تتعاقب وتتوالد خضوعا لسنة هذا الوجود ، والموجودات الموصوفة بالكائنات الحية ليست إلا نسل المادة الجامدة ، والنواميس التى تحكمها أى تحكم الكائنات الحية إنما ورثتها من أصلها الذى هو المادة [1] فلا غرابة إذن فى كون القوانين واحدة متفقة فى الحى وفى الجماد . وبعد هذا التوزيع وهذه الانقسامات فى دور التكوين الأولى الكبرى لم يكن شىء منها صالحا للحياة والاستقرار ، فقد قدر العلماء أن عمر الشمس قبل أن توجد الحياة فى الأرض وهى منفصلة عنها نحو خمسة ملايين مليون سنة وقدروا عمر الأرض نحو ألفى مليون سنة ، وأن الحياة لم توجد فيها إلا فى نحو ثلاثمائة مليون سنة ، أى أنها ظلت حوالى ألف وسبعمائة مليون سنة تتهيأ لتكون صالحة لظهور الحياة عليها . وقدروا عمر الإنسان فى الأرض ثلاثمائة

---

(١) قف وتأمل هذه النغمة السوداء . فقد صرح بأن النواميس مولودة عن المادة ورأى هى التى تحكم هذه الكائنات الحية . فالعالم يحكم نفسه بنفسه

ألف سنة . وهذا أحد التقديرات كما هو معلوم [1] ومعنى هذا أن الأرض بقيت ما يقرب من ثلاثمائة مليون سنة صالحة لوجود الحياة فيها قبل ان تصلح لوجود حياة الانسان الذى هو أرقى الموجودات فيها ، أى أنها تهيأت لوجود حياة الانسان المعدود كائناً راقياً . وما من شيء فى هذا الوجود وصل الى حالته التى هو عليها الا بعد أن سلك هذا السبيل ، سبيل التطور لمعظم العلماء فما جدت الشموس ولا السيارات ولا الأقمار والنجيمات ولا كل هذه العوالم إلا من هذا الطريق . وهذه الأرض التى نعيش عليها ونجد فيها كل ما نحتاجه وكل ما يلزم حياتنا ولسعادتنا مدينة بها لهذا التطور ، انه لولاه لما وجدت ولا وجد فيها ما وجد ، ولما صلحت لظهور الحياة عليها ، ولما وجدنا فيها ، ولو وجدنا لما بقينا أحياء . ولو بقينا أحياء لما وجدنا ما نحتاج اليه وما يلزم لوجودنا ولصناعتنا ولزراعاتنا انه بهذا الناموس نقلت الأرض من عهودها الجسية ومن عهودها النارية الى عهد الاعتدال الذى نشأت معه حياة النبات والحيوان الذى منه الانسان ، وبهذا الناموس تمهدت الأرض وتهيأت ، وارتفعت فيها الجبال ونهضت الآكام ووجدت السهول والسهوب والأودية وانشقت الأنهار وغاصت البحار وظهرت الجزائر وعن هذه اليابسة التى عليها نحن ، وبهذا التطور أيضاً وجدت أصناف النباتات والحيوانات والمعادن المختلفة ، ووجدت التربة الخصبة التى تنبت لنا كل ما نشاء ، ووجدت كل هذه العناصر التى لا بد منها لبناء أجسامنا ولإخصاب أرضنا ولتركيب وتركيب كل ما لا بد لنا منه صناعة وطبيعة ، انتهى .

واذا تأملت هذا الكلام والذى قبله ظهر لك معنى الحلقة الأولى التى جعلها كحجر الزاوية لكلامه . وتبين لك معنى النشوء والنمو والقوانين التى طالما كررها فى كلامه ، وأنها تفاعل الطبيعة فى حركاتها المادية . وهو قرر كما ترى

---

[1] كما هو معلوم عند من ؟

أن لها نفس موجودة من الطبيعة التي هي المادة. وقرر أنها هي الحاكمة عليها، والسنن هي الشرائع والطبيعة أي المادة هي موضوع التشريع، وإذن فلا غرابة على هذا الاعتقاد أن نقض سنة تأثير الأعمال الصالحة التي منها الدعاء، لأن الداعي لا حظ له لا لدعاء ما دام أن هذا الوجود يجري على هذه السنن التي هي تفاعل الطبيعة. ولهذا فإنه ادعى أن الدعاء عبث ومصرف حيث. ولا شك أنه على هذا الاعتقاد لا فائدة فيه

إذا عرفت هذا الأصل الخبيث الذي بنى عليه زيغه وضلاله فاعلم أنه إذا أطلق السنن والنواميس والقوانين فإنه يريد ما ذكرناه كما هو صريح كلامه، ولهذا لا يوجد في كلامه أن هذه الأعمال تسير على مقتضى مشيئة الله وإرادته أو حكمته، أو أن هذه النواميس والقوانين تسير على وفق مشيئته ورحمته، بل لم يذكر المشيئة قط أو الإرادة إلا في معرض الذم، وأما الرحمة الربانية التي شملت هذا العالم فلا تكاد تجد لها ذكراً أبداً، حتى أنه رفض البسملة لما فيها من ذكر الرحمة ولأنها من القديم، ولهذا قال هنا: تسير على وفق حكمته وعدله، ولم يقل وفق مشيئته ورحمته وعدله، أو إرادته المقتضية لعدله وحكمته وقد فسر حكمته بالعدل وفسر العدل بتفاعل الطبيعة بنفسها الذي معناه وحقيقته سلب المشيئة ونسبة الجور والظلم إليه تعالى

ونحن ننقل إليك كلامه في تفسير القدرة والعدل والحكمة ليتبين لك معنى هذه الألفاظ المكررة التي موه بها على هذا الأصل الخبيث مكراً ونفاقاً، وإنها كلمات حق أراد بها أشنع صروف الباطل. قال في بحث التوكل: «ولكن التوكل هو الإيمان بقدرة الله وبعدله وبحكمته وبأحكامه. والإيمان بقدرته يوجب الإيمان بأن ما جعله سبباً لشيء فسيبقى كذلك ولن تبطل سببيته بحال ولن يوصل إلى ذلك الشيء شيء غيره، ويوجب الإيمان بأن ذلك الشيء الذي جعله مسبباً عنه لن يوصل إليه بدونه، فبوجود السبب يوجد المسبب وبفقده لا يوجد» انتهى. وهذا تفسير القدرة، فقد فسرها بضدها وهو العجز،

فلا إيمان بالقدرة عنده أن يعتقد أنه لا يقدر على تغيير شيء من الأسباب
المادية، ولا يغير سببا عن طبيعته الموضوع عليها أبدا. وقد قال بعض [illegible]
سببيته بطل، وحقيقة هذا أن يعتقد أن الله عاجز عن تغيير شيء من الأسباب
عن طبعه، وهذا كفر صريح، وتكذيب لمعجزات الأنبياء وتغيير
وخوارق الأسباب عن طبائعها الموضوعة عليها، والنار قد كانت محرقة،
ولهذا بطلت سببية حرارتها [illegible] حين ألقي فيه عليه الصلاة
والسلام وانقلبت إلى برد وسلام، والبحر بطل سيلانه حين [illegible] عليه لما
ضربه موسى ﷺ بعصاه، وبطلت سببية [illegible] في [illegible] ويونس في
بطن الحوت من هذه الأسباب المشاهدة التي هي [illegible]
[illegible]، ويرى أن الأسباب [illegible]
[illegible]
هي [illegible]
الشجر الأخضر [illegible]
المشركون [illegible]
الأشياء وقلب لها من الموت واليبوسة إلى الحياة والحركة [illegible] المشرك
الذي قال الله عنه: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي
رميم﴾ وقد [illegible] أنه أخذ عظما قد أرم [illegible] هذا [illegible]
[illegible]
إذ كيف يبعث [illegible] إلى حي متحرك
مريد متصرف. فإن هذا تغيير [illegible] الأسباب إلى ضدها، وهذا السحاب
المشاهد [illegible] أن كل أجزائه [illegible] إلى
أجسام كثيفة [illegible]. وقد قال تعالى: ﴿إن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث

فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات
لقوم يعقلون ﴾ فإن هذه كلها تقلبات وتغييرات متطورة متحولة منعكسة
مطردة بمشيئة الله تعالى . ولهذا ختم الآية بقوله ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾
فدل على أن من لم تكفه هذه الآيات فهو لا يعقل . وقد طرد الملاحدة هذا
الأصل وأنكروا البعث كما أنكره أعداء الرسل . لأن أصولهم الكفرية تقتضيه
واضطربوا في هذه الأسباب فلا أكثر من اختلاف هؤلاء الملاحدة الذين
لا يؤمنون إلا بالمادة في هذه الأمور والذي اتفقوا عليه كله لا يباين النصوص
بل هو يعرف بمقتضى العقل وأكثر أصناف الملاحدة على كفرهم أحسن حالا
من هذا الملحد صاحب الأغلال لأنهم لا يوجبون على الناس الكفر عن عنف
آراءهم مطلقا كما هو أهل الدين ، ولا يأخذون نصوص رب العالمين فيفسرونها
دلالة لهم . غاية ما في ذلك أنهم يتوقفون فيما لم يعرفوه . ويظهرون آراءهم
فقط ولا يتعرضون للنصوص الشرعية بقلبها أدلة لهم . فإن الكفر بها أسهل
من قلبها إلى ضدها لما في ذلك من احتقارها والتلاعب والتصلب بها . وهؤلاء
بلا شك من أكفر خلق الله . ولكن المنافقين أكفر منهم . فقد جعلهم الله
تحت أصناف الكفار في جهنم لأنهم أعظم انحلالا في دركات الكفر . فكانوا
في الدرك الأسفل من النار . ونحلف بالله أننا لا نعلم أحدا من الأولين والآخرين
وصل من الكفر والزندقة والعنف والإلحاد إلى ما وصل إليه صاحب هذه
الأغلال . ومن درس كتابه وفهمه حقيقة الفهم علم أنه خصم للشريعة الغراء
وأهلها وأنه لم يوضع إلا لغرض القدح في الشرائع السماوية وفي العاملين بها

والمقصود أن ما ادعاه في تفسير القدرة باطل لا شك فيه ، ولا ريب أن
من اعتقد أن الله لا يغير في الأسباب فقد اعتقد بطلان ربوبيته . فالرب
الذي لا يتصرف في ملكه ولا يدبره إما عاجز أو معدوم بلا شك . وهو إنما
قصد بها إبطال المعجزات لأنها إذا بطلت بطلت النبوات وببطلانها تبطل
الأديان . وكلامه كله يدور على إبطال الأديان كما نبهنا على هذا غير مرة . وقوله

« ولن يوصل الى ذلك الشيء شيء غيره ، ويوجب الايمان بأن ذلك الشيء الذي جعله سببا عنه لن يوصل اليه بدونه . فبوجود السبب يوجد المسبب وبفقده لا يوجد » . فيقال : وهذا أيضا تصريح آخر مؤكد لما قبله في جحد القدرة ولكفر به ومعلوم أن الولد مسبب عن الرجال والانثى جميعا بحكم العادة ، وقد وجد هذا المسبب بدون سببه في آدم وعيسى بن مريم وحواء عليهم السلام ، فانه وصل الى وجودهم وحصل كل واحد منهم بدون هذا السبب العادي المطرد ، وكل واحد منهم وصل اليه بتعبير خاص . والايمان بهذه القضية التي ذكرها مبطل الايمان بوجود هؤلاء على ما ورد به الشرع بل والعقل ، وكذلك وجود زيادة الماء الذي نبع بين أصابع النبي ﷺ فأروى الجموع الكثيرة من إناء واحد صغير جدا من دون مادة ، وكذلك انشقاق القمر وأمثال ذلك كثير ، مع أنه ناقض ما ذكره أيضا في نص النقل الذي ذكرناه عنه ، فانه ذكر أن هذا العالم وجد دائبا على تلك الحالة ، فاما أن يدعي أنه لم يزل قديما وهو عليها فبطل قوله في التطور لانه حينئذ يبقى أزمنة طويلة وهو ثابت على حالته البدائية . وهو قد ذكر أنه لم يكن في وقت من الاوقات على حالة ثابتة فيبطل قوله هذا (١) وإما أن يقر بأنه وجد من العدم المحض بعد أن لم يوجد فما سبب إيجاده اذن فيكون موجودا بدون سبب مادي وهو يناقض ما ادعاه هنا . وبالجملة فكلامه في الايمان بالقدرة معناه الكفر بها ، فان هذا الايمان الذي ادعاه معناه أن يؤمن الانسان أن الله لا يغير في الاسباب أبدا فلا تتغير بل تجري على طبيعتها . وهذا الايمان قد آمن به الكفار ، فان الذين كفروا بالمعجزات وجحدوها انما كفروا بها لانها خالفت العادة فكذبوا بها . وهذا الرجل يدعو الناس الى التكذيب بكل ما يخالف العادة ويدعي أن هذا هو الايمان . وإياك أن تفهم من كلامنا هذا أننا نقول انه لا

---

(١) ويكون حينئذ قائلا بقدم العالم مع الله وهو كفر

ربط بين الأسباب والمسببات وسائح مطلق - كما هو مذهب طائفة من أهل
الكلام - أو مذهب كما هو مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث بأن بين الأسباب
والمسببات ترابطاً وثيقاً وأن كل مسبب فهو لازم لسببه، لكن هذا الربط
غير خارج عن المشيئة والقدرة بل هو داخل تحت قدرة الله ومشيئته العامة،
[illegible]

[illegible]

وما لهم بذلك من علم﴾ . [illegible] فقال في بحث
التوكل : «والإيمان بعدله يوجب [illegible] التسوية بين الأحداث بالأسباب
بدون نظر إلى الأشياء التي لا تتصل بذلك وبدون نظر إلى أسبابها ومداخلها
في أحد [illegible] ولا [illegible] يعني فهذا
هو الإيمان بالعدل عنده . [illegible] كالعدل الذي
[illegible] التسوية
بين الأحداث [illegible] بدون نظر إلى [illegible] ومداخلها في أخذ [illegible]
من [illegible] وكان [illegible] في الأسباب المادية كما لا يخفى ،
فمسلم كالكافر عنده في كل [illegible] كما لا
تأثير للمعصية ، [illegible] النصر منه وطلب الإعانة على العدو
والإعانة لا [illegible] لا تأثير [illegible] كما
أن [illegible] الله [illegible] لا تأثير
له أيضا ، لأن هذه كلها عنده [illegible] كعدمها ،
كما ادعى بأن دعاء الله ليس [illegible]
[illegible] الأسباب المادية ،
لأنه [illegible]
يشرع له الدعاء ويستجلب بالطاعة [illegible]
الخيرات والبركات [illegible] كالمنافع
الجسمانية ونحوها . هذا هو العدل عند [illegible] كما هو صريح كلامه [illegible]
فإنه قال : «الإيمان بالتسوية بين الأحداث والأسباب بدون نظر إلى الأشياء التي
لا تتصل بها [illegible] أشياء أخرى
هي نتائج أخرى فهي لا تتصل بها [illegible] وبدون نظر إلى أسبابها
ومداخلها [illegible] فلا [illegible]
له نتائج أخرى [illegible] في أخذ [illegible] ولا [illegible] يعني [illegible]

يأخذ بالسبب فلا ينفع سببه سواء فى ذلك كل من الكافر والمسلم . فلو تقاتل
قتال مسلمون وكفار فالغلبة لمن هو أقوى سلاحا أو أكثر قوة مادية منهما
قطعا . وهذا ادعى فيما يأتى أنه اذا تقاتل اثنان فالله مع أقواهما ، فجعل الله مع
القوى منهما . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا . ولو
دعا اللهَ المسلمُ وعبده وصدق ونصح معه فكما لو دعا وصدق ونصح مع صنم
فانه لن ينفعه ذلك فى الدنيا أبدا لأن الخلق الدينى لا يتصل بذلك من جهة نتيجة
أخرى هى المهارة والتصرف الخبيث والتعويق كما صرح به فيما يأتى . فيكون
زيادة ضرر . فلا ينفع المؤمن من قبل العناية الربانية لايمانه وعمله الصالح
وتقواه ونصحه مع رب العالمين ، بل ينال بها كله الخيبة والفشل وسوء العاقبة
حتى يكون سلاحه المادى مقابلا لسلاح أكفر موجود على وجه الأرض ولو
كان ذلك الكافر محاربا لله ورسوله ولأنبيائه وللدائنين به ، فإن هذا لا يضره
شىء أبدا إلا اذا نقص سلاحه المادى ، لأن خلق الكفر لا يتصل بذلك ،
هذه هى العدالة الشاملة عنده ، وهذا هو عدل رب العالمين وأرحم الراحمين
وبحسب دعوى المفطرين عند هذا الملحد كما يقول . لأن العدل إنما هو لنواميس
الطبيعة فهى التى تحكم هذا العالم على مقتضى هذا العدل الذى ذكره . فلو كانت
عصا موسى مع فرعون لكانت هى هى لا تختلف لأنه سبب مادى والطاعة
والمعصية ليس لها اتصال بذلك ، ولأن نواميس الطبيعة هى التى تحكم هذا العالم
على مقتضى التسوية بين الآخذين بالأسباب من المسلم والكافر كما هو صريح
كلامه ، وكذلك بساط سليمان لو ركبه غيره لطار به ، لأن كلا من هذه المسائل
أسباب مادية والأسباب المادية لا تعنى بطاعة والمعصية فيها شىء كالمسائل
الرياضية التى لا تختلف نتائجها باختلاف الخائض فيها لأجل أديانهم ومبادئهم ،
لأن الحكم للنواميس التى تسير على مقتضى التسوية بين الذين آمنوا وعملوا
الصالحات والمفسدين فى الأرض ، وأمثال هذا كثير ، وكلامه كما لا يخفى فى
الأسباب المادية كما صرح بذلك وإلا فالأسباب الدينية عنده مبتورة من

حسناتها وتأثيره . فمن فهم السبب الديني لم يسمع منه أبدا ولا ينال الا الخيبة
والحسرة . لانه قال ان الدعاء ليس بوسيلة وليس له من فائدة . هذا لفظه
كما ترى . فجعل من أتى بهذا السبب الأعظم الذي شمل أثره الوجود كله وهو أقوى
سبب في الوجود اذا عمل به على وجهه النافع وسلم من المعارض ، جعل من
أتى به لا يحصل له مسببه وليس بسبب وليس له من فائدة . فالتسوية عنده
والعدالة الشاملة كون المسلم كالمجرم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الأرض ، والمتقي كالفجار في تحصيل نتائج هذه الأسباب المادية الكونية ،
فانه جعلها كمسألة الرياضية وجعل تغيير الله لها ونفع المسلم واعانته دون
الكافر تشويشا واضطرابا ، فحصر قدرته وأفعاله في حقه عن مقتضى الحكمة
الى هذه اضطرابا وتشويشا وتشويها لسمعة المشيئة العليا ، والله يعلم من فوق
عرشه أننا لم نظلمه في هذا وقد خاب من افترى . ومن العجب أنه لم يفرق بين
المسائل الرياضية وبين غيرها . فان المسائل الرياضية أمور أكثرها تجمع عليه
بين الناس لا علاقة له بالطاعة والمعصية لانها أمور مباحة مشتركة . بخلاف
الطاعات والمعاصي فان الجزاء مرتب عليها في الدنيا والآخرة . ومعلوم أن
سير الكون يختلف . فليس سير الأفلاك المضبوط الذي لا يختلف أبدا في
الحساب كاتيان المطر ووجود الأمراض العامة فان سير الأفلاك والمسائل
الرياضية تعرف بالدرس والحساب . بخلاف اتيان المطر والأمراض فانها
لا تعرف بذلك أبدا . فالمطر ـ وكذلك المرض ـ وان عرفت المادة التي نشأ
منها فانه لا يعرف وقت مجيئه بالتحديد كما لا يعرف مقداره بالكم والكيف .
فحصر هذه المسائل بعضها ببعض وجعلها كمسألة رياضية كذب ظاهر وتحويل
لسنة الله في خلقه . وقد جعل الله سبحانه لخلق بعضه وتحصيله أسبابا بالطاعات
ولم يجعل لتحصيل أو تغيير بعضه أسبابا . وجعل لبعضه آثارا بسبب
المعصية كالقحط وبعضه ليس كذلك . فكون الدعاء والصدقة وأمثالها من
الطاعات له أثر في جريان هذه السنن الكونية أمر معروف ثبوته بالادلة

اليقينية الاضطرارية التي لا تمنع ، وعلمنا بالضرورة أنه قد جاءت به شرائع
السماوية بجملتها ، وقد ثبت وقوعه بالضرورة في الحس والمشاهدة والاستقراء ،
فمحاولة نقضه كمحاولة نقض الشرائع جمعاء والسفسطة في المعقولات ، فإن
الدعاء [illegible] الاعظم [illegible] من الصلاة فإنه [illegible] . وإن الصلاة
لا تصح بدون الإتيان به فيها ويأتي في غيرها ، بل يأتي في جميع الأعمـــال
القولية والعملية والمالية ، فهو السبب الأكبر بين الله وعباده ، فمن جعله مصرفا
حسنا فقد [illegible] الله ورسوله [illegible]
على [illegible]

وإن [illegible] لتقطع بعضه ببعض
[illegible] السنن كلها جميعا على وضعها [illegible]
ما [illegible] وقطعها وصادمها لم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في [illegible] واهية لا تماسك كما قال تعالى . [illegible] الله
وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور [illegible]
كل عبادة [illegible] فهو ضد السنن الدينية
[illegible] والإسراف والمغالاة في [illegible] الأخذ ببعض السنن
[illegible]
[illegible]
[illegible] كون الأعمال الدينية [illegible]
الأعمال [illegible]
يأتي في [illegible] . والحق أنه [illegible] كما أحمد

نسبته الكونية فإنها كسنة واحدة في ارتباط بعضها ببعض

فتبين بهذا أن هذا الرجل جعل السنة والفوضى التي لا ضابط لها هو العدالة الشاملة . فإنه لا شك عند كل عاقل أن من سوى بين الصادق الناصح معه المجتهد في طاعته وامتثال أوامره ، وبين الكاذب المخادع الفاجر الذي قضى عمره في معصيته والتمرد عليه أنه ليس بعادل ولا حكيم ولا رشيد . وإذا قال هذا الملحد إنهم كلهم خلقه فيجب مساواته بينهم قلت له : إن كان عليه وجوب المساواة بينهم في كونهم خلقه فأنت والكلب إذن سواء من هذه الناحية ، فاحكم على نفسك بهذا واقبل كما تقبل أو كما تقبل سائر البهائم ، ولا تأمر ولا تنه ولا تطلب التقدم في الأمر على الناس وأنت مثلهم وإلا كنت متناقضا ، وهذا ظاهر . فقد اتضح من كلام هذا الرجل أنه فسر عدل الله سبحانه بضده ، ففسر العدل بعكس العدل ، كما فسر قدرته بعكس قدرته ، ثم إنه فسر الحكمة بالعدل فقال في تفسير الحكمة : والإيمان بحكمته يوجب الإيمان بهذا أيضا ، يعني بما فسر به العدل . وقد سبق كلامه في العدل والجواب عليه

ثم قال : إذ لو لم يكن الأمر كذلك لوقع الناس في الفوضى الاعتقادية ، ولن ينجو منهم من الفوضى إلا إيمانهم بالعدل ، والارتباط بين الأسباب والمسببات . انتهى

فيقال له : من شاء الله يا سعيد زمانه ، لو لم يسر نظام الله على وفق رأيك الغريب واعتقادك الوهمي لوقع الناس في الفوضى ولن ينجيهم من هذه الفوضى إلا هذه المذاهب المرذولة والعقائد الساقطة والمجاري المضحكة التي جعلتها في هذه الأغلال . ويل لك ثم ويل لك ثم ويل لك . كيف لا ينجيهم إلا الكفر بقدرة الله على تغيير الأسباب وقطع الترابط بينها وبين مسبباتها إذا شاء ، فتبا لك ما أضعف عقلك وأقل حياءك . وإذن فلا غرابة أن تدعو لنفسك أن تكون المقدم في الأمر وأن لا يرجع إلا إليك ولا يطلب إلا أنت فإنه لا نجاة لهم عن هذا إلا بإرشادك وهدايتك وإلا سقطوا في الفوضى التي لا نجاة منها

ثم انه فسر الايمان باخباره تعالى فقال : وكذلك الايمان باخباره فانه اذا
أخبر أن شيئا سبب لشيء وجب التصديق ووجب التكذيب لما يخالفه ، فيقال
أولا : أنت كفرت بهذا ، فانه أخبر بأن الدعاء وسيلة الى الاجابة فعكست
اخباره وقلت انه ليس بوسيلة وليس له من فائدة وقد قال في كتابه العزيز
﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ فقلت في اعلانك : ان الدعاء ليس بوسيلة ، وليس
له من فائدة ، وقلت : ان الدعاء ملهاة ومصرف خبيث وتعويق ، فعاندت الله
أعظم المعاندة ، فأين ايمانك باخباره وقد أخبر في مواضع أكثر من أن تحصر
بأنه قطع الأسباب عن مسبباتها وتخلفها كما في المعجزات فانه جعل النار بردا
وسلاما على ابراهيم فقلت انه لا يغير في الأسباب فيجعلها ان شاء أسبابا
ويجعلها ان شاء غير أسباب . ثم ذكرت أن ذلك فوضى وسفه ، فقد كفرت
باخباره ثم هذا القول الذي ادعته في الايمان باخباره قول محض قاصر
معروف مرادك به ، بل الايمان باخباره هو الايمان بكتبه وتصديق رسله في
كل ما جاءوا به في الأسباب وغيرها من الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ،
والقصص التي تتضمن نجاة من آمن وعمل صالحا ، وهلاك وعقوبة من كفر
وتمرّد ، والايمان بالبعث والجنة والنار وجميع ما في يوم القيامة من الثواب
والعقاب وغير ذلك مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فانه سبحانه
وتعالى أخبر بهذا كله كما أخبر بأنه كل يوم هو في شأن وأنه يمحو ما يشاء
ويثبت وعنده أم الكتاب ويعز من يشاء ويذل من يشاء لا معقب لحكمه ولا
يسأل عما يفعل وهم يسألون ، له الحكمة البالغة والعدل الشامل فهو يثيب المطيع
ويدافع عن الذين آمنوا ويعاقب العاصي الكافر المتمرّد ويذيقه وبال أمره ولا
يرد بأسه عن القوم المجرمين وان حزبه هم المفلحون وحزب الشيطان هم
الخاسرون وأنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد
ويذل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، فكل هذا أخبر به وقد وقع بالحسّ
والعيان ورآه كل مستبصر ، بخلاف من حقت عليهم كلمة الله فانهم لا يؤمنون

ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وبالجملة فجميع نصوص الدين من الكتاب والسنة يجب الإيمان بها والاستسلام لها . وهذا الملحد عاكسها وصادمها وعاندها . فادعى أن الثناء على الله وحده وتعظيمه في أعظم مظهر إسلامى أسبوعى إحدى النكبات ، وأن المساجد أدت شر ما يؤدى ، وأن الأخلاق الدينية كالدعاء ملهاة ومصرف خبيث ، وأن الإيمان بالله وسيطرته على الأسباب يوجب عدم النجاح ، فأين الإيمان ، فليس وراء هذا كفر . وإنما اقتصر على الإيمان بالأسباب لأنها هى قصده فاقتصر على ما يهواه وأعرض عن ما سواه ، لأن مقصوده بهذا الإيمان أن الأسباب تجرى بطبعها ليس لقوة من القوى أن تقف فى سبيلها ، فلا يمكن أن تخضع لقوة الإلهية ، فتغييرها عن عوائدها الطبيعى محال ، فلا معجزة ولا كرامة ، بل ولا غير ذلك من هذه الأمور المشهودة فى كل وقت ، فالمعجزات عنده كذب لا أصل له وخرافات وأوهام . هذا هو مقصوده بلا شك كما فسره بذلك فى المواضع الأخرى . فتفسيره للإيمان بالجبارة كتفسيره للإيمان بقدرته وعدله وحكمته فإنه فسره بالكفر بالجبروت فى تغيير الأسباب وانقضاض سننها كما فى المعجزات . والمقصود أننا نعتقد أن الله سبحانه وضع هذا الكون لعظيم سننا لا تبديل لها ولا تحويل وإن هذه السنن تسير على وفق مشيئته الصادرة عن علمه وحكمته ورحمته ، فما شرعه لنا من الشرائع الدينية التى مدارها التقوى والعمل الصالح فهو من سننه التى لا تبديل لها ولا تحويل ، كما أن ما خلقه وتحرك على ما تقتضيه مشيئته القاهرة الصادرة عن علمه وحكمته ورحمته من نتائج هذه الأسباب الكونية المادية فهو من السنن التى لا تبديل لها ولا تحويل ، فقد اتفق شرعه الكونى وشرعه الدينى ، فمن حاول أن ينقض سننه الشرعية كما فى إثابة المطيع ومعاقبة العاصى فيجعلهما سواء فلا شك أنه محارب لله مصادم لسنته محاول نقضها ، ولهذا قال تعالى ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون ﴾

فأخبر أن هذا حكم سوء وجور. وانظر سقط من هؤلاء الذين حسبوا
أن الله يجعل من آمن وعمل صالحاً كمن اجترح السيئات، فأعطاه كل عامل
جزاء عمله هو محض عدل وحكمة والرحمة. وأما جعل الجزاء واحداً
والأعمال متضادة فهو جور وظلم لا يليق بالله، كما نزه عنه نفسه وجعله ظناً
للذين كفروا حيث قال: ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من
النار. أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل
المتقين كالفجار. وكلام صاحب الإعلال كله يدور على مراغمة هذه النصوص
وردها ومعاكستها، فجعل الحسنات والسيئات وأردأها وأحسنها وأقبحها عامله الله بعدله
فقد ظهر لك أن دعواه أن يتناول الأسباب ومسبباتها تنتج كمسألة رياضية
كلام ساقط لا يعتد به، فإن المسائل الرياضية يعرفها الناس ويحيطون بها علماً
وأكثرها ليس فيه خلاف. أما سر الكون فليس كذلك ﴿قل لا يعلم من
في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ فمن الذي
يحيط بدقائق هذا الكون العظيم ويعلمها. وقد علم بلا شك أن هؤلاء الذين
عرفوا المسائل الرياضية وعرفوا من سنن هذا الكون ما لم يعلمه غيرهم إلا
من شاء الله هم الذين سقطوا فيما سقطوا فيه من الضلال البعيد، فلو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. فالذين عرفوا المسائل الرياضية جهلوا نتائج
الكون وضلوا فيه أعظم الضلال فكيف يكون سر هذا الكون العظيم وتناول
نتائجه كمسائل الرياضة البسيطة، فقياس سنن الشريعة الدينية وسنن الكونية على
المسائل الرياضية من أفسد القياس وأبطله، وهذا الرجل نفسه قد تناقض في هذا
الطريق المتناقض فلم يثبت له فيه قدم كما سوف يجيء.

وها هنا قاعدة يجب ملاحظتها في هذا الموضع وهي تأتي في بحث الأسباب
وهي أنه لا يوجد في الموجودات سبب واحد مستقل بإيجاد مسببه دون
سبب آخر يجتمع معه أو سلب أو أسباب أخرى تشترك معه فيه. ثم إذا وجدت
الأسباب فلا بد من انتفاء الموانع والعوارض فإنه لا يوجد سبب في الموجودات

لا مانع ولا معارض له فى الوصول الى نتيجته وهذا من آيات الله فى قطع علائق الكفر والالحاد من النفوس . فان المفتقر الى غيره العاجز عن الوصول الى نتيجة الا باعانة ودفع عنه لا يصلح أن تعتمد عليه وترفع به الفاقات والحاجات ، بل ان ذلك كله انما يستحقه من له المشيئة المستقلة بالتصرف المطلق ولا مرد لقضائه ابدا

واذا كانت النتائج لا تحصل الا بهذه الأمور المذكورة ، فهى تختلف أيضا باختلاف أسبابها ، فمنها ما تكون أسبابه [illegible] واضحا قليلا ، ومنها ما تكون أسبابه كثيرة خفيه ، ومنها ما تكون له أسباب قليلة خفية ، ومنها ما تكون له أسباب كثيرة ظاهرة وخفيه ، ومنها ما تكون أسبابه ظاهرة وخفيه وهذه مراتب فمنها ما لا يضر فيه كثيرا تخلف بعض أسبابه ، ومنها ما لا بد من وجود أسبابه كلها كاملة ثم وجود الأسباب بكاملها فى هذه الصور كلها لا يكفى فى حصول النتيجة بل لا بد من عدم كل مانع ومعارض ثم الموانع والعوارض منها ما هو كثير ظاهر ، ومنها ما هو عكسه ، ومنها ما يكون بعضه ظاهرا وبعضه خفيا على حسب الاسباب والنتائج فى الكثرة والقلة والضعف والقوة والاهمية وغير ذلك . ثم الاسباب منها ما يكون فى طاقة الانسان تحصيله وعمله أو تحصيل بعضه كما فى كثير من الصناعات ، ومنها ما هو خارج عن طاقة الانسان تحصيله وعمله كانزال المطر الذى هو منتج لكثير من الحوادث من الخيرات وغيرها ثم الاسباب أيضا منها ما هو سبب مباشر بنفسه ، ومنها ما هو سبب بالواسطة فانزال المطر ونحوه من الأمور التكوينية التى لا يقدر عليها الا الله إنما تحصل لها الأسباب المعينة ، وايجاد الحيوان والنبات ونحو ذلك وايجاد الخواص لا قدرة للانسان على شىء من ذلك أى فى خلقه وإيجاده . وكذلك الموانع منها ما فى امكان البشر اتقاء أسبابه أو بعض أسبابه الظاهرة كحفظ الزراعة بالسياج والتنقية والتعلم وأمثال ذلك . ومنها ما ليس فى امكان الانسان استعمال أى سبب فى اتقائه كارسال البرد والثلوج والصواعق والقواصف

والعواصف ونحو ذلك من الآفات السماوية والارضية . فنتائج الأسباب كلها لا بد أن تتعلق بشيء من الأمور الغيبية وتتوقف عليها مما ليس في امكان البشر قهرها وردها وتحصيلها ونحوها ومعلوم أن الأسباب انما يتصرف فيها ويعمل بحسب الأفكار والمقاصد ، وهما أصلا الاعمال البشرية ، وقد علمت أنها عاجزة عن ايجاد نتائج مستقلا فلا بد في حصول كل نتيجة من ملاحظة وجود سبب غيبي ، والسبب الغيبي يختلف في تخصيص نتيجته وأثره [illegible] ولذلك تتفاوت أعمال العبد المترتب عليها حصول نتائج الأسباب الكونية . فان النتائج على حسب الأعمال فهي جزاء عنها وأثر لها ومن أجل هذا أن الانسان عاجز عن [illegible] بذاته عن تخصيص النتائج بقدرته الذاتية ولو أهلك نفسه بالاجتهاد والجد في العمل وأعطى من الوسائل ما يمكنه مما لا يمكن حصره حتى يؤيد من العناية الربانية الغيبية بما تتوقف عليها وتتعلق به من الأسباب التي قدرها ووضعها

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

فقد علم من هذا التقرير أن الأسباب ومسبباتها نوعان : نوع عادي بسيط كالأكل والشرب والصناعات والمسائل الرياضية وأمثال ذلك . فهذه الأمور يتساوى في حصولها الأخذ بها النوع الانساني عامة من مؤمن وغيره لأن هذه الأمور خلقها الله لعباده جميعهم وسخرها لهم ومكنهم من معرفتها يستعملونها لقوام حياتهم وليتقوا بها فتكون حجته عليهم اذ أعطاهم كل ما به يتمكنون من أداء ما خلقوا له من طاعته فهي متاع لهم حتى ينظر كيف يعملون . فكان الناس فيها عالمـــا سواء .

وأما النوع الثاني وهي الأمور العظيمة كالمعجزات التي هي خوارق للعادة والكرامات والأمور الأخرى الخارجة أسبابها عن طوق البشر كتسخير القلوب والارادات وقلب الأفكار التي هي من أسباب الهزائم والحروب والانتصارات وأمثال ذلك مما فيه إحقاق الحق وإبطال الباطل أو العقوبة والانتقام فلا بد

أن يكون للنتيجة المحمودة الغلبة للمؤمن خاصة دون الكافر، فلا يكون التقدم
والنصر إلا في جانب المؤمن أو أتباعه فقط ولو خرق العادة وإبطال سنن الله
إن كان الجند مؤمنا كله إيمانا خالصا ومضاده كافرا كفرا خالصا كان النصر
في جانب المؤمن حتما، وإن كان كل من الجيشين متصفا [illegible] له على
آخر، وكذلك إذا كان [illegible] كافرا أو كثر ما يقع [illegible] لأنه نوع
انتقام، وإن كان الجيش مؤمنا لكنه [illegible] من التعالي وجوده [illegible]
تقع فيه جريمة أحيانا تمحيصا وتربية، وبكل حال فالنصر إنما يكون في
جانب الإيمان فإن الحق قوي بنفسه [illegible] في وجوده لأنه أقوى
منه وبقوة فوق بعضهم في وجودكم (١) [illegible]
فلا بد أن يكون مستصحب الحق أخص فوق صاحب [illegible] حتى يحصل
الامتحان والاصطدام الفاصل قال تعالى [illegible] ولو
كره المجرمون، وقال تعالى [illegible] لهم
المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون، وقال تعالى في [illegible]
[illegible]
وقال في قصة [illegible]
الآية، وقال في إبراهيم [illegible] على إبراهيم [illegible]
به كيدا فجعلناهم الأخسرين، وقال في لوط وقومه [illegible] إلا
امرأته كانت من الغابرين، وكذلك قصة شعيب وموسى مع فرعون وعيسى
عليه السلام حين عرج به إلى السماء [illegible]
وانتصار النبي ﷺ ثم أصحابه على قلتهم وضعفهم في الأسباب المادية
وأعداؤهم أكثر عدة وعددا وثروة، ثم كان أهل القرون المفضلة كذلك لما
كانوا محافظين على أصل دينهم وروحه مستمسكين به في الجملة وكان الحق ظاهرا

---

(١) والأسباب الدينية أقوى من الأسباب [illegible]

فيهم ، فعند أن حوى بعض الصفات كالعلم والكلام وغيره تحول عن الدين ، وعين الله على من غيره ، وهذا أمر ظاهر تشهد له النصوص والتاريخ المتواتر والحس والضرورة والاستقراء التام ، ولا يمكن محال أن توجد فى الدنيا معركة فاصلة إلا كان أصحاب الحق فيها هم المنصورين ، وما يوجد من بعض الهزائم الجزئية فهى لا توجد إلا فى جند مدخول بما ذنوب أو غيرها ، وأكثر ما يوجد إذا كان فى الجند ملاحدة أو منافقون ، فيكون كالتمحيص والابتلاء وتمييز المنافق المحق ومن فى قلبه مرض من المؤمن الصادق كما قال تعالى «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب» . أما الأمور العظيمة التى يحصل بها الفتح الحقيقى الفاصل القاطع بها فلا يوجد إلا والنصر فى جانب المؤمن حتما كما هو الواقع الذى لا شك فيه

فصل

قال [illegible] العلماء [illegible] ومما يجب أن [illegible] أن [illegible] قوما [illegible] ، وإذا ما [illegible] أن [illegible] حق [illegible] ما يجب أن [illegible] كان من السير [illegible] ومن تحقق [illegible] أن [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] فى [illegible] حقوق الله [illegible] وأمرهم [illegible] أى فى الكمال ، [illegible] الله قد [illegible] حقيقة [illegible] وأما [illegible] أوصى [illegible] قوة [illegible] ، [illegible] الله حق لا شبهة [illegible] كامل [illegible] ، [illegible] أشده فى وقت من الأوقات كما [illegible] ، فالحيوان وعلى [illegible] الإنسان [illegible] والنبات والجماد خلقت وفيها عناصر الشوق الطبيعى الآلى والشوق الاختيارى الإرادى إلى الكمال ،

فمن هذا [illegible] عن ما ذكره من [illegible] التى هى [illegible] حيث قرر أن [illegible] التى [illegible] أصل [illegible] على ما

من تفصيله . هذا هو الذي يريد أن يفهمه قومه وأن يسيروا عليه مع تلك الخزعبلات الأخرى التي لا تحصى . والذي نقوله نحن والذي يجب أن نفهمه وأن يفهم كل عاقل مدلوله ومقتضاه صريحا هو السير على مقتضى الأوامر السماوية الدينية طبق ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة كما قرره الصدر الاول والقرون المفضلة في أصول الدين وفروعه وأن يسيروا على ذلك سيرا حثيثا صادقا قويا . وأن يفهم كل عاقل أن من خرج عن هذه الطريقة المستقيمة النيرة الواضحة من الطرائق المعوجة الخبيثة المنتوبة الوعرة كطريقة هذه الاغلال فيجب ان نضرب به عرض الحائط وأن نضرب به وجه من جاء به . نعم إن الذي يجب أن نحذره وأن نبعد عنه هذه المذاهب السقيمة وهذه الموارد القذرة المسمومة الفاسدة . وأن نطلع على هذا الكوثر السماوي المطهر الطاهر المشروع الذي شرعه الحكيم العليم وأنزله من فوق عرشه مع أفضل ملائكة السماء على أشرف نفس بشرية . هذا الكوثر الذي فيه شفاء المسلمين . وما حل بالمسلمين ما حل من البلاء والنقمة والأدواء المتنوعة إلا لأنهم أعرضوا عنه أو قصروا في الانتفاع منه وذهبوا يطلبون الشفاء من غيره ، فكرعوا في هذه الأمواه الآسنة المتعفنة المتسربة من حضارة أهل الروس وفرنسا واليهود أو أشباههم . فمن يهتدي أو يداوي نفسه بهذه الآراء الموبوءة وأمثالها فأنى له الشفاء وإن به الإخلاص وأنى له حياة صحيحة نافعة

لقد عرف الفرق الواضح بين من يعتمد على كتاب الله وسنة نبيه وهم أولئك المؤمنون الصادقون ، ومن يعتمد على هذه الموارد الخبيثة المسمومة القذرة عصارة أفكار اليهود والزنادقة وأشباههم كصاحب هذه الاغلال

لقد عرف بنو إسرائيل حين اختاروا الثوم والعدس والبصل على المن والسلوى ، فضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . فكيف بمن اختار آراء هؤلاء الأشقياء من اليهود عن سنة نبيه وعض عليه وجعل منه عقيدة وحاربه وتسلط بها على النصوص

تحاويه نظام ة التركيبة من كلام الله العليم الحكيم الرءوف الرحيم . ولهذا كانت
النتيجة في هؤلاء الذين نبذوا هذه النصوص المقدسة أو أخذوا بها أخذاً
ضعيفاً متطرفاً ، وتعلقوا بهذه الآراء الخبيثة وعشقوها ، أن عوقبوا بمثل ما
عوقب به أمثالهم وأسلافهم ، فضربوا بالذلة والمسكنة فأصبحوا في هذه
القيود والأصفاد والأغلال التي كانت عليهم فثقلت كواهلهم . فكلما أرادوا
النهوض والتخلص منها عجزوا عن ذلك وارتكسوا في قيودهم وأغلالهم جزاء
ما كسبت أيديهم برفض ما فرض الله عليهم ، فلن يتخلصوا منها ولن يجدوا
عنها محيصاً حتى يلقوها عن كواهلهم ، وحتى يخرجوا من أسبابها وعللها التي
اقترفوها ، وحتى يعلموا أن أسلافهم الأقوياء العظماء في القرون المفضلة
لم يبلغوا حضارتهم وعزتهم [illegible] وأفهموا قومهم
سبل العز والفلاح وأنه التمسك بهذا الدين المتين والنور المبين . هذا هو الذي
يجب أن نفهمه [illegible] وأن [illegible] عليه [illegible] وهو
[illegible] والله [illegible] في [illegible] أن نفهم قومنا بأن
[illegible] على [illegible] في [illegible] هذه [illegible] أنه من الحقائق
[illegible] ومن هذه الحقائق [illegible]
والمواصف [illegible] وحوش . وأن [illegible] فإنه مع
[illegible] وأن أعظم [illegible] الإسلامية [illegible] التي خطب عليها يوم جمعة
أدت شر ما يؤدى ، وأن المساجد التي تؤدى فيها الصلوات أدت شر ما يؤدى
وأن هذه الخطب [illegible] كلمات [illegible] مبهمات ،
وأن الصلاة حركات يتلوها [illegible] ، وأن الدعاء ليس [illegible] وليس له
من فائدة سوى أنه [illegible] وتعويق
ومصرف [illegible] ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يستطيع [illegible] الطبيعة
وأنه [illegible] رسالته [illegible] أيضاً ، وأن تعليم المرأة
أوجب من تعليم الرجل ، وأن الزوج تحكم في المرأة لا يجوز ، وأن [illegible] على

تغير الاسباب نوعى وسعه ، وان المدنين على اخلاف ديارهم وأجناسهم وأعيانهم وأ منتهم وأمزجتهم لم يهبوا الحياة شيئا جديدا ولم يكونوا فيهما مخلوقات مألفه . وأن الذين صنعوا الحياة وصنعوا لها العموم المتكررة هم المحسنون من الأديب . وأن الانسان لن يصح حتى يكون سمنا محض . ولا يكون سب ما دام مؤمنا بقدرة لله شامله لمصرفه في الاسباب . وأمثال هذه الاراء سكثيرة لمعونة . والاعتوات احتيم والمحاولات المادة . ويس امك متى سولت بث هذه أو عقلت أن لمدنيين أو أن لمرونة شاء و مر تصحك بعقولها حتى تسجل هذه الحاء في نوسه . تدعي أنهم لن يستغنوا عنها ، وأن النجاة في العمل بها والسقوط في تركهما ، ثم توجب عليهم فهمها وافهامها والعمل بها ، لقد ضللت إذن وما أنت من المهتدين .

أما قوله وان الله خلق حقيقة لسير الى الكمال والى الحياة القوية ، فيقال الذى دلت عليه الشرائع والعقول السليمة أن الله خلق حقيقة لعبادته ، فالتمسك بدينه وعبادته هو سبيل الوصول الى الكمال الممكن في حقهم والى الحياة القوية . وأرفع الحياة القوية هي الحياة الأخرى في نعيم مقيم . ولكن انت جعلت هذه الطريق لا فائدة فيها فصددت عنها وحسبتها عوجا . لانك ادعيت أن طريق مجد ينحصر في الاخلاق الصناعية والتجارية ونحوها وجعلت الأخلاق المدنية لها نتائج أخرى . وادعيت أيضا أن سبب ذلك شيء واحد هو الجهل بنواميس الطبيعة كما مر . فقد خالفت الطريق الصحيحة الى الكمال والحياة القوية . واتخذت طريقا هو جهالة مضلة لا يسلكها أحد الا عطب وتلف .

ودعواه أن الله قد أتى حقيقة نحو الكمال ، وأن أهلها مهيأة لأن تبلغ أقصى ما في الحياة من قوة ونجاح ، (١) فيقال : لكن أنت لم تقبل الهدى الذي أتاه

(١) سيأتي دعواه أن الانسان طبيعته شريرة حيث قال

حيها من البذور الطيبة الظاهرة . من عبادته وحارثه وزهقته وجعله منهاة
ومصرفا خبيثا وشرا مؤذيا . وهو الدعاء والثناء على الله والتوجه إليه بعبادته
القولية والقلبية . فإنك قررت بصريح عبارتك أن الدعاء هو العبادة بلا خلاف ،
ثم قررت أنه لا فائدة فيه بل هو ملهاة ومصرف خبيث . وقررت أيضا أن
الدعاء كالصلاة والحج وغيره من العبادات الخاصة بعبادة الله التي أنزلت لأجلها
الكتب وأرسلت لأجلها الرسل والتي هي بذور الكمال الممكن بسبب شيء غير
الصبر والتعويق . فالتقوى والعمل الصالح والإيمان بالله هو بذور الكمال الممكن
كما قال تعالى : وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا . فبذر فيهم توحيده والاعتراف بربوبيته
وألوهيته وهم في أصلاب آبائهم . وجعل ذلك بذرا ينبت عليه ما يأتيهم على ألسنة
رسله من النور والروح والهدى والبينات التي هي الإيمان والعمل الصالح فعمدت
أنت إلى هذا البذر الطيب فجعلت أقصى ما في وسعك لإفساده وقطعه عن ثمرته
وقال تعالى : يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى
وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . فعلق سبحانه عدم الخوف والحزن على
التقوى والعمل الصالح ، فدل على أن بذور القوة الصحيحة التي لا يدخلها خوف
ولا حزن هي التقوى والأعمال الصالحة وأن من فقدهما أعراه من القوة
والضعف بقدر ما فقد منه . وقال تعالى : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى
فلنحيينه حياة طيبة . فعلق الحياة الطيبة على الإيمان والعمل الصالح ، ولا من
فقد هذا فقد من الحياة الطيبة بقدر ما ترك من الإيمان والعمل الصالح ، ولو
أن يوجد في الدول الكافرة دولة تعلو عليه في زمن وقت ... لا تصلها
فيه مكنه ... تلك المدة هي التي يمكن أن يعيش فيها الإنسان طول حياته هذه
مطمئنا . وليس في شيء من النصوص أن الكمال والحياة القوية في علم الطبيعة
ونواميسها . إلا على مذهب الملاحدة ومن تحت أثرهم من الذين لا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر من أصناف المنافقين

أما ما ذكره من أن الله خلق الأشياء لتكون كاملة لأنه كامل ، فهذه الفلسفة الباردة والادعاء المرذول لا تصح ، بل هو باطل . فإن الله هو المختص بالكمال الذي لا غاية فوقه ، أما خلقه فمختص البعض منهم بالكمال الممكن في حقه كل بحسب تقواه وصلاحه ومعلوم أنه لو كان الخلق مثله في الكمال لكانوا أربابا ، وهو باطل بالضرورة . وتعليله باطل أيضا لأنه مجرد دعوى لا أساس لها فتقابل بالرد

وقوله « وستبلغ أشدها في وقت من الأوقات ، في آخر دقيقة » : هذه دعوى غامضة إن صح ذلك في أمر نضعه في وقت القيامة في نعيم مقيم . فلا حجة لك في هذا

ويجب أن نعرف أن نلاحظ أن هذا المتخبط حيث في هذا الكلام ، فإنه خالف كبراءه وهذه عبارات مسوغة مدخول لشيء من حجته (١) وهو يرى أن معلوم المادية والمعرفة وتقضي بسببه في تقسيمه مسطور ، حتى نص بعض أن جنة المقصود فيها على جميع شقاء من الأمراض والأسقام والموت والهموم وغير ذلك من منغصات الحياة . وهذا لا يمكن نكرانه

فصل

ثم قال « وقد حدثت النعمة أن هذه الشمس ستصير في وقت ما ، هذه المجموعة الشمسية وكل هذه الأفلاك التي ترى متلألئة في حركة لمن الأصم وهذه الأرض التي صارت من كائنات وقوتها نبتت النبات والحيوان وكل ما فيها مما يجل عن الحصر وستصبح وتمسا بسعة الإنسان وبه راحة والعيش الذي ،

---

(١) بل صرح فيما يأتي بأنه ينتظر من فتوحات الإنسان العلمية أن يقضي على جميع صنوف الشقاء قضاء تاما

حدّث العلماء أن كل هذه الموجودات خلقت - أول ما خلقت - لا تصلح لشيء مما هي صالحة له اليوم ، ولم تكن شيئاً له قيمة بالنسبة الى ما صارت اليه اليوم ولكنها بفضل ما وضع الخالق فيها من الاستعداد للكمال والتقدم تدرج الى غاياتها وتعدو في صراطها جادّة لا يعوقها عائق ولا يصدها صادّ ، حتى أصبحت اليوم شموساً ونجوماً وكواكب لامعة ، تغمر الوجود بهجة وجمالا وحسناً وضياء .

فيقال : هذا برهانه على ما ادّعاه في الخصلة التي نقلها من نزوع الناس الى الكمال ، ولكنه دليل على فساد هذه الدعوى لأنه أعرض عن النصوص الدالة على الوصول الى الحقيقة الصحيحة القوية والى التعميم والتصحيح وتعمق هذا القول الذي غفل عن بعض ملاحظاته فيه ، وكره التطبيب ومقته ونفر منه وأعرض عنه ، وخشي الحديث وكرهه وتعلق به وحنق به ، وهكذا يكون من انسلخ من آيات ربه واتبع هواه ونسي أن يلاحظ أنه اذا أطلق العنان فانه لا يريد من به أدنى معرفة في دين الله مهما كانت حجته في العلم والمعرفة ، وعلى [illegible] هذا الأمر [illegible] ملاحظة ومن على شاكلتهم كما نبهنا على هذا وأعدناه ، لأنه سيكون كذلك [illegible] ملاحظته ، ثم لو فرض أن هذا الرأي الذي ادعاه صحيح ولا حجة له فيه ، فهل هذه الأرض وهذه الموجودات وصلت الى ما وصلت اليه من هذه الحالة [illegible] النظام [illegible] مدرسة تعلم [illegible] ، أم وصلت الى ذلك [illegible] ، وهل وصلت اضطرارا الى ذلك أو اختيارا [illegible] هذا [illegible] مدلوله

فصل

ثم قال : [illegible] ولا ريب [illegible] وهب من الاستعداد للكمال والرقي والقدرة على ابراز أحسن ضروب [illegible] ما لم يوهب لمخلوق آخر .

فنقول : هذا لا حجة له فيه ، لأن خصمه ومعتقده أن الانسان فيه استعداد

لعرفه ضروب عظيمة من الصناعات والعلوم ، وهذا لا ننكره ، ولكن النزاع فيه ، ولو جعل أعلاله كلها في هذا الموضوع لم نعترضه بشيء ، ولكنه عمد الى الأديان فشتمها وجرحها ، وهذا هو الذي ننازعه فيه . لكن قوله هذا [illegible] من الاستعداد للكمال ، فيه ما فيه ، فما نعمة الا في من عمل صالحا ويكون حينئذ كماله الممكن بحسب إرادته وعمله الصالح ، وهذا المعترض لا يقول بهذا فلا حجة له فيه

ثم قال « ولكن الانسان لسوء حظه - وقد يكون لحسن حظه - جعل سيره نحو الكمال اختياريا آليا معا لا آليا فقط » يعني أنه من الممكن بالنسبة له أن يسير نحو الكمال ، ومن الممكن أيضا أن [illegible] ويقف [illegible] . وكلا الأمرين بيده وتحت مشيئته لأن الله شاء له ذلك .

فيقال : اذا كان سيره اختياريا لا آليا [illegible] مشيئتها التي ذكرناه عن [illegible] في الشمس والنجوم والأرض [illegible] سيرها [illegible] آليا فقط ، [illegible] . ولكن لا [illegible] حظه وقد يكون حسن حظه [illegible] ، لا ندري [illegible] أولى عندك [illegible] الأولى ، ولكن [illegible] سيره اختياريا نقول [illegible] أي أنه [illegible] . لكن ذلك بعد مشيئته [illegible] ، [illegible] مخلوق ، وليس الناس سواء في المشيئة ، بل المؤمن مختص [illegible] فضلا ونعمة خلاف الكافر . وأنت سوف [illegible] على مذهب [illegible] ، من هو شر منه كما [illegible] في بحث القضاء والقدر وفي مواضع أخرى ان شاء الله تعالى

ثم قال « فكان من اللازم الضروري المحافظة على خطواته كيلا [illegible] أو يضل ولكيلا يخرج عن طريق ، ولا جدال في أن شيئا من الأشياء لا يستطيع أن يصل الى غايته المرسومة إلا اذا أزيلت عنه العوائق وزحزحت عنه الموانع ثم استعملت المواهب الكامنة و[illegible] استعداداته الطبيعية . ولكن يجب أن [illegible] — وهذا له شأن كبير — أن في استعدادات المواهب البشرية وفي طاقتها أن تمضي في سبيلها دون وقوف ، فيجب أن ترفع هذه الموانع ثم لا نحتاج بعد

ذلك لأن ملتمس مهمراً ندفع به الانسان الى العمل تضيعه ، بل هذا المهر موجود فيه وفى طبعه . فارفعوا هـــذه الأوهام والخرافات والقيود المذهبية والاغلال الاعتقادية . ثم انظروا كيف يكون الانسان .

قلت : لا شك أن المحافظة على الخطوات وعدم الخروج عن الطريق أمر مطلوب . لكن أنت خالفت ذلك فخرجت عن طريقك الاولى التى أقمت البراهين كما تدعى على أنها حق ، ثم خالفتها ووقعت فى اخطل فى خطواتك ، حتى رجعت القهقرى وانحططت الى الوراء . ثم انه يجب عليك أن تبين هذه الموانع التى يراد ازالتها عن الطريق ، ولا سيما فى هذا الموضع فيجب التصريح بها هنا . ولا تكفى هذه الاشارة . وعلى ظن أنك تريد بذلك الأخلاق الدينية كما صرحت فى المواضع الأخرى حيث ذكرت أن الدعة مهلكة ومعوق ومصرف حيث . فهذه هى الموانع عندك التى تحب ازالتها مع ما ذكرته فى خطب الجمعة وغيرها . ولكن الذى لا شك فيه أن الموانع والاغلال هى أغلالك فتحب ازالتها ، ومن العجب أنه سمى كتابه هذى هى الاغلال وقال هنا فارفعوا هذه الاغلال . فنقول صدقت فارفض هذه الاغلال وارفضها فقد فتح الله من عمله ثم دعا اليها ثم دعا الى رفضها ، فسبحان من أخزاه . ولا شك أنها والله أغلال . ولو عقلت لمن رجعت فى دعوتها أو تأنيت فى كونها منقصة للدين فتبكى على نفسه . وليعلم أنه لا يعرف دين الاسلام . فان هذه الاغلال عند أهلها حتى حقيقتهم حيث كما وقع ذلك بالنص وروده وشواهد ، ثم هذه . أرأيت هذه العوائق والموانع التى هى عندك . أتريد أن الناس يستعدون بها أنظمة الملاحدة . أم تريد أن يعودوا بمحبتها أفكارك التى عملها فى هذه الاغلال وادعيت أنها حق فى أرائه الدينية تأخذ بها أمة فتنهض وتتركها أمة فتهوى ولن تستغنى عنها مسلم . ولعل هذا هو مرادك بكون التقدم فى كل أمر كما تدعى فى هذياناتك البارد

وقوله : ثم استعملت المواهب كاملة وأخذت اسعد ذاته تصييبه ، فهذا

تصريح منه بأن الطبيعة هي التي تدفعه إلى الأعمال وتدبره ، فهي التي تهديه وتضله . وهذا كما أنه يصادم الشرع والعقل فهو مناقض لما ذكره أيضا في بحث الإنسان الآلي في دعواه أن الإنسان خلق بطبيعته شريرا خبيثا شيطانا ، وأنه لولا التعاليم لنشأ على الجهل والظلم والعدوان المطلق الذي لا يعرف القيد والحد . فكيف يدعي هنا أن الطبيعة هي التي تهب استعداده وأن مهارته موجودة فيه . وقد استكبر عن أن يقول ويستعين الله ويستمد منه المعونة والتوفيق فتشمخ عن ذلك بأنفه الراغم . ولكن نحن نقول يجب على الإنسان أن يستعين الله تعالى ويستمد منه المعونة ويصدق وينصح معه ويظن أنه الجواد الكريم القادر القاهر الذي لا يخيب من سأله بصدق ونصح وإخلاص . وليس للمسيء حق بدون هذه الأمداد ، والذي يأتي للإنسان من نقصه وسوء معاملته مع الله وجهله بتعظيم دينه واحترامه . ولا يمكن رسوخ الإيمان في قلبه دفعته حرارة الإيمان إلى أصلح الأعمال وأنفعها وأرفعها . فإن حرارة دينية . وقوتها وضعفها بحسب قوة الإيمان وضعفه ولا أنجح من هذه الطريقة ، أي الحرص على ما ينفع والاستعانة بالله كما قال عليه الصلاة والسلام : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، الحديث

وأما دعواه أن في استعدادات المواهب البشرية وفي طوقها أن تمضي في سبيلها دون وقوف ، فهذا شرك في ما ذكره مرارا لا نحصي أن قدرة الإنسان لا حد لها من صريح بأنه لا يقال لشيء من الأشياء مهما بلغ هذا فوق قدرته ، وصرح بأنه يمكن خلق السموات والأرض وخلق نفسه وخلق كل شيء وهنا ادعى هنا أنها تمضي في سبيلها دون وقوف ، إذ لو كان فوق قدرتها شيء لوقفت دونه . ثم إنه لحرصه على رفض الاعتقادات والأعمال الدينية وكراهته لها ولأهلها طلب الإنسان أولا أن يرفضها ، فقد أثقلت كاهله كما غشت قلبه وروحه . فيمت كمدا وليعلم أن أخلاق الدين هي البدن والروح وقرة العين والفرح والبهجة والنعيم الذي لا يعادله شيء وحياة القلب التي ما طابت حياة

إلا بها . فهى الصراط التى من سار على نورها ومشى على صراطها وصل الى محبوبه وحصل على مطلوبه ، ومن أعرض عنها هوى فى دركات الضلال والظلام ، بل هو كمن خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ولا يرجى له حياة ولا خلاص كما ذكره الله . وهى الحد الفاصل بين الإنسان وسائر الحيوان . وهى الحد الفاصل بين الحياة والموت والنعيم والجحيم . ويستفاد من هذا الحد أن ما سماه فى جملة هذه الأخلاق الدينية وجعلها ملهاة وأغلالا وعوائق وأوهاما الخ كله هو ما دعا إليه فى كتابه من الفسق والتفسخ والخسة والدناءة والخيانة والخبث والإلحاد وسقوط الهمة وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب من يستحق الأغلال ، وأن ما رمى به المسلمين هو أولى به بلا شك ولا أدنى ريب

خلاصة هذا المبحث

قد فهمت أيها القارئ مما سبق أن خلاصة هذا المبحث الذى هو كالمقدمة لهذا الكتاب أن مؤلف الأغلال ادعى أنه آخر المسلمين لم يفهمه أحد من جميع الناس سنة ولم يسبقه به أحد ولا فكر أو بحث فيه غيره . فهو الذى فكر فيه وحده وهو الذى عرف سبب التأخر . وهو ما وصفه فى هذا الكتاب . وقد عرفت جوابنا عن ذلك ، ولكن نختم هذا المبحث بمعرفة أمور :

أحدها أن هذا الرجل له والدة كبيرة السن ضعيفة موجودة الآن فى قرية من قرى القصيم وهى على قيد الحياة . وقد غاب عنها ما يزيد على ثلاثين عاما وقد وصل الى الحجاز مرات فلم يصل إليها ولم يسمح لنفسه أن يكتب لها حرفا واحدا . وقد كاتبته مرارا بواسطة الوجيه الشيخ محمد حسين نصيف وغيره وأوصوه بشأنها ونصحوه فى ذلك فاستكبر عن الإجابة ولما قدم الحجاز سنة ثلاث وستين حاولت وصوله إليها وكان فى استطاعته إذ ذاك أن يصل إليها بدون مشقة بواسطة المواصلات الميسرة . فرفض ذلك ورجع الى

مصر ولم تسمح نفسه في هذه الحقبة الطويلة أن يرسل إليها ما يساوي درهما واحدا على شدة ما بها من الحاجة ، بل لم يسهل عليه أن يكتب لهذه الوالدة سطرا واحدا يعادل سطرا من هذا الكتاب الذي مكث في تصنيفه ست سنين لم يقتطع منها ست دقائق من الزمن يكتب فيها رسالة يسترضيها ويزيل مما ألم بخاطرها من طول الفراق . فيا لله للعجب . هل يوجد عقل صحيح يصدق بأن رجلا يتخلى عن والدته [illegible] توجد على وجه الأرض لترضى عنه ، ويريد مع هذا أن [illegible] يقول عنهم إنهم [illegible] النور فيبصروا طريق العقل ـ كما يدعي ـ [illegible] لا شك أن الإنسان الذي يصدق بهذا إما [illegible] وإما معاند قد غلب على شعوره [illegible] إذا كنت عاجزا عن أن تصلح [illegible] تقابلها بالعقوق والهجر القبيح [illegible]

يا أيها الرجل المعلم غيره . هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها . فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله . عار عليك إذا فعلت عظيم

لقد عرف الناس كلهم ـ إلا من شاء الله ـ أن [illegible] شعوب [illegible] الى حد بعيد في حب المدنية [illegible] وما [illegible] في هذا الكتاب [illegible] ومن كل هذا [illegible] يكون صدوقا نصوحا

الأمر الثاني ـ أن جميع [illegible] على هدى الإسلام ودرسوه وفهموه وهم على بينة من [illegible] قد عرفوا حقيقته [illegible] ومرماه وأنه [illegible] في مطاوي كتابه ، وبينوا أنه [illegible] طاهر [illegible] موضوعه [illegible] صد

الإسلام وروحه . ولا يخفى هذا إلا على مطموس البصيرة مخسوف القلب لا يعرف حقيقة دين الإسلام ولا حقيقة الزندقة والإلحاد والكفر . فإن أصدق صورة ترسم للمنافق صورة هذا الموقف الذي اختاره لنفسه هذا المؤلف في غالب هذا الكتاب ، وقد صرح بعضهم بهذا وكلامهم فيه كثير جدا ، ومن تركه منهم فإنما تركه إما احتقارا أو لأنه لم يطلع على كلامه ولا أحاط بمرامه ، وعلماء نجد كلهم - لا أستثني منهم أحدا - لا يشكون في كفره ومصادمته للإسلام ، وكذلك علماء الحجاز الذين عرفتهم ، وقد رد عليه كثير من العلماء بمقالات كثيرة متنوعة مشهورة وكشفوا خدعه وحربه في مصر والحجاز وغيرهما ، ولو ذهبت أنقل شيئا منها لطال الكتاب جدا ، وممن نبه على ذلك الأستاذ السيد قطب الكاتب المشهور في مقالته التي نشرت في مجلة الهدى النبوي عن مجلة الـوادي قال السيد قطب :

هذي هي الأغلال

لم يكن أحب إلي أن أكتب شيئا عن هذا الكتاب ، لا خيرا ولا شرا . فهو في صميمه نقص في أهدافه لحقيقة الشر والخير سواء . والكتاب وصاحبه معي قصة ما كنت لأقصها للناس لولا أنها تكررت مع غيري ولم تعد سرا .

أهدى إلي الرجل كتابه ، ومضت فترة لم أكن قد فرغت فيها لقراءته ، ثم جمعني مجلس مع صديق كريم عزيز أحمل له في نفسي ودا مكينا ، وأسر لي الصديق ثم أعلن بعد ذلك في مهمة . إن حرية الفكر في خطر ، فهذا الرجل صاحب الكتاب قد عنت له أفكار وآراء حرة فأودعها كتابه ، وخصومه من الرجعيين والمتعصبين في الحجاز يدسون له هناك ، وإنه على وشك أن يستدعى ليحاكم ويرى المشنقة ، وإن على كل كاتب يقدر رسالة الفكر أن أشترك في الذود عن حرية الفكر المتوشكة على الاختناق . ولم يكن بد من أن أتحمس في أول الأمر ، فعزيز على صاحب فكر وقلم أن يسمع ويرى حنق

حرية الفكر ولا يتحمس أو يثور . ووعدت أن أمضى فى حدود ما أستطيع
وجلس الرجل وأخذنا بأطراف الحديث فى دارى ، وشيئا فشيئا بدأت أن
اشم رائحه فى الحديث ، رائحة ليست نظيفه

هذا رجل يريدنى على أن أفهم أن الأجانب فى الشرق قوم مصلحون لا
مستعمرون ، وأن وسائلهم فى الشرق أرقى وأكرم من وسائل المسلمين عندما
استعمروا الشعوب . وليس المسلمون هم الأتراك مثلا فأجد عذرا . ولكنهم
اصحاب محمد بن عبد الله وعمر بن الخطاب . من القرآن الذى اباح التخريب
والنهش ، وكان ذلك كله ردا على ما فعله له من ... الاستعمار لا قلب له ولا
ضمير ، وأن الحضارة الاوربية الحديثة تستخدم وسائل غير السابقة فى
الحروب وغير الحروب[1] إن المسلمين صنعوا تلك الشناعات وبعد ما صنعوها
جاء القرآن ليبررها لهم ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها
فبإذن الله ﴾ ولم يرد أن يستمع الى حديثى عن وصايا النبى ﷺ للقواد . ولا
الى وصايا خلفائه الانسانية الرحيمة فليكن فقد تكون تلك عقيدة يجاهر بها
صاحبها ويتحمس لتعاليمها ونتائجها ثم ماذا ثم يجب أن نبنى العنصر الاخلاق
من حياتنا . فالحياة لا تعرف العناصر الخلقية ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء .
هذا والمسلمون لم يكونوا فى أى عصر من عصورهم حتى أيام محمد إلا فساقا
فجارا وهم الآن فى البلاد المحافظة أفسق وأفجر . ولا عبرة بهذا كله فقد كانوا
أقوياء وهم فساق فجار ، لأنهم آخذون بوسائل الحياة المادية ، وهم ضعفاء اليوم
مع فسقهم وفجورهم لأنهم لا يأخذون بوسائل الحياة المادية ، والمعوّل على
هذه الوسائل لا على بر أو فجور

فليكن أيضا ، فقد تكون أيضا تلك عقيدة الرجل ، وأنا مستعد لأن
استمع لكل عقيدة يجاهر بها صاحبها ويتحمس لتعاليمها ونتائجها . وطال الحديث

---

(١) اى قال عجبا

قيمته ، وتصور المسألة على غير صورتها . ولا بد من أن الأستاذ الوادى وإنما أعرف أريحيته قد تأثر بالأسطوانة المثيرة ففتح صدر جريدته للدفاع عن حرية الرأى المهدده بالشنق . لقد كنت على استعداد أن أدافع عن حرية الرأى المخالف لو وجدت شيئا ذا قيمة ، ولو وجدت إيمانا حقيقيا بفكرة ، ثم لو لم أشم هنا وهناك رائحة شيء ما . شيء غير نظيف » انتهى

وقال الشيخ الفاضل الأستاذ محمد عبد الظاهر أبو السمح إمام وخطيب الحرم المكي فى كتابه حياة القلوب (ص ٩٣ الطبعة الثانية) . والملحدون فى كل أمة مفسدون دعاة شر وقادة فتنة ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فهم بلاء الشعوب ووباء الإنسانية ومرضها وعلة الاجتماع . ولا شفاء للأمم منهم إلا بضرب أعناقهم واستئصال شأفتهم . وملحد الأغلال يرغم فى البهتان ، والكذب على الله والقرآن . فالقرآن يدعو الى الإيمان والأعمال الصالحة ، والى العلوم والمعارف ـ الى أن قال ـ وقد قلنا فيه وفى أمثاله هذه القصيدة :

(الى صاحب الأغلال)

مدحتك يا أخا الأغلال قبلا	بما لفقت من سحر اليراع
وأما الآن فاسمع من قوافى	هجائك منهكات كالأفاعى
تساور مارقا يدعو لكفر	تردّى فى الثرى بعد ارتفاع
عزوت الى الشرائع كل نقص	وملك النقص فى كل المساعى
وقلت الدين أخر ناسيه	وهـذا قول أحمق لا يراعى
أتنكر دين خير الخلق طرا	وتاريخا تواتر بالسماع
أتنكر يا غوىّ قرون صدق	سموا بالدين فى كل البقاع
أما ملكوا الورى فى كل قطر	بدينهم لقوم والاتساع
أهـذا الدين أخر تابعيه	وهذا الدين من رب مطاع
فقل لى يا أخا الأغلال واصدق	أكذب منك أم قصر اطلاع
جنون منك أن تدعو لكفر	وتؤثره بمنزور المتاع

تبيع الدين بالدنيا غرورا … لتشهر بين أوباش رعاع
أما ذاك الصحابة كل عرش … بهذا الدين من بعد القلاع
فهل ان كنت لم تعلم والا … مدار الجهل يابن بني لكاع
أيا بلقام عصرك أي أرض … تقلك والأنام عليك داع
وقد بارزت رب العرش جهلا … لكفر فيك أو لؤم الطباع
فمن يحميك من رب غيور … شديد البطش ذى أمر مطاع
أما والله ان الدين عز … لمن والاه حقا باتباع
وليس الذنب ذنب الدين لكن … ذنوب الجاهلين بالابتداع
لقد أسرفت فى الأغلال حتى … سقطت وكنت طلاع التلاع
وقد والله أشمت الأعادى … فلا [illegible] لديك ولا دواع
[illegible] الأدلة اى [illegible] … أفى الدين [illegible] أو سمع
وفى [illegible] لم [illegible] صحيح … [illegible] الله عن [illegible]
[illegible] [illegible] توبوا … عن الأديان [illegible] المطاع
و[illegible] أن تعيش الناس فوضى … كأنعام [illegible] فى المراعى
وتدعو [illegible] كل [illegible] … فلا [illegible] لديك ولا [illegible]
أتدعو [illegible] … [illegible] و[illegible] [illegible]
أصبحت [illegible] وهم وحوش … [illegible] [illegible] دواع
[illegible] من رب [illegible] … فلا يخشون [illegible]
[illegible] [illegible] … [illegible] على الأكباد [illegible]
على الاضعاف [illegible] … لا [illegible] [illegible]
ولولا [illegible] فى [illegible] … [illegible]
[illegible] كل [illegible] … [illegible]
[illegible] كل [illegible] … [illegible] شر إيقاع

[illegible]

[illegible] حقا لقد حولت وقام يبوسها [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] في مجلد لطيف في الرد عليه

الأمر الثالث: أن من تأمل كتابه حققه للأمر علم بلا أدنى ريب أنه ليس فيه دعوة صحيحة نافعة لا قليلة ولا كثيرة، لا حث على علم ولا غيره، مع ما فيه من الكفر ومحاربة الأديان. وغاية ما يروج على بعض الناس في بعض كلامه هو ذلك الإسهاب والإطناب في مدح العلم مطلقا بدون تعيين مسماه والثناء عليه وذم الجهل مطلقا والنهي عنه. ومعلوم أن أدنى عامي فضلا عن غيره لا يمدح الجهل ويذم العلم بهذا الإطلاق ولا يقول إن ما هو عليه جهل وإنه ينكر العلم. وليس الشأن في مدح العلم وذم الجهل هنا، فإن هذه قضايا مفروغ منها عند الخاص والعام. وكل الناس اليوم وقبل اليوم يمدحون العلم ويذمون الجهل. ولكن الشأن في بيان العلم الممدوح وما يراد به والجهل المذموم وما يراد به، فإن العلوم وموضوعاتها أكثر من أن تحصر، وكذلك الجهل. وكل ذي عقل يقدر كلامه يعلم أنه يريد بالعلم الذي يدعو إليه أشرف ضروب العلم، ويريد بالجهل الذي يعيب عليه أعلى العلوم وأعمها على الإطلاق وهو علم أصول الدين كما يأتي تفصيل ذلك. والمرء يعجب أن يجد إنسانا في أوراق فارغة [illegible] في صحائفه والسكة ويحشوها من مدح العلم والصحة والعافية والاستقلال والمجد والسيادة والسعادة وحب الجمال، وذم الجهل والمرض والجوع والضعف والحرب والأمراض والجدوب، فإن هذه كلها قضايا قد عرف الناس كلهم مدح ممدوحها وذم مذمومها، فهو أشبه في ذلك بمن قال إن الشمس مضيئة مشرقة وإن الليل أسود حالك وإن [illegible] [illegible] والماء [illegible] في ذلك [illegible] من [illegible] في ذلك [illegible] فإن معرفة [illegible] الجوع والمرض وحسن الصحة والعافية وغير ذلك من حسن [illegible] وطلبه [illegible] الشيء المطلوب [illegible] الصحيحة [illegible] الصحيحة المقصودة [illegible] أو

تعضيها ، بمقدمات صادقة وبراهين معقولة ، ثم عرض ذلك على العقول
لتعرفها وتحكم فيها . أما حشو الكتب بالتهكم والاستهزاء والسخرية والسباب
والاتهام والترهات والرعونات التي لا تغني فليس ذلك من التحقيق في شيء ،
بل هو دليل واضح على ضعف عقلية من سلك هذه الطريق . ولولا الضجة
التي قامت حول هذا الكتاب لكان كاحدى تلك الآراء الأخرى المسودة
المجهولة ولم يلتفت اليه أحد لصعوبة بحثه وقبحه . ولكن صارت شناعته
واشاعته وشذوذه ومخالفته سببا في انتشاره والاطلاع عليه على حد قول القائل
« خالف تذكر » . والناس في أمره أصناف منهم من يعتقد أنه دعاية الحادية
لا ريب فيها ، ولكن لا يهمه ذلك(١) وصنف كبير يراه دعاية ضد الدين
في الحث على رفضه ، ولكن يؤسفهم ذلك أشد الاسف . وصنف آخر وهو
الأهم وهؤلاء منهم من اذا كان راضيا عن الانسان موفقا له في شيء ما من
أمور الدنيا لم يعبأ بما يصدر عن هذا الانسان مما يمس بالدين ولم يبحث عن
ذلك سواء فهمه أو لم يفهمه . بل ربما كفى نفسه المؤونة والتفتيش عن هذه
الأمور الدينية مرتئيا أن [illegible] . ومن هؤلاء يشكون في دينه
وبيئة من أمراض الشكوك والشبهات والشهوات [illegible] كلهم أهل
هذه الأمراض المتنوعة لجمعه وذلك لما هم عليه من ضعف حماستهم وشعورهم
الديني فأصيبوا بضعف الغيرة والتلاشي [illegible] من ذلك ذهبت عظمة
الدين من قلوبهم واحترامه وإجلاله ، وابتعد كل البعد عن كل خط يمس أدنى
ناحية من شرفه . بل صار الدين عند هؤلاء ليس له قيمة كبيرة بالنسبة الى
بعض الأمور الدنيوية سواء كانت كبيرة أو صغيرة . ومن ثم وجدوا كل ما
يقدح فيه [illegible] اغتفروا تلك المعايب أو هونوها [illegible] في تأويل كلامه ما هو
أشد المحال . ومن العجب أن بعض هؤلاء لو وجد أحد منهم رجلا - ولو
كان عفيفا - في بيته أو مع أهله في خلوة لكان [illegible] على هذا الرجل انه ما
دخل البيت الا ليصلح أمور [illegible] في [illegible] وبقي معه في

(١) لأنه لا يهمه من أمر الدين شيء

[illegible]

[illegible] ظاهر الحال ، ومع ذلك

[illegible] وكسب النصوص الواضحة لو

[illegible]

الكلام على المبحث الثاني

قال الملحد :

ولقد كفروا بالانسان   الايمان به أولى

العلم للرحمن جل جلاله   وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما   يسعى ليعلم أنه لا يعلم
(الزمخشري)

نهاية إقدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
(الرازي المفسر)

فيك يا أغلوطة الفكر   حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما   ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الألى زعموا   أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا   خارج عن طوقه البشر
(ابن ابي الحديد المعتزلي)

لعمري لقد طفت المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر   على ذقن أو قارعا سن نادم
(الآمدي [illegible])

بعثت إحدى الشركات الكبرى بخبير فني في مكان ما في دولة ما للقيام بالبحث عن النفط وبعد القيام بالاختبارات اللازمة الأولية نفض يديه قائلا إنه لا يوجد نفط في ذلك المكان ، وإن وجد فقليل جدا لا توازي التكاليف والنفقات . فتخلت الشركة عن [illegible] ولكن شركة أخرى أرسلت خبيرا في المكان نفسه للغرض نفسه في الدولة نفسها فجاءت النتيجة مغايرة . ووجدوا ما يشتهون . فأثرت تلك الشركة في ثراء بئث

الكنوز المدفونة المجهولة لمقادير من أهل تلك البلاد . ووضعت لها ولهم شروطاً اتفقوا عليها . فبدأت أعمالها وأخرجت الكنوز . فأفادت هي وأفادت البلاد وازدادت بذلك الثروة العمومية العامة . والتفت العالم لذلك المكان وحسبوا له الحساب بعد أن كان في حساب النسيان والإهمال .

هذه حادثة سقناها لنقول إن الإنسانية في نظرها إلى نفسها وإلى مواهبها الكامنة وكنوزها الذاتية المدفونة تشبه خبراء الشركتين في اختلاف رأيهم في وجود النفط وفي اختلاف النتائج التي تبعت كلاً من الرأيين والنظريتين . ففريق من الإنسانية بل أمم وشعوب ينظرون إلى أنفسهم نظر خبراء الشركة الأولى اليائسين من الحصول على النفط في ذلك الموضع . أي ينظرون إلى أنفسهم نظرات اليأس والقنوط من أن يكون فيها مواهب نادرة . واستعدادات طيبة يكمن وراءها النبوغ والعبقرية والكنوز الذاتية . فهم يرون أنهم خلقوا ضعفاء محدودين وسيبقون كذلك ضعفاء محدودين ما بقوا . ويرون أنهم خلقوا من الضعف للضعف فقط . ولن يقدموا نفطاً ولا غيره . فلا يحاولون القيام بعمل ما لاستخراج ما لم يؤمنوا بوجوده . فيظلون كما يظل ذلك المكان مئات الألوف من السنين لا يأتون بشيء . ولا يلفتون نظر أحد ولا يفيدون الإنسانية . ولا يضيفون إلى ثرواتها المختلفة قليلاً ولا كثيراً . أما الأفراد الآخرون وشعوب أخرى فينظرون إلى أنفسهم نظر خبراء الشركة الأخيرة المؤمنين بوجود النفط وبوجوب استنباطه . فيرون وهم ينظرون إلى أنفسهم أنهم جديرون بالاستثمار والاستغلال . وأن مواهبهم الطبيعية جديرة بأن تخرج وتصدر النبوغ والعبقرية . فينشطون إلى العمل . ويأخذون بكل الوسائل فيصبحون ما شاءوا مجداً وفخامة شأن . ويصيرون أعظم مصدر للحضارة البشرية وأكبر مولد للقوى العقلية . انتهى

والجواب أن يقال . أما الأبيات التي ساقها أول هذا البحث فيأتي الاعتراض عليه عند اعتراضه عليها . وأما هذه الحجة التمثيلية التي ذكرها

الوجه الثالث أن [illegible] على
ما يقتضيه العقل والشرع ، [illegible]
مواهب واستعدادا للكمال المطلق [illegible]

الرابع أنه تناقض فى هذا [illegible]
[illegible]
الإيمان خطأ ، وأنه لا [illegible]
[illegible]
من الناس [illegible]
العلوم والمعارف [illegible]
يوجد هذا النقد [illegible]
[illegible]
الساطع القوى بين الناس كوجه [illegible]
[illegible]

الى أنفسهم نظرات اليأس والقنوط في معرفته ولأخذ به على وجهه فيظنون أنه ليس ثم دين صحيح يكمن فيه النبوغ والعبقرية والكنوز النفيسة التي لا تنفد، بل يرون كما يرى هذا الرجل وغيره من الملاحدة أنهم خلقوا مجدبين من هذه الكنوز السماوية. مجدبين من هذه الناحية الدينية، فلا دين صحيح يوجد في الأرض ولا نفوس قابلة للأخذ به واعتماده. ولا شك أن هؤلاء سيبقون كذلك مجدبين، وقد بقوا كما ظنوا فقراء مجدبين منه فمن يعدو ظنهم، فظنهم هو الذي أرداهم فأصبحوا خاسرين، فانهم لم يحاولوا عملا ما لاستخراج ما لم يؤمنوا بوجوده فلا يأتون بشيء في هذا العمل ولا يرشدون غيرهم للتوجيه اليه والحرص على استخراجه، بل يصدون عنه ويزرعون اليأس والقنوط في نفوس غيرهم منه، فيقفون في وجه الانسانية عن الوصول الى هـذا النور والروح الكفيلين بالنجاح والنجاة. وهؤلاء خلاف لبعض الآخرين ـ كالصدر الأول ـ فانهم نظروا الى هذه الكنوز السماوية التي هي مصدر النور والروح فحرصوا على استنباطها والعمل بها، فكانوا كما شاءوا عزا وارتفاعا وسيادة. لو أن أحدا مثل بهذا لم يكن قوله بعيدا من الصواب، ولم يكن عند هذا المعارض ما يبطله

فتبين لك من هذه الوجوه المسطرة عن هذه الفروق الواضحة أن ما ذكره في هذه الجملة المطابقة باطل لا يصح في النظر والعقل أن يبنى عليه في هـذه المسألة، فانه يريد أن يبنى على هذا التمثيل أن جنس الانسان مستعد للكمال كما صرح بذلك. وأن هذا الاستعداد كامن في طبيعته ككون هذا النفط في هذه الأرض. وأن الناس في معرفة هذا الاستعداد كهؤلاء الخبراء في الاختلاف في الرأي، وأن الذين جزموا بوجود النفط في هذه الأرض أصابوا فيجب أن يصيب من جزم بأن في جنس الانسان استعداداً للكمال. وقد ظهر لك بطلان هذا التمثيل الأعوج، وبطلانه يظهر بطلان القياس الذي ادعاه عليه، فان غاية ما في ذلك أن هؤلاء الخبراء الأولين الذين نصروا أيديهم عطلوا في

معرفة مقداره فى الكفاءة فظنوا أنه كل عملا لا يوازى تكاليف المعقان ،
والآخرون أصاب ظنهم فيه . وليس هذا خاصا بالنفط دون غيره من سائر
المعادن وغيرها . فإن هذه الأشياء [illegible] كل من حفظ فيها يصيب نجاحا ، ولو
كان ذلك كذلك حصر الخراب [illegible] وغيرهم فى كل معدن ، وهذا باطل لا
يقول به أحد . ثم ان هذا النفط [illegible] قد حفظه الله تعالى للوقت
الذى يناسب بحثه فيه لأقرب الناس اليوم تمسكا بالأعمال الدينية فى أحرج
وقت وأشد [illegible] فى الأعمال المادية
وكان [illegible] الأعمال [illegible] صحيحة [illegible]
من [illegible] قائمة [illegible] من الناحية
الدينية [illegible] . [illegible] عملا
[illegible]
ليعملوا بطاعته التى هى الأعمال الصالحة [illegible]
الكون بأعماله الدينية وما [illegible] الأعمال [illegible]
الأعمال الصالحة [illegible] شرعية . فإن
الأمر [illegible] عكس فقصده [illegible]
صحيح [illegible]

أما [illegible] ان للانسان الذى عمل صالحا
[illegible] على حسب [illegible] وهو الكمال الممكن فى حق الانسان . لا
الكمال [illegible] الكمال المطلق الذى لا [illegible]
فوقه ، أما عاده [illegible] نقصهم عن الكمال [illegible] ملازم لهم مشاهد
محسوس فإن كل واحد منهم مفتقر فى [illegible] شىء خارج عن ذاته (٢)

---

(١) [illegible] ان لو وجد قبل هذا الوقت ، أو لم يوجد فى
[illegible]

(٢) [illegible]

فهو مفتقر إلى غيره . ونقول في عدد من مخلوقات كالقول فيه لأن كل واحد
منها مفتقر إلى غيره . وهكذا جميع أجزاء المخلوقات منها مفتقر افتقاراً ذاتياً
محسوساً . ولا بد أن ينتهي هذا الافتقار إلى موجود غني فوق قدرة البشر
لعدم الحاجة عن تكميل النقص بعض البعض [illegible] المحسوس . وهذه الموجد هي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فساد العقل [illegible]
والخروج وراء هذا يوقع في السفسطة فلا يعتد به [illegible]
[illegible] بصفات الكمال المطلق في جميع صفاته وأفعاله ، وأما خلقه ف[illegible]
عن الكمال أمر لا [illegible] . واختلف في أمر [illegible] لا بد
أن يكون [illegible] من خلقه و[illegible] وله [illegible] قسم عباده إلى صالح
وطالح [illegible] فكان [illegible] قابل
لإصلاحه أصلاً كما قال تعالى : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم
لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم

عذاب عظيم » وقال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فالكافر والمنافق الذي كسب عمله السيئة [illegible] الذي قد فقد استعداده للهداية [illegible] [illegible] [illegible] تركه ما جاءه من النور [illegible] [illegible] الصحيحة . فهو [illegible] [illegible] والاعلال [illegible] [illegible] أعمالهم [illegible] فالكافر والمنافق [illegible] الطيب فلا يمكن أن [illegible] [illegible] وصار [illegible] [illegible] صالح ما جعلها قوية صحيحة ، [illegible] على نور من ربه ، فهو كالارض الطيبة [illegible]

و[illegible] معرفته هنا أن يعلم أن [illegible] من العدم فهو ناقص مظلم ، فالناقص [illegible] وسعت كل شيء ، فكل موجود [illegible] [illegible] [illegible] رحمته ، وجميع ما يصيبه من شر فهو من نفسه [illegible] فكل [illegible] [illegible] كما حصل له قسطه من النقص الذي هو [illegible] كالمات أنعم الله بها على عباده ، فمنهم من يكون حظه من [illegible] [illegible] [illegible] إما في خصلة واحدة أو في خصال كثيرة ، ومنهم من يكون نصيبه

---

(١) قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

بالعكس ومنهم من يكون نصيبه من الرحمة في بدنه ومنهم من يكون نقصه في
حسه أو في صوته أو في صورته أو في حواسه أو في كلامه ، ويكون النقص
في أخلاقه أحيانا [illegible] ومنهم من يكون نقصه موزعا في أخلاقه ولكن لا بد
أن يكون له نصيب في شيء ما ، وإذا اشتد النقص في خصلة فلا بد أن يكون
هناك ما يقابلها من نصيب الرحمة [illegible] ومن لطفه سبحانه أنه لم يحرم نوعا
واحدا من جميع هذه الأنواع الفطرية ، فكلها قد شملها هذا الفضل
الإلهي . ومن ذلك أنك تجد كل مخلوق من هذه الحيوانات قد أعطي من هذه
الأنواع [illegible] ما يحفظ به حياته ونسله ويحقق [illegible] من عدوه
على [illegible] أو جناحيه [illegible] هذه
الأنواع [illegible] من هو [illegible] أعظم وأخص لأنه سبحانه
[illegible] نقص في [illegible] أو [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] حقوقه [illegible] يستفيدوا [illegible] من إلهامهم
[illegible] وهذا الأثر أعظم وأخص
من [illegible] استحصال [illegible] وهذا
الأثر [illegible] من الأثر البويه
[illegible] من هذه المصادر الصحيحة القوية
[illegible] محدودا به
من [illegible] منه الى ما بعد مماته
[illegible] الذين بقي معه ما استحصل
[illegible] وما عظم
النقص [illegible] بالكلية(١) فذهب ما معه من
الأثر [illegible] من [illegible] شيء يستمتع به في حياته

---

(١) [illegible]

استمتاعا صحيحاً . وينقطع عنه لأول عهد ندائه فيبقى في ظلمات السحيقة
والنقص والعذاب الأبدي كما دل على هذا سورة التين وسورة العصر . وفي
الأثر إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور
اهتدى ومن أخطأه ضل . وقد سمى سبحانه كتابه نوراً وروحاً وهدى وبياناً
فمن أخذ به واستمد إيمانه منه أخذ نوراً وروحاً يسعى به ويمشي في نور لا يطفأ
ويحيى بروح لا تموت . ومن أعرض عنه فقد قطع عن نفسه النور الذي
يبصر به والروح الصحيحة التي يحيا بها في الظلمات الموحشة ليس بخارج
منها فهو كميت لا روح فيه . والميت الذي لا روح فيه يفسد به كل شيء حتى
الكلاب وأشد ما ينفرون عنه . لأنه لا يمكنه أن ينتفع بشيء لفقده وجود
تلك الروح وسلامتها التي في [illegible] ذلك و[illegible] خصيصته

فإذا عرفت أنه لا حاجة بنا في هذه الحالة إلى [illegible] فهذا البحث
فقد سقط التعريج عليها ببطلان الأساس . وحيث ذكر هنا ما لا علاقة له شاملا
للإنسان من حيث عينه وجهه وقدمه وأخرى تنقص من موضوعه في هذا
المبحث كله فنقول : قد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حقيقة وجود
الإنسان وقدره وحيثيته وما له من حسن وشر بأعظم بيان وأوضحه وأحسنه وأتمه
وأوجزه فقال جل من قائل : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ . وقال جل وعلا
﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ فبين سبحانه في هذا القول
الكريم حقيقة حال جنس الإنسان وحيثيته حقيقته وظهوره وحقوقه فيه فقسمه
إلى نوعين بعد أن كان نوعا واحدا [illegible] لأنه
لم يستمد من النور والروح ما يتمكن به [illegible] إلى هي
حالته العدمية الأصلية . [illegible]
به الطريق والروح [illegible]
[illegible]

سافلين لا خير فيه بالكلية [illegible] في [illegible] الاعضاء و[illegible] ذلة . وهذا كان مصحوبا
في حياته كلها بالصفات المنحطة [illegible] ولم ارتفع [illegible] الى الاحطاط
و[illegible] . وكل ما [illegible] من [illegible] [illegible] لى [illegible] عارف
كيف [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] يشاركه فيه كثير من
[illegible] على [illegible] كيف تعيش بدهاء ومكر
[illegible] . وكونه سبحانه استثنى
من [illegible] دليل على أن
[illegible] واحد وهو
[illegible] الاحوال [illegible]
و[illegible] في مستوى [illegible]
[illegible] حرموا من
الا[illegible] والروح
[illegible] تولوا من النقص والظلمة انحطوا الى
[illegible] الاعمال
و[illegible] من [illegible] من
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا يخشى الانسان ولا يهمه لا قيامة حق [illegible] الباطل [illegible] أقوى من إرادة
من لا يهمه إلا قضاء شهوته [illegible] فكره أو فكر [illegible] وقد تكون المصلحة
[illegible] من [illegible] لأن دافعه قوة [illegible] ودافعها
الايمان الذى [illegible] والذى [illegible] قوة الشهوة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مقصود [illegible]
كفاءته بواسطة القوة الجبارة المالكة للوجود [illegible]
[illegible] ولكنه [illegible] الحقائق [illegible]
[illegible] على [illegible] الصحيح فلا شك [illegible]
دافع الانسان الاول الذى دافعه الدين [illegible] وأقوى لأن [illegible]
أكبر وأعظم ووسائله أعظم وأشرف [illegible] وشعب تكون [illegible]
[illegible]
[illegible] ابداع وانتاج الأمة أو الشعب الذى يكون [illegible]
[illegible]
وأكثر عمال هذه الشعوب الملحدة انما يعملون [illegible]
الصحيح [illegible] أعمال المصانع [illegible]
[illegible]
[illegible] موجودة فيهم [illegible]
وكل عاقل يعلم أن القوة العامة [illegible]

خصائص المتدينين الذين لهم أصل عريق في التدين — وإن لم يكن بعضهم الآن متدينا فإن العوامل الدينية الأولية هي التي هيأت فيهم الاستعدادات والمواهب التي بها [illegible] على قوة الانتاج والابداع فانها أي الاستعدادات قد كانت موجودة فيهم في زمن التدين . أما الأمم [illegible] في الوثنية المحضة والالحاد المحض ، البعيدون عن الاديان السماوية في الازمنة القديمة ، فانهم أبعد الناس عن الانتاج والابداع [illegible] لأنها أصل العلوم كما أنها أصل [illegible] والأخلاق ، [illegible] ونحوها من فروعها . ولولا شيوع الوثنية كعبادة [illegible] وشيوع الالحاد لكانت أكثر الصفات من العلو وغيره في كثير من أقطار الاسلام في هذه الأزمنة الأخيرة لما ضعف الانتاج والابداع [illegible] هي الأساس الأول [illegible] أمور الحضارة والمدنية فانها ملازمة لها في [illegible] ظاهر لا خفاء فيه [illegible] الانسان [illegible] ومن حيث الاستعداد [illegible] الانسان والاتيان به [illegible] على [illegible] الانسان [illegible] كل شيء وقادر على كل شيء [illegible] في كل شيء [illegible] معقولة . [illegible] ذلك أيضا [illegible]

فصل

قال [illegible] طبيعي . ولهذا يحاول [illegible] كل شيء والوصول الى كل شيء والتغلب على كل شيء . [illegible] الى

الامام بالمدنيـة وتسير بالحيـاة خطوات واسعة وتدفع فى سبيل كل عنصر الحضارة .

فيقال : أولا هذا يناقض قولك فى صدر قريب فى الخبراء الاولين أنهم نفضوا أيديهم عن مكان النفط قائلين إنه لا يوجد فيه نفط وإن وجد فمقادير ضئيلة الخ ومعلوم أن هؤلاء الخبراء من أولئك الذين يؤمنون بالثراء الطبيعى فلهم لم [illegible] الضعف [illegible] الذى تدعيه ، وأمثال هؤلاء كثيرون

ثانيا قولك إنه [illegible] بكل شىء والوصول الى كل شىء الخ ، يقال إن كانت كل هذه الشعوب [illegible] بكل شىء والوصول الى كل شىء فهى لم تدرك ذلك [illegible] بعضها أدرك الشىء القليل من الذى يمكن إدراكه ، وبعضها تداركه [illegible] حسب [illegible] فليس علينا أن نقتدى بها فى كل ما تحاوله ، [illegible] صحيحة لاستحصال ما يمكن استحصاله بالعلم والثبات والحساب الدقيق ، فانه من المعلوم أن الدول التى [illegible] الا عكس ما آمنت به ولو آمنت بالله كهذا [illegible] كل [illegible] من الممكن لها

ثالثا [illegible] موافقتها فى هذه المسألة ، ولو [illegible] هذا [illegible] الذى يدعيه لعملت ما تشاء ، وهى [illegible] عاجزة عن تعدى هذه الحدود [illegible] الحصر أو الى [illegible] الوصول الى كل شىء والحصول عليه [illegible] على كل شىء [illegible] بل هى [illegible] لم تصل الى ما وصلت اليه من [illegible]

[illegible] عكس [illegible] والحيطة وإعطاء كل شيء
[illegible] الأعمال [illegible] كل الأمم التي
[illegible] الأمم [illegible] والآخرين [illegible] وقومه
[illegible] هو وقومه [illegible] في أنفسهم
[illegible] يتحطون
[illegible] ما هو
[illegible]
[illegible] على كل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كسعادة إذا
[illegible] والقنوط حتى يكثر من هذه
[illegible] والعجز [illegible] لا [illegible] تحته بل يجب العزم والحزم واعتقاد الكفاءة
بالله تعالى ، فهذا [illegible] صحيحة ،
[illegible] الرأى
[illegible] حسابه جيد
[illegible]

[illegible] من كل شيء ،
[illegible] إلى
[illegible] إبراهيم
[illegible]
[illegible] فإن الله يأتي بالشمس من
[illegible]
[illegible] عكس مجرها

[illegible] ولا شك أن [illegible] كما صرح [illegible] مرارا

[illegible] ، وإذا عاكس هذا المعكوس [illegible] من قولى

عكسه [illegible] الدجوى بدون ما ألزمناك

به مع أنه لم يقل إلا [illegible]

الحاسم) ص ٧٥ فقلت [illegible]

على كل شيء حتى على أن يقولوا [illegible]

[illegible] فلا

[illegible]

[illegible] أعجب من قوله ان البشر [illegible]

[illegible] هو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لان البشر على كل شيء قادرون [٢] [illegible]

على رغم أنف المخالفين . [illegible]

فولانا الشيخ الدجوى على كل [illegible]

فاطمئنوا الى ذلك [illegible]

المطبعة أعجب منه [٣] فنحن في [illegible]

[illegible] الدجوى

(٢) كل هذا تحامل فان الدجوى [illegible]

[illegible]

(٣) [illegible] الحديث [illegible]

[illegible] الدجوى [illegible]

[illegible]

يقولون . [illegible] نفسه على كل شيء [illegible] على كل شيء قادرون . أين أوربا وأين مخترعوها وأين قدرتهم . فنحن عندنا معشر الشرقيين من يقدر على كل شيء من يقدر على تخريب [illegible] وتخريب مخترعاتكم وآلاتكم الخرسة بشيء بسيط . بكلامه . بل بدعو عليكم فقط ، انتهى بحروفه . ولا أظن القارىء الكريم هذا يريد أن [illegible] في التعليق على هذه الجملة ووقاحته [illegible] تعليقها في عنقه كاف عن التعليق عليها لكن نحب أن [illegible] جملة [illegible] يدعي أن [illegible] بها هذه الجملة التي ذكرها عن [illegible] وصح نسبته بها وهي قوله في أعلاه هذه ص ٥٤ : ومن كان الله معه وينصره ويؤيده [illegible] وهذا [illegible] على غير ظاهره . فلا بد أن يكون نصره [illegible] ومعه [illegible] وعمله موفقاً [illegible] . ولا بد أن يكون به من التقوى والأعمال [illegible] ومن لم يعرف [illegible] . ولا بد أن لا يكون هناك حدود تحده ولا قيود تقيده إذا شاء أن [illegible] وأن [illegible] ولا بد أن يكون مستطيعاً أن يصنع ما يشاء أن يكون خارجاً عن الخلقة [illegible] المعروفة ومن [illegible] في قسم المعجزات . ولا [illegible] مواهبه [illegible] محدودة [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] من [illegible] كائناً ما كان ان هذا فوقها أو أنه بعيد عن [illegible] أو أنه [illegible] كلامه . فلنقابل هذا بكلام الدجال [illegible] مع أن الدجال [illegible] وعموم أن [illegible] على كل شيء [illegible] إلى الانسان [illegible] في قوله أي شيء يخترعه [illegible] ويدعي

(١) [illegible] من موضوع الاستعاذة من الدجال [illegible]
[illegible] وهذا هو [illegible] الدجال . [illegible] للانسان نفسه لما كان له ذنب
[illegible] كان من [illegible]
[illegible] فوق قدرة [illegible] شيء .

أن نلاحظ أنه صرح أن المدعو يدعى أنه على كل شيء قدير إلزاما له على
تلك الجملة، مع ان الدجوى ذكر أن ذلك بالدعاء، فقد ادعى عليه بأنه يقول
ان الانسان على كل شيء قدير. فهذا الذى ألزمه الدجوى يجب ان يعامل به
لانه صرح [illegible] كما [illegible]. والعجب أنه [illegible]
الدجوى نصيحة [illegible]

فصل

[illegible]

[illegible]

فصل

[illegible] ومشكلة المرض ومشكلة [illegible] ومشكلة
الاخلاق ومشكلة الاستقلال [illegible] وكل مشكلة [illegible] أهم
[illegible] كل مشكلة [illegible].

بل وإنه ولد حلب وعلاجهم من [illegible] على الله ووثبوا على مقام الألوهية
المقدس . انتهى . فلينظر العاقل المنصف إلى هذا التحوير [illegible]
كيف يدعي أن المسلمين يرون أن معلم الدين هو حق مشكلة أحسن من
استطاول على الله ووثوب على مقام الألوهية المقدس ، وأنهم يرون أنهم غير
محتاجين [illegible] عمر الإسلام [illegible]
من أصدق [illegible]
[illegible]
والحس أو [illegible] من هذه المسائل ويرى
أن العلماء [illegible]
ثم قال [illegible]
ويشتهون [illegible]
الضراعة والمسكنة وأن [illegible] الانتظار .

قلت : غرضه من هذا التفجع [illegible] ذكر بعض [illegible] العبادة في
قلوب أناس [illegible] ، فقد علم أن الدعاء هو روح الدين
كما أقر [illegible] ، وإلا فكل عاقل يعلم أن هذا [illegible]
على [illegible] الذي قبله ، [illegible] من الله أن يعطيه
ويصنع له ما يشاء ويشتهي [illegible]
الدعاء والبكاء ، إلا في مسألة الجدب ، وليس الأمر كما [illegible]
ذلك بعمل شرعي خاص والدعاء من [illegible]
[illegible]
المسلمين [illegible] أن الإعراض عن التعلق [illegible]
فكيف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقوله [illegible]
كما قال [illegible]
نفسه [illegible]
يفعل لنفسه فلو غمضت طرفك عن هذه [illegible]
في مواضع [illegible]
بكلمة واحدة [illegible] في الدعاء والصلاة
فوجهت [illegible] كل مصيبة ، وهؤلاء هم [illegible]
لأنفسهم وقومهم [illegible] لا [illegible] أحد صدق الإخلاص في العبادة
إلا وهو جريء على [illegible] وأمثالهم ولأن
الله سبحانه ذكر أن الذي [illegible] هو الذي يستحق النصر من عنده فقال

في هذه الآية التي استدل بها هذا المعترض وهي حجة عليه ﴿ إن تنصروا الله
ينصركم ﴾ وقد فسر سبحانه نصرنا له في آية أخرى مثل هذه الآية بطاعته
ودعائه وإقامة أوامره والصلاة والدعاء وقال تعالى ﴿ ولينصرن الله من ينصره
إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ فبين في هذه
الآية كيف يكون نصره وأن أول ما يجب هو إقامة الصلاة إلى آخره. فالآية
حجة صريحة عليه لا له وما دعت اليه الآية لا فائدة فيه، ولكن هو
أصيب من شيخه بحجج يحتج بها فيكذب على الله تعالى
كما كذب على عباده المؤمنين ولا يستطيع أن يكون هكذا فإنه لا بد أن
يكون معتقداً في نفسه وأمثاله وأمته في الخداع والمكر والمراوغة، والا لم
يكن لولا هذا الاعتقاد أن يكون له وصف آخر

فصل

قال: إن الأحرار الذين ليس لهم ولا لأنفسهم قيمة يتوقعون إصلاح كل
مشكلة، ويرجون حل كل عقدة، فقط بأمر واحد، وهو [illegible] أخرى، إلى أن
يصيروا في أيديهم يحتج الخصم الأكبر. فقلت: إذا كان هذا حال المؤمنين
الذين [illegible] مؤمنين به وحده [illegible] إصلاح كل مشكلة
فإنهم يرجون ذلك لأنهم يعملون بموجبها ويعدون لكل شيء حسابه
ويعتمدون على الله وحده ويؤمنون بأن في تحكيمه الثقة بالله إذا
صدقوا معه لأنهم يعلمون أن الله عز من استعان به وتوكل عليه، فيصلحون
بذلك كل [illegible] ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض
شيء [illegible] يكفرون بما وراءها من
[illegible] فيرجون حل كل عقدة على مقتضى ما يحتاجه بالحزم والعزم
والصبر والثبات حتى يحصلوا على نجاح حقيقي ولا يغترون [illegible] الا إذا

كان فيهم شيء من حصافة [illegible] يؤمنون بأنفسهم فلا يغني الذي يريده هذا الهالك ومن على شاكلته فقد يغشون وهو الأكثر وقد يصيبون إصابة مدخولة . وقد قال تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) فأخبر أن الله نصرهم حين اعتمدوا على الله وحده و[illegible] وحده فلم يغتروا بأنفسهم . وقد خذلهم يوم حنين وكانوا كثيرين فقد خالط نفوسهم شيء من الغرور بأنفسهم إذ [illegible] [illegible] كما قال تعالى: (ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) فنص تعالى على أن إعجابهم بأنفسهم هو سبب الفشل [illegible] مع كثرتهم [illegible] عليه من قبل [illegible] على [illegible] الأعجب الذي هو الإعجاب بالنفس [illegible] بعض من يصيبون [illegible] في بعض المواطن فهذه إنما تكون على من كان [illegible] بأنفسهم [illegible] شيء من هذا الأمر أن قدموا [illegible] على أوامر الله [illegible] لقصد [illegible] قدموا عدوهم على أنفسهم لأنهم قدموا [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] الكلام [illegible]

[illegible]

[illegible] كل شيء من السماء (١) ومن الآلهة المتعددة الأخرى [illegible] هؤلاء [illegible] أن [illegible] أنفسهم وأن يعولوا عليها [illegible] كل شيء [illegible] في استطاعتهم [illegible] قصدوا ومن [illegible] يسعون في الأخذ ويسيرون في الطريق [illegible] [illegible] والأشخاص [illegible]

---

(١) أي أهل التوحيد

كله عن العمل وعن اقتحام الصعاب ».

قلت . هذا الرجل قسم الناس هنا إلى قسمين قسم يعتمدون على أنفسهم فقط وقسم يعتمدون على غير أنفسهم . فمن هؤلاء من يعتمد على الله وحده ، ومنهم من يعتمد على الآلهة المتعددة [illegible] من المخلوقات ، فجعل هؤلاء [illegible] قسم واحد [illegible] في [illegible] [illegible] الله والأصنام في عدم الفائدة [illegible] [illegible] له من فائدة [illegible] [illegible] على الله ومن يعتمد على الآلهة الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] فلاحدة فإن الناس في الله قسمان [illegible] [illegible] منكر [illegible] [illegible] فالأول هو الملحد الذي لا يعتمد إلا على نفسه [illegible] ومن عقد [illegible] على المسلمين زورا [illegible] [illegible] [illegible] وكأنه أعمى عن هذه [illegible] [illegible] التي تبذل في هذا [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ويستكوا [illegible] [illegible] من الملحد [illegible] [illegible] كاملا [illegible] حكمة [illegible] [illegible] وجود [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] هؤلاء [illegible] [illegible] يقرءون [illegible] كل يوم [illegible] [illegible] والاحتمالات [illegible]

---

(١) [illegible] [illegible] على هذه [illegible] [illegible] [illegible] العالم كله

الدابة [illegible] شاء الله أن يسقط عليهم [illegible] أو يخسف بهم الأرض أو يحصب
عليهم [illegible] أو أن يدمرهم وأن يجعلهم [illegible] و[illegible]
[illegible] لهم ولا [illegible] من [illegible] عن [illegible] ولكن [illegible] لا [illegible]
ذلك أبداً . ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض . وإن الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم حتى [illegible]
ونقص [illegible] على [illegible] [illegible]

قلت [illegible]
هذه الخطب الأسبوعية [illegible]
الإسلام [illegible] على المقدس [illegible]
[illegible] الذي هو
[illegible] على
[illegible]
[illegible] الخميس [illegible]
عليهم [illegible]
[illegible] الخطب [illegible]
ولا [illegible]
[illegible]
[illegible] هؤلاء [illegible] أن [illegible]
على [illegible] أو يخسف بهم الأرض [illegible] لا [illegible]
[illegible] ولا هو في الخطب [illegible]
الخطب [illegible] في هذا العصر [illegible]
العامة [illegible]
[illegible] أو هو [illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible] لا [illegible]

[illegible] لا
[illegible]

فصل

[illegible] فذكر أن دعاء الله جل
[illegible] وما هو مصرف حيث أي عمل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هو الصرف [illegible]
[illegible]
[illegible] ومصرف [illegible] لا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فقد عرفت أنه [illegible]
[illegible] ومعلوم ان الصلاة ليست بوسيلة
[illegible] ومصرف حيث [illegible] قوله
[illegible] فقد
[illegible]
[illegible]
لا [illegible] الاسلام [illegible]

كيف يشك في كفره . وقد رأيت أيضاً أنه [illegible] أن ذلك [illegible] كونه عبادة مما
لا ريب فيه . وقال أيضاً في ص ٩٧ من الدرر [illegible] ﴿ألا تعبدوا
إلا الله﴾ . فأفادنا أن الدعاء والاستغاثة عبادة . انتهى . فقد رأيت أنه صرح
بأن الدعاء عبادة . وأن ذلك مما [illegible] . فيكون العبادة لا فائدة فيها بل
هي ملغاة ومعطلة وحينئذ معوق للشرك كما هو صريح كلامه . وقال في صفحة
الأخرى (الفصل الخامس) [illegible] على المدعو في قوله : من دعا غير الله لم يلزم
تكفيره . فقال هذا الملحد [illegible] في ص ٨٩ [illegible] يقتضي أن دعاء الله
ليس عبادة . وهو باطل بالإجماع . فقد رأيت أنه صرح بأن الدعاء عبادة
بالإجماع . وقال أيضاً فيه ص ٨٩ و ٩٠ [illegible] أن الدعاء
داخل في مسمى العبادة [illegible] وأن من دعا الله فقد عبده ودان له . وفي
الحديث الصحيح أن رسول الله عليه السلام قال : الدعاء هو العبادة . وفي
رواية : الدعاء مخ العبادة . وفي حديث آخر صحيح أن رسول الله عليه السلام
قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [illegible] فسر عليه السلام العبادة
بالدعاء . ولا خلاف بين أحد [illegible] أن دعاء الله عبادة له [illegible] أن
العبادة كلها لله وأن الدين كله له ، وأن صرف شيء منها لغير الله [illegible]
للإسلام . انتهى كلامه [illegible]
[illegible] ولا خلاف بين أحد [illegible] عبادة له [illegible] لا ريب فيه
[illegible]
بالإجماع . ولكن يكون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] وحتى [illegible] كل [illegible]

وهذا الذى ادعاه هنا هو [illegible]

[illegible]

ذكرها هنا وهى [illegible]

[illegible] وهذى هى [illegible]

[illegible]

هذا الملحد أخيب جهده في محاربة هذا المظهر الأكبر فيه أعني من الصلاة،
فإنها لا تصح إلا به وهو يصح بدونها. فهو توجه وافتقار حالي قولي مناسب
للفقر الذاتي للإنسان. وقد جعله هذا الملحد مضادا للإيمان بالإنسان. وهو
كذلك فإنه مضاد للإيمان بالإنسان الذي يوجب الكفر بالله. مناسب للإيمان
بالإنسان على الوجه المشروع. فإن الإنسان محتاج دائما فهو فقير إلى خالقه
الغني بالذات. فاتصاله بخالقه بواسطة الدعاء هو الذي يقويه و [illegible]. فاتصال
الإنسان بخالقه أمر ضروري لا بد له منه [illegible] فهو سبب الأكبر
توحيد بين العبد وبين ربه. وأراد هذا الملحد [illegible] قطعه وهيهات
فيما سولت له نفسه [illegible] حقيقته توجه خالق
[illegible] مع الوجه القولي. ولأن [illegible] عمله [illegible] وتصدقه
وتقويه. وقد قال تعالى: قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف
يكون لزاما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(١) [illegible]

لزاما » وهذا صريح في أن كل من كف الناس وسكت عن دعائه أن سيلازمه العذاب ويعامل بنقيض قصده . ونظير هذه الآية قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فإنه [illegible] في واحدة من الحكمة في إيجاد الخلق حصول الدعاء وفي [illegible] وقد بينه في قوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » [illegible] الدعاء بالعبادة [illegible] فكل هؤلاء الخشية لمن شمخوا بأنوفهم [illegible] الدعاء استكبار ، وقد أخبر أنهم سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين . وقال تعالى « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » ومن يقول إنه لا فائدة [illegible] يقول لا يجيب المضطر ولا يكشف [illegible] لأن الداعي ولا كشف [illegible] فليس له من فائدة . وقال تعالى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » ومن يقول إن الدعاء ليس بوسيلة وليس له من فائدة وإنه مصروف حسب [illegible] ويلزمه كما يقول لا يجيب دعوة الداعي لأنه ليس بوسيلة [illegible] ولو كان وسيلة أو فيه فائدة لأجاب دعوة الداعي [illegible] فمن يقول إنه لا فائدة فيه يقول لا يجيب دعوة الداعي [illegible] ومصروف حسب فلا يحصل له [illegible] كشفه للدعاء إذا [illegible] هو [illegible] دعوة الداعي . ولا شك [illegible] في الأصول [illegible] في موضع [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

مشيئة الله تعالى . فهؤلاء الداعون الذين [illegible] لم يأتوا بهذا السبب
على وجهه الصحيح ، بل يأتون به ضعيفًا أو مقرونًا بما يبطله ، أو يعملون
أعمالًا تضاد مقتضاه ونتيجته ، فلا تكون نتيجته إلا ضعيفة جدًّا كالسبب المادي
الذي يقارنه ما يضعفه ، بل الدعاء لا بد له من نتيجة فلا يذهب سدى أبدًا ،
ولو أن الداعي أتى بالدعاء على وجهه كما أمر لحصلت [illegible] له مقصوده بلا
ريب ، كما يقع ذلك في الأسباب المادية سواء بسواء ، والله سبحانه أمر
عباده بالدعاء ووعدهم بأن يستجيب لهم ، وأمرهم مع ذلك أن يستجيبوا له كما قال
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا
لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ فبين في هذه الآية الشروط التي تترتب عليها
الإجابة أي [illegible] والإيمان به ، فمن آمن به واستجاب له استجاب الله
دعاءه ومن تمرد وتكبر وأعرض وما أمر به [illegible] ظهريا أو تساهل فيه
فإن شاء الله استجاب له وإن شاء لم يستجب له عدلًا ، وهذا الملحد نفسه قد
علا في الأسباب المادية [illegible] به إلى حد [illegible] وأسرف في [illegible]
الأسباب المادية [illegible] إلى حد [illegible] ، [illegible] من المعلوم أن
أكبر سبب في الوجود عنده هو [illegible] وليس
في هذه الأرض أعلم من [illegible] . [illegible] من الأسباب ما به
[illegible] ومع هذا [illegible]
وعادت [illegible] على [illegible]
[illegible] من هذه الأسباب [illegible]
[illegible] في بعض الأحيان ، [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
في [illegible]

اعترافك بأنها أسباب قوية مؤثرة ومع ذلك فلا تأثير لها كاف في تحصيل
حاجتك، لأن حاجتك دائرة على وجود وجه المصلحة من السبب حتما فقوى
هذا الوجه مع هذا السبب [illegible] عندك [illegible]، [illegible] هنا [illegible]
كون [illegible] ذلك [illegible] وليس له من [illegible]، فلم تكشف [illegible]
المصلحة حتى ثبت السبب فيه [illegible] مع المصلحة، فيرى أن [illegible] هذه
الأمور الصناعية ولكن [illegible] أن السبب الذي [illegible]
موجود في الأمور [illegible] وهو عدم حصول المطلوب
[illegible] هذا السبب [illegible] في الأسباب
[illegible] كلها لأن [illegible] والدعاء
فلا تحصل كل [illegible] في الأمور المباحة
والمشروعة [illegible] لم يحصل [illegible]
منه، وكان من هذه الناحية أولى [illegible] عاكست الحقيقة
[illegible] الأسباب [illegible] وحصول [illegible]
ما سألت له [illegible] فيها [illegible] في [illegible] والاعتماد عليها
و[illegible] في
الوجود وأحدث [illegible] كلها وعرف تأثيره بالشرع والعقل
[illegible] فدعيت أنه
من [illegible] كونه سببا [illegible] حتى [illegible] وليس له من
[illegible] حتى [illegible] هو المصدق الحديث
[illegible] بأنه عبادة، ومع اعترافك
بأن الخلق [illegible] هذا كله [illegible] ومعاندة لرب العالمين
ثم لما كانت هذه الأسباب [illegible] لم تحصل [illegible] لم
[illegible] في الدعاء [illegible] هذه
الأمور [illegible] لا تعد ولا تحصى في طلبه

الاستقلال وطلب أمور أخرى . ولكن [illegible] ذهب هواء ولم يحصل [illegible]
فاذا قال القائل انهم يدعون ولا [illegible] ويطلبون أسبابا مادية كبرى
ولم يحصل مقصود . ولم يوجب ذلك الطعن فيها فكيف يوجب الطعن في الدعاء
مع أن [illegible] شهد شهودا أحق بالشهادة [illegible] شهودا زورا بأن الدعاء لو
كان [illegible] في حد [illegible] كما [illegible] الأسباب [illegible] لحصلت
النتيجة بلا ريب . ومن هو الذي [illegible] هذه الأمة الاسلامية لولا هذه
الدعوات لكان [illegible] وهم [illegible] ويتضرعون في [illegible]
لا تعد ولا تحصى [illegible] كثير [illegible] أموالا وأولادا
أصبحوا يتقلبون في [illegible] وشقاء [illegible] فلا
يوجد [illegible] صحيح [illegible] كل [illegible]
كانت [illegible] لا [illegible]
لا [illegible] أن [illegible] أنفسهم [illegible]
الصحيح [illegible] أنه [illegible] وكان [illegible] وذهب
يستعمل [illegible] صحته [illegible]

ان كل [illegible] هؤلاء الداعين وهؤلاء [illegible] في كل أحد
أنه لو استمسك كل [illegible] هذه الأمور [illegible] في [illegible]
والمحافظة [illegible] ذلك [illegible] أكثر [illegible]
فكيف [illegible] وضعف وشك [illegible]
ذلك ثم لا [illegible] أكثر [illegible]
وأطال [illegible] يشكون في قدرتهم وفي أعمالهم بالذات
[illegible] ولا فلو عملوا غير شاكين
لحصل لهم [illegible] هذا
الذي يدعيه في الأعمال [illegible] أشنع وأشنع
وأعظم [illegible] على [illegible] أكبر

وتقدح فيه هذا القدح العظيم

سبحان الله، من هو الذي يستطيع أن يحكم على أفراد هذه الطائفة أن كل
من دعا منهم فلا يستجاب له، وأن دعاءه مبعد ومصروف عنه، مع أنهم
كلهم — حاشا ملحدهم — يدعون ويفزعون إلى الله في حاجاتهم المختلفة [illegible]
وقد وجدوا تأثير ذلك أظهر من أن يكابر فيه، وليس فيهم أحد يشك أنه
سبب من أقوى الأسباب، [illegible] يشكون في أعمالهم [illegible] من [illegible] في
موجبات الإجابة. ولو قيل [illegible]
ولا له فائدة لأنكر ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الفوائد، بخلاف من لا [illegible]
لا يدعون الله [illegible]
[illegible]
له [illegible]
وكانوا [illegible]
ولا شك أن من [illegible]
الله [illegible]

ولكن يجب أن [illegible] الإجابة لمن دعاه، والإجابة
لا تقتضي إعطاء الشيء المطلوب من كل وجه. فقوله تعالى: وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون، وقوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين، وغيرها من الآيات

أنه دلت على الإجابة وهي أخص من بعضه [illegible]، فإن الدعاء أعم من
[illegible]، ووجه الداعي أعم من بعضه [illegible]، وقد قال عليه الصلاة والسلام
[illegible] فيقول من يدعوني فأستجيب له، من
يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، ففرق بين الداعي والسائل وبين
الإجابة والإعطاء، وهو فرق بالعموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر
وذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علموا أنه قريب مجيب يجيب دعوة
الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته
فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ
[illegible] والسؤال أعم من
بعضه مسئول، كما ثبت عن النبي ﷺ، رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله
ﷺ قال: ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا
أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير
مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها. قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر. فقد
[illegible] لا بد في الدعوة الخالية عن
العدوان من إعطاء السؤال معجلا أو مثله من الخير مؤجلا أو يصرف عنه
من السوء مثله [illegible] ليس
لأحد أن يحكم على كل [illegible] فلا
يستجاب له [illegible] على أنه
[illegible] في مسألة
أو مسائل لأجل موانع [illegible]
[illegible]
[illegible]
في شرع الله [illegible]

بعده (1) وكيف يشكك النصراني يدعي أنه مصدق بما أنزل الله أن الله لا
يجيب دعوة الداعي وهذه أحاديث عنده متواترة أكثر من أن تحصر وأظهر
من أن تذكر . وليس من شرط الإجابة أن يفهمها وينظرها من طبع الله قلبه
وكان في شك من دينه . وليس من شرط حكمة الدعاء أن تكون الإجابة بإعطاء
السائل عين ما يطلبه هو ويشتهيه ، فإن الله سبحانه يفعل ما يشاء بعبده على
ما تقتضيه حكمته وعلمه ورحمته لا على ما تشتهيه عباده ويتمنون ، فإنه سبحانه
أعلم بمصالحهم وأعلم بهم من أنفسهم ، كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته
وأفعاله التي منها إجابته ، فليست إجابته كإجابة المخلوقين من كل وجه ، ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير

هذا واعلم أن الدعاء ليس سببا مستقلا كالأسباب المادية من كل وجه
بل هو سبب ديني أعلى ، وليست الأسباب المادية أقوى من هذا ، فهذه
أسباب [illegible] ليست [illegible] وجميع الدول تستعملها قوة وبراعة
ومهارة المقدرين في تسييرها لا تغني ، وقد تنجح وقد لا تنجح ، ولو
أن [illegible] كتب ونشر [illegible] سببا [illegible] من فائدة [illegible]
أنها تنفع في بعض الأحيان أو أنها ليست سببا ماديا لكذبه الناس
وسخروا به ، هذا مع أنها قد تفيد وقد لا تفيد ، وليس في الشرع نفي لها

(1) وقد نرى من هؤلاء الأطباء وقد [illegible] ليس كل من [illegible] عالجه
الأطباء يحصل به الشفاء مع أنه يسير عليه العلاج ويصيب نصيبا كاملا ، ولو أن
رجلا أو جماعات دخلوا مستشفى ورأوا [illegible] ذلك فيهم فكتبوا ونادوا
أن الطب لا فائدة فيه وليس [illegible] بيع الأطباء و[illegible] وشتموهم
وسبوهم وسخروا منهم [illegible] مع إقرارهم بأنه ليس كل من تداوى يحصل له الشفاء
ومعلوم أن عدم حصول الشفاء أكثر من عدم إجابة الدعاء لمن استعمله استعمالا حسنا
[illegible] المريض لا يعمل معه [illegible] الطبيب ناصحا له ، لا على
ما يراه المريض بكل حال

أو اثبات بالاحساس . فكيف بالسبب الذي هو روح الدين والذي عاش
بوجوده الوجود أجمع . هذا وبعد أن تبين أن المشاكل التي شرعت
لها الأسباب الدينية والمادية يكفي فيها الدعاء وحده . فان الله سبحانه أرشد
الى العمل كما أمر بالدعاء وبين أنه سبب لحصول الشيء فلا بد من وجود السبب
المادي مع الديني . فالديني هو السبب الأصلي والمادي فرع له فلا بد من وجود
الأصل مع الفرع . والذي يمنع الفرع عن الأصل يجني على من يتبعه . والله
سبحانه بين مصالح الانسان وبين الطرق التي يستحصل بها هذه المصالح . فمن
أخذ بهذه الطرق استحصل على المصالح ومن تركها فقد أضاعها . والطرق هي
هذه الدينية والدنيوية . فالحرث وتنقيته ونحوه [illegible] حصول [illegible] بالتعلم
والتعليم وتيسير وسائل العمل . ويستعمل مع ذلك [illegible] الدعاء للأعمال
كلها كالروح والحياة التي تلهبها وتدفعها وتقويها [illegible] وإذا خلا العمل من
الدعاء فقد خلا من القوة النافعة . كالجسم [illegible] من الروح كان عرضة
للوحوش والحشرات وغيرها . وأما الخصب [illegible] فيستعمل في أسبابه الدعاء
ونحوه من الأعمال الدينية كالصدقة [illegible] خزائنه
الكبرى . فان وجود المطر مصدره [illegible] وقد قال تعالى « وإن من
شيء الا عندنا خزائنه » اى فليطلب منا [illegible] فيجب على الانسان [illegible] عليه
فعل ما ينفعه دنيا ودينا بفعل الاسباب العادية [illegible] ويستعين
بالله تعالى على انجاح قصده ومراده كما قال النبي ﷺ : احرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجز . فان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان
كذا . ولكن قل قدر الله وما شاء فعل . فان (لو) تفتح عمل الشيطان .
ففي هذا الحديث بيان أن الانسان يجب عليه الحرص على ما ينفعه من
الأسباب . ويستعين الله تعالى فيدعوه ولا يعجز ويكسل ويصير الى البطالة .
وأن نجاحه تحت مشيئة الله ولكن الله سبحانه كريم رءوف رحيم يعطي من
استعان به صادقا مخلصا . فلا يخيب من التجأ اليه باخلاص وصدق ابدا . أما

ونقص الدعاء والكبر عنه [illegible] محوه . وأما نقص العمل
وعدم فعل السبب فنقص في عقل صاحبه في الرأي . فالله تعالى أرشد الى
فعل الأسباب العادية وطلب ما وراء الأسباب الدينية ، فمن اقتصر على أحدهما
فقد خالف سنته الدينية والكونية التي [illegible] . فإن حصل له نقص في
عمله فلأنه قصر فيما أمر به [illegible] بمقدار ما أتى من
النقص في الأمور المشروعة

فصل

ثم قال : « وبيان ذلك أنه [illegible] غضب أو حنق على إنسان آخر
أو أمة على أمة أخرى بسبب من الأسباب [illegible] والعدوان والمنافسة والحقد
صار هذا الحنق والغضب قوة [illegible] ومن المؤكد أن تدفع ذلك
الحانق الغاضب الى العمل [illegible] . ولا شبهة في أن تدفع هذه القوة
في سبيل ما من سبل الانتقام [illegible] أن تدفع في سبيل
الانتقام أو البطش أو العمل [illegible] نفسه من ظالمه أو يعمل
وينتج للحق [illegible] . ولكن إذا
وجدت هذه القوة لها متنفساً أو [illegible] في الطريق الطبيعي انطلقت
منه فأتلفت في انطلاقها [illegible] على الوجه الآخر . هذا في كل
القوى المندفعة بالضغط أو المد [illegible] انتهى »

قلت : قد تبين لك من هذا أن مستنده في دعوى كون الدعاء ليس بوسيلة
ولا له فائدة وأنه مضر [illegible] هو ما ادّعاه هنا في هذه
الجملة ، هذا هو برهانه ومستنده على إنكار نفع الدعاء ، فاعتقد أن الدعاء
يصير متنفساً للغضب والحقد التي أضرمها حب المنافسة والأحقاد والمطامع ،
وهذا الذي قاله [illegible] إنما يأتي على ما ذكرناه من الخاطر الصريح . وهذا [illegible] لم
يذكر أن الذي أضرمه الاستبداد والكفر والظلم وسب الله ودينه وأنبيائه

وليس يكون الدعاء به وحده فلا شيء من ذلك ، بل جرى على عادة السفهاء
والنوكى والحمقى والملاحدة الأشقياء ، لأن كل هؤلاء إنما يستقيمون لأغراضهم
وأعضائهم وشهواتهم لا لأنفس ولا للاستقامة [illegible] إذا
حصل [illegible] هذه الحاجات الشخصية [illegible] هذه الأغراض النفسية كانت شهوة
[illegible] ذلك من وجوب العمل على الشعوب [illegible] في أعمالهم
وكون العمل وحده [illegible] فإذا لم يصح وكل
هذا [illegible] وذلك أن يقول
إن الدعاء لا [illegible] في العمل ولا يضعف القوى من طلبه [illegible] في كل العامل
غير [illegible] الذي
[illegible] العمل وتكميله ، وإن الدعاء
دال على قوة الأمل وقوة الاعتقاد [illegible] على شدة حرارة الإيمان
[illegible] للعمل [illegible] أن قوة الحركة [illegible] كانت بها قوة
العمل وضعفه [illegible] فقوة العمل وضعفه [illegible] الأمل [illegible]
وكل [illegible] الأمل وقوى [illegible] الدعاء فهو كالحرارة [illegible]
في [illegible]
[illegible] لا
[illegible] أو حركات ، وبكثرة الدعاء
يكون كثرة العمل وقوته ، فالدعاء [illegible] على الحرارة المحركة للعمل ، والانتاج
وهي الحرارة [illegible] فقوة حرارة الإيمان يكون الدعاء
والعمل والانتاج في الكثرة ، وكلما ضعف الأمل في الدعاء وضعفت الحركة
فيضعف الانتاج ، فالدعاء [illegible] على [illegible]
باطل ، وحركة الأمل [illegible] ، وكل هذه [illegible] لأن
الدعاء عنوان على [illegible] على الحركة [illegible] على الانتاج ، [illegible] أن
الانتاج [illegible] قوة الحركة واعتدال [illegible] وقوة الحركة واعتدال

[illegible] بما يكون بعد الحرارة في [illegible] وقدر الوقود يكون حرارة
والوقود هو مشاهدة الأوامر الإلهية وحب الله ورسوله وكتبه [illegible] وخوفه
ورجاؤه . فالأعمال الصالحة هي الوقود والمدد هو [illegible] ينميها ويذكيها
ويصرفها وعظمته [illegible] لا [illegible] . [illegible] هذه الشروط التي
هي الدعاء والإيمان والعمل [illegible] لا [illegible] تصحيح [illegible] الاستمرار [illegible] .
وإذا اختل الإيمان أو الدعاء ضعفت الحركة وضعفها يضعف الانتاج . لا سيما
إذا ضعف الوقود [illegible] الوقود [illegible] كانت الأعمال
الخالية فيكون الوقود من شيء حيث ضعف [illegible]
[illegible] بحسب ما يعتريه من النقص والاختلال

فصل

ثم قال : وقد كان [illegible] في هذه [illegible]
[illegible] على من [illegible] أو [illegible] [illegible]
هذه الخواطر [illegible] والأعمال [illegible]
أو [illegible] الحسد [illegible] .

قلت وهذا أيضا لا [illegible] . لكن إذا كان الدافع هو الحق
[illegible]
[illegible] أن يكون الدافع [illegible] أن تكون
كلمة الله هي العليا ، وإقامة العدل [illegible]
الوجه يكون من أعظم [illegible] الحق [illegible]
عوارض نفسانية [illegible]
والمطامع [illegible] الأعمال .
ثم إن هذا المعارض قد نقض [illegible] واحد يجلب
شرورا كثيرة حيث قال في المبحث الخامس في [illegible]

[illegible] انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم . وهو حديث [illegible] الحنيف من [illegible] لأن [illegible] مجبول على الغيرة من الأخرين وعلى الحسد [illegible] والحسد قد يحمل [illegible] بأنم وشق [illegible] المحسود [illegible] [illegible] وقد [illegible] جماعة شامة [illegible] تجلب شرورا كثيرة شاملة و [illegible] وفى هذا المبحث [illegible] حتى ولو بالدعاء [illegible] هي أعمال [illegible] عن أن [illegible] والها [illegible] هو الأعظ النافع [illegible] كما هو [illegible] عن [illegible] هذا وسالك طريقة [illegible] والغيرة وأمثال ذلك ، وهذه هي دوافع [illegible] كل أصحابها كالأ[illegible] هم أصل [illegible]

ثم قال : ولكن هؤلاء (٢) سلكوا طريقة [illegible] الكلام فوجدوا في ذلك أعظم [illegible] من [illegible] المولدة من [illegible] الانفعالات ولغو صفة الحسد.

قلت : من يكون إيمانه ضعيفا واعتقاده [illegible] لا يجد راحة [illegible] الأمور

---

(١) [illegible] الديكة ونحوها انما تتقاتل من أجل الغيرة ونحوها

(٢) يعني الداعين

التى هى السباب والاتهام ونحو [illegible] ، بل لا بد أن يسلك طريقا يتوصل به الى مراده وهدفه فيجدّ فى العمل والنظر ، ويكثر من الدعاء الذى منه الاستعانة بالله القادر الجبار القاهر ، فيستعمل [illegible] ويكثر منه . لا [illegible] اعماله [illegible] الى العمل و [illegible] و [illegible] والاتهام مثل الدعاء [illegible] خلط بعضها ببعض [illegible] وهذا [illegible] قد يكرر كلامه فى خلط الدعاء [illegible] المعصية من الأعمال [illegible] ولا [illegible] وما [illegible] فى دائما ملتهبا ، والدعاء [illegible] ولا [illegible] لأيمن ومقصر [illegible] ولا [illegible] كصاحب هذه الأعلال فانه [illegible] لا [illegible] نفسه يرى أنه دائما مظلوم لم يعط ما يستحقه ولا يريد أن [illegible] فى [illegible] أمور شخصه . [illegible] والاتهام بالدعاء [illegible] من أعظم الجرائم [illegible] كفر صريح [illegible] القذف والشتم وسائر أنواع السب وحكمهم [illegible] فى كفره [illegible] . ولو أن [illegible] فى صلاته لكان ذلك من [illegible] أحدا أو قذفه فيها بشىء من السب والاتهام بطلت صلاته [illegible] ، ولكان ذلك [illegible] فكيف يجعل [illegible] مثل الدعاء [illegible] فى [illegible] الدعاء مع السب والاتهام [illegible] مسكين والله مسكين ، كأنه [illegible] لا يفهم ، ثم دعواه أنهم [illegible] بالسباب والدعاء والاتهام [illegible] طاهر .

ن المؤمن لا يجد راحة بهذه الأمور . فإنه لا ينتفع بشيء من [illegible] كالــ
والأوهام ولا يسترسل بالدعاء بدون العمل . لأن الدعاء وعوامله الباعثة عليه
لا بد أن تدفعه إلى العمل بالضرورة . لأن [illegible] بدون [illegible] لا [illegible] . وأما
[illegible] فالدعاة [illegible] به أصحابه وأهل [illegible] و [illegible] وخلافه وأشباههم من
أهل الأحلام وليس الكلام مع هؤلاء لأن هؤلاء إنما [illegible] أمور دنيوية
[illegible] متى حصلت [illegible] بخلاف ذلك والعمل الصالح وهو [illegible]
[illegible] فإنه لا يدفع إلا [illegible] وإن [illegible] وغير ذلك
من الأمور الدينية الصحيحة [illegible]
[illegible] أدنى علاقة كما [illegible]

فصل

ثم قال [illegible] [illegible]
[illegible] إلى الخلاء وإنما [illegible]
[illegible] وشهوات [illegible]
[illegible] على [illegible] أي الأسباب
[illegible] الأمور في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] وكثير ما نشاهده [illegible]
[illegible] لأن عواطفه
[illegible] . وأما المؤمن الذي خلط عملا صالحا وآخر
سيئا [illegible] إيمانه ، وعقد [illegible] من الشهوات والشبهات ،
[illegible] فلا بد من [illegible] ، ولا بد أن يكون [illegible] .

خلاف اللسان والاوهام فاكثر ما يكون [illegible] وسيلة حقة

ثم قال: ان العمل هو ما يجب ان يكون [illegible] وبهذا
تصبح [illegible] مفيدة حاثة على الانتاج والابداع. واما [illegible] اللسان
والدعاء والاوهام فهو التصوف الحديث [illegible] مفسدة معوقة للبشر عن
الانتاج والعمل النافع، انتهى

قال: قد صرح هذا الباحث كما ترى [illegible] خبيث وعبارة
مفسدة معوقة للبشر [illegible] هو
[illegible]
[illegible]
[illegible] او
[illegible] لا [illegible]
[illegible] حكمه
على [illegible] لا [illegible]
الا [illegible]
عن [illegible] الى العمل [illegible]
الصحيح [illegible] لانه عمل طبيعي فطري [illegible]
[illegible]
الذي لا [illegible]

ما [illegible] التصوف الحديث
[illegible] هذا القول
[illegible]
[illegible]
[illegible] اكثر الكفرة
ومن [illegible] هذا الكلام [illegible]

الأموات والأضرحة في [illegible] كثير من هؤلاء الجبناء الأشقياء يودون
ويتمنون [illegible] ما في جهودهم أن لو ارتموا في أحضان [illegible] لا
الملاحدة [illegible]
[illegible] الأمور [illegible]
[illegible] لأي داع [illegible]
[illegible] هؤلاء من جنس أسلافهم الذين قال الله فيهم
[illegible] إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى
[illegible] خلفهم سدا فأغشيناهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ص ٢٤٢ ج ١
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أحاكم [illegible] ولا [illegible] إلا
[illegible] آي الكتاب الحكيم. فلا ريب أن العبادة إذا
أطلقت كما أطلقت هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادة
كالصلاة والصيام والحج والزكاة و[illegible] الأعمال والأقوال التي يرد
بها المسلم إلى الله ويلتمس بها رضاه. ولا يمكن أن تكون هذه الآيات تخص
معنى دون معنى من هذه المعاني فلا يمكن إلا أن يكون من ضمن العبادة
المطلقة في هذه الآيات الصلاة أو الصيام أو الاستغفار أو التضرع أو الخشية

أو الدعاء كما لا يمكن إلا أن يكون من صميمها الدعاء والسجود [illegible] ذلك كله
داخل في معنى العبادة المطلوبة [illegible] ولا يختلف المسلمون في ذلك ولا
[illegible] أن هذه العبادة [illegible] في القرآن [illegible]
[illegible] أن هذه الأمور [illegible] لا تقبل اختلافاً [illegible] ولا
[illegible] في دعائه وندائه وأكثر [illegible] أطلق هذه
[illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] فقد أعطى هذه الأمور [illegible]
أنواع العبادة ، وهذا أمر لا يمشي اليه خلاف [illegible] أي في
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا يختلف [illegible]
المشركين الأصنام والأوثان [illegible] ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم [illegible] لا يقربونا إلى
الله زلفى [illegible] أو في غير ذلك من الآيات والأخبار [illegible] المشركين
كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله تناول دعوتهم الأصنام
بالاتفاق . وقد نص القرآن والسنة نصاً جلياً على أن الدعاء عبادة وحينئذ
يحسم النزاع . وكذلك قوله تعالى : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . ففي هذه الآية نص جلي
على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل [illegible] وأشرفها ، وكذلك الحديث
القائل : الدعاء مخ العبادة ، والقائل في الرواية الأخرى : الدعاء هو العبادة .

انتهى كلامه بحروفه فقد ثبت أنه صرح تصريحا لا إشكال فيه أن [illegible]
من أجزاء العبادة بل هو من أشرفها وأفضلها . ونقل الاجماع والضرورة على
ذلك وأنه طاعة لله تعالى وحينئذ نقول له وهل يشك مسلم عرف دين
الاسلام في ان من ادعى في جزء العبادة وأشرفها و[illegible] أنه مصرف [illegible]
في أنه كافر خارج من الملة . فمن ادعى ان الدعاء الذي هو أشرف جزء في
عبادة الله ليس بطاعة فهو كافر كما أن من ادعى أنه لا فائدة فيه فهو كذلك
كافر . ومن ادعى أنه من خبث [illegible] لأجله فهو كافر . لأنه جعل طاعة
معصية تقدح فيه . ومن ادعى أنه مصرف خبث فهو كافر . وكذلك من ادعى
أنه ملهاة ومفسدة وتعويق فهو كافر وهذا أمر مجمع عليه بين الأمة (1) لأن
من ادعى في جزء من اجزاء العبادة كهذه الدعوى فهو كافر . وهو قد صرح
بأن [illegible] من اجزاء العبادة ونقل الاجماع ونفى الخلاف كما تقدم
وقال في شرح [illegible] ص ٢١٦ [illegible] من قدح في الاسلام أو في الله
أو الأنبياء حكم بكفره [illegible]
[illegible]
[illegible]
العقيدة [illegible]
والتوابع [illegible]
رسول الله [illegible]
السماع [illegible] عقد في
[illegible] ولم ينكروا أو توقفوا [illegible]
[illegible] الاحاديث في [illegible]
متادع [illegible] أو [illegible]

(1) والملحد جمع هذه الامور كلها

حتى الأمس [illegible] الصلاة [illegible] والمواضع و مصادر وموارد و[illegible] كل
صفحته و[illegible] كل [illegible] به و[illegible] المسجد الخاشع ونفس صلاته ويقول كل
ما شاء من الكلام الفاسد ومن سوء الأدب مع الله ومع الناس [illegible] والمسلمين
و[illegible] كل شيء من ذلك الى [illegible] و[illegible] صحة ان احد [illegible] ذلك
فلا يستطيع أحد [illegible] من الأقوال وكم من الكلمات فتسبق
النفوس وتنسبغ [illegible] الاعتقاد لا محالة ، وهذا ما حصل لبعض الناس
[illegible] مذهب الفاسد [illegible] قال [illegible] في حقه [illegible] ومن قال
[illegible] ومن [illegible] احسن ومن
[illegible] وكذلك قال [illegible] كله [illegible] ولا [illegible]
[illegible] شبيه و[illegible] افضل من
الناس وقال أحدهم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين وقال بعض المنتسبين
الى الاسلام أكثر من هذا [illegible] أحسن [illegible] هذه الأقوال ومن
أولها وفسرها تفاسير حسنة ومقربة ومن صدق المدعي واستند على أصحاب
هذه المقالات حتى رموا من [illegible] بالفسق [illegible] وهذا
معلوم مدون في كتب مطبوعة [illegible] اليوم [illegible]
اليوم الى ما شاء الله وهذه [illegible] على
حسن ظن [illegible] ادعى الاسلام [illegible] المدعين للاسلام .
وكلامه في هذه الفلسفة في تقرير [illegible] أعظمها كثير جدا
وفي [illegible] الحكم [illegible] الصلاة لاجل عبادة [illegible] الدعاء
كالصلاة سواء [illegible] قال الصلاة هي [illegible] والمناجاة
[illegible] قد ذكر [illegible] أدت شر
[illegible] وأي [illegible] أن من ترك الصلاة فقد ترك الاسلام
وكذلك من ترك [illegible] هو رأس العبادة كما عرف بذلك . واذا
كان هو معترفا لا ريب أن ترك الصلاة كفر ولا شك ان من [illegible] كما

فقد دعا الى الكفر . وكذلك من دعا الى ترك الدعاء فقد دعا الى الكفر ، ولا يشك المسلمون أن من دعا الى الكفر فهو كافر . وإذا فتح باب القدح فى الصلاة والقدح فى الدعاء وفى عبادة الله فأى شىء بقى من الدين ، وما هو الدين إذن [illegible] وهل يتصور [illegible] ن يعبد الله سوى أن ندعوه ونستغيث به ونستعين به ونطلب [illegible] فى قضاء [illegible] ات والحاجات . ويكفيك قوله تعالى : قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ؟ [illegible] صريح [illegible] ه ولا دعوتنا إياه لم يعبأ بنا ، فصريح [illegible] الدعاء هو [illegible] فمن قدح فيه فقد قدح فى العبادة التى هى أس الاسلام والدين . [illegible] ، لا يخفى الا على من لا يعرف حقيقة الاسلام [illegible] فى أن يشيع ذلك كله فى كتبه السابقة لانه قد نشر الى أنه [illegible] ادعى فيها أنها مبنية على براهين لا [illegible] ولكنه [illegible] وحط [illegible] بعد خروج أغلاله [illegible] [illegible] وأدنى عارف بدينه إذا [illegible] هذا الكتاب . [illegible] أنه [illegible] [illegible] المقدمة الهوجاء التى هى فى [illegible] مقدمة [illegible] المقدمة فيها شىء كثير مما فى هذه ، [illegible] ما فى فيها [illegible] وكان هذه [illegible] من الأسباب التى جعلت [illegible] من الناس يسكتون عنه [illegible] سكوتهم هذا سببا فى خروج [illegible] الحدث وقد [illegible] بعض الصلحاء حيث كتب له حين أخرج أغلاله هذه قائلا ما معناه [illegible] الله أن جعلك [illegible] مرة واحدة [illegible] فى كتب أخرى فعلمنا الناس [illegible] يعرفون من كلامك الأول فيحسنون الظن بك . [illegible] كتبه الاولى كلها تناقض أغلاله هذه . وهى [illegible] التى جعل بعض الناس يشك فيه فى أول الأمر لانه انقلب انقلابا فاحشا لم يسبق له نظير . فدعواه [illegible] أن الدعاء [illegible] حيث وانه ملهاة مفسدة ومعوقة عن الانتاج مع كون هذه الدعوى كفرا لا ريب فيه فهو فى غاية السقوط [illegible]

الملهاء هو الشك والابهام والتردد والشعور وأشباه ذلك من الأمور [illegible]
المزعجة . وذلك كله من شان الملاحدة والفساق وذوى الأنفس [illegible] لا الاعتقاد
الديني . أما الدعاء فانه من نور الله ورحمته التي رحم بها عباده [illegible]
فهو روح الحياة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها والحبل المتصل بين الله وبين
عباده . فكيف يكون من جنس الشك والابهام . ان هذا لنقص عظيم وبلاء
مبين . فان الدعاء أعظم دافع قوي . [illegible] الأكبر [illegible] يدفع الى
العمل فكيف يكون [illegible] معوقا عن عمله [illegible]
[illegible] الأكبر في حصول [illegible] في [illegible]
والآخرة . [illegible] وهذا الضعف [illegible]
[illegible] على [illegible] . وأما الشك والابهام [illegible] الأهواء
والأغراض [illegible] التي [illegible] يكون [illegible]
[illegible] بالموت والأعمى [illegible]
على [illegible] هذا [illegible] على [illegible]
الله [illegible] فلا بد أن يكون هذا شأنه . فان الأمر [illegible]
[illegible] ولا [illegible] الأشياء المتضادة ولا سيما اذا كان [illegible] في [illegible]
فوق بعض

ثم قال : [illegible] الاعتقاد في حياة [illegible] فهذا قد يكون [illegible]
العروض الثلاثة من الناحية [illegible] . غير أنه لا [illegible] في [illegible]
والانفعالات هي من القوى الدافعة الضاغطة كما ذكر [illegible] . فلا بد أن [illegible]
صاحبه الى أحد الأمرين العمل أو [illegible] أو [illegible] [illegible]
الأخيرين [illegible] الى الأول .

قلت : لا شك أن الغيرة على الدين [illegible] والعطف
والاستعداد وحب الله تعالى ودينه من العواطف أيضا . بل هو العواطف
الكبرى الدافعة [illegible] . بل هي أعظم القوى [illegible] . [illegible] فلا بد أن

تنتهي إلى العمل وبعده . ثم إن هذه الحرارة القوية لا بد لها من حركة ولا بد لها من حرارة صاعدة بعد غليها وتصعيدها وبعدها القوة كالحرارة الصاعدة من احتكاك الآلات بالجري والسير . كما تقدم بيانه . وكما تقدم أيضا الكلام على الأحقاد والحسد والمنافسة دينيا وأن هذه قد تدفع للعمل وقد يحصل لها النقص بالأسباب [illegible] عوارض تعرض وتزول ولا أساس لها ، بخلاف عواطف الدين القوية الثابتة فإنها لا تزول إلا بما يزلزل [illegible] على [illegible] قوله [illegible] الأحبار [illegible] [illegible] الدعاة [illegible] السذج [illegible] التقسيم باطل من أصله وضعا لأن [illegible] كل صادر من [illegible] عن العمل فهو [illegible] [illegible] فلا بد من ثبات عنده لأنه [illegible] بخلاف غيره من الأسباب فإنها قد تنفع وقد تضر بل تقتل صاحبها ، [illegible] وصاحبه لله الخالصة هي [illegible] كل [illegible] ومقصد [illegible] الأسباب [illegible] عوارض [illegible] الأهواء والشهوات . و [illegible] ما يقع [illegible] ومعصيه فيكون [illegible] شعب [illegible] شعب مصر . فلا حاجة له في ذلك [illegible] تعليل [illegible] على حسب [illegible] في [illegible] الأخلاق [illegible] لا [illegible] وقد [illegible] الكلام في هذه الفصول استرسالا مع تكريره لأن هذه [illegible] من أكثر ما يلبس فيها ويحرص أشد الحرص على [illegible] هذا الهذيان المزخرف بالكذب والبهتان [illegible] على [illegible] حديا . وهذا إنما يحصل [illegible] [illegible] والله الموفق

فصل

قال [illegible] أن [illegible]

كل أسبوع في [illegible]

ذلك كله [illegible]

[illegible]

والجواب أن يقال [illegible]

تهوى الأنفس ، فإن الدعاء ركن من [illegible]

الأعظم . [illegible] ولا [illegible]

[illegible] عادة [illegible]

[illegible] بالعادة

[illegible]

الشريعة الأغيار أو غالطتهم ، فمن احتج على [illegible] الدعاء فهو

[illegible] الأخلاق

[illegible] الأعمال

[illegible] الأخرى

[illegible] أهله .

[illegible] الدهرية [illegible]

[illegible] وهؤلاء هم شر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible] فهم [illegible] ولكنا [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

[illegible] أجل هذا كان هذا العالم على

[illegible] وهو

[illegible] ولا غيره ، وكيف يذكرون

[illegible] قول لظلم عظيم ، بل هذا هو

[illegible] إنما تأتى من أجل

[illegible] وهؤلاء [illegible]

[illegible] الأسباب في [illegible]

[illegible] وهو [illegible] في الأمر

[illegible]

[illegible] فاذا حصل هذا حصل الاتفاق الذى هو

[illegible] قوله :

[illegible] وهاب مقالى أن ينازعه الدرنا (٢)

[illegible] قولا [illegible]

[illegible] مؤكداً

[illegible]

[illegible] وقت [illegible]

[illegible] ، لأن الدهر أمن

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] في قصيدة [illegible]

(٣) [illegible]

على قوته [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
والدهر [illegible] على قوته ، [illegible]

[illegible] للنفوس [illegible]

[illegible]
[illegible]
الازلية الابدية [illegible]
الله الكريم من [illegible]
يجب على كل مسلم [illegible]
حياة صحيحة ، وهذا كله صريح [illegible]

انه لمن العجب العجيب [illegible]
العلم للرحمن جل جلاله [illegible]
[illegible]
للدين ولا حاجة الى مناقشة مثل الزمخشري [illegible]
[illegible] أولى به [illegible]
ما فى ذلك من مذهب الاعتزال [illegible]

---

(١) فى آخر (الفصل [illegible])

(٢) وكيف يستغنى عنه مسلم واحد [illegible]
[illegible]
ولعلها انما كشفت لاجل انها فى غير برجها ، نعم انه [illegible] برجها وهو
[illegible] بأسما على هذا الذى اخرجه [illegible] أغلالا فى
أعناق الكلاب

لسان المرء ما لم يكن له [illegible] حصاة على عوراته [illegible]

[illegible] فهو [illegible] [illegible] بين [illegible] [illegible] وبين [illegible] وأكثر [illegible]
به هو [illegible] وكان [illegible] من [illegible] في [illegible] الصعاب ولكنه لم
[illegible] فيه [illegible] [illegible] من أجل [illegible] على [illegible] العلماء
وكان [illegible] على [illegible] وأن [illegible] فهو من جنس [illegible] على
[illegible] [illegible] وأشنع

[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] وفي [illegible] على [illegible]
[illegible] وأما [illegible] [illegible] [illegible] فقد حضرت [illegible] البشري [illegible]
يعجز عجزا مطلقا وأن يقع في [illegible] [illegible] [illegible] و [illegible] والتأخر ،
[illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] و [illegible] [illegible] الأوهام في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] و [illegible] و [illegible] على [illegible] في [illegible] إذن [illegible] تحجم
وأن لا [illegible] ومن [illegible] أن [illegible] في مكان لا [illegible] [illegible] [illegible] وإلا
[illegible] [illegible] لا [illegible] أبداً .

فيقف [illegible] وهذا الاعتراض من جنس [illegible] [illegible] في [illegible] و [illegible] ، فإنه
[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هذه الأبيات
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وإنما [illegible] في [illegible] الإلهية وفي صفات
الله وفي [illegible] ، [illegible] [illegible] في ذلك طريقة فلاسفة [illegible] و [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ومن هذا [illegible] من [illegible] الكلام في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] النصوص على ظاهرها على [illegible]
[illegible] [illegible] في هذه الأبيات [illegible] [illegible] إليه في ذلك وأنه لم
[illegible] في [illegible] في [illegible] لأن هذه أمور [illegible] لا [illegible]
إلا [illegible] [illegible] فقط ، فهو [illegible] هذه الأبيات

[illegible] [illegible] العقول عقالُ [illegible] وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا [illegible] [illegible] أذى ووبالُ
ولم [illegible] من بحثنا طول عمرنا [illegible] أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم قال الرازي بعدها: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ واقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولا يحيطون به علما﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». هذا كلام الرازي، وهو أجنبي عن مراد الملحد، ولقد أبعد النجعة في الاعتراض عليه لأن كلامه في المسائل الإلهية لا الصناعة ونحوها من العلوم الدنيوية كما هو ظاهر. وهذا الملحد يعرف ذلك لكن أراد أن يتحامل ويغالط الأغبياء فيما جاء به في هذا الموضع ثم اعترض عليها. ولا شك أن هذا التشنيع خطأ واضح معلوم الفساد. وهكذا يقال في جوابه عن أبيات ابن أبي الحديد فإن اعتراضه عليه – كاعتراضه على الرازي – ثرثرة لا طائل تحتها. لأن كلامه في المسائل الإلهية لا المادية فإنه قال:

فيك يا أغلوطة الفكر … حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما … ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الألى زعموا … أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا … خارج عن قوة البشر

فضمير الخطاب في هذه الأبيات راجع إلى الله تعالى كما هو ظاهر. فقد عكس قصد ما قصده وما فهمه أو تغافل في فهمه مما تقدم فإن ابن أبي الحديد سلك مسلك الرازي فتبين له ما تبين له فهذا اعتراف بأنه لم يصل إلى حقيقة. وهذا صحيح فمن هو الذي يصل إلى معرفة كنه ذات الباري سبحانه وتعالى، إن ذلك خارج عن طاقة البشر، فإنه سبحانه لا تعرف صفاته وذاته بتحكيم العقل ومجرد الرأي والفكر، بل حسب الإنسان العاقل أن يتمسك بما جاء في الوحي من كتاب الله العزيز وسنة الرسول ﷺ في ذلك فيكتفي به في ذلك من الكيفية ما يسعد الإنسان ويعرف من حيث الجملة أن كل ما وصف الله به

[illegible] فكيف [illegible] أن يخالف الى ما ينهى عنه، وهذا كله لو قدر أن [illegible] كيف وهو [illegible] الصواب [illegible] لا ريب فيه

فصل

[illegible] في بعض الاديان [illegible] أن في الانسان استعدادات كاملة [illegible] وأن في استطاعته أن يدرك كل أمر وأن يقدر على كل ما يحاوله، وأن من ادعى أن استطاعته محدودة وأنه لا يصل الى كل ما يحاوله فقد كفر بالانسان ولا [illegible] هذا المعنى كما [illegible] مع ما تقدم [illegible]

ومن الواجب أن نعرف من [illegible] الانسان هذا [illegible] وانسانيته، ولماذا كفر بها، [illegible] أنه كفر بها لأنه أراد أن يؤمن بالله الايمان الذي تصوره. فقد تصور [illegible] أساس الايمان بالله قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق وبين الله وعبده، فالله يجب أن يعتقد أنه كامل في كل شيء، قوي في كل شيء، والعبد يجب أن يعتقد أنه ناقص في كل شيء، ضعيف في كل شيء. ثم تصور أنه كلما بالغ في تنقيص الانسان والمخلوق وفي تضعيفه فقد بالغ في تعظيم الله وفي [illegible] كماله [illegible]

ولست [illegible] من هذه الاكاذيب وغيرها [illegible] هو الدعوة الى [illegible] التفريق بين الخالق والعبد [illegible] لأنه حصل [illegible] هذا التفريق بين الخالق وخلقه وأن ذلك كله بسبب تعظيم الله، أن يجب رفض ذلك لتحصيل الايمان بالانسان. وإلا فما دام مؤمنا بالله وحده ومعظما له وحده ومعتقدا فيه الكمال وحده فلا بد أن يحصل التفريق دونه نقص، واذا حصل اعتقاد النقص في الانسان حصل الآخر، لأن معه اعتقاد النقص في الانسان. واعتقاد الضعف فيه والنقص كفر به، لأن معنى ذلك أن قدرته محدودة وعلمه محدود هذا ما يرى [illegible] من هذه [illegible] الطويلة، اذ من المعلوم أنه لا يمكن أن

يكون الخالق والمخلوق كاملين كما لا يمكن عندهم نقص ، فلا بد من
التعريف ، وهو لم يكن معروفا فى حد ما يدعو اليه حتى يقال انه يقصد كذا
وكذا . ثم حول أعمال الفقه مرة ... وتركه جرى على عادته فى التعمية
وخلط الحق بالباطل . وقد أثبت أن فى الانسان كفاءة تامة لاستحصال
الكمال باستعداده ومواهبه ، أى ولأى شىء يقر بالخالق ويعظمه ويعتقد فيه
الكمال ، لأن المقصود الكفاءة التامة وهى موجودة فى الانسان فلا حاجة الى
غيره . وينبغى أن يعلم أن عقيدة الكفاءة الذاتية فى الانسان ، وأن فيه
استعداداً للقدرة على صنع ما يريده وأن يعلم كل شىء ، أصل من أصول الملاحدة
الاوربية ، فقد أخذه هذا الملحد وحاول دسه فى أصول المسلمين والتمويه
عليهم من هذه المخدعات التى يلفقها فى هذا البحث وغيره بعنوان الروح
مقتبس والكتيب مستقلا وغيرهما ، بما يحوى هذا على الاسم وأشباهها من
لا نصيب له فى دينه . ثم يقال هذا الملحد من أين وجدت هذه القاعدة التى
دعتها هى فى كون الانسان يعتقد أنه كفء عقيدة النقص والضعف فى مخلوق
فقد عظم خالقه وأنه كلما تبع فى تنقيصه فقد تبع فى تعظيم الله ، فان هذا لا
يوجد أبداً فى كتب المسلمين ثم يعتد بقوله [1] ومفهوم عند أكثر العارفين
بدينهم . ثم ملحد من أعداء الاسلام لا يعتد بأقوال فيهم ولا فى دينهم ، فان
الملحد والكافر لا يقبل قوله فى دين المسلمين ، ولا بد لك من النقل من كتاب
معروف أو عن عالم معروف ، وكل ثرثرة كلها يكذب هذا ما بها فى مخارقة
المسلمين فى المخلوقات ، فما ذكره هنا مجرد استهزاء وتهكم لا حاصل له

ثم قال : وصار من العقائد الثابتة للخاصة والعامة أن الانسان لا يعدو أن
يكون أحد تلك الأشياء المودعة الحقيرة التى لا يرجى منها خير ولا علم ولا قوة

---

(١) وفى الحديث « المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل
خير »

[illegible] هذا الوجه ، لأنها ليست مذمومة في [illegible] الأخلاق الحسنة [illegible] وكل [illegible] أخلاقه [illegible]

فصل

[illegible] الاتحاد [illegible] الإنسان [illegible] محدود [illegible] الإنسانية [illegible] الألوهية [illegible] كيف شاء [illegible]

ولا يشعرون [illegible] حقيقة الحجة [illegible] أن عقل الانسان قد يوصل
الى ما يطلبه [illegible] فلو أقيمت لهم كل الدلائل على أن الانسان قد يستطيع
[illegible] لدقيقة الحكمة والاشعة [illegible] في هيكل كل حيوان [illegible]
في [illegible] هو [illegible] أي [illegible]
[illegible] كان [illegible]
ومن الاشياء [illegible] الآلات ، وانه قد
يستطيع [illegible] شيء
أي [illegible] بل كما قيل انهم
[illegible] أقيمت لهم كل البراهين على أن الانسان
قد يستطيع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
المسائل [illegible]
[illegible]
هذا [illegible]
[illegible]
امكان [illegible]
[illegible]
من [illegible] في كل [illegible]
كل [illegible]

[illegible] صحيح [illegible] هو أصل منها
[illegible] فكيف [illegible]
[illegible] مطلقا ولا
[illegible] على [illegible] وكذلك
[illegible] في الأمم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في علوم
[illegible] العلوم الدنيوية
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] لا
[illegible] قال
[illegible] من رسول إلا كانوا به يستهزئون »
[illegible] بالتقوى والعمل الصالح ، كما قال
[illegible] حياة طيبة [illegible]
[illegible] ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون [illegible]

ه، أصل كل فلاح ونجاح. ولكن أكثر الناس الآن يتجاهلوا ويبهموا ذلك
ويشكوا فيه، وماذا شكوا فيه لأنهم لم يفهموا حقيقته. ولماذا لم يفهموا
حقيقته. لأنهم لم يجتهدوا في البحث والنظر والتأمل في الدين كفاءة خدمة لتقدمهم
ونجاحهم. هذا الرجل الفيلسوف كان قد نوه في نحو مائة موضع أو أكثر أن
السبب كله في تأخر الناس شكهم في الأسباب الطبيعية المادية. وأن
سبب شكهم فيها هو عدم اعتقاد السكينة فيها. ثم يقول لماذا لم يعتقدوا
الكفاءة. لأنهم شكوا في قدرتها وسعادتها الحقيقية، وهكذا كل هذا كلامه
في الأسباب مع أنه لا يمكن أن يعتقدوا ولا يعقلوا أن تصحيح دعواه هذه
بمجرد معاكسة في المبادئ وعقول الناس من المقدمة التي لا ريب فيها أن النصوص
الصحيحة دلت على أن الصلاح والنجاح والأمن والحصول على الأماني كل
ذلك مربوط بالأعمال الصالحة على حسب هذه الأمور، إلا أنها لا توجد
إلا بأن قد يوجد سكن نص، ثم إنه قد عرف الأسباب، والنجاح به في ذلك
قد وقع على أكمل الوجوه، فالحق أن البشر وعقل ونص دالة على ربط هذا
السبب بمسببه وأن ذلك سنة من سننه التي لا تحول عنها ولا تتبدل. وحينئذ
نقول له إن السبب الوحيد كله لهذا التأخر هو الشك في كفاءة هذا الدين
للاستقلال والنهوض والمجد، ومن هنا جاء هذا ضعف أخذهم به واستمساكهم
له، إذ من المعلوم أن كل من أحب شيئاً واعتمد عليه فإنه يحافظ عليه ويرفعه
ويجله ويحترمه احتراماً كبيراً كتلك هذه الأسباب الدنيوية المعروفة. ولهذا ضعف أخذهم
به لضعف اعتقادهم في كفاءته في هذه القضية، والله يعلم من فوق عرشه
أنهم لم يعتمدوا الأسباب الدينية مع ما يعتمدون بالأسباب الدنيوية، فإنهم
حافظوا عليها واحترموها ورفعوها فوق الأسباب الدينية. فإذا كانت
هذه الأسباب الدنيوية قد حظيت كل هذا مع هذا الاجتهاد فيها والاحترام لها
والحرص عليها والتمسك بها. فكيف يقال إن الأسباب الدينية لم تنفع جماعة
هذا لا يحتقر لها في ... وعرفوا حق قدرها وحوفظ عليها

حق الحاضنة [illegible] ويعرفون أن [illegible] لا يختص [illegible] إلا [illegible] على
وجهه. فكيف [illegible] دونه و[illegible] وأعظمه. ثم نظر إلى سبب عدم
احترامه و[illegible] في كفاءتها لوجدنا [illegible] عدة أسباب والشعوب على
نفوس كثير من [illegible] و[illegible] ونحوهم، وقد يكون من أسباب [illegible]
أناس كانوا يعتمدون على [illegible] وحينئذ [illegible] الناس [illegible]
قد احتاج عنهم هذا الملحد في [illegible] وقال [illegible] إلا
ضعيفة أو غير كاملة. ولو [illegible]
[illegible] قد عرف و[illegible] أو
مرتين أو [illegible] أو أكثر [illegible] في ذلك [illegible]
مرات. [illegible]
[illegible]
[illegible] ولكن ذلك [illegible]
شكه في [illegible]
[illegible] على الله [illegible]
[illegible] الإنسان في [illegible]
عظيم بالله [illegible]

[illegible] على وجه
الأرض. وكيف [illegible] الخفي [illegible] في [illegible] وهو [illegible]
عجزه [illegible] لا شك فيه. [illegible]
في [illegible] واعتمد على [illegible]
من الأسباب ما لا يحسب له الحساب. وهذا ظاهر مشاهد

أما ما ذكره في الجنين والاطلاع عليه بالأشعة ونحو ذلك فهذا ـ ان قدر
[illegible] ـ ليس من علم الغيب، لأن هذا شيء مشاهد بالعين بواسطة هذه الآلة.
وعلم الغيب هو معرفة ما هو غائب عن الإنسان فلا يبصره ببصره ولا يحسه

لشيء من حواسه ولا يصل إليه [illegible] فهذا هو علم الغيب [illegible]
يدرك شيء من الحواس سواء كان ذلك بواسطة [illegible] أو بغير [illegible] وتظهر
له علامات وقرائن يدل عليه فليس هذا من علم الغيب [illegible]
إمكان هؤلاء معرفة هذه الأمور بدون هذه الوسائط ومعرفة شيء [illegible]
الوسائط أمر متقدم [illegible] هذه العصور كالامارات والعلامات [illegible]
البينات [illegible] لا قرائن [illegible] قد تفيد القطع العلم بالشيء [illegible].
وإنما توسعت دائرة هذه الأشياء [illegible] أن علم الغيب فهو هو [illegible]
أزيلت هذه الوسائط لم يحصل [illegible] من ذلك [illegible]
أنثى [illegible] من علم الغيب [illegible]
الحجب [illegible] أخرى [illegible]
يرى ظاهر [illegible]
وما ذكر في الحديث من [illegible]
وجد من هذه الأمور [illegible] في
الأرحام وأما ما [illegible] في ذلك فإنه يعلمه ويعلم به خلقه [illegible]
ليس شيئا [illegible] من الغيب [illegible]
كما لو [illegible] إلى الأرض [illegible] الأشياء [illegible]
والحاصل أن [illegible] من الغيب [illegible] كما ذكر [illegible]
ولا يحس بشيء من الحواس ولا [illegible]
[illegible] والوسائط
[illegible]
[illegible] ما تقتضيه الحكمة والعدل في كل زمان
ومكان، وكذلك اطلاعهم على بعض الأشياء [illegible] في الخمس الآية
المذكورة فهو من هذا الباب فليس هو من علم الغيب [illegible]
[illegible] الأشياء [illegible] أو [illegible]

[illegible] ولا يصح عقلا ولا شرعا أن يدعى فيه
أنه من علم الغيب [illegible] كان ذلك الشيء [illegible] أو [illegible] واسطه
أما ما ذكره في [illegible] ذكرا أو [illegible]
[illegible] وقوعه [illegible] تصديق [illegible] هذه
الأمور وإن كان [illegible] للإنسان
كالإنسان [illegible] في غير ذلك ،
وكثير من [illegible] في بعض [illegible] ،
[illegible] في [illegible] ، وأما
[illegible]
[illegible] لا [illegible]
لا [illegible] أسباب [illegible] فقطع
[illegible] ولكن لا [illegible] أسباب [illegible] في [illegible] على
لأن [illegible]
[illegible] أن الحيوانات
كالإنسان في [illegible] الإنسان [illegible] كثيرة كما [illegible]
[illegible] ويقول
[illegible] أم [illegible] أو [illegible] ، ولا [illegible]
[illegible]
[illegible] في هذا
من [illegible] سواء كان في البهائم أو في الإنسان [illegible] ذلك [illegible] يقال
[illegible] أو [illegible]
[illegible] دون
الإنسان [illegible] في هذه الأمور [illegible] وجود [illegible] قطعيا ،
[illegible] ادعى وجود [illegible]

في قلوبهم مرض [illegible] وكل [illegible] بين
هذا يحول صورة الى صورة أخرى [illegible] هو [illegible]
لشكل طبيعي [illegible] فقط [illegible]
المادة خلاف [illegible] على [illegible] فيه
لا [illegible] الاعـــدام كالقتل ، فهم
يقدرون على قتل [illegible] المقتول [illegible]
ولا [illegible] على [illegible] يقدرون على
تغيير صورة [illegible] من شكل [illegible] أو
بالعكس ، فدعوى [illegible] على شقة ،
[illegible]
أن [illegible]
[illegible]
المستند [illegible]
منهم على [illegible]
أو غيره ، هذا مالا يكون [illegible]

ثم [illegible] ما [illegible] في
الوهلة [illegible]
الكلام [illegible]

فصل

قال [illegible] في
صنف الانسان [illegible] صحيحة ،
[illegible] الكمال
[illegible] ولا [illegible] الى

ويرد عليه لأنه إنما يرد على شيء ممكن ولا نص له . أما ضعف الانسان
الذي يعتقده المسلمون وينص هو [illegible] ضعفه وتدل عليه [illegible] هو لدى فهمه
السلف والمفسرين وأتباعهم وصدقت عليه النصوص الشرعية . قال تعالى
« وخلق الانسان ضعيفا » وقال تعالى « إن الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه
الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » . فضعف الانسان وفقره
أمر ظاهر بالشرع والنظر والحس . فإنه ضعيف من حيث ذاته ، وضعيف
من حيث نفسه فإنه لا يقدر على [illegible] ولا [illegible] من [illegible] كما
حكى الله تعالى عنه في الآية المتقدمة . فهو ضعيف من حيث اضطراره الى
[illegible] وقوت خاص [illegible] وإن [illegible] على ذاته يدافع به عن
نفسه [illegible] من حوادث [illegible] ومحتاج في [illegible] في كل لحظة ، وإلى
[illegible] في كل حين . وهذا ضعف [illegible] لا [illegible] احتمال [illegible] وهو
[illegible] وإن قوته [illegible] عقله وعلمه ، ثم عقله
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوته [illegible]
في ضعف [illegible] في [illegible] ولا حول للانسان ولا قوة له لا
[illegible] لا يكون [illegible] من عصاه [illegible] عليه أبدا [illegible] للانسان [illegible]
[illegible] ضعيف ولكن [illegible] قوة محدودة [illegible]
القوة [illegible] قوة في قوته [illegible]
[illegible] كما تقدم ، وهذا قال تعالى عن [illegible] أنه قال لقومه « ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين » [illegible] أن [illegible] قوة الى قوتهم [illegible]
[illegible] قوة [illegible] كانت [illegible] ، فوق القوة [illegible] قوتهم على آخرها .
[illegible] قوة [illegible] وكان [illegible] من المعتدين

وهذا هو الرأي [illegible] في [illegible] وضعف ، لا على [illegible]
مسألة ضعف الانسان على ما تقدم

فصل

ثم قال [illegible] أن [illegible]
[illegible] عظمت [illegible] وعظمت [illegible]

[illegible] على مقتضى [illegible]
[illegible] على الانسان [illegible]
[illegible] لا يمكن أن [illegible] لأن الله [illegible]
[illegible] الا [illegible]
[illegible]
[illegible] لو كان [illegible]
[illegible] هو المختص [illegible]
[illegible] ولا شك [illegible]
أن [illegible] الانسان [illegible]
على [illegible]
[illegible] ولا شك [illegible]
[illegible]
[illegible] بالحق [illegible]
من [illegible] المشركين [illegible] بالحق [illegible] قال تعالى
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله
وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون
الله فقل أفلا تتقون وقال تعالى [illegible] المشركين [illegible]

نقصا في خلقه ولا ذم له كما سبق . وأما نقصه من جهة الصورة الجسمية فله اعتباران أحدهما أن يكون ناقصا عن جنسه كنقص الأكمه والخنثى ونحوه عن غيرهم . وهذا لا نطلبه بعدد ، ولو أراده لم نعده شيئا ، لأنه نقص يدل على مطلق القدرة التي هي من أعلى صفات كمال المصنف سبحانه . والثاني النقص الوصفي كنقص جسم الإنسان عن جسم الفيل ونحوه . فهذا ليس بنقص حقيقي بالنظر إلى كونه مخلوقا فإنه بالنظر إلى جنس ما لو يمثله ليس بنقص ، لأن الحكمة الإلهية المتعلقة بهذا المخلوق اقتضت أن يكون بهذا الوضع ، وكل وضع صدر عن حكمة وإتقان كامل لا يكون نقصا ، فإن النقص الحقيقي في المخلوق وجوده على خلاف ما ينبغي أن يوجد . وهذا وجد على مقتضى ما ينبغي أن يوجد ، فإنه وجد على أحسن تقويم ، ولذلك وجد على حسب تقويم أمثاله [illegible] في وضعه [illegible] ولذا الصور [illegible] لأن الأولاد تختلف فلا عبرة [illegible] بعضها [illegible] وكذلك الحيوانات فإن كل [illegible] إلى خلقته الجسمية وتقويمه المقتضية لذلك فإن من جعل له ليس بناقص في وضعه [illegible] وهو [illegible] على غيره في صورته [illegible] بالوصف الذي صنع عليه [illegible] كل [illegible] وضعها [illegible] خالقه سبحانه وتعالى

فصل

ثم قال : وقيمة حسب الشيء تكون بذاته . والتفاوت الذي بين العظيم الحكيم البديع الصنعة يكون عظيما ، والذي يصنع الحقير الذي لا يستطيع غيره يكون بذاته حقيرا ، وهذه قضية متفقة لا خلاف فيها .

ونحن نتكلم عليها على تقدير صحتها جملة عبث ، لأنه إن كانت عظمته

ذلك والأفعال تدل على عظمة فاعلها ومؤثرها فلا شك أن آثار حكمة الله
وحكمته وفعله هذا ليكون العظيم الذي حدث في عظمة العقول أعظم
من آثار الانسان فإن آثار الانسان بالنسبة الى آثار الله تافهة حقيرة، بل
هي بالنسبة إليها كلا شيء، مع أنه داخل في آثاره تعالى فهو من آثار آثاره،
وحينئذ يكون تعظيمنا للانسان بقدر أثره وتعظيمنا لله بقدر أثره، فلا يكون
للانسان إلا أحقر التعظيم بالنسبة الى أثره، بل يكون تعظيمه حسب أثره،
ومعلوم اختلاف الانسان في آثاره هذا الاختلاف المتفاوت الأطراف، وأنت
جعلت للانسان عظمة في نفسه [illegible] سواء قدم [illegible] فيما يأتي من
الانسان عظيم وأنه لا يقال شيء من الانسان كان من [illegible] فوق قدرته وأنه
عن كل شيء [illegible] عظمة [illegible] عبث، فإنما
توجب عظمته [illegible] احقاره
بالنسبة الى الله لأن آثاره بالنسبة [illegible] ان هذه القصة
إنما تفيد أن الانسان تكون عظمته [illegible] عظمة صنعته، وهذا لا نزاع فيه ـ كما
ذكرنا ـ ولكن عظمته بقدر أثره من الصنعة، ومعلوم أن صنعته في غاية
الضعف [illegible] صنعة [illegible] والأرض وما فيهما،
والانسان جنس من خلق لا يحصى عدده [illegible] عظمته [illegible] داخلة
ومستوجبة لعظمة الله بقدر ما لها من الأثر، ولكن لا تستفاد عظمة الله من
عظمة الانسان أبدا ـ وهذا هو مقصوده بهذه القصة [illegible] عظمته تعالى لا
تستفاد من شيء من مخلوقاته لا من وجود الانسان وعظمته ولا من غير
ذلك [illegible] عظم من أن يخلق الانسان، ومن أن يخلق جميع الخلق، وليس
في العقلاء من [illegible] من هذه القصة أو يفهم منها [illegible] عظم الانسان
أو اذا عظمت صنعته وحقرت [illegible] حقر الانسان وحقرت صنعته ـ أي صنعة
الانسان ـ أبدا، وهذا هو قصده من القصة، فهي حجة عليه، لأنه بها أثبت
حقارة الانسان [illegible] صنعته [illegible] صنعة الله وهو [illegible] عكس [illegible] وجعلها

غير ملائمة لهذه القضية فقال :

« وقد أثنيت على الإنسان [illegible] هو مخلوق لله فقد أثنيت على خالقه وإن ذممناه فقد كدنا نذم خالقه أو فقد [illegible] من حيث لا ندري [illegible] »

فهذه الحجة الساقطة كما ترى لا [illegible] أصلا ، ثم هي [illegible] لا يستقيم [illegible] أحد [illegible] لظهور [illegible] وقبحها ، فمن [illegible] يكون الثناء على الإنسان [illegible] على خالقه ، هل من كونه [illegible] أم من حيث كونه إنسانا [illegible] الذي هو مخلوق لله ، فلو [illegible] على الحيوانات كلها كالحيات والحشرات [illegible] لأنها مخلوقة لله [illegible] وعلى من [illegible] وقطع الطريق [illegible] عن [illegible] لأن [illegible] على الله [illegible] وأن لا [illegible] ذمهم ذم خالقهم [illegible] ، وقد سبق [illegible] بقصدها ، وإلا [illegible] فكيف يستحق المدح ، ولو [illegible] في الأرض [illegible]

فصل

ثم قال [illegible] على [illegible] إلى المخلوقات الكبيرة العظيمة كالشمس والقمر والنجوم والسموات والأرض [illegible] ومن الإبانة عن سلطانه وعظمته ، ومن الدليل على [illegible] جعل المقربين لديه كالملائكة والأنبياء [illegible] الموجودات [illegible] وأعظمها علما وذكاء وقوة [illegible] بعض مخلوقاته وأن

نعتقد أنها مستعدة للكمال وأنها لم تكمل فهي التي أثبت لنفسه هذا الكمال الذي
أراده لها حقيقها . إذ الكامل يحق الكامل ويريده . والناقص يحق الناقص
ويريده ويعجز عن سواه .

فيعلم أن الأديان لم تأت لترشدنا إلى النظر في هذه المخلوقات إلا للتفكر
والاستدلال على قدرة الصانع ، لا على ما ندعيه من أنها مستعدة للكمال ، فإن
الأديان لم ترشد إلى هذا أبداً ، ومن ذلك جميع المواضع التي أمر الله فيها
بالتفكر في آياته العلوية والسفلية فإن المقصود منها الاستدلال على كمال
الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وعظمته وجلاله ووحدانيته . فإن الآيات
الواردة في هذا الشأن إنما كانت في الاحتجاج على المشركين بما أودع فيها من
بديع الصنعة وغيرها فهي إذن مخلوقة مربوبة . فيجب تعظيم من خلقها
وإفراده بالدعاء وجميع أنواع العبادة ، فكل ما هو مقصود بخلقها وتسخيرها فهو
المستحق لأن يعبد بالنصب والرغبة والرهبة . أما كونها مستعدة للكمال أو غير
مستعدة فلا تعلق له بذلك أصلا ، وهذه الآيات بأجمعها شاهدة على ذلك ،
وكونه سبحانه جعل للطرق هذه كالملائكة ومن أقرب الموجودات إلى
الكمال لا يدل على ما ادعاه بل يدل على عكسه . فإن هؤلاء مع ما لهم هذه
الأفضلية والقوة والعلم والعصمة من عبادته ودعائه وتقديم أوامره والتقوى
وجميع الأعمال الصالحة لا ما التي تدعو إليها حتى تصح به الاستدلال .
ثم إنه لما فرغ من ذلك وافترض بصريح تلك النظر إلى هذه الأشياء دليلاً على وجوب
تعظيم المخلوق ، ثم لم يكفه هذا الضلال المبين حتى ترك عنه ضلالا أبعد منه
حيث قال : إنه يجب أيضاً ديناً أن يعظم الله أن يعظم مخلوقاته ، فعلى هذا إذا
أراد أن يعظم الله بالسجود والدعاء والخضوع فعليه أن يقصد جميع المخلوقات
فيسجد لها ويدعوها ويخضع لها كما هو صريح كلامه . وهذا كفر صريح لم
يتجاسر كثير من الكفار على التفوه به . فإنه عمق الهوة التي سقط فيها
عبدة المخلوقات فجعل كل ما في السموات والأرض من خلق المخلوقات ،

وهو [illegible] في [illegible] من سائر أصناف مخلوقات [illegible]
واجب ، لأن [illegible] لبعض مخلوقاته وأن [illegible]
أن [illegible] الكمال ، [illegible] واحد [illegible] لبعضهم [illegible]
مخلوقاته ، [illegible] هذا [illegible]
للكمال . [illegible] من هذا [illegible] هذه [illegible]
قال ، وأن [illegible] هذه [illegible] الكمال [illegible]
فهي التي أنت [illegible] هذا الكمال الذي [illegible]
فقلت [illegible] في هذه [illegible] هذه [illegible] مستعدة للكمال ،
وإنما هي أنت [illegible] ما كان [illegible] أن تكون [illegible]
[illegible] هذه [illegible] كاملة [illegible]
و[illegible] كل هذه [illegible] للكمال [illegible]
أنت [illegible]
[illegible]
[illegible] أعلاك هذه [illegible]
أمة [illegible] هذه الحيوانات العاقلة
المكلفة [illegible] الكمال [illegible]
[illegible] الناقص [illegible] كاملة لأن [illegible] كامل [illegible]
أن تكون كاملة ، وحيث [illegible] كل [illegible] كاملا [illegible]
كاملون ، وهكذا [illegible] الكمال في الموجودات [illegible]
[illegible] في [illegible] لأن الكامل [illegible] كاملا [illegible]
الكمال وهو [illegible] الموجود [illegible]
والصورة [illegible] والنقص إنما يكون في شيء [illegible] النقص [illegible]
له ، فمن أين [illegible] النقص [illegible]
النقص هو [illegible] كل مخلوق [illegible] ناقص [illegible] ، وإنما

يكون فيه من الكمال بالقدر الذي كسبه من مصدر الكمال الأول وهو الدين
وطاعة الله تعالى . فإن اكتسب شيئاً من [illegible] بقي معه بقدر ما اكتسبه . ولا
الخطأ في أصله الطبيعي الناقص [illegible] . ولذا [illegible] خلق الناقص وخلق الكامل
الذي كماله مكتسب له . وجميع [illegible] في الدنيا فيها من آثار مخلوق الناقص
لأن أثر الناقص لا [illegible] نقص . ولا بد أن يكون نقصه دون نقص مؤثره
ولهذا كان البلاء والشقاء ومصائب وحروب كلها [illegible] من الأخذ [illegible]
فقط . ولا يوجد في جميع العصور على طولها وكثرة [illegible] وتفوق كل
لها أثر في بلاء أو عناء [illegible] لا [illegible] أكثره [illegible]
ولكن [illegible] من [illegible] وكذا [illegible] مثل هذا [illegible]
لكل ساقطة لاقطة ومن يحسن به ظنه من هو .

وقد انتهى استدلاله بطريق العقل في [illegible]
[illegible] عليهم بالنصوص [illegible] أن لا [illegible] على شيء
اخترعه هو بنفسه لا أصل له كما أنه [illegible] لا يصح قوله في
الآية يخالف رأيه [illegible] هو [illegible] كل الأمر [illegible]
النصوص و سكت فيه [illegible] أن [illegible] على شيء من [illegible]
من القرآن فإنه لا يصح [illegible] من [illegible]
على [illegible] لأنه يوجب على [illegible] أن يكون معنى لأنه هو ما فسرها
به . ولهذا فإنه لا يصح [illegible] يقول أحد من المفسرين كائناً من كان ، بل صرح
فيه بأنه لا بد أن [illegible] في تفسير الآيات
وجميع الآيات التي فسرها ليس فيها آية واحدة فسرها على وجهها أو على كلام
أحد قبله من المفسرين بل على هواه . لأن غرضه من ذلك [illegible] يكون به
يستدل بالقرآن لأجل التشكيك فيه كما سبق

قال : وأما من ناحية النصوص فلنذكر في هذا المقام ما حكاه الكتاب
الكريم عن الإنسان الأول إذ قال : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في

الأرض خليفة [illegible] وعلم آدم الأسماء كلها [illegible] قال يا آدم أنبئهم
بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض
وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم [illegible]
[illegible] تعالى عن الإنسان أنه مستخلف في الأرض . ومعنى [illegible] خليفة [illegible]
عن استخلفه [illegible] الخليفة [illegible] الخلافة
[illegible] ولو كان لله
[illegible] طبع طبيعة على الجبلة الذي لا تمكنه الخلاص منه لما
[illegible] خليفة [illegible] شرف
[illegible]

[illegible] في هذه [illegible] مقصوده
[illegible] في هذه [illegible] أحداث [illegible]
[illegible] آدم الإنسان [illegible] الأسماء كلها .
[illegible] الإنسان [illegible] آدم [illegible]
[illegible] للاستدلال [illegible]
[illegible] عليه السلام
[illegible]
[illegible] آدم [illegible]
من الإنسان [illegible] الأحداث [illegible]
[illegible] خليفة عن الله
تعالى حتى جعله خليفة كما يستخلف الإنسان [illegible] يقوم مقامه في
كل شيء ، وقد صرح بهذا حيث قال : ومعنى [illegible] الخليفة في [illegible]
استخلفه ، وهذا من أعظم الضلال [illegible] على الله تعالى وعلى كتابه ، [illegible]
في الآية ما يدل على هذا [illegible] إني جاعل في الأرض
خليفة [illegible] قال [illegible] في الأرض خليفة [illegible] كما قال في

الآية الأخرى [illegible] وهو معكم [illegible] لا [illegible]

[illegible] فإنه سبحانه [illegible] في الأرض [illegible]

عنه في كل شيء فيتصرف في [illegible] فإنه سبحانه شهيد لا يغيب ،

وهذا [illegible] العموم [illegible] على كل نفس بما كسبت [illegible] قال الإمام شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله تعالى [illegible]

[illegible] سبحانه [illegible]

[illegible] وهو [illegible] شهيد لا [illegible]

[illegible] واذعى

[illegible] في الأرض [illegible] وأنه [illegible]

[illegible] قالوا وهو معنى [illegible] بعد قول أهل الحلول والاتحاد (٢)

كل [illegible] وهذا حق وكم

في أنه معنى هو معنى خلق كل شيء [illegible] الأرض وهو خالق

[illegible] كما هو خالق [illegible] مخلوقات [illegible] شهيد لا [illegible] مستخلف

[illegible] أو [illegible] أو [illegible]

[illegible] لا [illegible] على كل شيء قدير ، وهو بكل

شيء عليم ، وهو شهيد لا يغيب [illegible] كل شيء [illegible] مستخلف

[illegible] كما قال النبي ﷺ في قوله [illegible] أنت الصاحب في السفر ، والخليفة

في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا [illegible] في أهلنا ، قال [illegible] هو

[illegible] فإذا [illegible] وكما سمعوا يوم مات النبي

ﷺ قائلا : إن في الله عزاء من كل هالك ، وعوضا من كل مصيبة ، وخلفا

من كل ما فات ، فبالله فثقوا [illegible] فإن المصاب من حرم الثواب

---

(١) في الرد على البكري ص ١٠٤

(٢) وهو قول هذا الملحد بعينه ، بل أعظم كما هو ظاهر

شيء [illegible] عن الأسماء [illegible] المسميات ولا معنى
له ولا [illegible] المسميات لا الأسماء والأسماء توضع لا
[illegible] كان ذلك الغير ، وكان ذلك
[illegible] ما لم
[illegible] الأسماء [illegible] إنسانا
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يكون
موجودا [illegible] فهو تصريح [illegible] كل شيء [illegible]
[illegible] كل شيء [illegible] لا [illegible] عقلا ولا
شرعا [illegible] وقد كان مقتضى
[illegible] فهو تصريح بعلم آدم كل شيء ، ولكنه
أخطأ [illegible] الطبع والاقفال فكان خطأ
مركبا [illegible] عن المسميات من الأسماء [illegible]

[illegible] متسلسل عن حيوان آخر اما [illegible]

[illegible] صار هذا فى موقف [illegible]

[illegible]

فصل

ثم قال : ومن الآيات المو[illegible]

الانسان فى أحسن [illegible]

[illegible] هذه الأشياء [illegible]

[illegible]

[illegible] حتى عالم
[illegible] فحادث
[illegible] ضرورة
[illegible] منفصل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم يعرف
[illegible] محادث
[illegible] أو وقف
[illegible] لا شك في [illegible] لا بد
[illegible]
[illegible]
العقل بل الى الجنون ، لانهم اعطوا [illegible] فلا تمكن [illegible] صدقوا
[illegible] من هذا بدون سببه الذي [illegible] عقولهم ، ومع [illegible]
[illegible] حشرات
[illegible] ثم مع هذا
[illegible] غير مفتقر
الى محدث [illegible] وان كان المحدث لا بد له من
محادث [illegible] الشيء [illegible]

[illegible]

ما كان أن هذا [illegible]

[illegible]

يا الدر الذي في لجج البحر. هل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والعجب أن هذا الملحد المغرور [illegible]

ما حص الله به [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فان هذا الحرف الذى نمله هو أتقه

[illegible] من لا له جهد . ومما يجب ملاحظة

[illegible] لا يمنعها مانع ولا

[illegible] كائنا ما كان ان هذا موقتا أو

[illegible] هذا مع ما عده

[illegible] المجوى بأنه يدعى أن

[illegible] من هذه المسارب [illegible] أن هذا الملحد

[illegible]

[illegible] دعوى أن الانسان

[illegible] كائنا ما كان

[illegible]

[illegible] الدعوى على الاستدلال

بالحديث واعترف أنه على [illegible] أيضا دل على أن

---

(١) [illegible]

[illegible]

بأن القضية [illegible] وهذا حكم على جنس الإنسان ، [illegible] في [illegible]
[illegible] ، وكل هذا [illegible] من [illegible] شيء من [illegible] صحيحة
مستقيمة [illegible] ، و[illegible] لا [illegible] . ولو [illegible]
[illegible] على كل شيء [illegible] لاحد أن [illegible] من هذا [illegible] قال
قال ما معنى كون الله على كل شيء قدير [illegible] أكثر من [illegible]
[illegible] في قدرة الإنسان ، و[illegible] أن [illegible] هو [illegible]
[illegible] الانسان قادر على كل
شيء [illegible]
[illegible]
لا [illegible]
و[illegible]
[illegible] يقول من كل [illegible]

[illegible]

لو كان [illegible] كل [illegible]

[illegible]
أن يدفع عن نفسه [illegible] لا [illegible]
[illegible] ولا ضر ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، [illegible] لا [illegible] من الاشياء
[illegible]

فصل

[illegible] يكون [illegible] كل [illegible]
[illegible] وإذا كان كذلك فلا حدود ولا قيود ، ولكن
[illegible] أن [illegible] الادراك [illegible] من [illegible] الامور
[illegible] في كل [illegible]

ومعارف [illegible] .

فيقال أولا [illegible] وجود [illegible] كل ما فيه ، فهذا غير مسلم [illegible] هو [illegible] وكيف يفرض على الانسان أن يفهم [illegible] تامين صحيحين ، كل هذا مجازفة [illegible] ان هذا الوصف لا يحيط به الا الله ، [illegible] ادعيته ، وهل تعرف أحدا استطاعه [illegible] العالم من هذه التحرصات وهذا [illegible] تعلم أحدا يستطيعه فكيف تجو [illegible] عقل ولا [illegible] هذا المحتال بمجوز حى شوهاء مخيفة قبيحة [illegible] الزمان واشتدت عليهم الحوادث حتى [illegible] والنصب والمكابدة ، فقامت [illegible] السباب والعتاب والاغراء [illegible] [illegible] عليهم [illegible] تخطر على باله ، مع استحالتها [illegible] وأقلهم وأعزهم فى كل شىء ، فبينا نراه يتهدد الراهبة ذات [illegible] لم تشعر الا وهو موجه سهمه الى اولئك [illegible] مبابة المتندم

أما ما ذكره أن هذا الادرث [illegible] الاولاد — فليس هذا بصحيح [illegible]

[illegible]

كان عاريا من كل لباس [illegible]

[illegible]

جاء الى هذه الحياة الدنيا [illegible]

[illegible]

[illegible]

لدعوى أو بالبرهان [illegible]

[illegible]

[illegible] . نعم جاء الى الحياة

[illegible] من كل معرفة ومن كل لباس ، لا

[illegible] ولا صناعة ولا

[illegible]

[illegible] ولا [illegible]

[illegible] لا يعرف وسيلة من وسائل

[illegible] من حوله [illegible]

[illegible]

[illegible] في محل الايمان
[illegible] الاولى لا
[illegible] الكلام ولا الاشارة ولا [illegible]
لا يمكن [illegible]

[illegible]

الظلام بدون أن [illegible]

به السبيل الا آمله وبدون [illegible]

[illegible] دون عش و وقف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فراح يحاول أن يخاطب [illegible]

[illegible] في طلب حاجاتهم بالسكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الاولى [illegible]

في التنقل من وسيلة [illegible]

[illegible]

يذهبون بعدها الى [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
يذكره فما هي حالة الأطفال [illegible] كانوا كالأطفال
فلا بد أن يكو [illegible]
[illegible] تلك الرجال كانوا أطفالا من أول أعمارهم
[illegible]
صاروا في سن عدم الكلام [illegible]
[illegible] عجز عن النطق
[illegible] هذا الظن و
الرأي الذي كان قد [illegible]
[illegible] وقد عارضه كثير
من الملاحدة [illegible]

وأظن أنه ساقه فى مقام تعظيم الا[illegible] حيث قال أول البحث : هل الانسان عظيم أو هل الا[illegible] [illegible] هذا الكلام الذى نقلنا ، و[illegible] ترى كيف احتقره [illegible] لاشئ ولا [illegible] لا يعدها شئ . ولو أن هؤلاء [illegible] وعاملوه تحت [illegible] والبهت [illegible] وتعصبه [illegible] الصارم الصادق عن الانسان الأول وعن [illegible] كرمنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الملاحدة [illegible] الدين [illegible] متابعة . [illegible] هم الا[illegible] [illegible] وكما يأتى

فصل

قال [illegible] احراج واستثمار ، والا بقيت فى [illegible]

فقال [illegible] يقال وهى [illegible] لا تنفد . وهى [illegible] كثيرا حيثه متى [illegible]

[illegible] استعدادا لقبول
[illegible] الى حد بعيد جدا ،
[illegible]

فصل

[illegible]
[illegible] بعيد جدا أن تلحق بهم أمم
[illegible] بعيد جدا لان الأمم أو
[illegible] فقد يكون من غير الممكن

[illegible] عنه حتى لو [illegible] لو أراد تعميم كله [illegible] ، إذ يكون
عنده في [illegible] وتموج مكانه [illegible] كوكب فمن منطقة جذب إلى
منطقة جذب أخرى حتى أصبح مستحيلا عليه وعلى العالم كله [illegible] عن
سمت المنطقة أو [illegible] عنه ويجب أن يكون معلوما أن للمعاني مناطق
جذب وقوة جذب كالمادة ، وكما يكون [illegible] الشموس ، و[illegible] للأقوى الأعلى
في المعاني وفي [illegible] .

فهذه [illegible] في المهازل والمخازي
المضحكة ، [illegible] على ارتفاعها ولم تزل ، فإن هذا
[illegible] على أنقاض دول قبلها ،
وقد عرف [illegible] وتوسعه [illegible] في غاية الحرص والحذر
[illegible] ، ولو كانت
[illegible] وتخادع
[illegible] لاستطالت على
[illegible] هو منها من أعدائها [illegible] ، لأنه من
[illegible] ، ومعلوم أن أشد الناس خوفا واحترازا
ومحافظة على [illegible] هذه الدول الكبرى [illegible] كما ذكرنا
[illegible] ساقط [illegible] لا [illegible] العقل ، وقد كان [illegible] له
من [illegible] أن [illegible] الكلام [illegible] ليكونوا في
طمأنينة [illegible] العظمى التي توجب لهم الثقة
[illegible] ، فإن هذا شيء [illegible]
أو [illegible] عازة عظيمة منهم أو
قدموه في الأمر [illegible] هذه الدعوى تشبيها
بالكوكب . وقد علم أن الكوكب لا يزول عن مكانه [illegible] الدول ، وأعجب
من ذلك ما [illegible] ويجب أن يكون معلوما أن للمعاني مناطق

جب وقوعه من هذا لا يقتضي [illegible] كلامه في الأمر وهي حسب تعقل،
ولو قال للأمر بدل المعنى لكان هو الأولى. لأن كان يريد أن معاني الأمر
أيضاً فيكون المعنى كالشكوك أيضاً، ولكن هذا من متشابه حديقته لأبيه
الأدبية التي لا يعلم تأويلها إلا هو والراسخون في علمه

فصل

قال: «أما معارف الانسان اليوم وشهادتها على عظمته وعلى ضخامة ما يدخره
من الآيات لعقله الانسانية فأمر من الواجب أن يكون فوق كل خلاف
وجدال. لقد كادت الطبيعة أن تستبد بلا قيد ولا شرط بعمر الانسان وعقله.
وكادت أو قد فعلت أن تضع في يديه قيادها تتصرف فيه كيف شاء وكيف
أحب. أي شيء عجز عنه هذا العقل العجيب. لقد هاجم كل شيء في
معقله وغزاه في مكمنه بالصبر وبالبحث. ولقد هاجم أكبر وأقدم أعداء
الانسانية [illegible] من الحيوان والنبات وهو المرض فقهره.
لقد عرف أسباب هذا العدو [illegible] الانسان [illegible]
لا [illegible] وعرف وسائل مقاومته، وعرف كيف نشأ ومم نشأ ثم عرف
كيف يحاربه ويقضي عليه».

والجواب أن يقال: كل هذه دعاوى لا قيمة لها، ولا تخفى بطلانها على
أدنى عاقل فقيه. لقد كادت الطبيعة أن تستبد [illegible]. وكادت أو قد فعلت
أن تضع في يده قيادها يتصرف فيه كيف شاء وكيف أحب. فهذا كله كذب
ومكابرة مخالف للعقل والحس. فجميع الأشياء التي قدر الانسان عليها كحبة
خردل في جانب جبل بالنسبة الى ما لا يقدر عليه. هذا الموت أعظم عدو
لهؤلاء الملاحدة والماديين والمشتغلين ممن عرفوا كثيراً من هذه الأمور، فماذا
عملوا في الوقاية منه، وكم من عالم بهذه الأسباب المادية لم يمت إلا بأسبابه التي
عرفها وعلم الوقاية منها. فدعواه أنه يتصرف في الطبيعة كيف شاء وكيف

أضعف دعوى ساقطة من مأفون لا [illegible] مناقشة [illegible] وقد [illegible] أي شيء
عجز عنه هذا المخلوق الصغير العجيب ، يقال : كل شيء عجز عنه هذا المخلوق
الصغير العجيب . وكفى بعجزه وقوعه فيما وقع فيه من [illegible] كل [illegible]
أوقعته في هذه النكبات [illegible] والخطوب الفادحة والمزعجات [illegible] .
لقد عجز عن أن يدفع عن نفسه التي هي أحب شيء لديه [illegible] كذلك
هاجمه الموت [illegible] وهو بحضرة [illegible] . لقد عجز عن أن يستغني
عن حمل [illegible] و[illegible] يوم [illegible] . وقد عجز عن [illegible]
[illegible] من حواسه المفقودة أو عضو من أعضائه أو [illegible]
صورة أخرى أو أن يستقل بالوطن عن [illegible] ، وقد
عجز عن أن يستغني [illegible] عن [illegible] في
جسمه ، الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من [illegible]
الحقيرة التي هو [illegible] ، فعجز الانسان [illegible] وعجزه [illegible] أمر
مشاهد محسوس فلا [illegible] لا يمكنه [illegible] من
[illegible] فلا يعد ولا يحصى [illegible]
ولو أنه كان لا يعجز عن شيء [illegible] كما [illegible]
فقوته أي شيء عجز عنه هذا المخلوق [illegible] كما يكذبه
العقل والحس والبصر [illegible] والوجدان [illegible] ، أو
كقطرة من بحر [illegible]
الأمراض متنوعة لا أكثر منها [illegible] في كل زمان ومكان ، واذا قدر أنه
هدى الى معرفة ما [illegible] فهذا من
باب التطور في التداوي ، وهو من [illegible] شيئاً فشيئاً لأنها
مبنية على التجارب المتكررة (١) ، ثم هو [illegible] في بعض [illegible]

---

(١) لنسبة ضعف الانسان وخوفه

وقد لا يفيد مطلقا ، وكم من مرض لم يعرف له دواء الى الآن ثم [illegible] قد
[illegible] عن محل المرض مرض آخر ، ولكل حال فهو لا يقدر على قطع الامراض بل
ولا أكثرها ، [illegible] ، ومن ناحية أخرى [illegible] أسباب
الهلاك والموت أقطع منها ، كما أنه من أسباب [illegible] ولا شك ان
النفوس البشرية التي ذهبت ضحايا هذه الحروب الشنيعة التي من أسبابها إلقاء
القنابل [illegible] وغيرها أكثر عددا من النفوس التي تذهب بسبب
الأمراض التي عرفت مقاومتها ولا شك ان الامراض [illegible]
على [illegible] لا أساس له من
بعض هذه [illegible] والتملك والدفاع
كالطمع [illegible] علاوة
تلك الامراض ، فالانسان هذا مضطر لا شك انه [illegible] في معرفة أمور
جليلة من وسائل الراحة والهدوء والثبات ، ولكنه قد صنع من قبل هذه
من وسائل الويلات والخراب ما يدل على ذلك أو يكذبه ، والواقع ان
هذه الأمور مما يدل على عجزه [illegible] ضعفه وشدة حاجته ، فان
حاجته وضعفه الشديد [illegible] الوقاية من
هذه الشرور والشقاء ، ولو لم يكن [illegible] ضعيفا [illegible] في هذا ، ثم ان
هذه [illegible] شتى وتطورت [illegible]
والعقد [illegible]
الحديث الصحيح [illegible] الانسان [illegible] حقيقة مرض الوباء وأنه على ما
قيل ميكروب يعيش في جسم الانسان ، فهذا لا يدل على قدرة الانسان بل
يدل على ضعفه لأنه حيث يكون كذلك فهذا [illegible] الصغير ، وأنه
محتاج [illegible] احتياجه الى [illegible] وانه مضطر
الى [illegible] الاضطرار ، والا [illegible] فمن هو [illegible] لو صنع
كيف [illegible] ولا [illegible] الكامل [illegible] ، وكونه

عرف مقومه [illegible]
الا جعل له دواء فكانت [illegible]
الأمراض [illegible]
[illegible]
عليه [illegible]
عنه . ومن هذه حاله [illegible]
الكبير المتعال القادر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اقتدار الانسان على استخراج [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لم [illegible]
الله يجددها بحسب حاجة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والنحاس وغيرها قد عرف استخراجه من [illegible] الدهر ومعرفة استخراجه

من [illegible] في [illegible] (١) و[illegible] في معرفة هـذا كله
واستخراجه في الأوقات [illegible] كما [illegible] لمعرفة كثير من الأمور
[illegible] في [illegible] أهل الدين كالنحو والصرف والعروض والقوافي
و[illegible] وأمثال ذلك . ولا شك أن معرفة [illegible] كبير في معرفة
[illegible] الصناعات وابداع المعاني أعظم [illegible] لأن ابداع الصور
والأحكام متوقف على علم المعاني [illegible] . ولست
[illegible] ([illegible]) [illegible] الكتاب . [illegible] وان
[illegible] الأصوات والأقوال المتنوعة وهو يحمل مع الانسان في كل
مكان [illegible] الكتاب [illegible] معاني وأوزان وعلوم
لا [illegible] . وهو [illegible]) . وهو
محمول في كل مكان [illegible] في جيبه
[illegible] من علوم الدين
[illegible] والأحكام [illegible] وهو على
[illegible] ولا الكتاب [illegible]
[illegible] أحد [illegible] وهو [illegible]
[illegible] أو [illegible] .
[illegible] كان [illegible] كان
[illegible] الحدث
[illegible] أعظم من [illegible] ولو كان أعجب و[illegible] .
[illegible] .
[illegible] على ذلك [illegible] شيء

---

(١) [illegible]) لأنه [illegible]
[illegible] كل موجود [illegible] صناعات

ومن الجائز أن يكون ذلك من أسباب خروج هذه الطوائف في هذا الوقت . وتعليل ذلك أنه لما ضعف أمر الإسلام في القرون الأخيرة وانقطعت فتوحاته المستمرة وقلت العناية بنشره والقيام بدعوته في أرجاء الأرض ـ وقد كان سبحانه وتعالى قد ختم النبوة بمحمد ﷺ فلا رسول بعده ، وأطراف الأرض مستعدة لدعوته بالسكان فهم في حاجة شديدة إما إلى رسول وإما إلى معرفة ما جاء به هذا الرسول الكريم من الدين والكتاب المبين الكافي لهداية الخلق . أما بعث الرسول فغير ممكن لأن حكمة الله قضت أن لا رسالة بعد محمد ﷺ لأن من لم يؤمن به وبما جاء به من الحق الواضح مع كمال شريعته ووضوح معجزاته وكفايتها وسعة هديه فلا يمكن أن يؤمن بغيره . ولأن الحق واحد ، فتعين الثاني وهو معرفة هدي الرسول عليه الصلاة والسلام ومعرفة الشريعة الكاملة الكافية التي جاء بها . ومعلوم أنه يستحيل معرفة ذلك على جميع أهل الأرض من غير دعاة ومبلغين ، ومع عدم وجود الأسباب التي ذكرنا ونحوها لم تبلغهم دعوته على وجه صحيح فكان(1) من الضروري وجود من يقوم بهذه الدعوة لتقوم بذلك الحجة عليهم ، ويعلموا ما جاء به الرسول ، فهو سبحانه قد مكنهم من الأسباب فتحت عليهم الاجتهاد في البحث والتنقيب والحرص الشديد ، لأن حكمته مصلحة ذلك عائدة إليهم ، ولأنهم دائماً يحرصون على البحث والتنقيب والتفكير في كل ما من شأنه أن يقدمهم في التقدم وينفعهم في الدنيا كالمعادن ونحوها من مصادر الثروات الخفية و... وعلى هذا فمن كان قصده الخير والسعادة له على نفسه وولده وماله فلا بد أن يبذل غاية جهده في الحرص على معرفة هذا الدين وفهمه وتحققه ، ومن حرص كل الحرص وبذل جهده في أمر تمكن كما الأمر عرفه ولا بد ، لأن الله يوفق من يريد الحق ، ومن كانت هذه حالته فهو الذي يمكن أن

---

(1) هذا جواب « لما ضعف أمر الإسلام »

[illegible] بالرسول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا كله انما يحصل [illegible]

[illegible]

[illegible]

المناسب لها للحاجة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والله أعلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

على أيدى [illegible] الثانى لان [illegible]

[illegible] القدرة على الحج [illegible]

كان من المشاهد أن أكثر الصناعات [illegible]

غيرها فدخلت تبعا كسائر الامور الجليلة [illegible]

لامور اخرى لها علاقة [illegible]

فصل

ثم [illegible]

[illegible]

المعرفة فقال هنا : [illegible]

وانتقالا أي أنه صار [illegible]

لقد هرمت الابعاد المكانية [illegible]

تقل عن معركة الأبعاد المكانية [illegible]

[illegible]

---

(١) هذا غير مسلم على هذا [illegible]

(٢) [illegible]

يطيعون [illegible] أمره ويفعلون ما يحب ويشتهى . وراحت هى تفيض
عليهم بأنوارها وحرارتها وقوتها مثل ما يفيض الأب الحكيم الرحيم على بنيه
أنوار الهداية وحرارة الإيمان وقوة الرجولة . انظر إنه مشهد من مشاهد العلم
التى لا يقدر على إبصارها ولا يستمتع بها إلا هذا الإنسان . فياله من مخلوق ما
أعظم حظه لو استطاع أن يعرف ذلك أو أن يفيد منه (١) . ثم راح يحدث كيف
راحت هــــذه الأتباع وكيف راحت الأبناء تصير من الآباء . فقد ولدت
السيارات الأقمار كما ولدت الشموس السيارات فكانت العيلة واحدة لا تختلف
فى الحدود كما هى فى [illegible] كما هى فى [illegible] . ثم رجع يشهد كل العصور التى
مرت بهذه الأرض والأحداث وطفق يحكى حكاية العليم المستثبت
الأدوار المتقلبة التى مرت بها والتطور البديع المنظم الذى ظل يسوقها ويدفعها
الى الكمال . ويحكى كيف أخرجها هذا التطور من الحالة الغازية أو السديمية
وما والاها [illegible] كانت قطعة من (٢) [illegible] وتكثف . ومن حالة
الاضطراب [illegible] ومن العصور [illegible]
الى عصور [illegible] . ومن حالة [illegible] لا ممكن من
[illegible] ومن الأ[illegible] الى حالة [illegible] جمعت فيهما
[illegible] والحيوان [illegible] وكل
ما [illegible] وهو آت من هذه الرحلة
[illegible] على [illegible] وقفة عند [illegible]
[illegible] وهو قصص

(١) [illegible] ما خلق الخالق الا للاستدلال على علمه
وحكمته وصنعه [illegible] فى شىء عظمته من [illegible]

(٢) [illegible] وهو [illegible] هذا
[illegible]

عصور الحياة — وهي الدهر المتقادم الذي لا يزال أمام الذات واقفاً أمامه حائراً دائماً عن تحويله حتى (1) قصر وجود الإنسان ووجود غيره من أنواع الأحياء، فدبر هذه الموجودات الطريفة وعلى رأسها الإنسان. فتدرج معه ومعها وهو وهي يحولان في مدارج الحياة والوجود. فوصف الإنسان ووصف أيضاً غيره منذ وجد، [illegible] إلى وجوده [illegible] المهد السعيد، وكتبه فصلاً من أعجب الفصول يصف وصفاً يكاد يكون تصويراً لهذا المخلوق وكل ما شهد وهو ينتقل من طور الى طور، ومن حالة الى حالة من حالات [illegible] حتى [illegible] هذه [illegible] من [illegible] في [illegible] هذه الحياة هذه الألوان الزاهية (2) من ألوان السعادة [illegible] الرخى ثم لم [illegible] ، وذهب [illegible] هذه الحياة وهذا الوجود (3) الذي سبق [illegible] من [illegible] الوجود والتي [illegible] الأرض وما فيها [illegible] طموح الى [illegible] هذا الذي لم [illegible] وأصدقاءه ورياضته

---

(1) هذا ينقض دعواك أنه يعلم كل شيء.

(2) لا ندري كيف [illegible] الأول [illegible] والويلات والدمار [illegible] في هذه [illegible] كثير من بقاع الأرض بسبب [illegible]

(3) هذا تصريح بأن [illegible] هو تصريح بأنه علم ما كان وما سيكون، وهو يناقض دعواه أنه سيقضي على الشقاء قضاء حاسماً

(4) [illegible]

موافقا لهواه ، لا إذا كان مصادما لعقائد الدين ، فعنده شبهة قوية من أن هذه [illegible] الدين [illegible] الظن لكون أهل السنة يعملون به ويعرفون بعكس العكس ، وكل ما يوافق هواه فهو الحجة والصدق والبرهان الذي لا ريب فيه ، وكل ما يخالف هواه فهو الكذب والضلال المحال الذي لا شك فيه ، ذلك لأنه هو المقدم في كل أمر كما علم ، ولا حاجة في نسخ كل ما في هذا النقل من الأباطيل والمصادمة لشرائع الأنبياء التي نصدق بها ، ولا نلتفت إلى أي حجة ولا نصغي إلى أي دليل كان مما قيل في مصادمة هذا النص المخصوص الشرعية [illegible] فهو إما جاهل [illegible] لا يفهم الحجة ، وإما [illegible] لا يقبلها

في حياته في هذه الدنيا ، [illegible] على [illegible] من [illegible] هذا العلم وهذه [illegible] ولا شك أن [illegible] قيام الساعة فهو صريح أن الإنسان [illegible] وهذا كفر صريح لا شك فيه ، ومن [illegible] أن الإنسان [illegible] إلى السموات إما باللاسلكي وإما بالانتقال ، [illegible] ثم حكمه على من أنكر هذا بأنه [illegible] في نفسه ، [illegible] الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الآية ، ثم مع هذا [illegible] إلى ذلك [illegible] بعدم الوصول إليه [illegible] ثم [illegible] ووقوعه في المستقبل ، ثم حكم بالإلحاد على من أنكر ذلك ، فانظر في هذه المهازل [illegible] والتلبيس الذي لا حد له ولو [illegible] ما شئت ، فإن هذه الأمور التي ذكرها وقطع وجزم بها في حق هذا العلم وتعصب حوادثه [illegible] ليس هو من أهل المعرفة به [illegible] ومع هذا صدق به مع عدم إحاطته بعلمه وقد قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم » ولا سيما وهو عقيدة في أمر عظيم خطير وهذا هو عين الإلحاد في النصوص [illegible] هو عين الضلال

والإعلان ، وسبق كلامه في بيان نصيحته أن فقراء الفقهاء كلهم ليس لهم قيمة عقلية ولا علمية ولا دينية فهو لا يثق بهم ولا في دينهم وحديث أن مشيخة فقهية فليس لهم علم ولا عقل ولا دين . هذا مع أنه مضطر إلى التملق لهم والمصانعة معهم والاقتراب إليهم . أما الملاحدة فهم الموصوفون بكل الأوصاف والأحسن ، فما قالوه فهو الصدق الذي لا شك فيه وما أنكروه فهو الكذب الذي لا ريب فيه بشرط أن يوافق هواه . فهم أحضروه تحت أقدامهم وولّه مفتوناً بما سمع منهم .

ومن ناحية أخرى فهي دعوى أن الإنسان علم الحوادث المستقبلة وعلم ما سيكون ، فهذه الدعوى الفاحشة والمكابرة الفحوى تستلزم أنه يتحكم بكل ما يخطر على باله ولو كان ما يستحيل في حد ذاته ، ولو كان الإنسان يعلم هذا الذي يدعيه في هذه المصائب والنكبات التي وقع فيها ، أفقصد بها نفسه أم على علم وسبب ثم مات هذه الدول كل منها محترس وخائف من المستقبل .

وأما دعواه هذه أن ، من أراد هذا لا يمكن أن لا يستمر في رحلاته الكشفية العلمية فقصد أن يقال بلا شك نسبة إليه أن لا يمضي في سبيله .

فيقال أولاً : ليست سنة الله هي كون الإنسان يصل إلى السموات باللاسلكي وأن الملاحدة يدخلونها حتى يجعل هذا الذي ادعيته من هو شنيع بحت .

ويقال ثانياً : من هو الذي أراد بقية الناس من عمومهم هذا ولا يمكنك أن تنقل عن أحد منهم يعتمد قوله أنه ادعى أن سنة الله لا تمضي في سبيلها ذلك الأمر من أساسه . الإنسان في عمومه مكتشفة وغيرها أن يعلم كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، وأن يصل إلى السموات ، فإن موضوعات العلم لا تحصى عددها إلا الله غير الوصول إلى السموات والقدرة على كل شيء ، واستمراره إنما يكون في طاقته التي جعلت له فيه ، وهذه الأمور ليست في

طاقته التي جعلها الله فيه . وهذه الأمور ليست في طاقته . ومن ادعى ذلك فقد كذب . لأن النصوص دلت على خلاف هذا وهي براهين صادقة والبراهين الصادقة لايمكن نقضها

رابعا : نقول ومن أراد لهذا الانسان أن يرتفع الى مساواة الربوبية في العلم والقدرة والابداع فقد جعله ربا [illegible] سنة الله التي قد خلت في عباده فكان من الكافرين

خامسا : نقول لهذا الملحد دع عنك هذه المزاعم والتخمين والتبجح والغرور والهراء الذي لاطائل تحته [illegible] كله هو الموت . فالموت هو [illegible] الانسان على [illegible] يجب أن [illegible] هذا هو أول خطوة في أول السلم ، هذا الموت الذي أرغم أنوف هؤلاء الملحدين ، وهذا برهان قاطع على عجزهم [illegible] لاحاجة [illegible] الى الوصول الى السموات وعلم ما كان وما سيكون وعلم خلق السموات والارض وخلق [illegible] أعظم شيء . هذا الموت الذي نكد عليهم [illegible] وعن ايجاد ذباب واحد ، بل رجل ذباب أو جناح ذباب عجزوا عن ايجاده ، ثم يدعون كل شيء ويقدرون على كل شيء ، فما أحقك [illegible] واخفه على لسانك

[illegible] الانسان هو الانسان في أخلاقه وصفاته وأكله وشربه وبوله [illegible] وموته [illegible] ، هو الانسان لم يزدد في [illegible] شيء [illegible] والغرور والجنون . كل هذا الذي فيه خروج عن المقصود [illegible] عن مستوى المطرقة والسندان ولا بد من أن توضع بينهما

خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به [illegible] في [illegible] الشمس [illegible] عن زحل

وقد [illegible] مع أن هذا الملحد معترف بأن التطور الموجود ليس الا تطورا [illegible] في [illegible]

ص ١٣٩ . [illegible] نقص [illegible] زعم كاذب ، والواقع [illegible] على كونه [illegible] من الجهة الخلقية تدليـــا لا نكار [illegible] فيه ولا خلاف في [illegible] . ومن ظن أنه أتى على الناس عصر [illegible] مرتبع [illegible] ، والخروج على [illegible] هو رقي صناعي صرف لاحظ [illegible] ولا للكمال فيه [illegible] في شيء إن لم يصاحبه الرقي الخلقي عاد [illegible] وعلى الصناعة أيضا وعلى كل شيء [illegible] الإنسانية في عصر من عصورها [illegible] في عصر الإسلام الأول [illegible] فإذا كان هذا رأيه قد [illegible] لأنه قطعي [illegible] أن [illegible] في كل [illegible] الا على [illegible]

فصل

[illegible] في حق هذا [illegible] ، [illegible] أنهم يصدقونه [illegible] أن يصدق على هؤلاء [illegible] ، وقد صدق على كثير من هؤلاء [illegible] أمر مرج من موقفه والتوقف في [illegible] ، وهؤلاء [illegible] وعدم معرفة دين [illegible] وعدم عظمته وجلالته في قلوبهم ووجوب تعظيمه [illegible] حق قدره [illegible] في

بكفير من هجم عليه وصادم نصوصه وادعى أن عبـــادة الله التى خلق الخلق لاجلها ـ وأعظمها الدعاء ـ منهاة ومصرف حديث ، الى غير ذلك مما أشرنا اليه فيما مضى وتأتى بقيته

ذهب هذا الملحد كعادته .. ما ذكره من تلك الترهات فى خلق السموات والارض وما جرى فيها من الحوادث من أول الدنيا وآخرها بقوله تعـالى ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ﴾ قال بعد سياق هذه الآية .. والانسان حقيقة .. شهد خلق هذه العوالم الكبرى لا السماوية ولا الارضية ولا خلق .. لأنه إن وجد بعد ذلك اذ ليست بوجد قبل الساكن فيه (١) .. خلقته الصحيحة الواضحة ، ولكنه لم يقـــل ما أعلمتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم بل اختار نفى الاشهاد على نفى الإعلام ، وكأنه بما أشار به الاختيار الى أن الانســـان بمداركه الفكرية قد علم خلق السموات والأرض وخلق نفسه بل وخلق كل شىء (٢) كما علم بذلك سائر العلوم التى علمها ونفى صارت حقائق مشهودة غير منظورة ، أن شهوده واشهاده لوجود العوالم التى خلقت .. غير ممكن . والشهود والاشهاد غير العلم والاعلام . فالاشهاد هنا .. به الحضور . ولو أن الله نفى ما أعلمهم خلق السموات والارض لنهض أقوام من هنا وهناك يبارعون فى معارف الانسان ويكذبونها عليه ويدعون أن القرآن قد أنكرها (٣) فالشهود قد نفى بهذه الآية .

والجواب ان يقـــال أولا .. المراد بالضمـــير فى قوله تعـــالى

---

(١) هذا غير لازم فقد يوجد الساكن أيضا قبل وجود البيت

(٢) تأمل هذا ، فهو تصريح منه بأن الانسان يعلم خلق كل شىء

(٣) نعم القرآن ينكر ما ذكره فانه ذكر خلق السموات والارض على غير ما ذكره

«وما أشهدتهم» خلق الإنسان حتى تستدل بالآية على إشهاد الإنسان أو غيره
بل الضمير عائد الى إبليس وذريته الذين اتخذهم الظالمون أولياء من دون الله ،
لأن السياق فيهم . فالضمير عائد إليهم قال الله تعالى قال : «وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه
وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا . ما أشهدتهم خلق
السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا» فهذه
الضمائر المتسقة كلها في إبليس وذريته وهو ظاهر الآية فإن الله احتج على
المشركين بذلك لكونهم اتخذوهم أولياء وهم في الحقيقة عدوهم فقال سبحانه
«أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم
خلق السموات والأرض» أي حتى يكون لهم نوع شبهة في اتخاذهم أولياء
فإن من يحضره الله أو يشهده خلق السموات والأرض فلا بد أن يكون له
مكانة خاصة عنده ، ولا بد أن يكون له نوع عناية منه تعالى أو غيره ، ولكن
الله انفرد بذلك فهو المستحق بأن يعبد وحده وأن يدعى ويقصد ويستعان به
ويتوجه إليه . ثم قال : «وما كنت متخذ المضلين عضدا» أي ما كنت متخذ
إبليس وذريته — فإنهم من المضلين — عضدا أي عونا لي ، بل هو سبحانه
الغني عما سواه المفتقر إليه كل ما سواه فلا وجه لاتخاذهم أولياء . وهذا توبيخ
منه سبحانه للمشركين حيث اتخذ الملاحدة وأشباههم من الضلال أتباع إبليس
أولياء من دون الله ودعوا إليهم وإلى عبادتهم تكفيرا ، وفرض التوجه إلى الله
والاعتماد عليه ودعاؤه والاستعانة به فكان له الحمد والمن من أصابه ولشبه
المطلق . وهذا — أي كون الضمير عائدا إلى إبليس — هو الذي فهمه جمهور
المفسرين ، وحينئذ فلا حجة له في الآية لا في إشهاد ولا في إعلام ولا غيره
ثانيا — وقد أن المراد بذلك جنس الإنسان فهو قد قال في آية «وعلم
آدم الأسماء كلها» — إن من علم الأسماء علم المسميات ولا فائدة في علمه ،
ولكن له تبعه ويقول : المقصود من الإشهاد الإعلام ، وكل شهود فلا علم

فلا فائدة فيه . من قولنا هذا أولى من قوله . فإن الإشهاد بلا إعلام لا فائدة فيه ، لأنه كشهود البهائم والمجانين والأطفال . فالإشهاد الذي بمعنى الرؤية المجردة ليس فيه فائدة البتة . وينصان كلام الله عن أن يريد بذلك إشهاداً بلا إعلام ، فإن هذا هو شهود البهائم وأشباهها كما تقدم

ويقال ثالثاً : أنت متناقض لأنك نفيت باللفظ . فصرحت بأنهم شهدوا هذا العالم وأنهم حضروا خلق أنفسهم . وهذا صريح بلفظك المتقدم فصرحت بلفظ الإشهاد لا بلفظ الإعلام . فدل على أن الإشهاد عندك هو الإعلام فكيف تخالف إلى ما نهيت عنه . فإنك قلت : إنه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتوالده . وذهب عصب حديث أحضر الشاهد كيف ولدت مادة التكون ومتى ولدت وكيف نشأت بعض عن بعض وتطورت … ثم قلت بعد أسطر : ثم راح يشهد كل العصور التي مرت بهؤلاء الأجداد والآباء والأحفاد … ثم قلت بعد قليل : فحضر وجود الإنسان ووجود عدد من أنواع الأحياء . فأنت صرحت بلفظ الإشهاد والحضور . بأن هؤلاء شهدوا وحضروا خلق هذا العالم وتولده وخلق أنفسهم . فإن قلت مرادي أنهم علموا . قلنا … اندحرت وهدمت اعتراضك بأن الإشهاد عند الإعلام . ثم صرحت بالنص المصادم لنص الآية وألقمت الحجر . ثم … الأمر الذي على الإنسان خلق هذا العالم … فقط فلأنه صرح به في الدلالة على ضد دعواك . فإن الله تعالى لم يشهدهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم وأنت تثبت شهودهم … فهو استدلال معكوس .

وأيضاً فهذه الأمور التي ذكرتها في خلق السموات والأرض أمور غيبية وعلم الغيب عند الله ليس عند أحد من الخلق شيء منه إلا ما شاء الله تعالى لعباده . ومثل هذه الأمور لا تعرف بتجارب الإنسان ولا تعرف بالعقل وكلاهما منتف . أما النص فقد نفى الله إشهادهم خلق السموات والأرض على خلاف ما تدعيه … وأما العقل ففي هذه

الأمور التي ذكرها فيها خلاف طويل عريض وكثير من الملاحدة أنفسهم يعارض في هذا ، وليس قول بعضهم بأولى من قول الآخر ، فكيف بعلماء الدين ، فهي أمور مبنية على التخرص والظن ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، وهم معترفون - أي علماء المادة - بأن هذه النظريات ليست بقطعية وكلامهم في هذه الأمور كثير موجود ، وأكثره يخالف ما ذكره . وقد وصف الله سبحانه خلقه السموات والأرض في كتابه العزيز بأوضح عبارة وأجلاها فمن لم يقبل قلبه ما ورد في هذا فلا بد أنه مريض وفيه شيء من الشك والريب ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . قال جل من قائل : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم﴾ فهذه النصوص الدينية صريحة في مناقضة ما قاله . ومن المحال أن تجمع في قلب تصديق ما ادعاه الملحد والتصديق بهذه الآيات فيختار الإنسان أيهما فقد تبين الرشد من الغي . وقد يقول من في نفسه مرض كالسائل : نريد أن نجمع بين المتضادات ونخلط الخبيث بالطيب ؛ لا تناقض بينهما لأننا لا نعرف معنى الآيات ، فقد يكون لها احتمالات . فنقول : هذه دسيسة شيطانية ، فهل عرفت معنى كلام هذا الرجل الملحد المفند وجهلت كلام الله الملك القدوس الذي هو في أعلى درجات البلاغة والفصاحة ، فما الذي حجبك وعمى على قلبك هو شك في تكذيب ما يخالف النص ، فكان هذا الريب هو الذي ران على قلبك في الحيرة فأحدث تتبع المخارج البعيدة ، وإلا فما يضرك لو ضربت بكل قول يخالف النص عرض الحائط ، واستسلمت للنصوص استسلاما كاملا ، لأنك تدعي وتعتقد أنك مسلم مصدق لكل ما جاء به الرسول ﷺ فكيف صدقته في كل ما جاء به

وتعتقد أنه أعطى من الفصاحة والبلاغة والنصح ما لم يعطه غيره ثم مع هذا تشك فيما أخبر به وهل هذا إلا ضعف في تصديقك وإلا فلو كان التصديق به والإيمان خالصا قويا لما بقي لزوم وجود مقصده وهو الاستسلام الكامل. ولو حصل منك الاستسلام الكامل لتبين لك بوجه [illegible] وتحقيق لدني لا شك فيه، وأن كل ما عارض هذه النصوص [illegible] فاسد، وأنها هي الحق الجلي الذي هو في غاية الصحة كما عرفه الصحابة وأهل القرون [illegible] حيث لم يكن لديهم أدنى شك فيه فكانوا أقوى الأمة [illegible]

فصل

قال الملحد: وما يعتقد أنه [illegible] في الآفاق وفي أنفسهم [illegible] أنه الحق [illegible] بواسطة [illegible] يعتقد [illegible] حتى [illegible] أحمر [illegible] الكون [illegible] الإنسان [illegible] جديدان المرئيات والر[illegible] [illegible] العلوم [illegible] كل [illegible]

والجواب [illegible] الإنسان [illegible] خلق السموات والأرض [illegible] وخلق كل شيء كما تقدم [illegible] الدعوى كما بين السماء والأرض، ولكنه [illegible] القرآن دليلا له على كل ما [illegible] خلق السموات والأرض [illegible] وخلق كل شيء [illegible] قال [illegible]

في الآفاق وفي أنفسهم . وليست الرؤية عيانا بكل حال . وهذا التفسير مصاب بداء التناقض حتى في أجمل القلبلة . فقد سبق قريبا قوله : والاشهاد غير العلم والاعلام ، وهنا فسر الرؤية بالعلم كما ترى ، ومع تفسير الاشهاد بالاعلام ، فتناقض في ثلاثة أسطر هذا التناقض الفاحش . فنعكس على هذا المعكوس قوله ونقول له كما قال في الاشهاد سواء بسواء ، فإنه إن دلت الرؤية على العلم سواء أكانت بواسطة البصر أو بدونه فكذلك الاشهاد يدل على العلم . وقوله « وليس المراد رؤية البصر العادية لهذه الاشياء العادية » يقال وكذلك ليس المراد بالاشهاد مجرد الرؤية بالبصر العادي للاشياء العادية ونحن لم نقل أن المراد مجرد الرؤية البصرية بدون علم وهكذا حتى يتكلف لهذا الفرق . والآية ليس فيها ذكر السموات ولا الارض ، بل قال : « سنريهم آياتنا في الآفاق » والآيات هي ما يحدثه الله من المظاهر العظيمة الدالة على قدرته وعلى إثبات نبوته ونزول القرآن ، لأنه قال حتى يتبين لهم أنه الحق والمراد بالحق القرآن . ومعلوم أن هذه الآيات التي ذكرها في خلق السموات والارض ليست برهانا للحق [illegible] فكيف يكون برهانا على صدق القرآن [illegible] لم يكونوا عرفوها ، واختلف [illegible] أمور لو قدر صحتها [illegible] فكيف يكون برهانا على الحق . أما المكتشفات الحديثة [illegible] الانسان [illegible] من خلق السموات والارض وخلق نفسه بل وخلق كل شيء . ونحن [illegible] في هذه الدعوى العريضة [illegible] فهي مسألة أخرى [illegible] وليست المكتشفات [illegible] هي خلق السموات والارض وخلق الانفس وخلق كل شيء [illegible] المكتشفات [illegible] ذلك فلا معنى [illegible] ولا شك [illegible] أخبرا في الآفاق وفي الانفس [illegible] المكتشفات [illegible] يجب تسليم [illegible] السموات والارض على [illegible]

لكونه لا يصح أن يكون داخلا في ذلك فهو لم يقم عليه دليلا . مع كونه من علم الغيب . وقد علمت أن استشهاده بهذه الآية باطل . ثم الكشوفات المحققة اذا كانت داخلة في هذه الآية فهي حجة عليه . لان الله يقول «سنريهم آيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» وهذا جعله دليلا على تبيين الحق وظهوره واتضاحه . ولم يجعله دليلا على بطلانه . ولو أنه من هدى ورشد لاستدل بها على ثبوت النبوة وثبوت القرآن واشتماله على خيري الدنيا والآخرة . ولاستدل بها أيضا على محاسن الاسلام ولم يستدل بها على تشويهه والدعوة الى خلعه ونبذه . ومن العجب أنه كلما توسع الالحاد وكثر ازداد ظهور الآيات في الآفاق وفي الأنفس المكونة دليلا على صحة الدين . ووضع هذا عكس للاحتجاج بهذه الآية وجعل ظهور هذه الكشوفات والآيات في الآفاق وفي الأنفس دليلا على صحة قول من الالحاد ورفض الأديان والاعلان به .

وقوله : ولا ندري أين [illegible] الى [illegible] فيه اشارة الى [illegible] والى [illegible] ولا لما كان لها معنى مفهوم مستمر . فيقال [illegible] الى ما ذكره في حق المسيرات والاعجاز [illegible] وفيه اشارة الى [illegible] ، وان الكشوفات [illegible] فقد [illegible] أنها خارجة عن محل النزاع ولا حجة لك فيها . ولا [illegible] في هذه الكشوفات . وقد [illegible] معقولة ومن [illegible] عليه ومن [illegible] الدالة على أن [illegible] تجري وتجدد في كل زمان ومكان [illegible] الى هذا الوقت . ولا شك أن من [illegible] العظيمة التي ظهرت في [illegible] الصلاة والسلام وما حصل من أعظم الآيات في الآفاق وفي الأنفس ، وقد حدث انشقاق القمر وهو من أعظم [illegible] في الآفاق وغير [illegible] في الآفاق غير هذه الكشوفات من الامور المكونة لا يحصى عددها في [illegible] وغيرها .

ثم قال : وأما الآيات في الأنفس فهي [illegible] في [illegible] في [illegible]

العلم، وهى أيضا الحقائق لكونيه [illegible] والمنكرات العيبة التى [illegible] عنها النفس البشرية وكل [illegible] الانسان كشف عنه [illegible] عليه وعالم يعلم الا [illegible]

فيقال كل هذا أيضا لا يصح [illegible] فى خلق السموات والارض وخلق الانسان وخلق [illegible] لانه الذى هو ظاهر مفهوم منها كما فهمه المفسرون يرجع الى [illegible] من الابتلاء والامتحان كما قال تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible] من حقائق [illegible] معرفة الحقائق [illegible] هؤلاء [illegible] وقد أصاب فى الخط

الشديد على القرون المفضلة ومن فى عصرهم ، فبينما نراه يتهدد الرافضة وبنو عدهم بالويل والثبور ، اذا هو منقلب معهم بل زاد عليهم فى الخبث والشنآن ، وكأنه يريد أن يمح كل [illegible] وطنفه من هذه الامه نصيب مما اشتمل عليه من العدوة المنكرة [illegible] الذى لم يسبقه أحد الى حسبه

فقال [illegible] القرآن الى طور معين فى التدرج نحو الحياة [illegible] لا يعدو الفطرة الطبيعيه . والالمام [illegible] فكان [illegible] قد يصطها الاستقر [illegible] من كل [illegible] وهو الأكثر [illegible] . وكانت أحكامه على [illegible] كلها على هذا الإلمام الظاهرى الصادر عن [illegible] من وجود الانسان [illegible] أو العرب من [illegible] كانت وسائل [illegible] كثير من [illegible] له بعض القيمة ، فأنزل الله فى كتابه متحدثا عن [illegible] من [illegible] [illegible] والاجتماعية [illegible] الأسباب وما [illegible] [٢] [illegible] الفضاء [illegible] ويرونها [illegible]

---

(١) [illegible] لا يعدون [illegible] [illegible]

(٢) [illegible]

لعلهم ما كانوا يفكرون في هذه الظواهر والمشاهدات لماذا لا تقع علينا وعلى الأرض . ما الذي يمسكها ويمنعها من الوقوع . ما الذي يديرها ويحركها ويضبط مواعيد غيابها وطلوعها . ما الذي يمدها بهذه الأنوار والحرارة التي لا تنفد . كل هذا لا أحسبه له عند هؤلاء . وإن سألوا فلا أجوبة صحيحة (١) وكل ما يمكن أن يقولوا في هذا أو كل ما يمكن أن يفهموا أن الإله (٢) أو الآلهة هي التي تفعل ذلك أو أنها — أي الشموس والكواكب هي التي تفعله بنفسها (٣) لأنها آلهة أو لأنها كائنة حية متحركة بالإرادة والاختيار ، إذ قد ظل الإنسان أحقابا متمادية في الطول يعتقد أن كل متحرك فإنه ذو روح حي عاقل . فكانت تسكن كل المتحركات أرواحا عاقلة على حسب ما يرى نفسه في أرض عند أقوام وأجسام في أماكن أخرى عند قوم آخرين (٤) وانظر كما هذا غير مرة بمطلب أحد صورة كاملة لأوهام الأسلاف الماضين . والأطفال حتى اليوم إذا رأوا شيئا يتحرك ويسير حسبوه حيا وحسبوا حركته وسيره بإرادة وقصد مثل ما يصنعون هم . ولا تزال بقايا هذه الإنسانية الظاهرية [illegible] . وكانت الإنسانية [illegible] ترى التفاحة تسقط على الأرض وترى كل ما [illegible] ، ولكنها لم تستطع أن تعلل [illegible] في هذه [illegible] . وكانت ترى كل ما رأته

---

(١) [illegible] عن هذه فهو جوابك عنه ، وكل من الواجب عليك أن تبحث عنها [illegible] في الأمر [illegible]

(٢) [illegible] هو الذي يديره [illegible] يفرق بين الله والأوثان

(٣) [illegible] كانت هي [illegible] ذلك [illegible] تتحرك [illegible] في مواضع بأن العلم هو الذي يحكم نفسه بنفسه

(٤) [illegible]

فكشفوا قوة البخار والكهرباء، وجميع المكتشفات والمخترعات التي قلبت حياة الإنسان [1] غير أنها كانت عاجزة عن أن ترى غير الظواهر وغير ما يرى الأصغر من مظاهر الأشياء. وهكذا كانوا أمام جميع مناظر الكون. وكانوا أيضا يعرفون فئة الأمراض بالأسماء ويعلمون أعراضها ويعرفون أنها تورث موارد العطب ويعرفون شتى كرامات أنواعها على حسب اختلاف أعراضها ولكنهم كانوا جميعا جاهلين بأسبابها، جاهلين عما وراء الأعراض، فلا يدرون من عوالم المكروبات شيئا، فهم لم [illegible] ولا من وسائل معرفتها شيئا أيضا. فكانت هذه الجيوش الخفية القوية تعروهم فيبصرون وقعاتها وفعلاتها لأنها ظاهرة ولا يبصرون ما هي لأنها من عداد الحقائق المستورة خلف الظواهر. فكانت [illegible] مستورة عنهم وكانوا [illegible] فيها [illegible] [2] وكانوا أيضا يدرون كل [illegible] قانون الوراثة وتشرحه، [illegible] الأولى من أخلاق وصفات وخشية، والى [illegible] [illegible] وكانوا [illegible] [illegible] [illegible] سوى هذه [illegible]

والجواب أن [illegible] [illegible] [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible] وقد بينا ما في ذلك فيما سلف

أن هذه الأمور تشترك في حب الكافر والمسلم سواء. فهؤلاء جميعـــا عنده
كالأطفال المساكين لا يعلمون شيئا إلا هذه الظواهر. فهم في غاية الغباء والتغفيل
ولهذا صرح بأنهم لا يبعدون جدّا عن الطور الحيواني. فهم قريبون جدا من
طور الكلاب والحمير والخنازير والقرود وما أشبه ذلك. فإذا كان هذا هو
حالهم وقت نزول القرآن فكيف حال من في وقت الخليل عليه السلام، فكيف
وقت نوح عليه السلام، فكيف من هو قريب من عهد آدم. فلا يسأل عن
حال أولئك وصرح في كلامه بقصص [illegible]

[illegible]

في ذهن من لم يحصل له ما يريد من كراهة السلف وبغض آرائهم واعتقادهم
لأن أولئك الجماعات الذين ذكر أقوالهم حصروا المجد في الأخذ بالأخلاق
الحديثة معتقدين قلبها على كسبهم وأصل وفيما ينقض هذا الأصل . وكان غرضه
وهدمه الذي يرمي إليه هو سب كل قديم بدعوى أن أهله على غاية الانحطاط
والخبل والعته . وقد طرد هذا الأصل حتى ادعى أن هؤلاء المتقدمين حين
من تقدم ذكره كما تقدم كلام السيد قطب . وهو كثيراً ما يتفوه بهذا عند من
يسمع قوله وحجته في ذلك . وإن الذي يريد أن يكون كالخنزير الذي يتسع
في شهوته ويعرض عن الطيبات ولا يريدها ويعرض عنها . فقصد
هذا المتحذلق أن آباءنا الأولين على خلاف أجسامهم كانوا يعملون بوده تدينا كما
تصنع الأطفال . بل كما تصنع بعض البهائم من الحجر وغيرها . ولهذا صرح بأن
الطفل يعطي أبداً صورة كاملة لأولئك الأسلاف الماضين . ثم لم يكفه ذلك
حتى قال والأطفال حتى اليوم إذا رأوا شيئاً يتحرك ويسير حسبوه حياً وحسبوا
حركته وسيره بإرادته . فالأسلاف الأولون على مثل ذلك سابقاً في تشبههم
بالأطفال . فإذا رأوا حجراً يتحرك أخذ حسبوه حياً وهو بواسطته وإذا رأوا
حبلاً كذلك حسبوه الريح هو بواسطته وإذا رأوا حيوانا يسير بحركة الريح
حسبوه حياً فلا يميزون بين الحي والميت كما لا يميزون بين الحجر وغيره بل هم
أحط من الأطفال فإن الأطفال لا يعملون هذا كله فهم دائماً يهربون من كل
ما يتحرك . ولا تسأل عن حالهم أيام كثرة الرياح فإن أكثر الأشياء ترقص
وتتحرك فلعلهم كانوا إذن يموجون موجاً فلا يستقرون أيام الرياح ولا
يهدأون أبداً وقل أن يمر يوم ليس فيه رياح . فعلى هذا تكون حالتهم أحط من
حالة البهائم والحشرات فإنها تهدأ غالباً في أوقات الرياح في جحورها ومساكنها
بل ولا تهرب من كل متحرك مع أنه ادعى أنهم يهربون من كل شيء يجهلونه
كما تقدم . لقد صدق الله العظيم فيما أخبر عن هؤلاء المعرضين عن الدين في
قوله تعالى : أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام

بل هم أضل سبيلا .

وهنا مشكلة وقع فيها من حيث لا يشعر ، وهي أنه قرر في كلامه الماضي
أن الإنسان إذ ذاك يتلخص في شيئين في الجهل المطلق ، وفي عبادة كل شيء
متقلب مضطرب . هذا كلامه بحروفه . فالإنسان الأول جاهل مطلقا وعابد
لكل شيء مضطرب . ثم شبهه بالطفل حيث قال إن أصدق صورة ترسم
للإنسان في ذلك العهد هو الطفل من حيث تعريه من كل لباس علمي وديني
وكذلك قال هو إن الطفل كما قلنا غير مرة يعطينا أبدا صورة كاملة لأوثنية
الأسلاف الماضين اهـ . فالمشكلة هي أنه ادعى أن الإنسان الأول جاهل مطلقا
وأنه عابد لكل متحرك مضطرب . ثم شبهه بالطفل وجعل الطفل يعطي صورة
كاملة عنه فشبهه تشبيها مطابقا بزعمه . ومعلوم عند أدنى عاقل أن الطفل لا
يعبد كل شيء ، بل لا يعبد شيئا مطلقا . فانتقض تشبيهه وانهدمت دعواه من
أصلها وهي التي يدور عليها وقد ضل كل الضلال لأنه طابق التشبيه وجعله
ناقصا فاحشا . فنقضت أولا بدليل الذي اختص به الأولون
بعبادة كل شيء لأن العبادة هذه كانت فارقة بينهم وبين الأطفال ولكن مقصوده
بدعوى العبادة في الأولين وفي ... مع الطفل ... بعض ... العبادة ...
أنها من أخلاق الجهلاء الأولين . ولكن بقي هنا حجة عليك لا لك أولا
بالنقص وشبههم بالأطفال والأطفال لا يعبدون شيئا . وثانيا أنها تدل على
عكس ما ادعاه وذلك أن العبادة تدل على العقل لأن خلوها من الأطفال الذين
هم في غاية الجهالة وملازمتها للعقلاء والعلماء تدل على أنها من لوازم العقل
والعلم . أما عادات المشركين فإنها لما كانت عقولهم فاسدة كانت عبادتهم
كذلك لأن أكثرهم قد عبدوا عن أديان محرفة قد دخلتها الأغراض والأهواء
والبدع فأفسدتها . وقد كان أكثر أهل الحضارة في القرون الوسطى وقبلها
وبعدها مشركين بخلاف البعيدين عن الحضارة كأهل البادية والبعيدين
عن الكتب المحرفة فإنهم ... لا يعبدون شيئا كالأطفال ... منحطين

في جميع عصورهم. فظهر من هذا أن التشبيه الذي ذكره في الطفل جاء على
عكس مراده. وهو أن الملحد أشبه شيء بالطفل الذي قرر أن الأولين أشبه
شيء به ونسبهم الى غاية الجهل. فان الطفل لا يعتقد شيئاً ويرى أن الأشياء
الحية المتحركة أنها تتحرك لذاتها وتعمل وأنها كاملة لذاتها فهو أعظم الناس
إيماناً بالأسباب لانه يؤمن بها إيماناً صادقاً دون أن يحقق بمشقة حاجة عنها
فيرى فيها الكفاءة الذاتية. ولذا فانه يطلب كل ما يشاؤه ويشتهيه من والديه
لأنه يرى فيهم القدرة على كل شيء ولا يقيس أي عدد منهم مهما كان. وهذا
فانه يؤكد تأكيداً لا مزيد عليه بشدة صراخه لتحصيل مراده لانه يعتقد أن
الوسيلة الوحيدة لتحصيل حاجته هو الحث المتواصل والتأكيد عليهم بذلك.
ويرى أنهما إن لم يقضيا حاجته فهما لم يحباه في نفسهما. وقد عرف أنه
يستطيع من مكانه تحويل الدار فيعطف به حاجته. والملحد والطفل فريقان في كل
شيء إن لم يكن الطفل أحسن حالاً. فان الطفل لا يرى العدم ولا يفهمها
ويفهم سرها في العدم والآخر لا يعقله [illegible] وكذلك الملحد والطفل لا
يهمه إلا ما يوافق شهوته وطبعه وكذلك الملحد. والطفل يرى المحسوس يقدر
على كل شيء ويعلم كل شيء وكذلك الملحد. والطفل يرى كشف السوءة
والاباحية المطلقة وكذلك الملحد. والطفل لا يفرق بين الرجل والمرأة في
شيء من الحقوق إلا في الصورة الظاهرة الجسمية كالذقن والشعر ونحوها
وكذلك الملحد. والطفل لا يهمه الحفظ ولا الحجوز ولا يراهما شيئاً
مفيداً فلا يعرف منفعتهما بل يقف متعجباً ضاحكاً [illegible] حفظه وعقله
وكذلك الملحد. والطفل إذا أنه شيء التفت الى الأسباب [illegible] واعتمد
عليها ورأى فيها الكفاءة ولهذا يبذل غاية جهده في تصرفها في غرضه وكذلك
الملحد. والطفل يرى أن لا شيء موجود وراء هذه المحسوسة بحيث إنه في
كشف الكروب ويدعى ويستعين بها وأن الأمور كلها بيده وكذلك الملحد.
والطفل يرى الأشياء الحادثة غريبة جديدة فيدهش عنده ويظهر منه فيتعجب

ويعشقها ويتعلق عليها ويترك ما وراءه من كل ما هو قبلها ولو كان أنفع له وكذلك الملحد . والطفل يكره القدماء فلا ينظر الى الشيوخ والكهول فلا يراهم شيئا كبيرا ويخاف من جنسه ومن مثله ويجعلهم أعظم همه ويكره الكهول من أجل أنهم قدماء ويتعلق على الصغار لأنهم من جنسه وكذلك الملحد ، والطفل يروج عليه الخداع والنفاق والمراوغة ولا يعرف الحقائق ومقاصد الكلام وكذلك الملحد . وبالجملة فأصدق صورة ترسم للملحد هو الطفل أو الحيوان . أما المتدين فهو بعكس ذلك كله . ولهذا لا نجد المتدين يشبه شيئا من الحيوان والأطفال في خصائصهم حتى في الأكل والشرب وغير ذلك كالتخلي والنكاح ، فإن معه فارقا في هذا كالصوم والوضوء والتورع . أما الطفل والملحد وسائر الحيوانات فليسوا كذلك . فالدين هو الحد الفاصل بين الطفل والحيوان . والعقل إن لم يصحبه الدين فسد فلا يعتد به كما نص عليه القرآن ، وبعدم وجود الدين مع الإنسان ينحط الى طور الطفولية ويرجع الى الوراء حتى يكون كالحيوان . وعلوم الدنيا إن كان الغرض منها الوصول الى الراحة والهدوء ورغد العيش فهذا قد تحصل عليه الطفل المدلل المكفول في الحضانة كما يحصل على ذلك الملحد في الجنة [1] وأما السيطرة إن وجدت فقد شاركه فيها كثير من الحيوانات العاتية المسيطرة على الحيوانات التي دونها ، ثم إن أكثر هذه الأمور ليست لذات بل هي دفع آلام الحاجة والهموم والغموم ، وفي ملحد أن يسلم من ذلك ، بل كل وقته منغص مهدد معذب ، وهذا بخلاف علوم الدين وما يتبعها من علوم الدنيا من صناعات أو غيرها المؤسسة على الدين ففيها دفع آلام ولذات محققة لأنها تتصل بالروح والنفس ، وهي علوم سماوية مقدسة تزكي الروح وتقويها وتقدسها وهي لذة مستمرة لا تشوبها شيء من الخوف والوجل المفسد لجميع اللذات

(1) أي لا في الأمرين في كل من الطفل والملحد

وبهذا يبين لك أن الملاحدة هم الذين يرجعون إلى الوراء دائماً في أخلاقهم السيئة. وأن المتدينين هم [illegible] في [illegible] كل عصر من عصور الدين. فهم المتقدمون [illegible] في أخلاقهم و[illegible] وعلومهم وفي كل شيء وأن تقدم الملاحدة عليهم [illegible] [illegible] الزمن [illegible].

[illegible] وكل ذي عقل يعلم أن هؤلاء [illegible] الملاحدة الذين يدعون أنهم هم [illegible] [illegible] [illegible] أخلاق [illegible] بالفساد والتقويض [illegible] [illegible] كل [illegible] في [illegible] قص الله عن أقوالهم [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الملاحدة [illegible] وهذا [illegible] [illegible] التي من أخلاق الأولين لا [illegible] في الملاحدة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في أساطير الأولين. وهكذا قال هؤلاء الملاحدة [illegible] [illegible] هي الأحاديث [illegible] [illegible] وكذلك الملاحدة. والأولون قالوا [illegible] [illegible] وكذلك قال الملاحدة. والأولون اعتمدوا على الأسباب وادعوا أن [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] أعمالهم [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] وعلى أنفسهم وكذلك الملاحدة. والأولون [illegible] [illegible] على [illegible] تعاليم الدين هو شيء واحد هي الحجة [illegible] أكثر من [illegible] وأعلى منهم وأوسع منهم [illegible] في [illegible] [illegible] وهذه هي [illegible] للملاحدة [illegible] [illegible] [illegible] تتلى عليهم آياتنا بينات قال [illegible] كفروا [illegible] [illegible] خير مقاماً وأحسن [illegible] [illegible] الله أنهم يعرضون عن الآيات التي [illegible] الحقائق [illegible] إلى شيء آخر، وهي [illegible] التي هي [illegible] [illegible] [illegible] مع أن هذه الأمور ليست [illegible] [illegible] مقصودة [illegible] والناس [illegible] [illegible] سواء [illegible]

وكثيرا ما يكون الإنسان فقيرا [illegible] وبالعكس وكثيرا ما يكون [illegible] ولو كانت حقائق [illegible] وإذا دلت في [illegible] أسباب [illegible] أسبابا لا [illegible] أسباب [illegible] كان [illegible] هذه الأسباب [illegible] ولا [illegible] يوجد فيه [illegible] على الأكثر [illegible] [illegible] لا يوجد [illegible] موجودة [illegible] على [illegible] [illegible] في الملاحدة هذا [illegible] المتنوع [illegible] في [illegible] موجود [illegible]

والمقصود [illegible] في الأحمد والجهلاء [illegible] [illegible] من [illegible] من الحياة الدنيا) ثم حملها على القرون [illegible] موجودة وقت [illegible] وهذا الملحد إنما حمله على هذه [illegible] يتبجحون بهذه [illegible] على الملاحدة في معرفتهم هذه الأمور [illegible] في [illegible] كتبهم في مدلولها تجعل هذا الملحد [illegible] وأنهم لا [illegible] كانوا يعرفون الا ظواهر [illegible] أما حقائق هذه الظواهر فلا يعرفها الا سادته أما سادات [illegible] فلا يعرفون من هذه الحقائق شيئا . ومن عمق [illegible] أن يوجس

كعدده [illegible]
[illegible]
[illegible]
لأنهم [illegible]
الأمة [illegible]
[illegible]
لا [illegible]
[illegible]
[illegible] أن هذا الذى
علوه كله ظاهر [illegible] ظاهرة اما
بواسطة أو [illegible]
حقيقة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وأمورهم كلها مبنية على الظواهر [illegible]
وكل [illegible]
وراءها [illegible]
حجة صريحة عليه وعلى سادته الذين [illegible]
عامله الله بعدله

فكل كلمة [illegible]
[illegible] الجواب عنه
[illegible] هذه الأشياء [illegible] مختلفة
[illegible]

من الأمور [illegible] موجودة [illegible] عن [illegible] وأمثاله ، [illegible]
الأ[illegible] [illegible] كانت صغارا أو كبارا . على أن في مسألة هذه
[illegible] بالميكروبات تفصيلا لسنا بصدد شرحه . [illegible]
[illegible] أن [illegible] موجودة [illegible] بما نقدح في عمومهم
[illegible] ، وقد
[illegible] موجودة [illegible] وجوده [illegible]
[illegible] في كل [illegible] كل شيء [illegible] من قبل .
[illegible] على كل من لا [illegible]
[illegible] من خصائص الإنسان الموجود
[illegible] لا [illegible] ما [illegible] ، ثم
[illegible] من المعرفة بأسباب الهلاك
[illegible] . فان المضرة التي تحصل من هذه
على الإنسان [illegible] . وأيضا هؤلاء الذين جهلوا هذه
الأمور [illegible] ، فانهم عرفوا أصول الدين
[illegible] وسادوا به على غيرهم
[illegible] الناس [illegible] حتى ظهر نور الحق
[illegible] وفي كل مكان [illegible] بخلاف هذه الأشياء [illegible] أهلها
[illegible] من الأمور [illegible] الكتاب
[illegible] ما يقابلها من أسباب للأسقام
والأمراض [illegible] . [illegible]
الإنسان [illegible] الشر
وأنواع [illegible] هذه الدول قد عرفت
هذه الأمور معرفة [illegible] لا يمكن [illegible] في فهمهم [illegible]
أسباب أخرى [illegible] ، [illegible] في [illegible] أنواع الأمراض والأسقام

والجوع والعرى وغير ذلك . فصلاح [illegible] من [illegible] حرب و[illegible]
نارها ، [illegible] أمور [illegible] لا [illegible]
[illegible] عن الوقوع في [illegible] فيه [illegible] الأخلاق [illegible] لابد
أن تكون حميدة . [illegible] لا [illegible] أمة [illegible] على [illegible] محافظة
تامة ولم [illegible] ضعف أو [illegible] كل [illegible] في [illegible] التي
تكون [illegible] صحيحة [illegible] أن [illegible] في [illegible]
والعذاب والدمار الفظيع فلا خير فيها . [illegible]
[illegible]
ما كانوا [illegible]
أموالهم [illegible]
أنفسهم [illegible]
وغيرهم من [illegible]
لا [illegible]
والحس [illegible]
شمس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] كل [illegible] أن [illegible]

أن [illegible] وزهية [illegible]

من [illegible] وأحد في الآخرين [illegible]

[illegible] أو [illegible] في [illegible]

[illegible] أن جميع ما وجد في الزمن

[illegible] الأخـــلاق الوحشية

[illegible] وجد أنه من مصدر

[illegible]

[illegible]

فصل

[illegible] أن الأطفال

[illegible] الأخلاق [illegible] وأنهم لو تركوا

[illegible] أشياء حسنا من أجل

[illegible]

[illegible] أن [illegible] مع الأطفال [illegible]

[illegible] والمشاهدة والتعميم [illegible]

الولادة . ولكن يجب أن تكون هذه دلالات عديدة [illegible]

مع هذا كله [illegible] ويعتقدون أن الأطفال لطبيعتهم مجبولون على الخير . وهذا

يدل على أشياء كثيرة [illegible] الواحدة [illegible] من هذه الدلالات أن الإنسان

لطبيعته شرير [illegible] في كل [illegible]

---

(١) يعني [illegible] موجود [illegible]

الاطفال يرثون هذا الشر والخبث [illegible] عن آبائهم الأولين الظالمين
الأشرار. أما الخير والاحسان وكل هذه الصفات [illegible] التي تتصف
[illegible] مكتسبة [illegible] من
[illegible] والامانة
[illegible] كما [illegible] في [illegible]

والخوف [illegible] موجودون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واخبث كل
مولود يولد [illegible] ولكن [illegible]
[illegible] كل شيء [illegible] والحسن [illegible]

أما دعواه أن الانسان [illegible] الأول
كان كذلك في كل عهوده وأن [illegible] واخبث [illegible]
اولئك الآباء الأولين [illegible] فهذه الدعاوى [illegible]
من الخبائث [illegible]
[illegible] في هذا البحث [illegible]
[illegible] الانسان واحد [illegible] ولا
[illegible]
المقدس وأعظمه. فان هذه الاوصاف هي أصول الشر كله والرذيلة كلها. ولو
أن [illegible] الانسان [illegible] الاوصاف كلها [illegible] فيسمى
أن يعطى هذه الاوصاف التي [illegible]
اختارها. وأما [illegible] هو [illegible]

وحيث [illegible] حتى [illegible] [illegible]
[illegible] فيكف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تقدم أن هذا المغرور مصاب به [illegible]
لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على الشر والخبث [illegible]
إنما تنتج عن محل [illegible] قابلة لها من الخير [illegible]
أو موجود ضدها ، ولماذا كان [illegible]
توصف به فى أخلاقها بهذه الأوصاف [illegible]
الذين أكرمهم الله فى قوله تعالى [illegible]
إذا كانوا مطبوعين على هذه الأوصاف [illegible]
[illegible]
[illegible]

الجبلة التي هي موضوع [illegible] موضع الخير والإحسان ويمتنع أن يكون موضع
الميل إلى الشر والإحسان حيثما [illegible] شيء . وهذا ظاهر . وقد [illegible] سبق
أن الإنسان [illegible] فطرته على عين الدين الذي هو [illegible]
[illegible] أنه مطبوع على الخير و [illegible] من قبل فطرته
[illegible] الخير ومن [illegible] فقد [illegible] الشر [illegible]
النفس فيه [illegible] أنه [illegible] يكسبه [illegible] حب به وسعد به
[illegible] في حدود صحيحة ، والفطرة [illegible] هي
[illegible] وهي على الفطرة [illegible] عنها
[illegible] على الخير ولكن يجب أن [illegible] الناس مختلفون فيه اختلافا كثيرا ،
فمنهم من يكون فطرته ضعيفة جدا ولكن طبع النفس [illegible] قوية جدا
كالكبر والعجب والغضب ونحو ذلك من الأخلاق الأخرى ، ويكون [illegible] على
[illegible] ضعفها [illegible] والداعي الذي يرد من تلك الخصال الأخرى
قوي [illegible] في هذه [illegible] تفسد
[illegible] كما [illegible] ضعيفة لا [illegible] حتى تنعدم
الاستماع له ، [illegible] قوة المعارض ولا سيما
إذا كانت حياتها ضعيفة . ومنهم من يكون فطرته بالعكس فتكون قوية بسيطة
سريعة القبول ، والداعي قوي ملائم لها ، ومضاداتها ضعيفة كما أن دواعي
مضاداتها كذلك ضعيفة فتقوى هذه الطبيعة الخيرية وتكبر حتى تتلاشى فيها
الطبائع الأخرى . والناس مراتب على حد [illegible] كل بحسب قوة فطرته
وضعفها ، على أنه يجب أن يعرف أن [illegible] في ذلك نزاع عظيم . ثم إنه يجب
أن يعلم أن علماء النفس من الأولين والآخرين مختلفون في طبيعة الإنسان
اختلافا كثيرا فمنهم من يقول إنه طبع على الشر والظلم ومنهم من يقول طبع
على حب الخير والعدل كما أشار إلى هذا صاحب كتاب (الوجود) السيد محمود

[illegible] والصحيح هو ما ذكرناه [illegible] ولكن [illegible] أن الذين قالوا انه مطبوع على الشر والفظاظة [illegible] ما يدعى [illegible] المعروف [illegible] [illegible] الى [illegible] مطبوعين على الشر والخبث والفظ [illegible] وذلك [illegible] حتى جعلت شيطان [illegible] أي فرق بين الانسان والشيطان [illegible] وهو قد [illegible] الاخيار [illegible] أن الذين تركوه [illegible] الصغير [illegible] فيكون [illegible] في صفة سجاياه والمقصود [illegible] هذا [illegible] ما ذكرنا [illegible] كان الانسان مطبوعا على ما ذكرنا [illegible] استقامته عن [illegible]

[illegible] وعلى [illegible] في أخلاق [illegible] في أول [illegible] قصد الاقتداء والاحسان [illegible] المستقبل [illegible]

[illegible] لا يصح أن يكون [illegible] على ما [illegible] أن يقال [illegible] كل من خالفها ينشأ على الشر [illegible] مع الانسان من الاحسان انما هو مكتسب من [illegible] على حالة [illegible] مطبوعة [illegible] [illegible] على هذا وجوب الحث على ما يضاد هذه الاخلاق [illegible] وهي [illegible] هي مصادر الحياة [illegible] ولا معنى لدعوات [illegible] الى [illegible] والتطلع للمستقبل ما دمنا نعتقد أن الانسان مطبوع على هذه الخصال الخبيثة فاذا كان مطبوعا [illegible] ملازمة له في [illegible] والصغر والكبر ما لم

---

(١) ويدل على ما ذكرناه اخلاق الاطفال [illegible] في [illegible] الى الخير والعدل [illegible] الى الشر [illegible] والخبث [illegible] سجاياه واخلاقه [illegible] في [illegible]

[illegible] ولا شك أن آثار [illegible] في [illegible] أجد
[illegible] كانت آثار هـــذه الخصال
[illegible] صحيحة [illegible]
[illegible] . والذى أوقعه في
[illegible] في هذه الحال التي نقلناها عنه
في [illegible] من علماء النفس [illegible]
[illegible] وعنده فلم يعبأ
[illegible] في استعدادات [illegible]
[illegible] المتخصص [illegible] له
[illegible]
في [illegible] كل ما حفظ عن
[illegible]
[illegible]

وقد

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كل [illegible]

الاخلاق الدنيئة ، انما هي التي تزين هذه الأخلاق وتصورها فهي الطريق الى الرشد والتخلص من هذه الطباع الخبيثة ، وتعظم [illegible] ظاهرة عليه كيف وهي اهواء او [illegible] لا يفطن [illegible] سوى نعم ولا ريب [illegible] يقال [illegible] هذه الطباع خبيثة لا نعلم [illegible] وحظ ذلك [illegible] إنما هو [illegible] أن ما نعلم من [illegible] حتى على معرفة هذه [illegible]

فصل

ولما كان قول المتخصص في علم النفس له وقع عظيم في نفسه [illegible] شيء كبير [illegible] ولا يمكن أن [illegible] يعزز رأي هذا المتخصص حين وافقه بالاستدلال [illegible] على ما ادعاه ، وقد علمت [illegible] من النصوص على [illegible] ولو [illegible] وقواعد الشرع ، [illegible] ثم [illegible] على أنه لا حرج مع وضوح [illegible] ومع هذا [illegible] لا يكفي بدعوى أن الآية [illegible] في كل نص [illegible] به أنه صريح في ما [illegible] وكل نص في نفس الأمر صريح في دلالته على [illegible] فقال مستدلا على ما ادعاه في طبع الإنسان وهذا [illegible] ويجب التنبيه هنا على أن الإسلام [illegible] هذه [illegible] صريحا ، فمن نصوصه الصريحة قوله تعالى ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ـ أي لا تعلمون شيئا من هذه الأصول المعلومة في الأخلاق وفي [illegible] وفي الأدلة

ثم قال [illegible] هذه النصوص [illegible] الإنسان [illegible] ظلوماً جهولاً [illegible] الإنسان [illegible] الإنسان [illegible] والآيات في هذا المعنى [illegible]

فقال [illegible] الإنسان [illegible] أحد [illegible] الإنسان [illegible] الإنسان [illegible] ظلوماً جهولاً [illegible] إن الله أخبر أنه عرض الأمانة على السموات والأرض [illegible] الإنسان لجهله وقصوره [illegible] الأمانة لأنه أضعف من السموات والأرض [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible] عنه [illegible] فهي كقوله : أيحسب الانسان أن لن
نجمع عظامه [illegible] أن [illegible] أمره [illegible] من
الأعمال الصالحة وصدق [illegible] . وكذلك قوله تعالى
[illegible] فهي [illegible] . لأنه أورد
[illegible] والله [illegible] إلا
[illegible] . فى
[illegible] فلا
[illegible] حيث
[illegible] . [illegible] أن هنالك
[illegible]
[illegible]

فصل

[illegible] كل مولود يولد على [illegible]
[illegible] الحديث من الكلام على
[illegible] . ولا التفات الى ما قالوه لانه
[illegible] . [illegible] فهم هو أنهم
[illegible] معروفة وهو [illegible] العالم
[illegible] . فهم
[illegible] وتنقص
[illegible] . وكل [illegible] أى انه يتجه على
[illegible] . فان كان معلمه
[illegible] كان [illegible]
[illegible] كالشاهد فى كل [illegible]

ومكان ، ومعلوم أن لكل دين من هذه الأديان ولأصحابه طريقة في تعليم
الأخلاق والتربية المأخوذة أكثرها من الدين نفسه ، ولو تركوا وشأنهم لنشأوا
لا يهودية ولا نصرانية ولا مجوسية ولا إسلامية لبقوا على فطرتهم أي
مجردين من كل دين ، [illegible] المطلق الذي لا يعرف القيد ولا
الضبط ، والفطرة حينما تبقى طلقاً [illegible] وليست خيراً[1] وإن
قيل [illegible] بعيداً عن التعليم والتهذيب
[illegible] خلقته الأولى التي لا
[illegible] والإسلام لا يقبل شهادة الأطفال ،
ونحن نعلم أنه [illegible] جبلوا عليه من الكذب والتزوير والغلط
والأخلاق الرديئة [illegible] بعض الفقهاء [illegible] كلهم
[illegible] لأمور أخرى ذكروها وهي من جملة أنواع الكثيرة التي تموج
[illegible] من غير أن يكون [illegible] عصبية ولا عقيدة ولا دينية ،
انتهى كلامه على هذا الحديث

والخطأ أن يقال أولاً [illegible] من الحديث [illegible] حذف ما ليس
[illegible] ويصحح معناه ، [illegible] في التحريف ،
[illegible] أنه [illegible] والمعنى [illegible] فلا نكتفي بأحدهما . ولو أنه ساقه
بكماله لظهر المعنى وظهر بطلان تقريره عليه ، ونحن نسوقه بجملته ، ففي
الصحيحين عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من
مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج
البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول « فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فهذا الحديث — كما ترى —
[illegible] أن المراد بالفطرة [illegible] ، ويصح هذا ما

---

(١) سيأتي [illegible] بعض هذا [illegible] قريب

رواه مسلم في صحيحه عن عياض [illegible] ﷺ [illegible]
[illegible] في خطبته [illegible] أعلمكم [illegible] في
يومي هذا . كل مال نحلته عبادي حلال ، [illegible] عبادي حنفاء كلهم وإنهم
أتتهم [illegible] عن [illegible] وحرمت عليهم ما أحللت لهم [illegible]
أن يشركوا [illegible] آخر الحديث ، فهذا الخبر الصحيح
صريح في [illegible] الفطرة [illegible] الى قبول الدين الذى هو أصل
كل [illegible]
[illegible]
[illegible]
العرب المعروفة [illegible]
الفطرة هي [illegible]
موجودة في كل [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
والدين [illegible]
لا تبديل [illegible]
خلق الناس عليها [illegible]
لأن الله [illegible]
أى مائلا عن كل ما سواه [illegible]
الفطرة مركوزة في جميع [illegible]
الدين هو أصل [illegible] الملاحدة [illegible] الله [illegible]
العالم وينكرون كثيرا [illegible] كلهم [illegible]
يقيمون [illegible]
اشتدت بهم [illegible]
اليها لعلمهم [illegible] الله [illegible] . وقد نص [illegible] ﷺ في حديث عياض [illegible]

ليست ممدوحة وليست خيرا . وأنه يستدل بهذا الحديث على ذلك لأنها غير ممدوحة وأنها شر وخبث . وقد ادعى في مقدمة الفصل الخامس أن الإجماع قائم على أن الفطرة ممدوحة وأنها شيء عظيم بل هي ممدوحة بكل لسان . وإن تغييرها مذموم بكل لسان ولست أدري كيف يقصد (صحيفة ٥٩) فإنه لما استدل بالفطرة على ذلك قال : الدليل الأول قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فقد أمره بالبقاء على الفطرة وتقويمها وأخبر أنه هو الذي فطرها وفطر الناس ونهى عن تبديلها ، ومثل قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) فجعل حجته على الفطرة هو حجة الإيمان . وجعل تبديلها من عمل الآباء هو شرك وتكفير [illegible] وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، والحديث به دلالة كافية على مدح الفطرة[1] . وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فاجتالتهم ، في آخر الحديث . وفي بعض الروايات إني خلقت عبادي حنفاء مسلمين . الأمر [illegible] كلامه على مدح الفطرة وذمه على ما خرج من طرقها . فالفطرة ممدوحة بكل لسان وتغييرها مذموم بكل لسان . انتهى كلامه بحروفه . فانظر إلى هذا التناقض الفاحش والانقلاب المنكر في استدلاله بالحديث على ذمه الأول ثم استدلاله على رأيه الثاني مع تضاد النظريتين ، وهذا دأبه في الاحتجاج بالنصوص كيف شاء لا يرى أنه لا يمكن لأحد أن يسامحه

(١) تأمل قوله بمدح الفطرة ، مع قوله فيما سبق إن الفطرة ليست ممدوحة وليست خيرا

في العلم ولا في العقل ولا في [illegible] ولا في جميع [illegible] فهو يقول [illegible]
لا [illegible] بقوله ويحكم به [illegible] وأجمعها من كلمه [illegible] لو [illegible]
[illegible] في الأمر، ولكن [illegible] تسامحوا في [illegible] وعصوا [illegible] ثم [illegible]
وهذه [illegible] إلى أوجب [illegible] العقول [illegible]
حتى [illegible] الحق على الواقع

[illegible]

الأوصاف وأشباهها فيجب [illegible]
المعضل، فهذا الأحمق [illegible]

[illegible]

في كل نص قطعي [illegible] ، ولا [illegible] في [illegible] لأنه [illegible] على أصل
من أصول [illegible] [illegible] كل نص [illegible] ينكرون
[illegible] الأمة [illegible] وهو [illegible] محسوس في كل شيء [illegible]
كل [illegible] حتى لا [illegible] وقد [illegible] كل قول يقولونه على
[illegible] على أصول [illegible]
[illegible] الفطرة الأولى معروفة وهي [illegible] بكل
[illegible] لا تكون موجودة لولم
عند الإنسان [illegible] ، وكل معرفة
[illegible] للإنسان فلا
[illegible] هذا المعنى [illegible] كثيرة ، ولهذا [illegible] في
[illegible] هذا المعنى ، [illegible] الفقهاء كلهم
[illegible] في [illegible] التكليف لأن
العقل شرط [illegible] كما أنه شرط صحة كل عبادة وعقد شرعي ، ولأن الصغير
[illegible] وتشهد [illegible] شهادته ، ولهذا سلك هذا الملحد
[illegible] المؤمنين ، [illegible] أقوالهم : أجمعوا عليها وادعى أن ذلك هو
بسبب كونهم [illegible] عن [illegible] والشر [illegible] ، لم يكفه هذا حتى [illegible] كل
من [illegible] الفقهاء [illegible] ، لأنه صرح بأن أقوالهم التي
[illegible] الكتب [illegible] قيمة عقلية ولا علمية ولا دينية ، فهم لم يسموا
[illegible] جدا . وهذا الذي صنع [illegible] هم المتحللون من الأديان ، ولهذا قدم
[illegible] كلهم ما [illegible] هذا المتحصص الذي [illegible] كلامه في ذلك أو
[illegible] عليه [illegible] الأمـــة وأحط [illegible] عنده ، وهو عندهم
كذلك بلا ريب

وها هنا نكتة هامة يجب التفطن لها ، وهي أنه [illegible] الكلام أن
الملاحدة المتحللين من الأديان كلاً [illegible] مشتمون على كل

عدوان مطلق بدون قيد ولا ضابط [illegible] تقسمت [illegible] وأهلها
[illegible] ومعلوم أن كل [illegible] من هذه الأديان ولا [illegible] في تعليم
الأخلاق و[illegible] [illegible] فهموا
[illegible]
[illegible] من كل دين [illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من
أحسن [illegible]
[illegible]
من حيث لا يشعر [illegible]
وفي المثل [illegible] وقد نقص في
هذه الحالة [illegible] إلا [illegible]
[illegible]
يجردون من كل دين [illegible] على خلقه
من الخير [illegible] الفضل [illegible] وأدهى
وأمر [illegible] على خلاف [illegible]
شيئاً جديداً، وهو [illegible] أن [illegible] مأخوذة من [illegible] وأن
المجرد من الأديان يبقى على فطرته من [illegible] والعدوان المطلق
الذي لا يعرف القيد ولا الضبط [illegible] من
هذا المعتوه الذي كان [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible]

فصل

قال [illegible] دعوتنا الى
لايمان [illegible]
[illegible] جاهلا [1] ولكن
[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]

واحدا واتبعت متدينا واحدا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أكبر [illegible]
المصيبة الكبرى [illegible]

ثم انه [illegible]
يتوارى هنيهة فينكر ما تنطق [illegible]
[illegible]
الانسانية المتروكة لجهالتها [illegible]
كلامه فى جنس [illegible]
كما قال تعالى ﴿ قل انما أنا [illegible]
الاستدراك [illegible]
[illegible]

فصل

[illegible]

وهذا نهوضها وسقوطها [illegible] ، وكل ما كان يمكن أن تعلل به هذه الظواهر
هو رضا الآلهة أو الأوثان (١) أو غضبها على الأمم الساقطة [illegible]
[illegible] سقوطها ، و[illegible] الآلهة على الأمم الأخرى [illegible]
[illegible] ، أما الأسباب الاجتماعية والنفسية وغيرها من
الأسباب التي [illegible] معلومة [illegible] في قيام الأمم وسقوطها فكانت
[illegible] ، ولكن [illegible] عقولهم ورشدهم كان حينذاك لم يبلغ
[illegible] .

و[illegible] سقوط بعض الأمم
[illegible] الأمم الساقطة كان
[illegible] لا شك فيه .
[illegible] وهو الذي
[illegible]
[illegible] يدلنا
[illegible] بالعز
[illegible] ومصارها بيد
[illegible] بحكومة لا [illegible] ، وإن قيام الأمم فقد يقوم برضا الله سبحانه
وقد تقوم [illegible] صحيحا وهي كافرة ، ولكن لا بد من سقوطها ليقيم الحجة
عليها [illegible] . أما سقوطها فلا يكون أبدا إلا بموجب سخط الله
عليها ، [illegible] أراد الله لأمة خيرا وفقها لطاعته وللأسباب المادية التي تكون
سبب نهوضها وتقدمها ، كما أنه إذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له . ولا بد أن
تكون لذلك أسباب من الفسوق والمعاصي [illegible] سبحانه بأنهم قد فسدت

---

(١) انظر كيف قرن الرب الجليل العظيم مع الأوثان في هذه النظرية ، فلم
يفرق بين الله وحده و[illegible] كالشياطين

بطرهم ولا كون فسادهم في الأرض بالشر و[illegible] ، قال تعالى
﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا﴾ وقال ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا﴾ وقال تعالى ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله
بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا
يشعرون﴾ ﴿فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون﴾ وقال تعالى ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها
خسرا﴾ وقال تعالى ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما
آخرين﴾ وقال تعالى ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه
فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ وقال تعالى
﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وقال تعالى ﴿وإن تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ وقال تعالى ﴿فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى﴾ وقال تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾
وقال تعالى ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾
وقال تعالى ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الأمور﴾ . والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا

فمن زعم أن سقوط الأمم وهبوطها ليس بإرادة الله ، وأن الطاعة
والمعاصي لا دخل لها في ذلك وأن ذلك راجع إلى الأسباب الطبيعية المادية
ونواميسها فلا شك في كفره ، بل ولا شك في كفر من لم يكفره ، لأن هذا
تكذيب صريح للنصوص الصريحة الظاهرة ، ودعواه أن الأولين لا يعرفون
الأسباب الاجتماعية والطبيعية وعلاقتها بتعلق التقدم والتأخر ممنوع ، بل

الذي [illegible] فإنه في [illegible] قومه [illegible] على [illegible] كذا [illegible]
[illegible] وقد خاف من [illegible] هي من أسباب الفشل
والبركة وأمرهم بالصدق والإخلاص له [illegible] الاتكال على الله وحسن
العاقبة معه وذلك هو سبب النصر . وقال أيضا [illegible] واصبروا
إن الأرض لله [illegible] من يشاء من عباده [illegible] للمتقين [illegible] بالاستعانة
[illegible] والاستعداد للنصر [illegible] وأمرهم مع ذلك [illegible] أن هذا الذي
[illegible] فرعون [illegible] هو [illegible] من شيء من
[illegible] ما
[illegible] ومن [illegible] الأسباب والأحوال .
وقد علم موسى [illegible] النصر [illegible] مع كونه [illegible] عددا وأضعف
أسبابا مادية من فرعون في قومه [illegible] فرعون [illegible] أسبابه [illegible] وكان
من الخاسرين . وقد كان من المعلوم أن الفرس [illegible] ومن
[illegible] من [illegible] أسباب [illegible]
[illegible] على الله [illegible] فكان
ذكر الله لا يفتر من أفواههم ، فهؤلاء [illegible] الأسباب
إلا أنهم يعتقدون الأسباب [illegible] ولو كان الأولون أن
[illegible] وقت [illegible] ومن قبلهم لا [illegible] الأسباب [illegible]
[illegible] في [illegible] والسقوط [illegible] حين
[illegible] في بيوتهم [illegible] النصر من دون [illegible] وحين المشركون في
[illegible] بدون قتال . فكيف [illegible] أن
يكون [illegible] هذه الأمور ، وأنهم [illegible] عنها
ثم بعد ذلك [illegible] عن
[illegible] على [illegible] أن [illegible]
[illegible] النصر قد كان [illegible] وهذه الأمة التي في [illegible] لا [illegible] والفتح

[illegible]

فصل

قال [illegible]

ولا [illegible]

[illegible]

الحياة الدنيا [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) لانه [illegible]

والجواب أن يقال : مقصوده [illegible]
المكشوف فى الخط على الانسان الموجود [illegible]
الصحابة [illegible] فى عصرهم [illegible]
وعدم [illegible]
للشك فيهم وعدم الثقة بهم هو [illegible]
ليسوا على ما يظن بهم . [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الملحد يعلم أن تعطى [illegible] خاطئا أيما
[illegible]
به الغلو الى أن ادعى صريحا [illegible]
ولا الكتابة الخ ما ادعاه كما تقدم ، وادعى هنا أن الانسان [illegible]
نزول القرآن لا يعد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
مهم ، وبه تعرف مغزاه ومرماه فى جميع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا يعرفون [illegible]
فى الثورة الوهابية [illegible] كاذب [illegible]

الطور تصور حسي فقط [illegible] بالنسبة [illegible] لا يمكن المماراة
فيه ولا في [illegible] وإن قال [illegible] أو جاهل [illegible] كلامه على
ما نقصده [illegible] في عصر الصناعات [illegible]
[illegible] المكلف مصاب بالقلق
والاضطراب [illegible] في كل [illegible] وذلك نتيجة الريب
[illegible]

[illegible] في هذا الكلام الذى علقه على هذه الآيات من الحائث
[illegible] والعجب أنه ألف كتابا في الرد على الرافضة
في [illegible] ثم
[illegible] في [illegible] وقد [illegible] عليهم في
[illegible] بلا شك على ما معهم من مخافة
[illegible]

[illegible] لا [illegible] أو
[illegible] وتراهم ينظرون إليك
وهم لا يبصرون [illegible] وأخرها . وكيف
[illegible] بلا
[illegible] هذا النفي والإثبات ،
[illegible] والكذب ووضعه في غير
موضعه [illegible] إلا
[illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] في أعلاه التي هي
عنوان [illegible] أحدهما أن المراد بالضمير في قوله
تعالى وتراهم [illegible] وهم لا يبصرون الأوثان المعبودة من دون
الله تعالى [illegible] تدعون من دون الله لا يستطيعون
نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم

ينظرون إليك وهم لا يبصرون . لأن في هذه الأوثان التي هي صور للمعبودين
من المخلوقات ما هو مصور على صورة ذات الإنسان المعبود ، فهي تنظر ولا
تبصر . والقول الثاني أن المراد بهذا الكفار ، لأنهم ينظرون إلى الرسول
نظرا مجردا وهم لا يبصرون ما جاء به من النور والكتاب المبين ، والذي ينظر
إلى مجرد صورة الشيء ولا يعرف حقيقته ومعناه لا شك أنه جاهل به ، فهو
كنظر الأصنام أو نظر البهائم . وهذا منطبق على الملاحدة ، فإنهم ينظرون
في هذه الأخلاق الدينية إلى ظاهرها ولا يبصرون ما عند أهلها من فوائدها من
المنافع العظيمة الخفية التي لا تعد ولا تحصى . وهكذا كانوا يسخرون منهم ومن
عباداتهم وحجهم وصيامهم لأنهم لا يبصرون . فالكفار الأولون ينظرون
إلى النبي ﷺ وإلى أصحابه في عباداتهم وأخلاقهم الدينية ولا يبصرون ما في
ذلك من الفوائد الجليلة بل يستهزئون بهم ، وهكذا كان وارثهم من الملاحدة
ينظرون إلى أهل الدين كما تنظر الأصنام إليهم ، ولكن لا يبصرون
ما عندهم وما في هذه العبادات من المقاصد من الحكم العلمية والعملية . وهذا
النوع الأخير هو الراجح . وهو لا ينافي الأول ، فهو شامل لكل من ينظر
إلى الرسول وإلى شريعته وهو لا يبصر ما فيها من الحكم والمنافع . وهذا شبههم
الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بصفة الأنعام(1) وأما كون الصحابة
داخلين فيه فهو شيء لا يخرج عنه إلا من هو في غاية البلادة والعدوان للدين
وأهله . من الآية حجة عليه كما تقدم فإنه ينظر ولكن لا يبصر الحق ، فهو
ينظر إلى القرآن وإلى أهله وفي كتب الدين ولكن لا يبصر ما فيها من الآيات
الكونية والعبر المقصودة . وينظر أيضا إلى هذا الوجود ولكن لا يبصر ما
فيه من الدلالات ونحوها على قدرة الله وعلمه وهدايته للأسباب والتحكم في مسبباتها

---

(1) أي في قوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾

وسننها. فلا يعرف المعترض له على التوحيد والقصد والتوجه إلى الله تعالى
ودعائه والتضرع إليه وأنه هو المتفرد بالحكم على العالم دون النواميس الطبيعية
ودون الملائكة، فهو الذي يحكم لعباده بقضائه ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض
والنواميس تجري بأمره ومشيئته، فهي محكومة لا حاكمة في شيء مطلقا.
وهو الذي يعز من أطاعه ونصره ووحّده ويحسن من استعان به وصدق في
معاملته وخشيته. وهو ولي المؤمنين والمتقين، وإنه سيعز المؤمنين وهم منصورون.
وهو المنتقم من أعدائه وهو المتكبر المنتصر عليهم الذي لا يرد بأسه ولا
بطشه عن القوم المجرمين. كل هذا لا يخطر له هذا المغرور المعكوس كما لا
يخطر له فلا حد لاستيلاء الله على أوامر الله تعالى فيها ومن على شاكلته أولى
الناس بالدخول في قوله تعالى: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون
عليها وهم عنها معرضون﴾، كما أنهم أولى الناس بالدخول في قوله تعالى
﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ وفي قوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ فهذا المتحذلق لم نعلم أحدا بلغ مبلغه في
العماية، والانتكاس وانقلاب الحق عنده فهو من شر خلق الله بكفره وتمرده وإعراضه
عن آيات الله كما يدل على هذا كلامه وما أشبهه

وكذلك استشهاده بقوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور﴾ فهي حجة عليه كما سبق فإن العمى هنا هو عمى
البصيرة، وذلك هو الإعراض عن ذكر الله فإن الإعراض عن ذكر الله هو
أوضح برهان على عمى البصيرة كما قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت
بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ وهذا المغرور
لم يكتف بالإعراض عن الذكر وحده، بل أعرض عنه وحرّفه وشوّه
سمعته ثم دعا إلى الإعراض عنه وبغضه فيكون ممن أعمى الله قلبه وأضله عن
سواء السبيل

وقد ادعوا أن [illegible] لأنه أصدق [illegible] الملائكة
الصادقة أنه هو وأمثاله من الملاحدة في درجة [illegible] والأفضل [illegible]
من لا [illegible] في [illegible] من أصحابه [illegible]
لا سيما إذا كان الملحد [illegible] لا يحصل له من [illegible]
يكون [illegible] وقد وصف [illegible] الملاحدة [illegible]
شرّ الدواب وأنهم أضل من الأنعام [illegible]
ولم يتبع ظاهر النص في النبي [illegible] وهذا [illegible]
يعرف ذلك كل من [illegible] بخلاف أهل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على حسب [illegible] لا
[illegible] والملائكة [illegible] الكفار والملاحدة غير
[illegible] وكفى بها
[illegible] وأعمى
أبصارهم . وأخبر أنهم [illegible] ، وهذا ظاهر لا ريب فيه

فصل

[illegible] وقد
عن الإسلام (١) [illegible]
ما هو أكبر [illegible]

---

(١) [illegible]
وهكذا

اليوم ما هو معروف ، فقد خطت الانسانية بعد ذلك الطور الذي بعثه
القرآن عليها خطوات فاتت في سرعتها وقوتها كل حساب وظن .

قلت : هكذا حاله ، اذا أسرف في الكذب والفجور والخروج من العقل
والدين ، وظن أن الناس قد عرفوا منه ذلك ومرماه لجأ الى الخداع والمراوغة
والمكر ، لأنه قد عرف أن هناك حتى أسمح هذه الجماعة عقولها وروح
هذا عليها لضعف عقولها وبصائرها ، فنقول اذا كان الأمر كما ذكرت فيجب
أن تكون هذه الأمة التي عمها الاسلام بالصلاح والفضيل ، وتصرف همتك
اليها وتحث على العمل به ، وما رأيتك فعلت من هذا شيئا ، بل جعلت همتك
في محاربة علمائه والدين الكريم وتحويله وتشويهه على الحق والدين
فيمنعوه في المساجد ، واذعت بين الناس شرا ما وراءه ، فاذا كان هذا عمل
الاسلام عندك فمن عقلت منه وهو كذلك . واذا كان النصارى والاسلام
قد عملوا أصلا في نقل الانسانية من ذلك الطور الى هذا الطور في سطح
المشرق المشاهد اليوم ، وأن هذا الاسلام قد خطا بالانسانية خطوات فاتت
في سرعتها وقوتها كل حساب وظن ، فكيف يدعي أن المتدينين على اختلاف
أجناسهم ودينهم وآبائهم وأمزجتهم يعدون الحياة شيئا جديدا ولم يكونوا
فيها يخترعون منه شيئا ، وأن الذين صنعوا هذه الانسانية العموم وسموا لها
الحياة هم المنحدرون من الذين لم يخرجوا منها ، فما هذه المناقضة الظاهرة وما
هذا الخداع الواضح وما هذا المكر السيء وما هذه المراوغات الشعبية
والتلونات الحربائية . أتظن أن الأمة الاسلامية أمة لا تفهم شيئا ولا
تعقل شيئا حتى تعبث بعقولها وتموه على أبصارها وبصائرها بنفثات سوء تلك
نفسك وشيئا استعبدته ذهنيتك ، لقد كنت أشد الناس دخولا فيمن اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

فصل

ثم قال : «فالإنسان اليوم قد خلف وراءه عصر الظواهر وأصبح لا يقنعه ولا يشبع نهمه إلا أن يعرف كل شيء عن ظاهر وباطن [illegible] فهو يكتشف [illegible] يعلم كل نواميس هذه الطبيعة (١) بل ذهب يتحكم في هذه الخلايا والعناصر والذرات . إنه لم يرض بأن تقدم له مائدة عليها ألوان الطعام [illegible] للجسم كل ما يحتاج إليه (٢) بل رأى أنه لا بد أن يعلم العناصر التي تتألف منها هذا الطعام ويعلم نسبها ومقاديرها ، ثم راح يؤلف من هذه العناصر أطعمة صناعية تفوق في جودتها وحسنها [illegible] ومذاقها الأطعمة الطبيعية . إنه قد حصر كل هذه الموجودات [illegible] في عناصر عينها وعددها . [illegible] حوالي مئتين [illegible] عنصرا . فكان هذا الانتصار في معركة الطبيعة [illegible] كل ما يترتب على الانتصار في المعركة [illegible] . وقد حقق من أجل ذلك يشارك الطبيعة ويساهم في كل أعمالها ومجالاتها (٣) وصار من المعروف المألوف أن يقال هذا طبيعي وهذا صناعي [illegible] والصناعي والمطاط الطبيعي والصناعي والخشب الصناعي وكل شيء صناعي لا يقل في [illegible] عن أخيه الطبيعي [illegible] أو يرجح . وقد حقق [illegible] [illegible] الإنسان [illegible]

---

(١) هذا تصريح منه بأن الإنسان اليوم قد عرف [illegible]

(٢) كل هذا كذب ، فلما [illegible] مع الذنوب

(٣) يعني يساوي الله تعالى في أفعاله ، ليت شعري [illegible] وهو لم يعمل شيئا [illegible]

(٤) لا شك [illegible] الإنسان يقدر على كل شيء [illegible] فهذا هو [illegible]

وهو [illegible] تماماً [illegible] . ولكنه لم يعترف بالعجز ولم [illegible] الاستسلام للاحتلال [illegible] بعض [illegible] أنه [illegible] لا [illegible] ومحاولة صنع [illegible] في [illegible] لا [illegible] من [illegible] المتحمسة التي [illegible] حتى [illegible] ، [illegible] تكاد تكون [illegible] من أسرار الطبيعة التي [illegible] عنها [illegible] . ولكن الاسباب [illegible] (١) [illegible] في [illegible] هو [illegible] من [illegible] الدائر [illegible] من أجل الانتصار على [illegible] وعلينا نحن أن ننتظر وان نلزم الحياد حتى [illegible] تكشف [illegible] .

[illegible] الأول ، [illegible] في عصرهم [illegible] لا [illegible] الرسول وهم لا [illegible] هذا [illegible] هذا الكلام [illegible] الاعتماد [illegible] هذا [illegible] كبرا عظيما [illegible] هذا [illegible] ما [illegible]

[illegible] كتبها لنا أحد [illegible] لنا عن واحد [illegible] قال بهذه الامور

لم يذكر عنه أكثر من معرفة صنع الطعام ونحوه . وقد حاول ارتكاب
مكابرة في مسألة حتى احتاج [illegible] حقيقة ولو قع [illegible] وأخذ يخلط هذا
الخلط [illegible] في أكاذيبه وخرافاته في هذه الجملة دعواه أن الصنع الصناعي
في هذه الأمور [illegible] يفوق على الصنف الطبيعي [illegible] من المطاط
والخشب والصوف والقز لا يقل في جوهره عن الصنف الطبيعي فهذا
تكذيب [illegible] والمحسوس المكشوف لا يتكلم به إلا من [illegible]
عليه جهلا محققا . ولا فائدة [illegible] لاسيما [illegible] في هذه الأشياء
[illegible] في [illegible] من الغش
[illegible] وهذا [illegible] الصناعي مع [illegible] في دقة تشبهه بالطبيعي [illegible] عن
[illegible] من كل وجه [illegible] وكذلك الصوف والخشب
[illegible] وليس في [illegible] في هذه [illegible]
كالأحجار [illegible] موجودة [illegible] الغش [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذه الأشياء [illegible]
والأشياء [illegible] على [illegible]
[illegible] في معرفة هذه الأمور [illegible]
بخلاف الإبداع الأول فإنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
خلقهم [illegible] ولا [illegible] أن هذه الأشياء
[illegible] يقدرون على

[illegible]

ما يشابه خلق الله من كل وجه أو مقاربه . فإن هذا لا يمكن أبداً ، والله
سبحانه وتعالى بين ما يمكن صنعته وبين ما لا يقدر عليه إلا هو وحده . وهذه
الأشياء الصناعية ليس في الشريعة [illegible] في الشريعة [illegible]
على إحياء الموتى وخلق الحياة والنبات وأمثال ذلك ، وهؤلاء [illegible] قدروا على أقل
حركة منه . ولا شك أن الأمور الصناعية كلها ترجع إلى مبادئ أساسية متقدمة
وأصول كامنة خفية موجودة خلقها الله سبحانه وتعالى وإنما هدى هؤلاء
إلى استخراجها في أوقات [illegible] . فإن من سنة الله في خلقه أن جعل آياته
تتعاقب على هذا العالم فيبدل ما شاء [illegible] ويحول ما شاء ويرفع ما شاء
كما قال تعالى كل يوم هو في شأن . وقال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب . فكل حين لا بد أن [illegible]
[illegible] والشريعة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على مقتضى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صحيحة [illegible]
[illegible]
[illegible] وكل فكر [illegible]
[illegible] مخلوقات
[illegible]
[illegible]
[illegible] مختلفة
[illegible] على قياس

منتظم فهي تختلف في ثلاثة أشياء [illegible] العناصر والمواد ونوعها . وكبرها
وصغرها ، واختلاف التركيب [illegible] شكل جمع من عناصر متنوعة
كالخشب والحديد والحبال والقطن والزفت وغير ذلك ، وضم بعضها إلى بعض
على نسق موزون . فما حصل من هذه الأمور [illegible] لأن تدفع الهواء
المنحصر ، فإنها عرفت أولا بالقياس ، فإن الموج [illegible] في أثناء [illegible]
الماء سواء كان كبيرا أو صغيرا [illegible] وشد بعضها ببعض
فصارت كالموج الواحد ، وكذلك [illegible]
أبدعه الله من العدم إلى الوجود وركب على قانون [illegible]
فإن الطائر سواء كان كبيرا أو صغيرا [illegible]
ولهذا لو كسر جناح الطائر [illegible] وكذلك [illegible]
بهذا التركيب الهندسي صارت [illegible]
عن قوة الحركة المكونة [illegible]
أصل في [illegible] وكل من [illegible]
ويعلمون شكلا أو أشكالا [illegible] خلق الله
الذي اختص به [illegible]
بإرادة غيبية فوق الأسباب الكونية [illegible]
مؤلفة على أشكال كثيرة لا [illegible] أصول هذه
الأمور موجودة في السابق من الأزل [illegible]
الحروب ، والأكثر [illegible] بسبب تجدد الحاجات والضرورات
والمصائب [illegible] وربما صارت [illegible]
وعلى موضوعها ، وكل عقل [illegible] ولا بد
من تطور الأمور الصناعية [illegible] الأخلاق [illegible] كما أن
الأكل والشرب والهضم [illegible] على حاله ، والخلاصة فالله
سبحانه هو [illegible] بإبداع أصول هذه [illegible]

[illegible] في الوجود [illegible] سمعوا بها ويتقولوا عليهم حججا [illegible]
[illegible] عليهم ولما كان أكثر هذه [illegible] في الاوقات [illegible] نحتها

والمقصود أن المخلوقات نوعان: نوع صناعي وهو مختص بالجمادات
وحقيقته [illegible] مواد [illegible] على أشكال منتظمة، فهذا مما جعل الله في الانسان
القدرة عليه [illegible] أن المصنوعات تدل على وجوب وجود
صانعها. [illegible] اذا حصل معه نية كان في ذلك أجر
[illegible]
[illegible] وذلك كابداع أصول
[illegible] وخلق الحيوان وخلق الحياة فيه وخلق بذور
[illegible]
[illegible] تأليف المواد المخلوقة أو
[illegible] من موضع الى موضع

(١) [illegible]

حر . والفرق في تخليصه وخلاصه من شوائبه وعوارضه وما لا يلائمه ،
فاستخراج [illegible] الذي هو [illegible] هو بعينه موجود [illegible] . كان صناعيا
أو طبيعيا . فإن الأشياء التي ليس فيها من هذه المادة شيء لا يمكن أن يستخرج
منها شيء [illegible] . فهو كاستخراج [illegible] من [illegible] لأنه موجود فيها
فاستعمل له طريقة يستخرج بها . وأما الأحجار [illegible] التي ليست فيها هذه
المادة فلا يستخرج منها شيء من جنسه . وكذلك الذهب والفضة [illegible]
وغيرها فإنها لا تستخرج إلا من [illegible] التي هي كامنة فيها . [illegible]
[illegible] في [illegible] لا يمكن لأحد أن يقدر على [illegible] كبساط سليمان
[illegible] شكل من جنس أشكال [illegible] مصنوعة لا تقدر عليها عادة
من المواد ولا تركيب . [illegible] عجيب
[illegible] ولا معقول ولا محسوس ولا يمكن أن [illegible] . وهو
[illegible] شكل من أشكال [illegible] أبدا
أحد [illegible] ليس كذلك فلو ركبه
غير سليمان [illegible] ولا يمكن أن [illegible] مثلها
أحد من [illegible] معجزة [illegible]
[illegible] لا يمكن [illegible]
وأن [illegible] كل المعجز أن
[illegible] معجزة من [illegible] البساط
[illegible] هكذا [illegible]
[illegible] معا [illegible] مدينة [illegible] ملكها ووزرائه
[illegible] وجميع ما [illegible] فيها [illegible] على
[illegible] مشتمل على عظام وأعصاب
وعروق [illegible] يعقل ويدبر بنفسه ويمشي ويجلس
ويضحك ويبكي [illegible] ويشتهي [illegible] ويغضب

ويوالي ويعادي ويعتمد ويصادق ويحابي ويجيب ويقيد ويدافع عن نفسه وينكر
ويحتال ويخدع ويسرق ويلحد ويوحد ويشرك ويصدق وينصح ويغش ويجادل
ويسمع ويبصر ويشم ويعبر عما يوسوس في نفسه ويعالج ضميره خشية ولعين
حسه. وله أبواب كل باب به وظيفة خاصة لا يصلح إلا لها وفيه [illegible] مختلفة
لطعوم والروائح والألوان. وهو بجملته على ألوان مختلفة من أبيض وأحمر
وأسمر وأصفر وأسود ويختلط إلى غير ذلك من الصفات التي هي في غاية
الإحكام والإبداع فتبارك الله أحسن الخالقين. وأصل هذا كله قطرة ماء
مشاهدة محسوسة [illegible] شيئا يذكر. وكل عاقل يعلم بالضرورة من نفسه أن
من عجز أن يبيع [illegible] من حبوب [illegible] كالقمح والذرة وموضعه [illegible]
واحدة [illegible] من [illegible] على [illegible] كالقوة [illegible] فأولى
أن [illegible] على [illegible] طاهرة لا
[illegible] في [illegible] وعقله كهيئة الرجل. و [illegible]
[illegible] لا [illegible] أن [illegible] أن يأتي الزمان
[illegible] والحيوان [illegible] ولا [illegible]
[illegible] حكمه ولا [illegible]
[illegible] ضرورة أن من عجز عن [illegible] أو [illegible]
[illegible] أو [illegible] من حبوب الأرض [illegible] وكذلك
[illegible] وقد حكم [illegible] وجود [illegible] قال
تعالى [illegible] شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار [illegible] المشركين [illegible] هؤلاء
المعبودين على خلاق [illegible] أن [illegible] حقيقة بحيث
[illegible] فهو [illegible] الخلق الذي
لا يشركه أحد في خصائص الألوهية [illegible] ولا [illegible] شريكه
أحد في هذه الخصائص [illegible] كل [illegible] واحدا

فهما إذاً يكونان للشيئين كل منهما قد قهر الآخر فهما مغلوبان والمقهوران
عاجزان والعاجز لا يصلح للربوبية . وقال تعالى ﴿إن الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه
منه ، ضعف الطالب والمطلوب﴾ فقوله تعالى ﴿تدعون من دون الله﴾ أى
غيره ، وهذا يشمل جميع المعبودات التى فى الشرك من دعاء الملائكة والأنبياء
والجن وغير ذلك . فإذا كانت الملائكة على اختلاف أصنافهم وعظمهم وقوتها
وضخامتها عاجزة عن أن تخلق ذباباً فكيف بمن دونها شيئاً مثله . وفى
الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى «ومن أظلم ممن ذهب
يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة» . وهذا نص صريح ظاهر ،
لأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فقد علم أنهم
لا يقدرون على شىء من ذلك فيه تحديهم وتعجيزهم . وهكذا قال ابن القيم قال
من عجز عن منع الروح من خروجها فى الجسم الكامل لا شك أنه عاجز عن
إيجاد الروح فى الجسم أو إيجاد الروح والجسم معاً ، وهذا أبعد ، بل جناح
الذباب أو رجله لا يمكن لأى مخلوق أن يخترع مخلوقاً غيره ويعيدها بدلاً منها ،
وكل هؤلاء الذى عملوا ما شاء الله من أصحاب المدهشة عجزوا عن
عن إيجاد جسم من سائر حيوانات فكيف يخلق إله حق ومن محال
فى النص والدين أن يتحدى به من شىء وهو غير أنه يستطيعه ، فإن
هذا ينافى علمه بما سيكون . وهذا كفر ظاهر ، وهذا نص الله فى التحدى
صريح فى أن خلق الحيوان غير مستطاع ، فإن المستحيل لا يطمع فيه عاقل أو
يرجو من يقول نفسى وغير ذلك من الخرافات والذى يقال نخشى أو نرجو
فى الشىء الممكن ونوعه الذى يستوى فيه الوجود والعدم . وهذا ظاهر لا
غبار عليه . إذا علم هذا فمن اعتقد أن مخلوقاً يقدر على إيجاد شىء من الحيوان
بنوعيه فما فوقه أو من إنبات حبة شعير فما فوقها فهو كافر خارج من ملة
الإسلام ، لأنه صادم النصوص ، وأشرك بالله غيره فيما يختص به كخلقه .

وفي قوله، وقد خلق الانسان من تراب خسيس، يعني [illegible]، وهذا
تصريح مؤكد لما قبله في تجويز ذلك، ومن الآية [illegible] أو تمكن أن تحققه
ومعنى أن الانسان لا يحقق [illegible] أبدا. وهذا واضح، ولولا [illegible] الاسلام
لم تحتج أن تطول بكلامك على مثل هذا الموضوع [illegible]. وقوله، وهذا ما لا
يزال لهم أمامه حيرى [illegible]، فقال: هذا دليل على نقص عقلك وخفته
وعلى طيشك وحمقك [illegible] وهو من الأمور
العظام التي [illegible] سكت [illegible]
لك ما [illegible] أو [illegible]. ولو كنت مع هذا [illegible]
لزمت السكوت، [illegible] حتى يظهر لك ما به يمكنك أن تقول به
وتصول، ولكن [illegible]

فصل

ثم ذكر [illegible] في الصناعات، وقد تقدم
الكلام [illegible]
يقول [illegible] في ذلك، فلا حاجة الى
تكرار الجواب [illegible]

ثم قال [illegible] ووعاظ وجميع رجال
الدين [illegible]
والمقالات [illegible] يكون عالما ولا
يكون [illegible] الله في [illegible]
ليخرج من [illegible] جهلا،
وانما خلق من التراب وسيبقى أبدا في التراب. [illegible] ليثبت له ويبين أنه

---

(1) تأمل هذا الكفر القطعي

لن يستطيع أن يكون [illegible] كما يقول أحد شيوخ [illegible] أورده كلامه [illegible]
حلول بعض المشكلات ولا يغض عن [illegible] ولا يبحث [illegible] على
شيء من هذا الوجود الآخر الذي منحه الله نظامه (١) [illegible] الدين
أيضا أن [illegible] وعلى مواجهة [illegible]
والإعدام من غير أن يكون [illegible] ولا [illegible] في
نصها أو روحها.

[illegible] من المواضع [illegible]
[illegible]
[illegible]
كل ذلك أشهر من [illegible] في كل بلاد الإسلام [illegible]
في [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]
المحدث عن [illegible] (٢)
كما [illegible] يكون [illegible]
[illegible] حاصلا [illegible]
[illegible]
رجال [illegible]
[illegible] المعارف في جميع البلدان الإسلامية [illegible]
أنفقت [illegible] في هذه [illegible]
ما حتى يكون [illegible]
ماك [illegible] في [illegible]

---

(١) احتاج هنا الى المخادعة

(٢) لا معنى للاتيان [illegible]

عن الأمة الإسلامية بشتمها وسبها أنها تجمع ضروب المقابح فيدعي عليها أن
خطباءها ووعاظها وجرائدها يعظونها بالخطب تلو الخطب وبالأناشيد تلو
الأناشيد وبالمقالات تلو المقالات أن لا سبيل ما حتى يكون عملا، ويدعي
أنهم يعرفون ويقدرون أن تغير [illegible] وأن أخلاقها [illegible] ، وأنهم
[illegible] في وعظهم وفي خطبهم وأن شيمهم أن الإنسان سيبقى أبد جاهلا.
وأنه لن يستطيع أن يكون عالما، وأنه لن يحقق يكون عملا [illegible] ،
إن في نفس هذا جناية كبرى على الدين وعلى الأمة وعلى الأدب وعلى التاريخ
وعلى جميع عقلاء [illegible] المسلمين [illegible]
[illegible] ولا [illegible] وإن كان
[illegible] عن الإسلام [illegible] كلهم [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible] أو أعدى عدو للأمة الإسلامية
[illegible] حفاظهم ووعاظهم [illegible] في كل مقالة وفي
كل موعظة وخطبة أن الإنسان [illegible] يكون عملا وسيبقى أبد جاهلا، وإن
[illegible] أم [illegible] يسكتون عنه [illegible]
السكوت [illegible] فقط [illegible] وهذه خطئه
واحدة من [illegible] هذه الأغلال [illegible] لصح المسلمون
من هذا [illegible] فإنه [illegible] ولعمري لقد
صدق على كثير من [illegible] حيا عن هذه الأغلال والداء
[illegible] لا [illegible] الحقائق وأنهم [illegible] وأنهم [illegible] كل ما
[illegible] وهكذا [illegible] الواقع. أم تحسب أن أكثرهم
يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا

يا صاحب الأغلال [illegible] الثقيلة، من هم هؤلاء الحفاظ والوعاظ
[illegible] فضلا عن [illegible] المسلمين كلهم وخطبائهم
[illegible] في حفظه ووعظه أو مقايسة إلى الإنسان

من أعظم [illegible] التوحيد [illegible]. [illegible] هذا الكفر حتى جعله ثقافة [illegible] يجب [illegible] في [illegible] روحها فضنده أنه يجب وجوبا قطعيا أن ينازع الله في علمه وقدرته [illegible]. لأن [illegible] يجب [illegible] ومصادمته وجوبا لا مرية فيه. وهل [illegible] من الكفر [illegible] ومكر [illegible]

[illegible]

فصل

ثم [illegible] في [illegible] هذا [illegible] في [illegible]

[illegible] في علمه [illegible]

[illegible] في علمه وقدرته [illegible]

ومعنى هذا أنه ينازع في [illegible] لأن علمه [illegible] من أعظم خصائص الربوبية [illegible]

[illegible]

[illegible] ثقافة [illegible] كل [illegible]

[illegible]

[illegible] الله في علمه [illegible] ثقافة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ثقافة جديدة بدلا عن [illegible]

[illegible] أنه لا [illegible] في علمه وقدرته [illegible]

من [illegible] الثقافات كلها

[illegible] واحدا وهو أن [illegible]

[illegible]. وقد صرح [illegible]

موقوف على الأخذ بها ، والسقوط موقوف على [illegible]
مسلم . فكيف [illegible] هذه الأعمال [illegible]
يفضي الى المقصود [illegible]
[illegible] ، فان الذي [illegible]
الأزلية [illegible]
تركه لا شك أنه [illegible]

[illegible]
[illegible] لنا بعد هذا الايمان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يمكن أن [illegible] في القلب الايمان [illegible]
على كل شيء والايمان بالخالق كذلك فلا بد [illegible]
والريب ، وهذا الترجيح بزعمه هو أن [illegible]
القهار المتعال المقدس [illegible] كل شيء [illegible]
شيء عليم [1] [illegible]
[illegible] أعظم

(١) ولا سيا ملاحدة هذا العصر

[illegible] . فيجب ازالة هذا الحجب بالايمان
بالا[illegible] . وهو صريح ظاهر بأن الايمان بالله وحده
كاف [illegible] . وصار الايمان بالله على
[illegible]
[illegible]

[illegible] أن الايمان بالانسان
[illegible] مصروف به وجهه . فاما
[illegible]
[illegible] كل
[illegible] كون
[illegible] أمر يوجب له هذه الأمور
[illegible] يكون
[illegible] وما
[illegible] على كل
[illegible] في نفوسهم وأبدانهم
وأولادهم [illegible] ولا
[illegible] قدرة الانسان
على كل [illegible] . وكيف
[illegible] اشتغالا في [illegible]

[illegible]
[illegible] على كل شيء [illegible]
أو [illegible] على كل شيء
و [illegible]

[illegible] والدقة
[illegible] كالقيد [illegible] وجميع
[illegible] من بهم ، ولا يوجد الورع والعفة
و[illegible] والصدق والنصح [illegible] والأمانة [illegible] والشجاعة
و[illegible] وجميع الأخلاق [illegible] المؤمنين بالله [illegible] عليه ،
[illegible] لا مكان
[illegible]
[illegible] أصحاب الدعوات
[illegible]

[illegible] من به على المعنى الذى تريده
[illegible]
[illegible]
[illegible] فما
[illegible] أن
[illegible] فى الانسان ، وأما أنت
[illegible] أفسد الايمان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا غيره ، بل يعدون
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

طاعة شيطان وبين [illegible] الكفر [illegible] والقدح فيه كفر [illegible] فكيف
تدعي [illegible] الوقوع [illegible] وبدعوى [illegible] تدعي [illegible] الإيمان
بالشيطان [illegible] الأشر [illegible] وبدعوى [illegible]
العدول ، لأنك ادعيت أن المتقدمين [illegible] احتيال [illegible]
شيئا جديدا ، ومن العجب أنك قريب أن [illegible] على
الشر والخبث والظلم والجهل ، مع [illegible] هو الذي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
حجة عليه ، فإنه من أعظم الهدى [illegible]
الله بعدله

فصل

[illegible] وإنه لو اعتقد إنسان [illegible]
[illegible] عليها ولا الخلاص منه [illegible]
[illegible]
[illegible]

أحد فلا يمكنه خروج منها إلا أن يكون خارق عادة . وهذا إنما يحصل
للضعفاء وهو عندهم [illegible] أخرى هي [illegible] والمصرف الخبيث . ولو أن
مقعدا حاول النهوض والمشي بمجرد وهمه واعتقاده أنه قادر على ذلك لما نفعه
اعتقاده [illegible] وبقي مقعدا على حاله [illegible] اعتقاده وتجاوز به [illegible]
فمجرد اعتقاد الإنسان أنه يصل إلى كل شيء وأنه يتغلب على كل شيء لا ينفع
أما من يقع في الفقر والاضطراب [illegible] . وكذلك [illegible] لا ينفع
إلا [illegible] وهذا هو قولنا . [illegible]
[illegible] ساقط لا يعتد به كما هو ظاهر

فصل

[illegible] الرسول الكريم قال «من عرف
نفسه فقد عرف ربه» [illegible] من عرف نفسه متصفة بأضداد
[illegible] والافتقار
[illegible] وكل
[illegible] كمال .

[illegible] (على [illegible]) هكذا [illegible] الملاحدة
[illegible] هذا لا
[illegible] على [illegible]
[illegible] في الأديان . فهؤلاء
الملاحدة [illegible] إنما دخل غلاتهم في دين
[illegible] في تشويهه والإيقاع بأهله .
[illegible] الكفرية في كتبهم المحرقة
[illegible] أنهم [illegible] أن [illegible] يفهموا
[illegible] ، [illegible] مراوغة

والنفاق والتأويل [illegible] وقالوا انما نعنى كذا وكذا . ولكن الناس [illegible] وأمثالهم م سادتك وأسلافك فى [illegible] اقتفيت آثارهم واتبعت آراءهم . [illegible] وسادتك الذين مهدوا لك الطريق وسلكت سبيلهم فى هذا [illegible] فانهم لا يقولون هذا القول ولا يفسرون [illegible] على [illegible] [illegible] فهى هذا الحديث [illegible] الآية المتقدمة [illegible] ظاهر لا يشك فيه مسلم ، وقد [illegible] على النبى ﷺ [illegible] وانه جميل يحب الجمال ، فهم يعون الكرم [illegible] والحكمة والاحسان والعلم وأمثال [illegible] به ويختص به لا [illegible] على [illegible] للانسان الاتصاف بها لأن ذلك [illegible] بالاتصاف [illegible] تليق بهم [illegible] فى حقه [illegible]

الكلام على المبحث الثالث

قال المنتقد :

[illegible]

[illegible] الله أعمى عينيه كما أعمى قلبه وأصم اذنيه كما أصم [illegible] العدو ، أما كونه يدخل المدارس [illegible] الأزهر [illegible] لا اصالة و [illegible]

[illegible]

أكبر يهودي و[illegible] عدو للإسلام والعرب ثم وادعى أن المسلمين [illegible]
العلم [illegible] ويرون [illegible] فلا [illegible] عليه في تكذيب هذه الدعوى
بأكثر من هذا، لأن المكا[illegible] في [illegible] سفسطة وهذيان وجنون

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما الأحاديث التي ذكرها [illegible] فالجواب عنها من وجهين مجمل ومفصل، أما
المجمل فنقول لا تخلو هذه الأحاديث من ثلاثة أوجه، إما أن تكون كلها صحيحة
أو تكون ضعيفة أو يكون بعضها صحيحا وبعضها غير صحيح، فإن كانت
- أي صحيحة كلها - فلا حجة له في أن [illegible] على المسلمين [illegible] ويشنع عليهم
- إن كان قد عمل بها أحد - ويذمهم، لأنه حينئذ [illegible] من [illegible] عليه
السلام، لأن التشنيع [illegible]
[illegible] كان الأمر كذلك على هذا
الافتراض [illegible]
لا [illegible] إلى [illegible]
وادعى أن [illegible]
لأن [illegible]
على مقتضى [illegible]
[illegible] بالبراهين والدلائل [illegible] كما
أفضت في شرح كلمة ذلك المتخصص في علم [illegible] في شرح [illegible]
[illegible]
[illegible] صحائف، وكما أفضت في شرح [illegible]
إن الأعمال [illegible]
عليها ذلك التعلق [illegible] للإسلام [illegible]
شيئا [illegible] هذا الحديث [illegible]
صحيحة [illegible] في كل شيء [illegible]

وضعف ما بني عليه [illegible] وذكر كلام اهل المعرفة بهذا الفن في بيان ضعفها [illegible] ولا يكفي مجرد الدعوى بالضعف [illegible] واذا كان الغرض الثالث فيجب علينا أن نميز الصحيح من الضعيف [illegible] ونحقق كل حديث منها حقه من [illegible] الدلالة [illegible] لها من كل وجه [illegible] ونعقبها [illegible] ثم [illegible] في بعض [illegible] عليها [illegible] وقواعد ومقدمات صحيحة [illegible] لا [illegible] الأحاديث

وأما [illegible] في [illegible] سواء كان صحيحا أو ضعيفا [illegible] الأمر بتعليم [illegible] ولا [illegible] مقتضى [illegible] التوحيد [illegible] ولا يحصى [illegible] شيء [illegible] موضع [illegible] امرء سواء كان رجلا أو امرأة [illegible] وهو [illegible] على جنس الانسان [illegible] وأن [illegible] وهو [illegible]

[illegible] جواب عنها [illegible]
[illegible] لا [illegible] العمل
[illegible] الاحتمال
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا شك [illegible]
[illegible]
[illegible] والشعوب [illegible]
[illegible] صحيح [illegible]
[illegible] منه بل تذمه غاية الذم
[illegible] ما يفيد العلوم ،
[illegible] قصدا
[illegible] كالشمس
[illegible] فقد [illegible] في حديث صحيح
[illegible] وهو [illegible]
[illegible]
[illegible] في شخص [illegible]
[illegible] كلها [illegible]
[illegible] كل واحد منها ،

ونعجب أنه أعرض عن جميع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في الحث على العلم والأمر به والترغيب فيه وتعلق بهذه الآثار الضعيفة الغامضة التي هي عند المحققين حجة عليه. وهذا من البراهين الظاهرة على أنه ممن في قلبه زيغ فهو يتبع المتشابه والغامض الذي لا حجة له فيه، ولا عجب فالمضطر يأكل ما وجده

فصل

قال: ورووا انه عليه الصلاة والسلام رأى توراة مع أحد صحابته فاستشاط غضباً وقال: أمتهوكون أنتم ... الحديث. ونقلوا روايات كثيرة مشهورة خلاصتها أن عمر بن الخطاب كان يمنع من قراءة كتب الأولين ومن دون التوراة والانجيل ويعاقب على ذلك، وانه كان يقول في كل كتاب يعثر عليه [illegible] ان اتفق ما فيه القرآن [illegible] كان موافقه [illegible] ولا معنى حينئذ لقراءته، وان كان مخالفه فلا حاجة في شيء خالف القرآن. وهناك الرواية المشهورة التي ذكرها بعض هؤلاء المتعصبين ومصدرها [illegible] المقررين ومن لا يفقهون عنه وهي الرواية التي تقول ان عمر أمر بتحريق مكتبة الاسكندرية قائلاً ان كان فيها ما يوافق القرآن ففي القرآن غنى عنها ولا حاجة بنا اليها، وان كان فيها ما يخالفه [illegible] على شيء [illegible] وانها أحرقت، وقد صارت هذه حكاية محققة لبعض من يحملون على العرب والاسلام قرحاً.

والجواب ان يقال: يتبين للقارئ من سياق هذا الرجل لهذه الروايات أن كتب أهل السنة والملاحدة [illegible] حجة [illegible] وأن عدم [illegible] هو أم الفضائل أو أبوها [illegible] وهذه [illegible] ذكره هنا مع عدم الاقتصار في تمحيصها — لا حجة له فيه [illegible] من عصم [illegible] عليه،

ذلك لأنها كلها دالة على الحض على وجوب تثبيت القرآن وعدم الالتفات
الى ما يخالفه . ولا شك أن سيرته هذه [illegible] يقتضي أنه لا يرى في تخطئة
القرآن من بأس بل يرى أن القرآن ليس فيه شيء من [illegible] ، وحينئذ
فيصرح بهذا هنا [illegible] عن [illegible] في الاحتجاج به [illegible]
معانيه وكل ذي عقل ودين [illegible] قول عمر هذا و[illegible] من أعظم [illegible]
الى العلم النافع وسد الطرق التي تشوش عليه وتدخل الريب فيه ، فان الشيء
الثابت الصحيح القطعي لا يسوغ [illegible] أن يسعى [illegible] الشك فيه
والاضطراب في مدلوله ولا سيما و[illegible] من [illegible] بكفر . وقد لاحظ
هذا الأصل العظيم أمير المؤمنين [illegible] هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه بدهائه ونور بصيرته [illegible] الدين
الجديد الطاهر النقي السماوي [illegible] شبهات وتشكيك على هذا [illegible]
او [illegible] الجلي ، وحق [illegible] لا ريب فيه [illegible]
الصحيحة [illegible] المسلك الموجز المذكور ، [illegible]
[illegible] قال [illegible] لا خير في شيء يخالف القرآن ، [illegible]
من [illegible] حق
[illegible]
[illegible] لا خير في شيء [illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible] لا خير في شيء [illegible]
في شيء [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

من عمر من الأعب [illegible]

[illegible]

والمباحات ويدخل في دا [illegible]

[illegible]

عن كل [illegible] منه كادل على
[illegible] عن صحة ما
[illegible] وقوله [illegible] على العرب
والإسلام [illegible] بعضها
[illegible] وجعلها
[illegible] واخبانه
[illegible] على خشية الملوم رضي الله عنه
[illegible] في [illegible] الإسلام
[illegible]

فصل

[illegible]

[illegible] (١)

[illegible]
[illegible] عنها صفحا ونبذها وراءه ظهريا بل

---

(١) [illegible]

صرح بأن كتب [illegible] ليس فيها [illegible] ولا عقلية ولا دينية وبعدم علم
المنطق فيه خلاف مشهور وكتب [illegible] جوازه. وقد [illegible] في هذا المحل
أنه من الكتب المدروسة في الأزهر [illegible] الشطر [illegible]
ذكر الخلاف. وقد [illegible] منكر حيث
حذف ما [illegible] كلامه مع أن الشطر الذي ذكره [illegible] فيه [illegible] من
[illegible] وهو ادعى أن [illegible]
الخلاف. [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

فصل

ثم قال ، وجاء في كتاب [illegible] [illegible]
المشهورين جدا قال كل ما يسمى عباغا [illegible]

ليس من علوم المسلمين فهو لا يخلو من أحد احتمالين أحد الاحتمالين أن يكون غير علم وأن تكون تسميته بالعلم من تسمية [illegible] بالعلم خطأ ، وثانيهما أن يكون علماً حقيقة ولكنه غير نافع فلا يجوز للمسلمين تعلمه ولا قبوله .

والجواب أن نقول : هذا النص أيضاً لا يدل على ما ادعاه من أنهم يرون [illegible] ، ولا فيه ما يتعلق به أصلاً ، بل هو حجة عليه ، فإن هذا القائل ذكر أن ما كان ضاراً غير نافع مما ليس في الكتاب والسنة ولا في علوم المسلمين فلا يجوز للمسلمين تعلمه ولا قبوله ، وهذا هو عين الحق ، وكلام هذا القائل تضمن أن تعلم الصناعات والأمور الاقتصادية والتجارية والمادية جائز لأنه قيد ما لا يجوز تعلمه بأن يكون [illegible] ، وهذه قد ثبت أن [illegible] إنا أخذنا [illegible] الصحيح من الكتاب والسنة دلالة على أن ما كان نافعاً غير ضار فهو مباح تعلمه [illegible] ، ودلالة على أن الأصل في هذه الأمور الإباحة [illegible] ، وهو [illegible] على منع هذه الأمور في الجملة [illegible] أنه [illegible] وقد قدمنا أن من القواعد الأصولية أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ومعلوم أن الجهاد والدفاع عن الإسلام [illegible] هذه الأمور ، وهذه [illegible] لا [illegible] وسائل [illegible] على [illegible] حال [illegible] ولكنه [illegible] كل [illegible] حيث [illegible] كل [illegible] حقيقة واحدة [illegible] ، [illegible] كل [illegible] بعض العراق [illegible] ومصرف حديث [illegible] وقد [illegible] على [illegible] ذلك التشنيع المر [illegible] كل [illegible] على [illegible] حوله [illegible]

كانت روح الغلاة هي معنى هذه الكلمة غير أن الفرق بينهما أن ذلك غير محتج في تحقيق مثل هذا وإن هذا عليه [illegible] أدخله من التحقيق بمقتضى الحاجة فكان أعظم منه كفرا كما أنه أحط نفسا وأخبث عقيدة

فصل

ثم قال : وجاء في الكتب [illegible] مشهورة [illegible] في معرض تقسيم الأفكار في الصناعات [illegible] التي لا تنفع [illegible] كالفكر في الشطرنج والموسيقى وأنواع الأشكال والتصاوير والفكر في العلوم التي لو كانت صحيحة لم يحصل [illegible] نفس كمالا ولا شرفا كالفكر في دقائق المنطق والشعر [illegible] وأكثر علوم الفلسفة التي لو بلغ الانسان غايتها لم يكمل ذلك ولم [illegible] إلى أن قال وكل هذه الأفكار مضرتها أرجح من منفعتها ، وكون [illegible] في مضرتها شغلها عن التفكر فيما هو أولى وأعود عليه بالنفع عاجلا وآجلا

والجواب أن يقال : وهذا النقل أيضا من جنس ما قبله لا حجة له فيه أصلا ، [illegible] كما أشار [illegible] علم [illegible] والموسيقى [illegible] التي يدعو اليها هذا الملحد من العلم واجب [illegible] معنى الجهل الذي يرمي به المسلمين [illegible] أن هذا العلم هو [illegible] الشطرنج والموسيقى [illegible] هو الجهل [illegible] حال هذا [illegible] آل [illegible] عابوهم بغير عيب ، وهذا الملحد على [illegible] الذي لا مزيد عليه عجز عن أن يجد ما [illegible] على [illegible] الاسلام [illegible] مصادر ، ومع

فأنت أولى به كما ذكرنا ، ومن عاب المسلمين بمجرد وجود قول لبعض
الملاحدة في كتبهم فهو كمن عابهم وقدح فيهم بدعوى أنهم يسبون الصحابة
لوجود كلام بعض الرافضة في كتبهم بمجرد انتسابهم الى الاسلام ، بل ما
ذكره في هذا أشنع وأبشع

ثم قال « فرووا أنه عليه السلام قال أكثر أهل الجنة البله »

فنقول هذا الحديث قد رواه البزار في مسنده وأشار السيوطي في الجامع
الصغير الى أنه ضعيف . فعلى هذا فلا حجة له فيه ولا وجه لايراده وجعله
عنوانا لهذا البحث . وعلى تقدير ثبوته فليس فيه ما ينكر أصلا ، فليس فيه
ترغيب وحث على التبله كما أنه قد ورد في [illegible] من نصره أو مات ولده أو
أصيب في ماله أو جسمه أحاديث كثيرة تتضمن الأجر والثواب ولم يكن ذلك
عيبا فيمن جرى عليه هذه الامور ، وليس فيه حث على العمى وقتل الاولاد
فان هذه الاحاديث [illegible] الأمر ، ومثال ذلك [illegible] طبيعيا يبتلى به بعض
الناس كان من حكمة الله وإحسانه وكرمه ورأفته به أنه رحم هؤلاء وعفا عنهم
فيما جهلوا من الامور الخفية ، وهذا من محاسن الشريعة الاسلامية ومقتضى من
مقتضيات الرحمة فانه تعالى لم يجعل عباده على وجه [illegible] منهم الذكي ومنهم [illegible]
في الذكاء ومنهم من به بله وجعل منهم [illegible] كان من حكمته أن رحم هؤلاء
الضعفاء [illegible] ما في وسعهم ، وهذا عين الكرم والاحسان ،
فرحمهم وعفا عنهم [illegible] وهذا عين اللطف والاحسان . وليس [illegible]
حيث كان [illegible] والاخلاق حتى [illegible] ، ولكن [illegible] لا [illegible] على
الاوامر الشرعية وأنه ليس من هذه الامور [illegible] . وعلى [illegible]
[illegible] ، [illegible] عنه ، [illegible]
فكيف يكون [illegible] ان يكون سبب
كونهم أكثر أهل الجنة [illegible] وسلامة الصدور وعدم
الحقد والخبث [illegible] في

غيرهم . وقلّ أن يوجد أحد معجب بنفسه [illegible] مرجواً ، والكبر والعجب
هو الداء الوبيل الذي يقضي على صاحبه كما وقع لهذا الرجل ، ولهذا كان كثير
من الأذكياء يعتمد على نفسه ويرى أنه [illegible] والكمال ، فلذلك
يصاب بالزيغ والضلال ، وهذا بخلاف [illegible] والمسلمون لم يقولوا ان البُله
أفضل من غيرهم ، لكن يقولون إنهم ناجون وكما أن غيرهم [illegible] شيء
من النقص في حاله أو ماله أو [illegible] ، ولا يقولون إن [illegible]
بهم وتسند إليهم ، وإنما [illegible] عن [illegible] فقط ، ولكن هذا المعجب أراد
أن يصدمهم ويدخل بينهم وبين الله تعالى وينازع الله في رحمته لهم ، فجعل كونهم
من أهل الجنة لا [illegible] ولا [illegible] من [illegible] تسمح بذلك نفسه ولم
تسعه السكوت والسلامة (1) ، [illegible] التشنيع [illegible]
يكرههم [illegible] لكن [illegible] أحسن [illegible] لا
يحسنون الشعر [illegible] منطق و[illegible] فلسفة ، وهذا هو أكبر ذنب عنده ،
كما تقدم تشنيعه على من أنكر [illegible] لهم الجنة جدا وهم
جهلاء في هذه الأمور [illegible]
والشعوب أصلا . ولا تنكر [illegible] فلو
قدر أنهم يجهلون شيئا من الأمور [illegible]
[illegible]
والشعوب في الأمور [illegible]
أن تحصى . فهذا الخبيث [illegible]
لوجوده في كتب [illegible] هو
عين الجهل ، وهو حجة عليه كما هو ظاهر

(1) ولكنه وسعه السكوت عن [illegible] لا تحصى

والجواب أن يقال: كأن هذا الملحد يريد بهذه [illegible] أن تكون الجنة
ملكا له يدخل فيها من شاء ويحرم منها من شاء، فليقل [illegible]: أي شيء في
هذه الأحاديث التي [illegible] أن هؤلاء [illegible] الجنة. أتريد أنهم لا
يدخلونها وأن [illegible] أم ماذا يريد،
في هذه الأحاديث أن من هذه صفاتهم [illegible] ويدخلهم الجنة،
ولم يقل إن الجنة لهم خاصة [illegible] أن الله يدخل فيها
الجنة على هذه الأحاديث التي [illegible] فكان في هذا
[illegible] لا يستحق
[illegible]؛ أما كونه يعمد إلى حديث [illegible] دخول الجنة
[illegible] ولا في معناه [illegible]
[illegible] وهو [illegible] هذا
الا [illegible] على الله
[illegible] من المكر والخبث
ومن الدهاء والذكاء كما هو صريح كلامه [illegible] هؤلاء لا يدخلونها بل
هم في النار لأنهم [illegible] المكر والخبث والدهاء والذكاء. فالمكر والدهاء
عنده من أعظم الصفات [illegible] أصول العلم، ولهذا اختارهما كما ترى
وقرنهما مع الدهاء والذكاء من جميع الأخلاق [illegible] هذه الأعلال. وهذا
مما يدل دلالة صريحة واضحة على أن [illegible] أطيب وأطيب [illegible] في الحث
عليه هو المكر والخبث، [illegible] في التحذير منها
هي [illegible] المكر والخبث. فالمكر والخبث هما جماع [illegible] كلها
والمصائب كلها وجماع كل ما تقدم في هذه [illegible]. وأما الصدق والنصح والثبات
التي هي أضداد المكر والخبث فهي عنده جهالات وأوهام مرذولة أصحابها
بالسذاجة وحظهم المصائب، ولهذا جعل سلامة الصدر من المكر والخبث
أكبر عيب وأعظم مصيبة [illegible] من هو أعظم من المكر، لأنه

[illegible] لا [illegible] الحديث [illegible]
أن السلامة [illegible] في دخول [illegible] كل [illegible]
بهذين الخلقين [illegible] المكر و[illegible] في كل [illegible]
الاطناب والاسهاب في [illegible] وشبهها [illegible]
في ذلك رجع [illegible]
ذلك الكلام [illegible] المكر و[illegible] لا
[illegible] أن [illegible]
يدعي أن [illegible]
الناس [illegible]
و[illegible]
رق وتقدم [illegible]
الحديث من المكر و[illegible] لا [illegible]
لا [illegible] هذا الحديث مما يدل
على [illegible]
[illegible] على العمل [illegible] اذ لا [illegible]
والا[illegible] . ومعنى هذا الحديث كمعنى الحديثين اللذين [illegible]

فصل

ثم قال [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] في هذه الامور
[illegible] فان هذا [illegible] ما يفهم الناس منه ، هذا له
معنى [illegible] وكيت ، كما تقوله أنت [illegible] . و[illegible]
[illegible] والمكر و[illegible] و[illegible] والا[illegible]

ومعلوم [illegible]

ثم قال [illegible]

الجنة : هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور [illegible]

[illegible] وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم [illegible]

فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة . وهكذا قال [illegible]

[illegible] فعلى هذا يكون حاصل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا هو اللائق بحاله وأعلاه

فصل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قلت : وهذا [illegible] من جنس ما قبله من [illegible]

كلام [illegible]

كريم في نفس الشيء أي ليس بصاحب مكر وخبث فإن المكر هو المكر
والخبث قد جاء [illegible] من السجايا الحميدة . وفي [illegible] هذا وتسكنه جرى
على قاعدته أن المكر والخبث أصل من أصول [illegible] . وقوله وهو يخدع
لانقياده ولينه [illegible] [illegible] [illegible] حتى يخدع [illegible] فيخدع . ورق
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن أن يشعر
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستحداد في بعض
الأمور [illegible] [illegible] [illegible] أمور [illegible] وهذا من [illegible] المباحة
والكرم [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المنافق من
الشح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا هيع وطبت
على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] الخبث هو الطبع
والمراد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الطبيعي
[illegible] [illegible] كان [illegible] الصلاة والسلام أوسع [illegible] [illegible]
وعلما وكذلك الملك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأثير
هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كون المؤمن
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] علامة كلها على
الخبث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على كل شيء والمراد كل
شيء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل الأخلاق التي
تقدم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصحيح [illegible] [illegible] وقول ابن الأثير [illegible]
أمور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا
تعلق به [illegible] كأمور الشهوات عن اختلاف أنواعها [illegible] لا [illegible] القصد
[illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والقصد .
ثم إن ابن الأثير ذكر أن مثل هذا [illegible] [illegible] نوع من الذم ، وهذا الملحظ
[illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] وقد تقدم الحديث [illegible] فيه والمؤمن
كيس فطن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الناس بسوء الظن ، وأمثال هذه

الآثار والنصوص الكثيرة وقد عرض [illegible] [illegible] في قصده
في تشويه سمعة الإسلام و[illegible]

فصل

إذا عرفت أن هذا هو حاصل ما [illegible] [illegible]
اعتمد عليها في تشويه سمعة الإسلام و[illegible] [illegible]
[illegible] وأن [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
الأعراض [illegible] لا [illegible] [illegible]
[illegible] ثم أعرض عنها إنا [illegible]
هذا وقد [illegible] في جميع العلوم الدينية [illegible]
إلا [illegible] [illegible]
الإنسان [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] استدلال
[illegible] لا [illegible] [illegible] في [illegible] هذه
الدعوى [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] ص ٣١٨ ج ٢ ما نصه [illegible] [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] لا
[illegible] وما [illegible] أن [illegible] [illegible]

(١) كما ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة

[illegible]
[illegible] يجد له سلفا فى الخطأ وشيعة فى
[illegible] لا يجدى شيئا ولكن الذى يجدى
[illegible] وان كانت قبلة الانصار
والاعراب [illegible]

[illegible] والنصوص
[illegible]
[illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويذهب مذهبا لم
[illegible]
[illegible] المحتوم(٢) ، فمن
[illegible] النقصان والجدال(٣) المفرق
[illegible] ذلك(٤) انتهى كلامه .
[illegible] وجهه فى هذه الاعلال كما ترى
[illegible] بعض

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

لاتعادية وهي [illegible] المسلمين وأخذ يشنع عليهم بذلك مع ما أصابه [illegible]
والإ [illegible] ، فهو قال بعد أن نقل ذلك بقول التي أجيب عنها :

« لقد تبين [illegible] وكان فسادا
أصلا [illegible] اكتفوا بمدح [illegible] والمرض والجوع وكل ألوان الشقاء كما
سبق [illegible] كما [illegible] ثم لم يكتفوا [illegible] أيضا
[illegible] المجنون [illegible] والعجز عن التصرف في الحياة ، [illegible]
[illegible] وقد قلنا فيما سبق ان أدنى
[illegible]
الجهل ما فيه كفاية ، [illegible] هذا الملحد [illegible] في هذه
[illegible] هل هو علم أو جهل ، وما هو
المقصود [illegible] ما
[illegible] أظهر
[illegible]
[illegible] مجنون جاهل
[illegible]
[illegible]
ما شئت » ، وقد أطال هذا الملحد في التشنيع على المسلمين بأنهم أحبوا الجهل
وحاربوا العلم كعادته في الاسباب [illegible] من الكذب والفجور ، وهو
يشير الى أن الالحاد [illegible] ولكنه سماه علما ترويجا
[illegible] ما [illegible] من
الشرك [illegible] ، وكل هؤلاء [illegible] في ما
[illegible] والالحاد [illegible]

ثم ذكر أن [illegible]
[illegible] هذا الملحد حرف

[illegible] ولا سيما [illegible]

لأمة الإسلامية [illegible] حتى [illegible]

هذه العلوم [illegible]

[illegible] ليس في [illegible]

[illegible]

[illegible] الجهمية [illegible] شيخ الإسلام ابن تيمية وأمثاله

وهي الكتب [illegible] ولكن [illegible] وخليق بمن تعانى كتب هذا الامام

[illegible]

لم يأت إلا من جهة أمرين أحدهما شيوع مذهب الجهمية والمعتزلة في العقائد

وفي الصفات حتى كان ذلك هو المشهور [illegible]

[illegible]

الأموات [illegible]

الأمر الاول [illegible] المأمون لمذهب الجهمية والمعتزلة في

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بلا ريب ، فان المسلمين [illegible]

والدولة الاسلامية [illegible]

[illegible]

وان ذهبت [illegible] الدولة الاسلامية

[illegible]

قامت دولها على [illegible]

وعاطفة رائدة ، فليست مؤسسة [illegible]

الدول الاسلامية فمنهم من [illegible]

[illegible] أحدهما [illegible] من ذلك [illegible]

فصل

ثم أطال في التشنيع على الذين [illegible]

وقد [illegible]

[illegible] الأصول [illegible] وأما غير ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] لاشتغال بالعلوم
[illegible] اعتقدوا أن [illegible] إنما خلق [illegible] كل
[illegible] ذلك [illegible]
الاشتغال [illegible] واعتقدوا أن من [illegible]
[illegible]
الدنيا وكل [illegible] ومن أحب [illegible] حق [illegible]
[illegible]
[illegible] وحدث
[illegible] هذه
[illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] الخشية
[illegible] والفجور
[illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible] وأمثالهم
[illegible] وقد قدمنا أن هذه الأغلال
[illegible] الإسلام، وأما
[illegible] الإسلام [illegible] هذا
[illegible] قال أن
من اشتغل [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] أكثر [illegible] على

فيرون أنهم يمدحون الجنون والجهل ويذمون العمل فإذا صنع المسلمون ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله كيف يخفى مثل هذا الكلام من الخبث العميق
والعداوة المنكرة للإسلام وأهله . فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور

ومن العجائب بل من المصائب قوله : ولا أضل عندهم من عبد خلق
لعبادة الله وتركها واشتغل بعبادة الدنيا أو عبادة نفسه عن طريق الهدى ،
ونقول نعم إنه لا أضل من هذا إلا من أنكر ضلاله وهو شك في ضلال من
ترك عبادة الله وعبد الدنيا وعبد نفسه . بل وهو شك مسرف في كفره ، وكيف
يشك في كفر من ترك عبادة الله واشتغل بعبادة الدنيا . فإن كان هذا عندك
ليس بضلال فما هو الكفر والضلال . بل كل من ترك عبادة الله ليس كافرا كما
هو صريح كلامه هذا الملحد لا يرى أن ترك عبادة الله والاشتغال بعبادة
الدنيا وعبادة النفس لأجل الضلال كفرا . لأنه جعل هذا من الأوهام الباطلة
كما هو صريح قول الجبة . وجعله من الضلال المذكور في حق الجهنمية . فادعى
هذا الملحد صريحا أن من الأوهام الباطلة والأسباب المنكرة عند المسلمين أنهم
يرون أنه لا أضل من عبد خلق لعبادة الله فتركها واشتغل بعبادة الدنيا أو
بعبادة نفسه عن طريق الهدى . فهذه دعاوى صريحة في كفره وصراحة لا
تقبل التأويل إلا تأويل المؤيد بمن يحبه نعم ومدح ما يجب ليه . وفي هذه
الدعاوى التي نقلناها هنا من الخبث والتخليط والغرور ما لا يخفى على أدنى
عاقل . ولا شك أن الله سبحانه خلق عباده ليعبدوه كما قال تعالى ﴿وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ولا ينافي عبادة الله الاشتغال بشيء من
أمور الدنيا التي أباحها الله تعالى لعباده من الأسباب مأجور على عمله فيها إذا
كان قصده بذلك ما يتحقق نفعه كما تقدم . وأما مدح الجنون والجهل فقد
بينا أنه غرور لا يقدم عليه إلا من هو مثله . والله سبحانه من العباد العبادة ،

ففرض فروضا وواجبات وعين صفاتها وأوقاتها وهي لا تستغرق من حياة
الانسان إلا أقل القليل، ومن سنن ومستحبات [illegible] نفسه لا سعي له أن
يلبس نصيبه من [illegible] . ولا شك أن الأمور [illegible] صنعة وتجارة ومن يتعلق
بذلك من أمور [illegible] عن [illegible] لو [illegible] ،
والمسلمون عليهم [illegible] الواجب والمستحب والمباح . [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible] ى
المساجد [illegible] في [illegible] وقصدوا
[illegible] ما [illegible] أمور [illegible]
المسجد [illegible]
الاستقلال [illegible]
الاسلام [illegible] ،
ومن [illegible]
[illegible]
[illegible] الأمور [illegible] تعرض [illegible] تكلم [illegible]
بكلمة واحدة [illegible] في الأمور [illegible] وكل
أمور [illegible] في [illegible] أن [illegible] الأمور هي
أعظم الأمور [illegible] بل
جعل همه محاربة هؤلاء الذين [illegible] ما [illegible] من
المحن والمصائب في هذا الوقت العصيب ، ثم لو [illegible] أن أحدا منهم
دعا إلى عبادة الله [illegible] كل [illegible] لا من
الملاحدة الذين يقولون [illegible] في [illegible] وأن الاشتغال
بعبادة [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] من دعا إلى
الله وعمل صالحا [illegible] كافر [illegible] غير
الحق [illegible] أمة [illegible] الاسلامية كلها وإن يوفقه الله [illegible]

عبد الله وعباده [illegible] مكره وأما [illegible] من هذا القول لم يصر شيئاً في [illegible] ولا في [illegible] لا [illegible] في مثل هذه الأمور [illegible] الخص لا في [illegible] أمره كما هو الواقع

فصل

قال [illegible] أن [illegible] كلها قائمة على أنه لا يوجد علم يصح ولا حسن [illegible] في [illegible] كل خير إنما يصدر عن [illegible] كل [illegible] ولا يمكن أن [illegible] شيئاً ولا [illegible] لا [illegible] في [illegible] ولا في شيء من [illegible] إلا بالمعرفة .

والجواب [illegible] صحيح [illegible] أنى الله عليه وعلى أهله [illegible] ولا يسمى علما مطلقا إلا علم الدين ، وأما [illegible] ولا تسمى علما لا [illegible] لي موضوعها ولا يصح [illegible] كما سيأتي [illegible] مفصلا وقوله [illegible] وهو قد نقض هذه الدعوى بنفسه فقال في نبذته ([illegible]) ما نصه ص ٣ ، ولكن ما كل علم محمود ، فرب علم خير منه الجهل [illegible] منها المنام ، وتذكرة أحسن منها [illegible] ، وكم من علم هوى [illegible] في [illegible] وحسده في العذاب والنيران و [illegible] عليه [illegible] ولا [illegible] كلامه [illegible] آما فكات [illegible] لا [illegible] على الاطلاق ما دل على الا [illegible] ونصر [illegible] شرع [illegible] والضلال [illegible] الضلال ولولا في [illegible] عن [illegible] على لا [illegible] فيها استقلاله ولا تمع [illegible] ولا [illegible] أو [illegible] عوض [illegible] ، فرق

و[illegible] الولاة [illegible] على لا [illegible] من أحد . أعماهم الخبيثة
واصو[illegible] في رجال الدين ، وأخذ [illegible] حال الدين وأصابها الى الملاحدة ،
و[illegible] والـ[illegible] و[illegible] الاسلام . و[illegible] فانهم نسبت الى علماء
[illegible] الى ما [illegible] من [illegible] في سبيل حماية الأمة بل
أعرض عن هذا كله [illegible] موضع السب والشتم والذم . وأما
أولئك الحشاشون من الملاحدة [illegible] كشف [illegible] العلماء والمعرفة
[illegible] ادعاء وغض
[illegible] على كل [illegible] من أخلاق [illegible] في الاخلاق وغير ذلك فان
[illegible]
[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ،
ولا [illegible] كما لا [illegible]

ثم قال [illegible]
والفلسفة والكلامية والتشكيك [illegible] ،

[illegible] ولا
[illegible] كل [illegible] للاسلام
من [illegible] فقد أمروا [illegible] ولا حاجة الى
[illegible] وقال [illegible] أنت لم [illegible] عليهم
[illegible] أوصى [illegible] من شتم وسب واتهام ، فرميتهم
بالالحاد [illegible] وغير ذلك ، وهذا غاية ما تقدر
عليه [illegible] لا تقدر على غير هذا [illegible] التي وجهت
[illegible] ان هؤلاء [illegible]
[illegible] ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم [illegible] فقد سب الله تعالى ، ثم
أنت مع هذا [illegible] العلوم الدينية من التوحيد

[illegible]
[illegible]
[illegible] بل
[illegible] أن تكون مباحة في الأصل [illegible]
يذمون تلك العلوم [illegible]
[illegible] التي [illegible]
وأمثال ذلك ، بل الواجب علي[illegible]
الله ورسوله ونعاملهم المعاملة [illegible]
عليهم من سبيل

فصل

[illegible] الرابع .
[illegible]
[illegible] حكمه أو [illegible]
[illegible] لا [illegible]
حكمها اذن الا بالعلم الطبيعي [illegible]
[illegible] أحد
[illegible]
[illegible] التي ألقيت
في روعك ، فبعداً لك ما أسخف عقلك ، [illegible]
[illegible] أولا [illegible] الله انما نظم هذا العالم بعلمه وبنواميسه
[illegible] وأسراره [illegible] ما لا
[illegible] حكمة [illegible]
لا [illegible] . وهذا معهود في بني آدم

فالمقصر [illegible] من أصله . ولا يقال [illegible]
عن قدرته وعلمه . فلا بد من [illegible] أى الإرادة أو المشيئة . و[illegible]
هذا ينفر من المشيئة كما تنفر الحمر من [illegible] ولم يذكر المشيئة [illegible] في كل
أغلاله إلا على وجه الذم أو في سياق [illegible] . [illegible] كيف يقيس حكمه
تعالى و[illegible] هذا لعدم [illegible] ومعرفته [illegible] . [illegible] كيف
يريد [illegible] أن [illegible] وهو ينكر أن الله قد حكمه ، [illegible] أن يكون حكمه
تابعا لحكم الله فبطل كلامه في مضادة [illegible] [illegible] لا شيء إلا ما
يشاؤه الله [illegible]
لأن [illegible]
القدر [illegible]
وهي [illegible] حكم هذا [illegible]
فيه [illegible] أخرى
فلا [illegible]
نواميس هذه الطبيعة [illegible] حكم هذا [illegible] علم
قوانينه [illegible] جدا لأنها مبنية على أن في إمكاننا أن
نعلم [illegible] وكل هذه المقدمات التي
يريدها [illegible] مساواة
العبد [illegible]
أن الإنسان يقدر على كل شيء ويعلم كل شيء ، وهو [illegible] فهو
[illegible]
[illegible] أن [illegible] أن [illegible]
[illegible] المحكوم
[illegible] فلا شك أن [illegible] المحكوم [illegible]
بداهة العقول أن يكون [illegible] المحكوم حاكما على الكل ، إذ [illegible] أن

يقلب الجزء الصغير المحكوم جزءاً كبيراً حاكماً [illegible] كل [illegible] وهذا قلب
للحقائق وسفسطة ظاهرة [illegible] والجزء الأول هل يكون
صغيراً أو عدماً أو [illegible] مع الأصغر المحكوم [illegible] على [illegible] يكون
الجزء المحكوم حاكماً على [illegible] حكماً مقيداً [illegible] حكم الجزء
الأكبر لأنه [illegible] وضع والمقصود [illegible] محكوم . والمحكوم الذى هو
جزء من مجموع محكومات لا بد أن يكون مقيداً . ولا بد إذن من أن تكون
دائرة صغيرة [illegible]
من [illegible] أحسن [illegible] هو أقوى
[illegible] وأعلم فى [illegible]
ذلك . ومع هذا [illegible]
تحت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] حكما
[illegible]
نظامه ونعارضه وندعى [illegible]
يؤدى . فنكون مصادمين لهذا النظام [illegible]
[illegible] لا بد [illegible] ولا بد فى [illegible]
الدمار وحصول نتيجتها أن تكون [illegible]
ونظام غير [illegible] محكوم
أن يعكس [illegible]
[illegible] حركتها

صحيفة [illegible] وأمثالها مع حركة الكون، وهكذا من استكبر عن
عبادة الله تعالى [illegible] شرعه المطهر [illegible] الكون وخرج عن
[illegible] حكمته [illegible] وأي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أن يكون
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عن متابعة هذا النظام
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فصل

ثم شرع يمدح [illegible] واستشهد بقوله تعالى [illegible] يسمع أو يعقل
ما كنا في أصحاب السعير» وبقوله تعالى ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا﴾. ولا حجة له في ذلك [illegible] علم أمر معروف عند [illegible]
والعلم [illegible] والموسيقى
ودقائق الفلسفة، ولا هو [illegible] الطبيعة [illegible] وليس في الآيات ما يدل على

كونهم موصوفين بالتحلل من الدين وبالانحراف عنه ، فهل يتفق التحلل من
الدين وخشية الله في عقل أدنى عاقل ، وكيف يعقل أيضا دعوى أن العلماء
الموصوفين بما هم عليه يخشون الله مع دعواه أن المتدينين على اختلاف
أجناسهم وأديانهم لم يعرفوا خشية شيء جديد ولم يكونوا فيها عموما متألقة ،
ومعلوم أن هؤلاء هم أهل خشية الله ، لأن هؤلاء هم ضد الملاحدة ، فالناس
في الحقيقة إما ملحد دهري أو متدين ، فكيف هؤلاء العلماء أهل الخشية لم يعرفوا
خشية شيء جديد ، وأنت تقرر أن الدين وهو ضد كل شيء الجديد هم العلماء
ثم تقرر أن العلماء هم أهل خشية الله ثم تنكص على وجهك فتقرر أن الدين
صنعة الحياة ثم المتحللون من الأديان [illegible] ومن أين علمك هذه القواعد
المتقطعة [illegible] في الأزلية الأبدية ، فسبحان من أخزاك وجعلك بهذه الحالة
التي يسخر منها كل عاقل منها ويتعجب من شدة كراهته ومقته لعلماء الدين
وغروره بنفسه وجهله ومقته للملاحدة أتى بهذه الآية مستدلا بها تمهيدا
للنتيجة التي يقررها [illegible] وهي أن اسم العلماء إنما يختص به الملاحدة ومن
حذا حذوهم [illegible] ونكسه حقيقته وحقه [illegible] من أصله
من الخواص [illegible] حتى انقلب دماغه فانعكس قصده ومراده
فأثبت [illegible] هم المستحقون لوصف العلم الممدوح في القرآن والسنة
وفي [illegible] لا يخشون الله هذا الاسم الجليل الجميل
[illegible]
[illegible] الممدوح في القرآن
[illegible] لا حظ للملاحدة فيه سواء كان هؤلاء الملاحدة من أهل المعرفة
بالطبيعة والفلسفة أو من أهل [illegible] أو الاقتصاد أو الأدب
أو غير ذلك [illegible] الممدوحين هو خشية الله [illegible] في هذا
[illegible] من عرف شيئا من علوم الطبيعة [illegible] يكون
[illegible] فمن عرف شيئا من أمور الطبيعة على وجهها

الثابت في نفس الأمر وعمل بوجه الديني فهو مثاب وهو من العلماء بقدر ما
عرفه من أمر دينه وخشي الله به . لأنه حينئذ من أهل الخشية ، وليس علم
الطبيعة بالحاد ولكن الالحاد فيها هو اسناد الحوادث اليها دون مشيئة الله
وقدرته . فمن أسند حدوث الحوادث الى الطبيعة وتفاعلها واعتمد عليها أو قدم
مقرراتها المعقولة فيها على النصوص الدينية فهو ملحد ، ونحن لا نشك في أنه ليس في
علم الطبيعة الثابت الصحيح ما يخالف النصوص أبدا وانما يحصل الغلط من
تصور الفكر وحصر الشيء لما هو حقيقة ثابتة ، فيعارض به ما دل عليه ظاهر
النص الشرعي لأنه حينئذ يكون في شك من صحة دلالة النصوص أو في ريب
من الدلالة الصريحة بعينه — أي الريب والشك بمعنى عدم الجزم والقطع ببطلان
ما خالف مدلول النص أو يكون بعينه ضعف الايمان في نفسه فيصادم النص
مهما كان من أي نظر أو فكر . فان الانسان متى علم واعتقد اعتقادا جازما
صادقا جازما أن النصوص الدينية كافية في بيان الحق والدلالة عليه فان عليه
أن يبين ما خالفها ، لأن نفس الحقيقة الثابتة لا تنتقض بحال . فالانسان
اذا اعتقد صحة شيء فلا بد أن يعتقد بطلان ما ضاده فلا يصدق بمعارض
للنصوص أبدا . ولكن ضعف الاعتقاد ينشأ عنه شك في الدلالة ونحوها
عن كونه في الصدر هذا الذي يقع في التردد والحيرة وتمسك فيه بعد ذلك حتى
يفسد العقل ويفسد الدين ، ويقع في النفوس بحسب ما في القلب من قلق
وشك وارتياب ، وكثيرا ما يقوى هذا فيكون ضعفا لأنه لا بد من تصديق
أحد الأمرين [1] يسبق معه ثقة من الأمر الآخر فيحصل التعارض في
ريب وشك في كل منهما . فالشك والريب من أعظم أمراض القلوب التي
ذكرها الله سبحانه وتعالى وبين في كتابه أنه سبب في حرمان النفع بهديه من
هواه وليكشف المبين ، وأنه سبب في الهلاك والتعس وفساد النفس وسبب في

---

(1) أى تصديقا جازما قويا

حرية الفكر [illegible]

[illegible] ، لانه سبحانه علم

ما سيكون [illegible]

[illegible] ان الادلة العقلية الصحيحة [illegible]

الشريعة المحمدية حرف واحد يخالف صريح العقل أبدا كما تقدم إيضاحه فى

[illegible]

أثنى الله عليه ، بل هم كما قال الله [illegible]

نعقل ما كنا فى أصحاب السعير [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فى النصوص لا يختصون [illegible]

فعلى هذا تكون الكلاب والحمير [illegible]

[illegible]

[illegible]

فالقرد عالم والقط عالم والديك عالم على مقتضى قواعده الازلية . هذا هو عقل

[illegible]

[illegible] لأنه من الجهلاء ولا سيما فى ما

يتعلق بأمر الدين . وهذا هو [illegible]

هو أعظم من ذلك من الفسق والخداع وتولي الظالمين ، وكل ذم في النصوص فهو موجه إلى هذه الأخلاق وأهلها وكلها مجتمعة فيه فيكون نصيبه من الذم أوفر نصيب

فصل

قال : ومن أبحاث محاولة الشيخ هذه القصة المعنى قضية مدح العلم وذم الجهل بالشواهد ، وهي قضية مسلمة لا خلاف فيها ولا خفاء .

فيقال : قولك لا خلاف فيها ولا خفاء يناقض دعواك أول البحث أن المسلمين اليوم هم خصوم العلم وإخوانه المتمدنين وغير ذلك مما نسبته إليهم من كونهم يذمون العلم ويمدحون الجهل ونحو ذلك .

ثم قال : ولكن الخلاف قد يقع في المراد بالعلم حيثما يطلقه القرآن ، فقد يحسب كثير من الذين انحرفوا عن فهم كل شيء أن المراد به هو العلم الديني فقط أي العلم بالنصوص وشروح الشراح وملفقات المتفقهين الخاصة بهذا حلال وذاك حرام وهكذا ، ولكن لا ريب أن هذا القصر في فهم العلم القرآني خطأ .

فيقال : ليس كل خطأ ، ولكن أنت ممن انحرفوا عن فهم كل شيء وأخطأوا ، فإن القرآن صريح في أن العلم الممدوح هو علم من يخشى الله فقط كما هو صريح كلامك الماضي ، ومعلوم أن العلم بالنصوص وشروح الشراح والحلال والحرام هو علم الذين يخشون الله لأنهم هم المدعوون بهم عباد الله ، فيكون العلم الممدوح هو علمهم وهو العلم الديني فقط على تعدد أنواعه ، وعلوم جميع الملاحدة ليست من نوع ذلك فإن الخشية شرط في العلم الممدوح ويكون علوم الملاحدة كلها مذمومة لأنهم لم يخشوا الله فيكونون مذمومين هم وعلومهم فلا يمدحون ولا يثنى عليهم بها لأن العلم الذي يستحق المدح هو علم من يخشى الله كما هو صريح كلامك فيكون منحرفا عن فهم كل شيء ومخطئا خطأ فاحشا . وهكذا كل الواقع حيث صوره عن قرب .

ثم قال: ومن المراد بالعلم حيث أطلق ما هو أعم وأشمل، أي يراد به المعرفة من حيث هي بلا نظر إلى موضوعها. فكل معرفة علم، والقرآن قد أطلق العلم ولم يقيده بالعلم الديني، ومن قيده فقد قيد إطلاق الله وإطلاق كتابه. ومن سياق بعض نصوص الكتاب ووضعها في مواضعها صريح في أن المراد ما هو أعم وأشمل (١).

ونقول أولا: إن الله سبحانه قيد العلم الذي أثنى على أهله بأنه علم من يخشون الله تعالى، وهذا قيد من الله لا من الناس فإنه هو الذي قيده

وثانيا: إنك أنت قيدته بقيدين متناقضين فقررت فيما سبق أن العلماء هم الذين يخشون الله، فقيدت العلماء الممدوحين بأنهم هم الذين يخشون الله وهذا قيد صحيح قيدت به نفسك، ثم قيدته فيما يأتي بعلم الملاحدة وأخرجت علماء الدين منه فكان غلا في عنقك سقطت به وسقط كلامك حيث ناقضت فيه هذا التناقض المبين. فكلامك هذا الأول كان أبلغ ما يكون شيء لسقوطه

ثالثا: قولك إن المراد بالعلم حيث أطلق أنه المعرفة من حيث هي معرفة من غير نظر إلى موضوعها، وأن كل معرفة علم، عنيت أنك تريد أن كل ذي معرفة وعلم بشيء يسمى عالما وأن جمعه من هذه الأوصاف المتصفة بهذه المعرفة أو العلم يسمى علماء أو أهل علم. أم تريد أن ذات معرفة أو علم في شئونها فقط ولا تطلق عليها اسم العلماء ولا أهل العلم. فإن عنيت الأول لزمك أن تدخل أكثر الحيوانات أو كلها في هذا الاسم فتسمي جماعات منها علماء أو أهل علم ولم تجد منها عالما فتسمي جماعة النمل والنحل والعنكبوت أو غيرها علماء أو أهل علم، لأن هذه الحيوانات لها معرفة بذلك وإدراك وتفكر وبحث في كثير من شئونها وفي كثير من الأمور التي يعجز الإنسان ولو كان من علماء

(١) يمكن أن يعرض هذا على الملاحدة، لأن الخشية التي هي شرط في العلم الممدوح منتفية عنهم

[illegible]

إذا عرف هذا فاعلم أن الله سبحانه وتعالى بين في كتابه ... كافيا
شافيا وأوضح بيانه وأصح برهان ... وأهل العلم الممدوحون في
النصوص هم علماء الدين خاصة وأن من سواهم ... ولا أهل علم
ممدوحين . فالعلم الممدوح هو علم الدين ... أو أهل العلم ... أطلق
في النصوص وكتب الدين فمراد به علماء الدين فقط . بخلاف ما إذا قيد
مضافا إلى أمر ... آخر فهو بحسب ما ... ، فمن كان مضافا إلى
ممدوح فهو ممدوح وإلا فهو مذموم . قال الله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا
هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ومعلوم
عند كل عاقل أن ... والدين
... وهذه ... في أصل
الأصول ... فكيف ...
...
...
... ،
ولا ...
... ولا ... من
الملاحدة ... وقال تعالى «إنما
يخشى الله من عباده العلماء» ... يخشونه ،
وأن من ... ومعلوم أن من كفر به ... خشيته وأن ...
الناس عن الخشية هم الملاحدة ...
بني إسرائيل . ومعلوم أنه إنما أراد ... والرسول ...
إنما علمه ... في ... ولا ...
وقال تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» ومعلوم
أنه سبحانه ... من ... فهو مردود إلى ...

[illegible] فكيف يكون [illegible] هذا قلب
للحقائق . وقال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك
هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) فأخبر سبحانه أن الذين أوتوا العلم يرون
أن ما أنزله الله من القرآن هو الحق [illegible]
العلم بنص الآية . ومعلوم أن [illegible]
ادّعى أن المتدينين على اختلاف أجناسهم [illegible]
[illegible]
المحدد . [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العقل والدين فلم يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله من الأسماء والصفات
الشرعية فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

فصل

[illegible] العلماء لا يخصون بعلماء الدين فقال :
[illegible] القارىء الى قوله تعالى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا ، إلا
[illegible] وتعلم
[illegible]
[illegible] عا لطامعهم ومقيدة لا [illegible]
[illegible] هذه الحروف
[illegible] وحقيقة
[illegible]
[illegible] صحبة
[illegible] في دائرة
[illegible] ثلاثة عشر قرنا
[illegible] على هذه [illegible]
[illegible] كلامه
كله على هذه [illegible] على تحريف
النصوص عن مواضعها [illegible] اليهود [illegible] القرامطة

---

(١) هذا [illegible] لا [illegible] عليك [illegible] الحروف [illegible] المدينة [illegible] بلا
ريب ، وهو يناقض دعواه [illegible] في عصور [illegible] أكثر وأعظم

(٢) فاذن يجب متابعة الحروف [illegible]

والملاحدة المتصوفة بعد محرفون متصرفون على حسب أغراضهم وأهوائهم .
وجميع ما ذكره عن الآية لا يصح منه شيء ألبتة ، أما أولا فلأن القتال المأمور به
في الآية لم يرد به مجرد المنع على الإطلاق ، وإنما هو المكتوب ليس كل قتال
مكتوبا ، فليس المراد منه المكروه [illegible] له أدنى عاقل ، وهو إنما أراد
به هنا [illegible] على إرادته وحب [illegible] وأن كل [illegible] فهو محمود العاقبة
وأن [illegible] في [illegible] أن الأمر المذكور هنا
[illegible] مطلق [illegible] على غير العين .
[illegible] في [illegible] هو [illegible] .
وقد قدمنا أنه ليس كل من علم شيئا يسمى [illegible] ولا وجه لاستشهاده بالآية .
و[illegible] به [illegible] قصده [illegible] . وهذا ظاهر لا يحتاج
إلى بيان

فصل

قال [illegible] في [illegible] من سورة النساء وهو يقسم
المواريث [illegible] وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله
إن الله كان عليما حكيما [illegible] عنهم هنا ،
و[illegible] العلم [illegible] لا شك أن المراد [illegible] وعلم غير الدراية
وعلم [illegible] .

[illegible] الجواب عن هذا هو الجواب عن سابقه . فإننا لا ننازع في وجود
لفظ الدراية أو لفظ العلم أو لفظ [illegible] في [illegible] . وقد بينا أنه ليس كل من علم
شيئا يسمى عالما ممدوحا في الشرع [illegible] كل من درى شيئا من الأشياء يسمى
عالما مستحقا [illegible] . هذا الهدهد سليمان درى عن أشياء لم يطلع عليها كثير من
الناس فقال لسليمان « أحطت بما لم تحط به » ، فهل ترى أن الهدهد بهذه
الدراية يستحق أن يسمى عالما . وهكذا كثير من الحيوانات من بني آدم

ليس فيهم أحد لا يدرى شيئاً مصنف [illegible] هذا الأصل وقال إنهم كلهم [illegible]
[illegible] الخبر عنهم مطلقاً وإلا فلا حجة [illegible] فى الآية بوجه من الوجوه

ثم قال : وقد قال تعالى إنباء عن يوسف الصديق : « قال اجعلنى على خزائن
الأرض إنى حفيظ عليم » وعلم هذا لا [illegible] بعلم الحلال والحرام
والواجبات والمستحبات الشرعية ، بل هو علم بالشئون الاقتصادية [illegible]
وطرق جبايته وتنمية موارد [illegible] وصنعه [illegible] أن
يقول [illegible] حتى [illegible] كل [illegible] فيه تمر [illegible]
[illegible] ولا الجهل فيه وإنما
[illegible] شىء آخر .

[illegible] استدلاله بهذه الآية على [illegible] ذو [illegible] للصدد
للحق [illegible] الحلال
والحرام [illegible] . وهذا الملحد لم يحترم مقام [illegible] جعل علم يوسف
عليه السلام [illegible] فى هذه الآية ليس [illegible] هذا
البحث [illegible] حاجة [illegible] للدين [illegible]
من الحاجة [illegible] خاصة
من دون أن يعلم [illegible] الله
[illegible] الأحكام [illegible] شيء
[illegible] . لأنهم يتصرفون فيه بالوحي [illegible] الوحي الذي أوحى إليهم
من العلم الديني ، فكيف [illegible] هو [illegible] الدين وقد قال إنى
حفيظ عليم » فالحفظ إحراز المال ، والعلم معرفة طرق جبايته وصرفه فى
مواضعه المشروعة ، ومعلوم أن أخذه وصرفه يحتاج إلى معرفة الحلال
والحرام [illegible] حلالاً [illegible] كل [illegible] وإعطاء حلالاً ،
وتصريف المال يتناول مقادير الزكاة التى هى أحد أركان الدين وكيفية أخذها
ومعرفة مقدار ما يجب فيه وأجرة [illegible] وكذلك

تفريقه ووضعه يحتاج الى معرفة [illegible] وجه [illegible] وعدم [illegible]
وهذا هو [illegible] الفقه الذي هو من أجل علوم [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible] حلال وحرام ، ولهذا
[illegible] في معرفة معنى [illegible] لأنه [illegible]
[illegible] حلال ولا حرام ولا
يحتج من يشترط في معرفة [illegible] لا يمكن
أن تدخل تبعا للأمور [illegible]
[illegible]
من حلال وحرام ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والعمل في [illegible]

[illegible]
أن النهوض موقوف على [illegible] موقوف على [illegible]
لا يمكن أن يحاط بحال من الأحوال ولا [illegible]
اذن من أن يقول هذا [illegible] وهي
من أقسام العلم عندك ، [illegible]
وليس كل من جسر على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

برهان على أن [illegible] ودعواك أن كل
ما ذكر [illegible] في القرآن لا [illegible] العلم والعقل في
الدين [illegible] ولا يمكنك بحال
من الأحوال أن تصحح هذه الدعوى [illegible] هذه
الاستدلالات [illegible] وحسبك [illegible]
اسم [illegible] أن يستطيعوا [illegible]
وأن [illegible] النصوص
[illegible] ولذلك [illegible]
[illegible] في القرآن
و [illegible] وهي نصوص قطعية ولا
[illegible] والعكس
قضية [illegible] في [illegible] وهناك
حرمة النصوص [illegible]

فصل

قال [illegible] من [illegible] الأشياء [illegible]
أخص وصف [illegible] حلال
واحد [illegible] حكمه [illegible]
الزنا [illegible] الصحة والعقلية والاجتماعية والنفسية
والقانونية بوسائل العلم والتجربة والاستقرائية أم الذي علم ذلك من
طريق النص بدون عقل ومن طريق الشرع وحده لا العقل .

فقلت [illegible] قال كل [illegible] فيما ذكرته [illegible] الذي يعلم
تحريم هذه الأشياء بالنص [illegible]
الصحة لا [illegible] من صدق الرسول [illegible] واعتقد أنه لا

يقول [illegible] لا [illegible] ولا شرط
فلا [illegible] في نفسه [illegible] كاملا [illegible] في [illegible]
في تحريم شيء أو [illegible]
تصديق إيمان [illegible]
ومن كانت هذه حاله فلا [illegible]
هذا الملحد الذي لا [illegible]
الا [illegible]
فانه [illegible] أو [illegible] يكون [illegible]
[illegible]
[illegible] مثلا أو [illegible] من كل [illegible]
بالنص وهو [illegible]
ليس [illegible]
[illegible]
فلا [illegible] شيء
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في شيء [illegible]
[illegible]
بالاستدلال في [illegible] في كل شيء [illegible]
وحده [illegible] الأول [illegible] حينئذ يكون مناط
التحريم هو [illegible]

أنه في هذا النص ، فإن العقول تختلف اختلافا لا ينضبط ، وفي أن توجد
مسألة تتفق العقول كلها على تحريمها ، بل لا يوجد شيء اتفقت العقول كلها
على تحريمه بدون نظر إلى دين ، فإن هذا غير ممكن فلا يمكن القول به ، وإن
فرضت الأول وهو أن تحريمه تابع للنص فهو كالمسألة الأولى التي نكتفي فيها
بالنص ، وإن فرضت [illegible] وهو موافقة العقل للنص [illegible] في
[illegible] من [illegible] الأقسام فلا مانع من النص به فإنما نكون حينئذ مستفيدين
[illegible] النص وقد وافقه العقل ، فلا [illegible] في ذلك [illegible] علم ونص عما تأصل
[illegible] لأن النص هو [illegible] من [illegible] ، وبهذا يبطل قوله
أن [illegible] أحق بوصف [illegible] ، فإنه مردود لأنه خلاف
أصول الدين وخلاف أصول المعقولات الصحيحة ، وإنه لا ينضبط ، ولأن
[illegible] في كل مكان ، والأصول شرع ثابت عامة واضح
كاف في ذلك ولو كان [illegible] هي [illegible] وشاعت
الفوضى [illegible] اهمال
[illegible] وأما النصوص [illegible] من أحسن [illegible]
[illegible] على [illegible] جميعا
[illegible] في [illegible] ، وإن جاء
[illegible] في [illegible] الكتاب والحكم
[illegible] من الأمر
في [illegible] فيما
كانوا فيه يختلفون [illegible] على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء
[illegible] لا [illegible] بعضهم
أولياء بعض [illegible] ورحمة لقوم يوقنون ،
أم حسب الذين [illegible] أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء [illegible] ما يحكمون [illegible] السموات والأرض بالحق

ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن
يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » تشمل هذه
الآيات وما قبلها من [illegible] العظة [illegible] أنه آتى بنى
إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، أي [illegible] لإرشادهم وحصولهم
على الخير كله ورزقهم من الطيبات فأكلوا [illegible] مع شرف
أمره ولكنهم [illegible] لا من أجل قصور فيما جاءهم
من الله من حكم ونبوة أو غموض في الدلالة [illegible] البغى والاعتداء
فكان عليهم ما كان . ثم بين سبحانه أنه أنزل على عبده محمد ﷺ هذه
الشريعة الكاملة الكافية الصحيحة [illegible] باتباعها ففيها الكفاية التامة ،
وهكذا [illegible] ومتى
احتقرت وفرط فيها ولو [illegible] والزنادقة والملاحدة ضعفت كأن
كل قوى عظيم يدخل فيه ما يفسده ويهدمه ، [illegible] سبحانه أن يتبع هذه
الشريعة [illegible] أهواء الذين لا يعلمون لئلا تكون عاقبتهم عاقبة
من قبلهم [illegible] لا يعلمون ، فإن الذى
ينحرف عن طريق الرشد والهوى ويختار طريق الغواية والردى لا شك أنه
لا يعلم ، ومجرد وجود شيء [illegible] كمجرد وجود
شيء [illegible] ثم بين سبحانه أن
هؤلاء [illegible] من الله
شيئا [illegible] ومن كان
[illegible]
[illegible]
[illegible]

يقول عليه ظالمون لأنه اتبع أهواءهم [illegible] هذه الشريعة التي لا بد
أن يتولى الله من اتبعها وإن [illegible] الله شيئا فلا
[illegible]
ونحوها ، فلهذا قيل :

فما من يد إلا يد الله فوقها [illegible] ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] للناس وهدى ورحمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
انشراح [illegible] مكان بعيد لأن أولئك في
قلوبهم مرض [illegible] من الشكوك والريب . فلا تقبل هذه
البصائر ولا هذا الهدى ولا هذه الرحمة [illegible]
جميع الملاحدة [illegible] لا يعلمون [illegible] لا
[illegible] أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾

المعهم قد عرفوا أشنع ضروب المغريات القبيحة اللائقة بهم ، فإنهم أبوا إلا المعاندة والعمى عن هدى الحق تعالى . أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ؟ فى هذا بيان أن كل من خالف الشريعة فإنه لا يعلم شيئا بل هو على غاية الجهالة والضلالة وعمى القلب فلا حظ له من العلم البتة ، فإن من لم يقبل شريعة الله وبصائره ، بل قبل شريعة هواه ، فإنه لما لم يقبل الله إلهه [illegible] يعتمد عليه ويرى فيه الكفاية [illegible] اتخذ إلهه هواه واعتمد على نفسه ورأى أن فيها الاستعدادات والمواهب الكاملة وأن فى ذاته استعدادا كاملا بأن يقدر على كل شىء ويعلم كل شىء ويحصل على كل شىء ويغلب على كل شىء [illegible] هواه [illegible] يعتمد عليه ، فإن الإله هو الذى يعتمد عليه [illegible] ويتصرف [illegible] مطلقا ، فهواه هو إلهه الذى به [illegible] ويطيع [illegible] وينقاد ، فهو معبوده ، [illegible] خبيث مستحق للطرد والإبعاد [illegible] هرب منه وانصاع إلى ضده ، فلهذا ختم الله على حواسه الصحيحة [illegible] قبول البصائر والهدى [illegible] هذا [illegible] على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون [illegible] هؤلاء [illegible] يقولون [illegible] يموت أناس ويحيى بدلهم أناس [illegible] تتولى أسباب الموت وكذلك [illegible] من غير [illegible] عليه سوى [illegible] والإلحاد [illegible]

[illegible] الأوهام والأباطيل كما يتوهم [illegible]

فإنه يظنه [illegible] ولا يعرف حقيقته فإذا مشى على ظنه أنه حقائق ظاهرة وهذا ظاهر
والمقصود أن ما ذكره من أن المعتمد على التجارب والطب من إفادة العلم
بالتحسين والتحريم إنما يمشي على قواعد الملاحدة الذين لا يرون الشرائع
شيئاً معتبراً يجب التزامه كما هو [illegible] الحق [illegible] الذي يعلم ذلك
من طريق النص بدون عقل، وكلامه ساقط، فإنه مبني على [illegible] أي ساقط وهو
رفض النص حتى يشهد له العقل وهذا مبني على أصل ساقط منه وهو
ثبوت وجود التعارض بين صريح العقل وصحيح النقل وأن الشرع حرم ما
يوجب العقل تحسينه. وهذا كله ممنوع [illegible] النص [illegible] من حيث
[illegible] أن ما جاء [illegible] فهو موافق للعقل والفطرة، فدعواه هنا ساقطة
كما هي [illegible] وقوله [illegible] إلى [illegible] هذه الحماقة
[illegible] ولأنه [illegible] شرك
وعبادة الأصنام [illegible] لا [illegible] الاجتماعية
[illegible] الخصوص
[illegible] أن النصوص كافية في
[illegible] الموجب النص
أعلم وأعقل، وأن الذي [illegible] بالوسائل التجريبية [illegible]
أنه ليس بذي علم ولا عقل ولا دين، لأنه [illegible] في [illegible] الأمر
[illegible] من أجل [illegible] بالنصوص ولا
[illegible] في أصول [illegible] الأصنام لا تشهد [illegible]
[illegible] هو جاهل، بل زنديق كافر، لأنه لم
[illegible]
ويقطع بأن ما جاء به هو الحق [illegible] وأن أمره
[illegible] مصلحة لا شك فيها [illegible] وسائل
تجريبية [illegible] وغيرها [illegible] أمره.

فنحن نعلم أنه خير محض، وكل ما نهى عنه فلا شك أنه شر محض، وكيف
نصدق الطبيب الذى نعرف فساده فى نفسه وفى أكثر أموره ونشك فى قوله فى
أبسط دواء ونشك فى [illegible] الذى أوجده من العدم على هذه الحالة
التى هى أحسن المخلوقات، ونتبع [illegible] لا نحصى، وكيف نصدق الطبيب
الذى يعجز عن اجتناب الفساد [illegible] مطلقا ونشك فى رب الطبيب الذى خلقه
وخلق صنعه وكذلك غير الطبيب ممن هو مثله أو دونه [illegible]
والرسول [illegible] أو الاحتجاج ونحوهم فهو
مرتاب شاك وهو لا شك فى كفره، كما لا شك فى كفر من لا يكفره، فكل
من لم يؤمن [illegible] عليه الصلاة والسلام ويصدق بما جاء به تصديقا جازما
لا يخالجه شك ولا ريب فهو كافر، لأن هذا ليس بمؤمن [illegible]
[illegible]
[illegible]
من جهة أخرى [illegible]
كافيا فى ذلك، ومعلوم أن اقناع الناس [illegible] وعبدة الأصنام [illegible]
بالوسائل [illegible] أمر لا يمكن
ولا [illegible] وهذا [illegible]
أن [illegible] فى عهد [illegible] وعبدة الأصنام كما [illegible]
أصحاب [illegible] هذه الأمور الشركية يدعون أن هذه [illegible] مضار
ولا مفاسد [illegible] عندهم وأنها موافقة للعقول لأغراض وأهواء
كثيرة لا تحصى [illegible] ما قوله عن عقلاء المسلمين وعلمائهم وأما الذين فى
قلوبهم مرض فلا شك أنهم يرون أن الذى تحجب الأمور المحرمة لأجل
[illegible] وعوائد عنها [illegible]
عندهم [illegible] أصولهم الخمسة،
ولهذا كان [illegible] كبير من [illegible] عقولهم على

بعض النصوص فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فيكذبون بصفات الله
سبحانه وتعالى كالعلو على العرش وكلامه سبحانه ونحو ذلك من الصفات
المنصوص عليها من آيات وأحاديث لا تحصى كثرة [illegible] عقولهم منكوسة
ذات عن [illegible] فحكموا عقولهم في صفات الله تعالى [illegible]
كأنهم لا يعقلون

[illegible]

فيقال في جوابه :

[illegible] حكمته [illegible] أي واحد
أما لو كانت هذه الأوصاف [illegible] في [illegible]
[illegible] من يشاء ويمنع من يشاء [illegible]
[illegible] وأوهام الملاحدة ، أما إذا
كانت هذه الأوصاف والأوضاع لها أصل [illegible] وقواعد وقيود وحدود
[illegible] ولا يمكن للملحد أن يتعداها ويتخطاها ، فلا شك أن [illegible]
[illegible] عقولا [illegible]
[illegible] سعادة وأصح حياة فخرجوا [illegible]
من [illegible] إلى [illegible] والظلم والفوضى

والمرغبات [illegible] الى العدل والاحسان و [illegible] الكريمة واحر [illegible]
عما كانوا يعانونه من [illegible] شقاء و بلاء
والحصر والهموم والغموم الى الأفراح والسرور والهناء والنعيم فقدوا ميزان
العدل والقسط والنظر الصحيح [illegible] على شرائع
السماوية والأخلاق الدينية — [illegible] وكل وصف حسن ،
فأين هؤلاء العلماء [illegible]
حتى ضرب بعضهم بعضا [illegible] حتى كانوا [illegible]
[illegible] الانسانية من أصناف
[illegible] والقهر المنكر
والدماء [illegible] والاخلاق [illegible]
العام في [illegible]
[illegible]
[illegible]
وما فقده [illegible]
الحر [illegible]
ناقة قد استغنت عنها عصور [illegible] زاهرة متنعمة وما ضرها فقدها ، ولو أنها
اقتصرت [illegible]
فظائع [illegible]
والعادات [illegible]
الأخصال والشيوخ [illegible] الانسانية الضعيفة ، فما
كان الانسانية [illegible] صحيح [illegible]
[illegible]
بل كان [illegible] خير [illegible]
الى غير ذلك من الأعمال الخبيثة [illegible]

عن الأديب [illegible]

فان [illegible] أحق بوصف [illegible] . لا شك عند كل من [illegible] من [illegible] أن [illegible] وكل وصف [illegible]

وأن الملاحدة أولى بوصف الجهل والعناد والخبث وكل وصف قبيح

أن [illegible] بعض [illegible] كل [illegible]

فيهم من [illegible]

[illegible] كلها من شعب الاحد [illegible]

[illegible] وليسوا من علماء الدين بل هم [illegible]

كما تقدم [illegible] على [illegible]

[illegible] كما [illegible] شيخ الاسلام [illegible] عبد الله بن الامام أحمد

في كتاب [illegible]

الملاحدة مع [illegible] وأ [illegible]

الملاحدة [illegible] ولا [illegible] وكل

[illegible]

وأئمة [illegible]

الاخلاق الذين [illegible] من [illegible]

والظلم ، وما كان [illegible] هو

موضعهم اللائق بهم ، وأما في [illegible] اسم

العلم فقد رأيت ما رأيت من الشرور والمظالم التي لا تحصى [illegible]

[illegible] أن ما يصيب المسلمين من [illegible]

عليك ، [illegible] على رؤوس الأشهاد [illegible] في [illegible] كما

[illegible] أولى من [illegible] هو المعروف

ولأنهم كانت أهل عقول كبيرة [illegible] وقد [illegible]

به عند الاسناد فقط [illegible] من أن هؤلاء الأ[illegible] لا

[illegible] وكل من [illegible]
[illegible] كلها
[illegible]

فصل

[illegible] في أصل الشرع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كل من [illegible]
[illegible] أو أصل
[illegible] الأمر [illegible] أدرى
[illegible] مجرد إطلاق علم
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] حديث [illegible]
[illegible] لا حجة له فيه

فصل

قال: ومما يجب التنبيه [illegible] هؤلاء الشيوخ
كراهية المعارف لا يفتأون [illegible] أن العلم (١) لا يمكن أن
يكون شرا ولا أن يكون [illegible] في شر [illegible] الاحترام والتقديس.
[illegible] أن [illegible]

(١) [illegible]

والظلام، وقد عد [illegible] شرا [illegible] في الاجرام [illegible] والطغيان كما وقع [illegible] بالمشاهدة والحس و[illegible] مكايد [illegible] لانه في الحقيقة [illegible] وانما هو [illegible] على الحقد والحسد و[illegible]. و[illegible] من باب [illegible] الحقائق واستسنت في أضدادها. و[illegible] هذه كلها مقلوبة [illegible] بقلبك المنقلب، والاسماء لا [illegible] حقائق، والعلم الذي لا يكون شرا ولا داعيا الى الشر وهو الخير المحض واحد [illegible] ولوازمه وما يلحق به، وأما أضداد ذلك من [illegible] الشر [illegible] وقع [illegible] هذه.

[illegible] في هذه [illegible] الحرب [illegible] هو الذي [illegible] الحروب [illegible] وقد [illegible] كثير من [illegible] في هذه الايام [illegible] و[illegible] عن ما [illegible] و[illegible] من [illegible] كل شيء سواه.[2]

والجواب أن يقال: [illegible] بالبرهان الواضح أنه كان عدوا وخصما لهؤلاء الذين [illegible] و[illegible] كل شيء سواه كما هو صريح كلامه، و[illegible] عدوه عدوا للاسلام والمسلمين، وهو أمر ظاهر لا شك فيه، [illegible] على [illegible] بالأخذ بالدين ونبذ ما جاء به لا شك أنه [illegible] كان عدوا للاسلام متربص به الدوائر، وكيف

(١) يثبت لك من هذا أنه يريد علم الالحاد، لانهم [illegible] بسقوطه

(٢) يظهر هنا لنا أنه يريد به علوم [illegible] الالحاد، لانها هي التي تودي بسقوطها [illegible]

ساغ لهذا المجدد أن يتجاسر بالرد على هؤلاء العلماء وهم لا يقولون إلا الحق
وحقا وسوف [illegible] كلام [illegible] الذي يقول [illegible] لا يؤمن بالله وحده كان يكفيه
على الشر ثم لا يرده ولا [illegible] شيء من [illegible] يشهد به [illegible]
فيسوف عظيم ، وأما سهل بن عبد الله التستري فيدعي أنه صنم من أصنام
الصوفية بل يرد [illegible] على الزمخشري الذي يقول [illegible] الرحمن جل جلاله ، إلخ
فلينظر [illegible] على [illegible] إلى هذا [illegible] [illegible] بين [illegible]
والولاء الخالص للإلحاد وأهله ، وهؤلاء العلماء العظام يقولون الحق لأنهم
رأوا بالمشاهدة و[illegible] هذه العلوم [illegible] حتى تركوا
علوم الدين الأساسية [illegible] وأهلها [illegible] هذه العلوم
الإلحادية هي ما [illegible] لا تعتمد على النفس والعداوة للدعاء
والخطب والصلاة و[illegible] لله لا [illegible] في الأسباب وكون
[illegible] الطبيعة هي التي تحكم [illegible] ، فهذه كلها من
أصول الإلحاد [illegible]
العلوم الإلحادية هي التي جرت على [illegible] هذه الفظائع الكبرى ، فلهذا
دعوا وطالبوا المسلمين [illegible] النيرة القوية الصحيحة
الآمنة التي [illegible] لا [illegible] في [illegible] العلوم [illegible]
و[illegible] والاقتصادية [illegible]
هي الأساس القوي الذي [illegible] بلا ريب ، [illegible] هذا
المنقول عن هؤلاء العلماء [illegible] لا [illegible]

ثم قال : «فكأن الدعاية[1] ضد العلم[2] لا تزال قائمة ولا تزال متصلة
الحلقات منذ كان أولئك الشيوخ هم [illegible] الأول وكان هؤلاء [illegible]

(١) أي دعاية الأخذ بالدين ونبذ ما سواه

(٢) تقدم تصريحه بأنه علم [illegible]

والوعاظ هم الطرف الآخر لها .

فيقال : نعم إن هذه الدعاية [illegible] . وقد [illegible]
[illegible] أو ربما هو [illegible] . لا [illegible] متصلة [illegible]
الشريعة [illegible] إلى [illegible] هؤلاء الشيوخ
[illegible]
قائمة على الحق لا [illegible]
ذلك . نعم إن هذه [illegible] من هؤلاء الشيوخ [illegible]
والمبادئ [illegible] لا [illegible]
الشيوخ الأولون هم الطرف [illegible]
والوعاظ هم الطرف الآخر لها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فصل

قال [illegible]
[illegible]
[illegible]
هي الأحقاد والمطامع والأنانية [illegible]

فيقال : هذا [illegible] عيب ونقص [illegible] هؤلاء هم
الذين صنعوا الحياة وأسعدوا الإنسانية [illegible]
فكيف يقول [illegible] وأسعدوا الإنسانية
ومع هذا فقد [illegible]
الموروثة من عصور [illegible]

العلم والحكمة والسعادة والنور والصحة وغير ذلك من الأخلاق فى صفحها ثم
[illegible] وقد وضح [illegible] السبب الوحيد أن هؤلاء أرادوا
أن يسعدوا بهذه العلوم الأخلاقية عن علوم الدين فى رغد العيش والطمأنينة
[illegible] وسكروا عنها [illegible] لا تنفعهم بل
تضرهم [illegible] حيث ضلوا منها [illegible]
[illegible] الصحيح سيرون على
صوته [illegible] على نظامه ، فالدين هو العاصم
[illegible] الأخلاق [illegible] من المطامع والا[illegible]
والاحقاد [illegible] الأدواء القاتلة ولا شفاء منها الا
[illegible] من تعاليمه الصحيحة المقدسة
[illegible] ونبذها ، فقضى بأن يكون الناس
[illegible] وكالأعضاء فى الجسم اذا اشتكى منه عضو تداعى له
[illegible] ولا شك أن [illegible] الحديثة [illegible] الالحاد ،
كما أن [illegible] وقد تقدمت دعوة [illegible]
[illegible] الأخلاق الحسنة
مقتبس من [illegible] على [illegible]
[illegible] على الملاحدة [illegible]
سواء كان فى عصر [illegible] أو [illegible] ، والالحاد هو [illegible]
[illegible] ، أعاذنا الله منه بمنه وكرمه

فصل

[illegible] وجه [illegible] ،

[illegible] صحيح ، فقد نقضته أيضا فى صحيفة ١٦٩ من هذه
[illegible] الاعتقاد

وأن يعامل [illegible] ويسير ويعمل على مقتضى [illegible] له معتقده ، فهذا
تصريح بمنك من الإنسان عما يعمل على ما يوجبه معتقده ، ومعلوم أن
المعتقد هو العلم الجازم [illegible] الذي يعتمده الإنسان ويعتقده . فإذا كان هذا
العلم هو الذي يوجه ويسير ويعمل على مقتضاه فكيف [illegible]
الطريق فحسب وأن الطباع هي [illegible] ومعلوم أن الإنسان إنما
[illegible] لأنه قد ثبت [illegible]
معارض . [illegible]
[illegible] ، فاعتقده قصده ، والناس [illegible]
فائدة في تعليمهم ، لأن المقصود من [illegible]
والاعتقاد [illegible]
من ذلك [illegible]
[illegible]
عقبه [illegible]
كل ثمرة فإنها تكون من جنس أصلها [illegible]
هو [illegible]
[illegible]

ثم قال « وهذا كقوله تعالى [illegible]
الخير والشر ، وقوله تعالى « فألهمها فجورها وتقواها » وقوله [illegible]
السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » [illegible]
الإنسان [illegible] ،

فيقول [illegible] على مراده [illegible]
[illegible] قال الله تعالى على أغراض تقوم بالإنسان ، فكيف [illegible]

---

(١) [illegible]

نفسه والتمام على كل نفس بما كسبت على أعراض تقوم بغيرها من
المخلوقات ولا سيما الأدلة فيها لا على إراءة الطريق فقط، فإن الهداية نوعان
هداية بيان وإرشاد، وهداية خلق فعل في الإنسان [illegible] فالأول كقوله تعالى
(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) والثاني كقوله تعالى (إنك لا تهدي من
أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وجميع الآيات التي استدل
بها هي من النوع الأول كقوله تعالى (وهديناه النجدين) أي بينا له وخلقنا
فيه [illegible] وهذا [illegible] دعواه في أمر فإنه عنده لا تأثير له مع
أنه نقضه كما تقدم، وكذلك قوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) فهذا دليل
على أنه سبحانه هو الذي خلق فيها [illegible] فإنه أضافه إلى نفسه الكريمة فهي
[illegible] والإلهام [illegible] من تقوى أو فجور. وكذلك قوله
تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) فمعناه كمعنى آية (إنا
هديناه النجدين) فإنه سبحانه هو الذي يخلق في عبده الفعل كما يخلق فيه
[illegible] فاعل مختار بمشيئة الله تعالى ومن خلق الفعل هو [illegible]
[illegible] طبعه وسجيته [illegible]
[illegible] وأما [illegible] فليس
[illegible] كان الإنسان [illegible]
[illegible] في ما [illegible] من الشر [illegible] بمشيئته [illegible] فلا
[illegible] ولا [illegible] أنزل
[illegible] في الإنسان [illegible] وجعل في الإنسان
[illegible] ترك الإنسان قبول ما
[illegible] ولا يكون
الله [illegible] على الشر [illegible] لأنه [illegible]
على نفسه [illegible] وكان حاليا
من [illegible] من نفسه [illegible] الباطل

عن الحق، وقبل عذر من [illegible] من فعل الجبر، ولو أن رجلا ضرب
[illegible] أحدا من أجل جريمة فعلها لشكر الناس من أدبه، ولو ضرب من أجل لونه
أو صورته لكان الناس يعدونه ظالما، بل جميع الناس من المقر بالقدر والمنكر
له. فالفرق بين الفعلين بديهي، والخلاف في ذلك هوس. وكل إنسان يفرق
بين من يحسن إليه ومن يسيء له وإن كان مقرا بالقدر، وما دام كذلك فلا
يسوغ له أن يجادل فيه. وأكثر ما جاء في الإضلال من [illegible] نصوص و[illegible]
في ذلك كما قال تعالى ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾، وكما
قال تعالى ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾
وقال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، وقال تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى﴾، وقال تعالى ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم
يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾، وإذن فالله سبحانه خلق
في [illegible] الإضلال والهداية، ولكنه سبحانه لا يخلق الإضلال إلا في نفس
القابل للإضلال الذي اختار الضلالة، لا يخلقه في من ليس كذلك، ويخلق
الهداية في قلب من يطلبها ويريدها ويعمل لها، ومن ثم لا ينطبق على هذا
الأصل [illegible] وأن من يطلب الهداية بصدق وإخلاص [illegible] قوله تعالى
﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ ومعلوم أنه أمر بأن تطلب منه وهو لا يأمر بذلك
إلا ويعطيها من طلبها بصدق وإخلاص، وأما من استكبر عنها وأعرض فقد
[illegible] طلبه، والله سبحانه عدل لا يضع الهداية إلا في موضعها [illegible]
تقدم. [illegible] فيه ميل إلى الهداية لأن فطرته تميل إلى ما
[illegible] فلا بد أن [illegible] من مقتضاها ولا بد أن [illegible] بعضها، بخلاف من كان
قلبه مملوءا بخليط من الشكوك والشبهات والشهوات والأهواء والأغراض فلا
بد أن تكون هذه الأمراض مؤثرة في صحته وحياته فلا يكون فيه قبول فلا
يلبث أن يمرض فلا يبقى شيء من الهداية إلا بقدر ضعفه وقبوله وحياته، فالله
سبحانه أحكم الحاكمين فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها كما قال

تعالى ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾
فأخبر تعالى أنه ليس فيهم قبول للحق [illegible] وأنه لو كان فيهم قبول له لأسمعهم
من هذا السمع [illegible] الظاهر [illegible] فيه كفاية ، ولكن لو أسمعهم لتولوا [illegible]
موضع القبول فقد فسد كالعود اليابس أو الجسم الفاسد الذي لا يقبل الدواء
فلا بد من أن [illegible] ما ليس [illegible] لأنه [illegible] الأشياء في غير مواضعها ،
ومن كان [illegible] غير مستقيم [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا
[illegible] أن يكون [illegible] لأنه لا [illegible] يكون [illegible] من قول
[illegible] من الأعمال والأخلاق والأقوال [illegible] ومن [illegible] في
[illegible] والعمل ، [illegible] الله [illegible] وتعالى كريم
[illegible] وخاص [illegible]
صادقاً [illegible] أن [illegible] من [illegible] أمر [illegible]
[illegible] في نفسه [illegible] والله
[illegible]

و [illegible] قوله [illegible] شجرة [illegible]

[illegible] الكلام على [illegible] في [illegible]
[illegible] ولا [illegible] في [illegible] لا بد
أن [illegible] في الأعمال [illegible]
[illegible] شجرة الحسنة ، وإذا كان
[illegible] هذا [illegible]
[illegible] في [illegible] معكوسة مظلمة خبيثة
[illegible] على [illegible] والعدل والرحمة
والحكمة [illegible] معكوسة خبيثة [illegible] ، فإنهم مظلمون
ظلمات في [illegible] بعضها فوق بعض ، [illegible] بعض ، ولهذا
[illegible] الله سبحانه [illegible] الأنوار [illegible] بعضها

بعض ذكر الملاحدة ومن شابههم وبين حالتهم وما هم فيه وأنهم في ظلمات
بعضها فوق بعض كما قال تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره ﴾
أي في قلب المؤمن كما [illegible] في [illegible] من [illegible] ﴿ كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ﴾ لأن فطرته قوية صحيحة في
[illegible] ﴿ ولو لم تمسسه نار نور على
نور ﴾ أي [illegible] فوق [illegible] الله فيها من الاستعداد
التام لقبول [illegible] وهي معرفة [illegible]
الله سبحانه [illegible] أخص [illegible]
الآية [illegible]
ذلك النور الأول وقابله [illegible]
هم أهل للهداية [illegible] في بيوت
أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال [illegible]
البيوت التي هي المساجد وذكر الله [illegible]
[illegible] فمن
أراد النور فليحافظ على ذلك [illegible]
يؤدي [illegible]
[illegible] وفي هذا [illegible]
أن المثنى عليه هو [illegible] لا تزكي مطلقا
فقال ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم
من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ وفي هذا بيان أهل هذا النور
وأنهم من هذه صفتهم . وفي هذا بيان أن من هو بهذه المنزلة فلا يخشى الفقر
ولا الذل ، بل يزيده الله من فضله [illegible]

له من أمره رشدا، فلا بد أن يوفق أهل طاعته الى أسباب قوية يأخذون بها
لعز ومجد ولسعادة كما قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فالعزة
لهؤلاء حكم حق وسنة لا تبديل لها ولا تحويل، وذلك بقدر ما مع الانسان
من الايمان. لكن يجب أن نعرف هذا الايمان ونتبعه ثم بين سبحانه وتعالى
حال أعمال أعدائه فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب) وفي هذا بيان أعمال هؤلاء المجرمين وأن الجاهلين ...
وما أكثرهم يحسبون أعمالهم لها حقيقة كما يحسب الظمآن الى الماء أن
السراب ماء ... لا شك أن السراب حق ولا ...
انه حقائق لا شك فيها، وهكذا كان حال هؤلاء المعجبين بهذه الأمور
العصرية ... على شيء، ولكن أكثر هؤلاء لم يجدوا الا
السراب ... عطشا ... أفئدتهم سفها، وهذا في بيان
أحوالهم. ثم بين حال عقولهم وآرائهم في مقابل حال أوليائه وما معهم من
النور والهدى والبصيرة، فقال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقد شبه هذه الموج المتلاطم بتلك
المقالات الفكرية ... في التشكيكات والشبهات، وأخبر أن هؤلاء
في ظلمات بعضها فوق بعض، لأن ظلمة ... معهم، فان الفطرة الصحيحة
قد ... الأخلاق الفاسدة ... وفسدت ...
الظلمة الأصلية ثم جاءتهم الأهواء والتشكيكات فكانت ظلمة فوق ظلمة ثم ان
أضيف الى ذلك الالحاد ونحوه ... ثم بين
سبحانه أن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور، وفيه بيان أنه ليس في
الانسان استعداد ذاتي مستقل للهداية والوصول الى الخير ... ان ذلك
موقوف على هبة الله له ذلك ... ولا ...

به وبدون ذلك لا يكون فيه كمـــال [illegible] مطلقة من الكمالات الصحيحة القوية
المستقيمة لله تعالى، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ودعواه أن الطباع هي التي تبعث سلوكه دعوى فاسدة، فإن الطباع غرائز
كامنة لا بد لها من محرك يثيرها، والمحرك فعل لا بد له من فاعل. وأيضا
فالطباع قد ذكرت أن الشر والخبث [illegible] من الاعتقادات في جوهر الإنسان،
فإذا كان العلم [illegible] الشر والخبث كان العلم دافعا إلى الشر والخبث. وإن
كانت علوما صحيحة قوية لزم أن تكون قاضية على الطباع الخبيثة مانعة لها عن
الإطلاق أي ما يلائمها إن كانت هي التي تدفع الإنسان، وإن كانت ضعيفة
عاجزة عن مقاومتها [illegible] قولك إنها علوم صحيحة [illegible] و[illegible] و[illegible]
عليها، ولا سيما مع تصريحك بأنه علم كل شيء، فإن هذا هو غاية العلم. ثم
دعواك أنها موروثة من عصور الخرافة يناقض دعواك أنها أصيلة غريزية
وأنهم [illegible] صحة الشر والخبث و[illegible] وإنما هي مكتسبة اكتسابا

ثم قال: [illegible] عن [illegible] و[illegible] الاعتقادات و[illegible]
[illegible] من [illegible] شقاء وعذاب.

فيقال أما العلم والعقل اللذان تريدهما فدعواك هـــذه فيهما كذب ظاهر
[illegible]، كيف [illegible] الاعتقادات ونحوها وأنت تقر أنه يجب
أن يكون المانع هو الحقد والعصبية والحسد كما تقدم، **فعلومهم هذه مبنية**
على [illegible] الاعتقادات [illegible] أكثرها مؤسس على تعصب ما توجبه هذه الاعتقادات
فيكون [illegible] الاعتقادات وفعل [illegible] ليس بعلم ولا عقـــل
صحيحين بل هو جهل وفساد نظر، والوهم لا شك فيه.

ثم قال: ولم [illegible] العلم والعقل من وقاية و[illegible] في هذه الحرب،
ولولا هذا لكان الشر أعم وأتم [illegible]، والجهل لا شيء منه خير.

فيقال: هذا إنما يحصل للعلم والعقل الصحيحين، بخلاف ما تدعو إليه من
الجهل وفساد الرأي، [illegible] والأوهام التي ذكرتها إن كانت موجودة.

من العمر [illegible] أن [illegible] طريق الحس . وهنا نضيف
إليه [illegible] هذه الأمور . فما أكثر [illegible] وإن هذه الأمور [illegible] في العقل
الذي صار فيه [illegible] عن [illegible] خصائص الأمور [illegible]
[illegible] واحتج [illegible] ولا لما كان
[illegible] في أمور الحس فقط ولو [illegible] سليم
سلم من هذا الجهل الذي تسميه [illegible] وقد [illegible] أعظم [illegible] ولكن
هذا [illegible] صحيحة

وقد [illegible] كله [illegible]

[illegible] وقد [illegible] محمود .
[illegible] أن
هذا [illegible] هو [illegible] جهلا
هو [illegible] لا [illegible] والشرع
[illegible]
وأخلاق [illegible] كلها جهلا ، وهذا عكس صريح للحقائق كما تقدم

ويعني [illegible] أن
يسمى [illegible] في
أعلاه [illegible] الصحيح
[illegible] في قصة قراءة
وغير ذلك . أما الأمور [illegible] وفيها
وكتبهم [illegible] لأنهم أكثر شاهد على ذلك

ثم قال : ولو كان [illegible] وجدت في عصور
الجاهلية مع أنها في تلك العصور أكثر .

وقل : كل هذا حجة عليك ، لأن هذا الجهل كان فى عصور الجاهلية كثيراً جداً ، فان أولئك الذين شنوا الحروب فى عصور الجاهلية انما حمل أكثرهم عليها اعتقادهم أن فيهم [illegible] ولم يلتفتوا الى الدين ، وأيضاً كانوا [illegible] صحيحة [illegible] فكلما كانوا [illegible] وكان [illegible] وكل [illegible] أكثر [illegible]

الكلام على المبحث الرابع

وهو قصة تعليم المرأة وسقوطها

(عنوان هذا المبحث في أغلاط [illegible])

واعلم أن هذا المبحث ليس هو من أهم مقاصد كتابه هذا، لأن قضية المرأة فيما يتعلق بتعليمها وسقوطها هي ذات قصة طويلة [illegible] عن هذا المبحث. لأن [illegible] فيها بين [illegible] وغيرهم [illegible]، وأكثر الصحف [illegible] والشرعية وغيرها لا تخلو من [illegible] فيها، وأكثر كلامه هنا خلاصة ما [illegible] أخذها عن غيره، وقد فوت مما هو أصح وأكثر [illegible] ولكنه جرى على عادته في التحريف وتضعيف ما ذكره [illegible]، ولا [illegible] ما عنه كما يجب [illegible] في هذه القصة [illegible] فيه الحق بالباطل، ولا تقصد الحق والصدق وإنما [illegible] قصد التكذيب و[illegible] وتشويه سمعة الإسلام على عادته، لأن الغرض الأكبر من هذه الأغلال هو القضاء التام على أصول [illegible] وعلى كل المقومات [illegible] وعلى كل عنصر [illegible]، وقد [illegible] في هذا المبحث [illegible] [illegible] من [illegible] في هذه [illegible]، وقد [illegible] على المرأة في المبحث [illegible] على [illegible] وسفهها وأهدر كل شيء [illegible] حتى [illegible] حقها كأنها [illegible] يجب أن [illegible] شهوته، [illegible] هكذا [illegible] في كل شيء، وقد مشى على طريقته في [illegible] والكذب والافتراء بالدعاوى [illegible] بالحق والباطل، فافترى على المسلمين أنهم يحرمون على المرأة التعليم، وهذا من أكبر الدعاوى وأكذبها ولا نعلم شعبا ولا أمة موجودة من المسلمين حرمت على بناتها العلم والتعلم النافع، ولكنه [illegible] عنه [illegible] وهو الإلحاد وطرق الفساد.

فإن هذا الملحد [illegible] أن يرتد و[illegible] في كل شيء [illegible]
لو عكست أكثر كلامه لكان هذا الأكثر هو الحق [illegible] جميع أصول
الحق باطلا وتصور أكثر أصول [illegible] مكانا على وجهه
بعد أن كان يمشي سويا على صراط مستقيم ونحن نكتفي بهذه القصة كلمة
مختصر مفيد [illegible] على جميع [illegible]
قال أول البحث

(أ[illegible]ن أم سلعة)

[illegible]
[illegible]
[illegible] على كل [illegible]
[illegible]
والكرامة [illegible]
الزوج [illegible]
[illegible]
من الموسيقى [illegible]
[illegible]
وتجيء وتذهب كالساعة المهملة كيف [illegible]
السلع البهيمية المبتذلة ، فالأخلاق [illegible]
فلم تدع إلى خصلة النائمة [illegible]
عاملك أن [illegible] على [illegible]
مستندا إلى حجة [illegible]
لها ، و[illegible]
يأتي من الأخلاق الحسنة [illegible]

النساء لا يمكن ذلك، وهذه كتب عديدة مملوءة بإيجاب تعليم المرأة وتهذيبها وتأديبها . ولكن كل أخلاق النساء عندنا هي الجبن وهي الصمت والشقاء والعبث . [illegible] من الإنسان والسعة ثم إثبات كون النساء [illegible] صحيحة . ومن مجرد الكذب والفجور فكل [illegible] لا يعجز عنه ولا [illegible] . بل هو [illegible]

فصل

قال [illegible] من أغرب [illegible] في تمرة نتائج التشرف .

[illegible] من أغرب التعصب [illegible] في [illegible] بدعاية إلى حجابها [illegible] في صفات [illegible] والعمى [illegible] أن النساء [illegible] العموم [illegible] ولا العموم [illegible] وصلاة وطهارة ونظافة وغير [illegible] بعضها وشيئا [illegible] من الأمور الكثيرة المشروعة . وكانت تعلمها كل [illegible] وما يحتاج إليه من [illegible] على المرء . ولا يمكن بحال من الأحوال أن [illegible] أو ضعفه معدودة من صوائف النساء حتما . وهذه الأمور [illegible] هي [illegible] عندك . وقد أفصحت [illegible] في [illegible] وهو الخبث والمكر وتعليم الموسيقى ودقائق [illegible] ونحو ذلك من أخلاق [illegible] والمتحدين [illegible] . وهذا هو الذي تقصده [illegible] من [illegible] كان الأمر هو هذا كما [illegible]

وربما قاربت الصدق ، لأن أئمة المسلمين حرموا هذه الأمور عليها ولا سيما الشطرنج والموسيقى والرقص واللعب والخلاعة والفجور والدعارة والمنكرات والاستهتار الشنيع . فلا غرابة إن لم تشنع عليهم في هذا التقصير وتنسب إليهم كل جهل وضلال ، لأن الجهل والضلال عندك هي الأخلاق الأدبية وما يتصل بها .

إن كل فرد من أفراد المسلمين يعلم حقيقة المرأة وأنه لا يوجد رجل ممن يعتد بقوله يمنع امرأة من تعلم ما ينفعها في دينها ودنياها . وهذه عقائد المسلمين يخاطب بها الرجل والمرأة ، وهذه كتب الفرائض والحديث والتفسير والفقه وغير ذلك كلها صريحة في الدلالة على وجوب تعليم المرأة ، وهذه المعارف كذلك . فكيف يدعي هذا الكاتب أن الناس حرموا على المرأة التعليم ويجاهر بذلك بدون خجل ولا حياء ، ويعلم مع ذلك أن المسلمين لم يحصروا التعليم في طريقة واحدة محدودة تحديدا شرعيا ، بل كل وسيلة أو طريقة يتحصل عليها الإنسان بمعرفة دينه ودنياه فهي مشروعة ، لكن المفروض منها معروف ، والمحرم منها معروف ، وما سوى ذلك فالأصل في الأمور الدنيوية الإباحة ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما نص الشارع الحكيم . هذا في المقاصد . أما الوسائل فهي تابعة لها . فكل وسيلة يتوصل بها إلى واجب أو مشروع فحكمها حكم مقصدها ، وعكسه كذلك حكمه حكم مقصدها . فطرق التعليم على حسب الأفكار والأقطار ، فإن حصلت بها الفائدة المطلوبة من العلم فهي كافية بحسب الحال والقدرة والحاجة ، وفوق كل ذي علم عليم

واعلم أن هذا الكاتب صور المرأة في هذا المبحث في نظر المسلمين صورة مشوهة منكرة مرذولة ، فادعى أنها عندهم كالسلعة تباع وتشترى ، وأنها مدفونة في بيتها لا حق لها في الخروج مطلقا ، وأن التعليم عليها حرام ، وأن كلامها مع الأجنبي ولو لحاجة حرام ، وأنها مع الرجل كالمملوكة مع المالك يتصرف فيها كيف شاء وكيف أحب على ما يقتضيه هواه وشهوته وأنانيته وغير ذلك ،

تمى مع الرجل [illegible] الحقوق من كل وجهة وعدد [illegible] [illegible]
[illegible] على شعب أو أمة [illegible] [illegible] أعدى عدوّها

وقال : وقد استطاع الرجل أن يحكم فيها تحكما عجيبا ، وأن [illegible] أن
يقتلها بأحكامه الجائرة الضعيفة ، فكان [illegible] على حسب ما شرع لنفسه وما شرع
له واضعو القوانين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سلعة تباع وتشترى
وتوهب وتستوهب ، وأن يستمتع بها كيف أراد [illegible] [illegible] [illegible]
عليه بالحصر [1] أو الأجر [illegible] [illegible] [illegible] واحد [illegible] [illegible] ولا
يحصى من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] كيف صرح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سواء
كان [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صورة [illegible]
فقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أن [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بشرط أن لا يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
هو [illegible] فلو مثلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
هو صريح كلامه ، فانه أنكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الصور [illegible] [illegible] في صور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد
صرح تصريحا لا ريب فيه بعدم جوازه ، وفرق بينه وبين ما يسميه الانسان
[illegible] [illegible] [illegible] صحيح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحقيقي [illegible]
وكذلك أنكر ما يسمى [illegible] [illegible] [illegible] حقيقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
يسمى [illegible] [illegible] حقيقة [illegible] الأمر [illegible] ، وليس [illegible] [illegible]

---

[1] [illegible] ما المتراضى عليه بالجعل هنا صريح في بيان الحالات التي يسوغ فيها
[illegible] [illegible] [illegible] بالتفصيل [illegible] [illegible]

زواجا غير الزواج الحقيق والزوج [illegible] حقيقته [illegible] وهو [illegible]
كيفية الزواج الصحيح حتى يقف [illegible] زواجا آخر [illegible] ومعلوم أن الزواج
الصحيح هو الزواج المعلق في عرف الناس [illegible] يطلق على الزواج الصحيح .
واذا قيل هناك زوج وهناك [illegible] واجا عرف الناس أن احدهما صحيح
والآخر باطل لعدم وجود [illegible] ولا [illegible] صفة [illegible]
يبق إلا صورتان من الصور التي ليست [illegible] عليه
بالحس والآخر . وهذا قد صرح [illegible] عليه
عليه دون آخره وهذا [illegible]
مطلق . واذا كان لا [illegible]
[illegible]
أنه [illegible] ولا يجوز [illegible]
منه [illegible]
التحريم [illegible]
هذه [illegible]
الواقع [illegible]
وهذا [illegible]

---

(١) والحاصل أنه لا يمكن أن يطأ الرجل المرأة [illegible]
وهو الاعتراف [illegible] كله . واما بالرضا [illegible]
[illegible] بالرضا [illegible]
[illegible]
[illegible] وهو [illegible]
(٢) ولو [illegible]
(٣) المكابرة في [illegible] معروف [illegible]
شيء) مع أن [illegible]

عنها، ومن هذه من العلوم المنكرة التي وضعها المنتحلون من الأديان كما يقول، فلهذا حاربها في حقائقه الأزلية الأبدية . وبهذا وأمثاله من الصنائع يتبين لك أنه عدو للصنائع كلها كما هو عدو للأديان السماوية . وهذا الملحد كما أنه سلك في كل حق أشنعه وأفظعه وأخشنه فهو كذلك [illegible] أن يبحث في هذا الخلق أشنعه وأخشنه وأفظعه . وذلك أن تستغرب هنا منه فان في أغلاله من الصنائع [illegible] على مقام الربوبية [illegible] ما هو أعظم من هذا ، فإنه لا يعلم كافر [illegible] على ما أجرى عليه مع كونه مريد منافق [illegible] بكل خصلة من خصال [illegible] . وهذا [illegible] لا بليد جاهل لا يفهم مغزاه ومرماه أو ذو هوى قد ضرب الله قلبه بالطبع والختم والأقفال والأغلال

ثم قال [illegible] جميلا وحكمه فيها مثل نظره إلى ما [illegible] عليه بالبيع [illegible] ومثل حكمه فيه . وكان له أن يفعل كل ما يرضى غرائزه بدون معارضة وبدون قانون [illegible] أو عادة أو عرف . فكان من بعض أحكامه عليها أن تمنع من النظر وأن توضع على عينيها حجابان كنعلين يحولان بينها وبين الأبصار خيفة أن تنظر إلى رجل آخر . وهذا يغضب غيرة مالكها وسيدها [1] والحجاب الكثيف [illegible] الموجود اليوم بقية من بقايا ذلك الحجاب وكان أيضا من بعض أحكامه أن يضع رجليها في قيود طول حياتها أو زمنا طويلا من حياتها وأن يمنعها الخروج منها كذلك [illegible] الأغراض وأن يحرم عليها الضوء والشمس والسماء وأن لا يباح لها

---

(1) إذا كان [illegible] هو [illegible] وسيدها [illegible] فكذلك [illegible] هنا [illegible] المقصود [illegible] فيها ترى [illegible] ولا [illegible] عن شيء مباح أصلا وأيضا فهو منقوض بنساء كثير من البادية فإنه لا يعرف عندهن الحجاب ويوجد أيضا من بعض النواحي من لا تحتجب المرأة عن الرجل أصلا ، ومع ذلك فالرجل [illegible] عليها في كل شيء

الكلام ولا الملكية أى ملكية الأموال والعقارات [1] وأن [illegible] إبداء
الرأى والتعليم وأن يقضى عليها بأ[illegible] [illegible]
فليس لها روح .

وا[illegible] أن [illegible] كل [illegible] [illegible] وتحو
لا شك فيه يقصد به تشويه سمعة الاسلام [illegible] في [illegible]
عن الا[illegible] [illegible]
[illegible]
فحرموها الملكية مطلقا وجعلوها [illegible]
وتعطى علفا بمقدار تعبها [illegible] جوعها وعراها ، فكلفوها [illegible]
الأعمال [illegible]
[illegible] التي يفعل بها [illegible]
[illegible] احترموها وقدروها
[illegible] والراحة والهدوء [illegible] في
البيت لا يقضى بكونها كالسلعة فان [illegible]
أكثر السلع تعرض في الأسواق [illegible]
[illegible]
بالسلع ، فأكثر [illegible]
بعقود معلومة الشروط . [illegible]
دخول المرأة فيه حتى يصح له [illegible] لا [illegible]
ثم انه عاد الى بحثه فى الخداع فقال [2] :

[illegible]
(٢) أى لما علم أنه قد أسرف فى الكذب [illegible] الخداع .
[illegible]

«وقد جاهد الإسلام جهاداً عظيماً في سبيل المرأة لإنقاذها من هذه المظالم ولتحريرها من هذه الحروب الممقوتة، ففرض لها حقوقاً عظيمة، ورفع عنها آصاراً وأغلالاً. وعمل أعمالاً جليلة لإعطائها النور والحياة الصحيحة. وفك عنها [illegible] القيود وجعل حقوقها الواجبة المشروعة تتلى في الصلوات وفي كل مكان، وأمر [illegible]، ووجه لها الخطاب والأمر والنهي كما وجهه إلى الرجل سواء، ورفع عنها كل إكراه وقهر في كل [illegible] ورفع عنها إكراه الأب والأخ والأقارب كما رفع إكراه الزوج وأقارب الزوج، وقد فرض لها الميراث كما فرض للرجل، وأكثر من وصاياه بها [illegible]، وقد جمع حقوقها [illegible] كل [illegible]. وكان من النصوص القاطعة الواضحة في هذه القضية قوله تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف. وليس هناك إنصاف [illegible] في التصوير أخص وأكثر من هذه الإنصاف [illegible] في كتابه المقدس تغليباً حقوق المرأة ووضعها في موضعها الطبيعي»

وقال: [illegible] أن [illegible] هذا الإنصاف [illegible] الجهاد الذي جاهده الإسلام في [illegible] كل حقوقها [illegible] حقوقاً [illegible] جميع الحقوق التي فرضها الله لها وعليها لم [illegible] الحقائق. وذلك أن الله [illegible] الواجبات [illegible] كل شيء كما فرض [illegible] والاستفادة منه، وأعرضت عن ذلك و[illegible] حيث لا فائدة فيه، واجتهدت في [illegible] وحد ذكرته لها في هذا المبحث كله أي في الكتاب كله وقال [illegible] في حقها، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف و[illegible] درجة. [illegible] هذه الحسنة [illegible] المحافظ لا [illegible] توافق هواه. ومعلوم أن هذا الإنصاف لم [illegible] [illegible] أن رجلاً قال [illegible] والمستدل

دالة على إكمال الصلاة وترك قوله تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) ؟
لكان محرفاً للآية لم يقل ما قاله الله . فكذلك من يستدل بقوله تعالى (ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف) ويترك (وللرجال عليهن درجة) ، فأخبر تعالى
أن للرجال عليهن درجة وأنت سويتهن به وزدت عليه بأن تعليم المرأة أوجب
من تعليم الرجل وادعيت أنها مثله في كل شيء وقال تعالى (وليس الذكر
كالأنثى) وأنت جعلتها مثله في الحقوق صريحاً في القول وأنت الإنصاف ،
وفرض الله لها نصف ميراث الرجل وأنت جعلتها مثله بل هي أحق منه ،
وفرض على الرجل وأقاربه تأديبها فقال تعالى (فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن) وقلت بمنع الإكراه ونفيه ، وأمر أباها وأخاها
وغيرهما من الأقارب بتزويجها ولا حد عليها إذا ما أرادت أن تعمل ما
تحب بنفسها وشرفها وما سوى ذلك وذكرت أنه مرفوع عنها الإكراه دونه تفصيل ،
وفرض عليها الزواج وأنت أنكرت ذلك صريحاً فجميع ما جعل الله لها من الحقوق
الإنسانية جعلتها بنفسه وتشوهه ، وجميع ما صنع في سببها من الأشياء
الحسنة كالعفة والصيانة والإكرام والإحسان لم تحولت بغيره وتبدله بالأمور
القبيحة المنكرة ، فدعوتها إلى محرمه وهتك عرضها وجعلها كموضع الحاجة
للرجال ، فما هي الخصلة الحسنة الدينية التي تنفع المرأة مما حثثت عليها ودعوت
إليها ، فكل ما جعله الله من حقوق المرأة بدلته وكل ما حرمه الله أحللته في
قواعدهم أعظم الحلول والاستيلاء الكامل وقدمته على كل شيء فقد عدلت عن
الحق عنه

فصل

قد يقول قائل قال إن تعليم المرأة أوجب وأفضل من تعليم الرجل من
أجل ما ذكر ومن أحق ما ... لكان قوله باطلاً وما كان قائلاً بغير حق ،
ولو أن قائلاً قال لأمه إني لا أتعرض لك ... أو

قال إن الأمة التي لا تعلم نساءها لا [illegible] في أن تعلم رجالها ، تعلما صحيحا مجديا . أو قال إن الأمة التي تعلم نساءها ونقصد بلا شك التعليم الصحيح المثمر ، فلا محالة أن [illegible] رجالها إلى التعليم . [illegible] ، أو قال إن من أظهر الأسباب في انحطاط [illegible] وتأخرهم عن الآخرين وعجزهم في كل الميادين جهل المرأة . أو قال إن الأمة التي تعلم نساءها [illegible] رجالها لأفضل من الأمة التي تعلم رجالها [illegible] . أو قال علموا المرأة [illegible] فلا أمسكم بالشفقة والإحسان ولا تخشوا [illegible] فلا [illegible] هذا كله أو قال بعضه لما قال له [illegible] أحسنت .

[illegible] ما شاء الله يا فيلسوف الزمان ، من أين [illegible] هذه الفلسفة الدقيقة والسياسة العظيمة ، لقد كان الناس [illegible] في [illegible] [illegible] كل هذا البعيد وجمعت أط[illegible] في عشر [illegible] [illegible] على مثل هذا [illegible] .

[illegible] أحسنت [illegible] ، لأنه شبيه بالهذيان [illegible] ، وكيف يقول [illegible] على قائله أن [illegible] في وجهه ، ولو أنك حملت أقصى [illegible] في هذه المسألة [illegible] بعض الكتاب الذين شاركوك في هذا الرأي لكان [illegible] . فقد قامت كثيرون من الكتاب وغيرهم [illegible] ذكرته في هذا البحث كله ، وبينوا أن تعليمها التعليم الذي تريده هو [illegible] الفساد و[illegible] كله ، وأنه ما من أمة

تعمت [illegible] هذه الجولات التي تدعو إليها إلا كانت عاقبتها الفشل والتقهقر.
ونحن ننقل جملة واحدة للدكتور [illegible] وتحدث [illegible] لا هوادة فيه [illegible] [illegible] [1] [illegible]

[illegible]

الأحمرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible] ١٩٤٧ [illegible] ٨٥ [illegible]

(٢) قد [illegible] من هذا [illegible] [illegible] [illegible] ديانا بل لأغراض [illegible] [illegible]
وعداوة الأديان

الأمة وتخرجها من الوصول إلى كل شيء بتعليم المرأة فقط ، وقد عرفناك عن تعليم المرأة ما هو ، وأنه يريد منه إفسادها وقذفها بالخبث كله ، لأنه يعلم أنه إذا فتح هذا الباب المشئوم حصل الفساد العام والفوضى والسقوط المعنوى ، وهذا هو الغرض الذى وضعت له هذه الأغلال . ولو أن هذا الملحد اقتصر فى هذه المسألة على نشر المقالات فى المجلات والجرائد ونحوها كما فعل بعض من يرى ذلك مع أن كل من تكلم فى هذه القضية ممن يرى السفور لم يتجاسر أن يصل إلى ما وصل إليه هذا من الخبث والجنون والاستخفاف المنكر ، ولكن حمله الخبث نفسه وحرصه على [illegible] على إدخال هذه المسألة فى هذه الأغلال ليكون حقيقة مثبتة وتكون كامنة فى الحائط . ولأنه قد انهار خلقه الدينى ذهبت أخلاقه فى كل قضية فسيحاول إلحاق أخلاقه إلى الأخلاق فى غاية الخبث والمكر والقذارة والدناءة الدنيئة . فهذا سولت له نفسه الساقطة أن يحرض قومه على أن يهتكوا أعراضهم ويبرزوا نساءهم ويعلموهن طرائق الفجور والفسوق مؤملا أن يخرج هو وأحزابه بنصيبهم من كل خبث وفساد معنوى . قاتل [illegible] من موجبات مكره وخبثه . ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

ثم ذكر أن أكثر أسباب الانحطاط [illegible] جهل الأمهات وعدم التعليم ، وهذا غير مسلم ، وليس فيه ما يتعلق به ، ولو فرض على وجه الجدل ووقوع بعض شيء منه [illegible] فى الواقع [illegible] وجب تعليم المرأة وتربية أولادها وحثها على ذلك كما تقدم فلا حجة له فى ذلك

ثم ذكر أحاديث تتضمن أن المرأة كانت تكلم الرجال فى زمنه عليه الصلاة والسلام وأنه لم يحجبهن أحيانا كالمرأة التى عرضت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر قصة ابنتى شعيب عليه الصلاة والسلام اللتين سقى لهما موسى عليه الصلاة والسلام وذكر قوله تعالى يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا الآية وكل هذا الذى استدل به لا حجة له فيه

من هو حجة قاطعة عليه . لأن تخصيص هذه الخصوصيات وهذه الوقائع دليل
على أن المرأة لا تكلم الرجال إلا في مواضع مخصوصة للحاجة فقط ، وهذا هو
قولنا كما تقدم شرحه ، فلو أن المرأة كانت كالرجل في ذلك الزمان تحضر
المجالس كما يحضرها الرجال وتختلط معهم وتكلمهم ويكلمونها في كل حال ،
وليس في هذه الدلائل المذكورة ما يفيد شيئا من ضد ما ذكرناه كما هو واضح ،
ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يخص لهن صفوفا ويحددهن في الصلاة ولم يكن
يصلين بين الرجال في صف واحد لا في صلاة عيد ولا جمعة ولا غيرها ، ولم
يكن يحضرن المجامع التي ليس فيها ذكر الله والشريعة ، وهكذا كانت جميع
الوقائع التي كانت المرأة تجتمع مع الرجال وتكلمهم فيها فإنها لا تخلو من قصد
الحاجة الماسة . ثم إن الأدلة التي في الصحيحة تدل على أن المرأة كانت تعلم هذه
الأحكام الدينية وتتابع على [illegible] وهي تربية الشرف والعفة و [illegible] وقتل
الأولاد وأنها [illegible] بالأدب ، ومحبة رسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه
الأدلة جميعها لا تدل على أنها لا تعلم مع تعلمها التي يدعو إليها من تقصدها
غاية المقصد ، من تعلم الموسيقى والشطرنج والمسكر والحب والرقص و [illegible]
ودقائق الفلسفة ونحو ذلك لا يتفق مع هذه الأخلاق ، من هذه التعاليم تثير
[illegible] والشرف وذلك التوحيد واقتراف البهت و [illegible] ، ولا يحسنه [illegible] الا
بالحب هذه الأخلاق الفاسدة والاقتصار على تعاليم الدين وما يحتوي ذلك
من تربية الأولاد وعشرة الزوج وأمثال ذلك ولهذا فإنه لم يستطع [illegible]
نقل الأدلة كلها لأنه يهدم بناءه من فوقه [illegible] أيها [illegible] جامع
المؤمنات [illegible] فيقتصر على هذه [illegible] وهذا من [illegible] وحرصه على
كتم الحق

فصل

قال : وقد جمعت وهذبت بعض الأمثلة التي تخرج [illegible] الحقائق [illegible]

المنسوبة الى براهين ذهنية تقتضيها عدمها أو جوازها لأحد بها . وإذا
ما رأيت أمة غير عارفة بالدين مما تجد من مسكرات لعقل الانسان
محرمة أو مهملة محبة وتجرمه فاعلم أنها أمة فاشية بريئة من النسب وعقلها
ودينها .

ونحو [illegible] أن يقال لقد علمت أن [illegible] وبحثت في [illegible]
حقائق [illegible] محسوسة . فإن كانت هذه الحقائق [illegible]
معروفة بالنظر [illegible] حقائق [illegible]
من أهل [illegible] والمحسوس
[illegible]
ان كانت هذه [illegible] ولا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وحينئذ [illegible] هذه [illegible] لا
يوافقك على صحتها [illegible] وهم
الأكثرون . ومعلوم أن قولك ليس بأولى من قول [illegible] فتكون
المسألة محتاجة الى اقامة براهين على ثبوت خلاف فيه . ولا بد لصدق
عقيدة أن تكون من الحقائق [illegible] فلا بد من اقامة حجة عليها .
ولولا اقامة البراهين على كل ما تدعيه [illegible] لم يتبعك على قولك
أحد الا أن يريد أن الناس يصدقون قولك ويتبعونك في كل ما تدعيه وأن كل

ما تقوله فهو من الحقائق النورية والمعرفة وأن تكون المقدم في كل أمر كما
تقول وتدعي . والا فمعلوم عند الناس كلهم أن كل مبتدع بدعوى هي محض نزاع
وخلاف لا يجوز له أن يقول خصمه إن هذه التي فيه حقائق سائرة مموهة
يجب على الناس قبولها وأن تنصب البراهين عليها حتى وهو بين وقش ومرض
في العقل والتفكر [illegible] ما فيه هنا كلام ساقط لا يقوله من يدري ما
يقول ولا يسمعه إلا كل مجنون

ودعواك بعد هذا ، أن الوجود شيء من شئون حضرتي الخاصة ، فيقال
لك لو صحت هذه الدعوى لما كان الناس دخولا فيه ، فإن كل الوجود
هو الأحمد [illegible] بدون مخالفة فلا شك في هذا أنك حدث أعظم
الوجود ، فإنك حدث عن قول بعض ملاحدة الطبائعيين وبعض أهل الهيئة في
أقوالهم في حدوث العوالم كالشموس والأقمار والنجوم وحدوث الأرض
والجبال والنبات والحيوان مع أنهم مختلفون في ذلك مضطربون فيه . وأخذت
بقول بعضهم وصدقت به حرفا واعتقدته واحتججت به مع أنك لست من
أهل المعرفة بهذه العلوم [illegible] فجعلت نفسك وجودا نفسا أعني
وجودا لا حصر له . ثم إنك مع شدة هذا الوجود تباع في مخالفة النصوص
والتمحص من دلالتها واتباعها ونصرتها على هواك ، وما خصومك إلا من
تراهم بوجود [illegible] كانوا [illegible] تمسكوا بما فيه ربهم تعالى وتقدس
ونبيهم ﷺ ممتثلا لأمره . وتسميتك لهم جنودا لا يضرهم شيء فإن الله تعالى
﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾
وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال تعالى
﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا ﴾ إلى قوله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ والآيات في هذا
أكثر من أن تحصى . [illegible] هو المقصود من الرسالة فأين تمسك هؤلاء

[illegible] إن كان هذا التمسك يسمى [illegible] من حوادث [illegible]
لصالين الظالمين ومن هذا حذوهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا

فصل

واعلم [illegible] في مسألة [illegible] المرأة ، وقد [illegible] هو [illegible] في
اصطلاحه ، و[illegible] على المسلمين في تقصيرهم في تعليمها ، بل ادعى أنهم [illegible]
[illegible] وقد تقدم الجواب عن [illegible] مسئلة السفور [illegible] به أمران :
أحدهما عدم تغطية وجه المرأة [illegible] عند مواجهته للحاجة بدون خلوة
وهذا فيه خلاف والجمهور على [illegible] خلاف [illegible] وأن
المرأة يجب أن تكون [illegible] في كل [illegible] في الخلوة معه والذهاب معه الى كل
مكان [illegible] كالاجنبي في ذلك ، وهذا
هو [illegible]
[illegible]
[illegible]
لا حاجة الى نقلها كلها لأنها معلومة في [illegible]
[illegible] فقط [illegible]
مراده بالعلم في المبحث [illegible]
[illegible]
كلامه [illegible] المختصر ، [illegible] شيئا من كلام بعض
الكتاب المشهورين المعاصرين في هذه المسئلة [illegible] ما فيه [illegible]
بعض كتاب هذا العصر الذين شغفوا [illegible] ، ولكنهم
لم يصلوا الى ما وصل اليه في العداوة [illegible] الاسلام [illegible]
المرذول . لهذا استحسنا أن نقابل [illegible] منها ، وقد

اقتصر على نقل مكاسب الشرقيين [illegible] محمود [illegible] ومصطفى المنفلوطي . قال العقاد :

المرأة [1]

«ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة» «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» «للذكر مثل حظ الأنثيين» «إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم» «وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين» .

ميزان العدل الصحيح هو التسوية [illegible] حقوق [illegible] وواجبات [illegible] وليس من العدل أن تسوى بين اثنين مختلفين في حقوقهما [illegible] بل هو شر من [illegible] لأنه هو وضع الشيء في غير موضعه وهو [illegible]

والتسوية بين حقوق [illegible] وواجبات [illegible] [illegible] وهو وضع [illegible] في موضعه [illegible] [illegible] الحقوق وجميع الواجبات لأن الطبيعة لا [illegible] صفات الجنس [illegible] [illegible] من الاختلاف بين الذكر والأنثى في [illegible] لجنس الرجال قط في تاريخ [illegible] على اختلاف البيئات والحضارات [illegible] واحدة وهي [illegible]

---

(١) ص ٤٥ الفلسفة القرآنية ، وقد استعمل لفظ [illegible] في [illegible] المواضع من كتابه

جعلته القرون الأولى سببا صالحا لتعيين هـذه الفوارق العقلية بين الرجال والنساء في جميع الأمم لأن الجهل كان حظا مشتركا بين الجنسين ولم يكن مفروضا على النساء وحدهن دون الرجال . ومن زعم أن الرجل فرض الجهل على المرأة فقسره وأدعت به فقد قال انه أقدر من المرأة وانه أحوج الى العلم وأحرص عليه منها . وليس الاستبداد في القرون الأولى سببا صالحا لتعليل تلك الفوارق لأن استبداد الحكومات كان يصيب الرجل في حياته العامة قبل أن يصيب المرأة في حياتها العامة أو حياتها الخاصة . ولم يمنع الاستبداد طائفة من العبيد المسخرين أن ينبغ فيهم القوال الفصيح والشاعر السابق والواعظ الحكيم والأديب الظريف .

وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل في الأعمال لقلة اشتغالها فيه المزاولة تلك الأعمال لأنها أولى أعمال البيت فوق السنين ولا يزال الرجل يبزها في هذه الأعمال كالشيء صاحبها فهو قد سبقها في الطهو وفي تفصيل الثياب وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشتركان فيه من أعمـــال البيوت . وقد رجع الأمر الى اختصاص بصنعة فيحتفظ الرجل فيها بتفوقه على رغم من استعداد المرأة لهذا الاختصاص من أقدم عصور التـــاريخ ، فالنوح على الموتى عادة عرفت بها المرأة منذ عرف الناس الحداد عـــلى الأموات ولكن الآداب العالمية لم تخرج لنا يوما قصيدة من قصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون أو المتعلمون . وقد كان أكثر الشعراء في العهود القديمة من الأميين بل هناك خاصة نفسية لا تتوقف على علم ولا على الحرية ولا نوع العمل أو الوظيفة في المجتمعات أو البيوت وهي خاصة الفكاهة وحسن تصور المهازل والنكات التي يلجأ اليها الناس حين يحال بينهم وبين التعبير الصريح . وربما كان الاستبداد والضغط الاجتماعي من دواعي تنشيط هذا السلاح الخفي في قرائح المستعبدين والمغلوبين ، لأنه السلاح الذي يتقي به المغلوب ضعفه والمستعبد الذي يفرج به عن ضيقه

وحوزته ، وقد كان ضعف الرجال على النساء خليقاً أن يغريهن باستخدام هذا
السلاح يعوضن به القوة المفقودة والانتقام للحرية المسلوبة ، ولكن الآداب
في جميع الأمم تنهى عن [illegible] وحدة أصعب [illegible] عن الرجال كما تنهى الرجال
المعدودين في الأمم المتداركة أو المحكومة على السواء ، وكانت في تصوير
[illegible] واحتيالها على [illegible] وفروق [illegible] وهذه
الشكاية [illegible] يقصدها من ضعف الرجال ظلم
ولا جهل ولا فاقة ولا عجز عن عمل في ميدان [illegible] أن
يتجاهل المتجاهلون هذه الفوارق وهي ثابتة من [illegible] بين الرجال والنساء ،
وما كان للعلم أن يوجد شيئاً لم يكن له وجود في الواقع وفي تفكير العقول ،
وإنما هو أساس في مقام البحث أو مقام العقل ، وقد أقام الفرق بين
الجنسين على الأساس [illegible] ويقين [illegible] وضع
أساس الاستعداد الطبيعي وأساس التكاليف الاجتماعية . الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فهي
قوامة مستمدة من التفوق الطبيعي في استعداد الرجل ومستمدة كذلك من
فرض الرجل أعباء المجتمع وتكاليف حياة البيت فهو أقدر من المرأة على
كفاح الحياة ولو كانت مثله في القدرة العقلية والجسدية ، لأنها تنصرف عن
هذا الكفاح مراراً في دور الحمل والرضاعة وهو الكفاح الذي يتطلب معاشه
وتوفر الوقت عليه في الحرب والسلم وتيسير أسباب الراحة والطمأنينة
للبيت . وكلاهما من ضرورات تقضي بها وظائف الجنسين ويقضي بها توزيع
العمل في البيئة الإنسانية كلما تقدم الإنسان وتشعبت في نفسه وفي مجتمعه
عوامل العطف وملكات العقل وخصائص المزاج ، ويقضي باختلاف الحقوق
والواجبات . وذلك اختلاف لا يجوز لأحد أن يفر من الاعتراف بها وتوجيهها
إلى وجهتها المعقولة . ولا عجب أن تجمع الإنسانية على مشكلاته
المعقدة في سياسة الأمة وسياسة البيت وسياسة الحياة الفردية حتى يثوب إلى

هذا التقسيم الطبيعي الذي لا يختلف فيه اثنان [illegible] عمل الرجل وعمل
المرأة على [illegible] . وتقوم دولة المرأة في البيت ودولة الرجل في معترك الحياة
فالمجتمع الذي تزدحم فيه النساء والرجال على عمل واحد في المصانع والأسواق
لن يكون مجتمعا صالحا مستقيما على سواء الفطرة مستجمعا لأسباب الرضى
والاستقرار بين بنيه وبناته لأنه مجتمع [illegible] الشرف والحفاظ
على [illegible] ، ويحل فيه [illegible] كما يحل فيه هدم الأسرة
والبيت فالمرأة [illegible] بالعطف [illegible] والرفق [illegible] وقدرة على فهم
والإلهام والصبر على [illegible] في [illegible] هذا الأول [illegible] البيت [illegible]
عمار الأسرة ولهذا كان [illegible] ولا أحفظ
[illegible]

العدل أن يعطي منه نصيبين على قدر سعيه في تحصيله، وعلى قدر حاجته
التي تشتمل على حاجات النساء ومن يعولهم من زوجات وأولاد. ووصف
القرآن المرأة بالكيد العظيم وهو وصف لا يناقض [illegible] في
العقل والتدبير، لأن [illegible] الكيد من أسلحة الضعيفة التي تستتر
بها [illegible] وتعرض في نفسه حب [illegible]
عن الحدود ودليلا على نقصها في نحيزة من نواحيها [illegible]
الخصوصة أن المرأة تقصر على [illegible]
صرف الفكرة من [illegible]
الفكرة من هنا فتعاودها [illegible]
علاجها ولا [illegible] في قصتها [illegible] الأحوال
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العقيدة [illegible] الأخلاق [illegible]
الكريم كما [illegible]
الخصائص والأخلاق التي [illegible]
الآية الكريمة من سورة الأحزاب: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله
لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾. وقد كانت [illegible] تشهد الصلاة الجامعة في المساجد

وأدى في بعضها إلى [illegible] عن عقيدة وتابع لمن عنده سلام كما [illegible] الحال
أما الحجاب الذي كثر فيه [illegible] لاعتبار ما يحق لكل
مجتمع سليم أن يعرض حياضه للأخلاق والأعراض لأن شهوات الجنس
أخطر من كثير من [illegible] الشرية [illegible] من الحرية
في بعض [illegible] وقد كانت [illegible] من الحرية في سبيل [illegible]
الأموال و[illegible] صلات [illegible] من أخطر المركبات
و[illegible] عليه الاطلاق على هواه
في شئون [illegible] الجنسية بغير ضابط من
[illegible] موقفه [illegible] نصوص [illegible]
لم [illegible] يجب على [illegible] في [illegible]
المجتمعات [illegible] ووصلت إلى
[illegible] من أنصارهن
وعطلن [illegible] ويقصرن عمرهن
على [illegible] أو [illegible] مواليد أو
[illegible] أو ما
يمكن [illegible] أو [illegible] لمن لم
[illegible] على [illegible] من [illegible]
[illegible] وخوفي [illegible] أن المرأة
لا [illegible] وهي في حل بعد ذلك
أن [illegible] الأمر من الحل أو [illegible] وما
من عقل [illegible] الشرائع تتخطى حدودها [illegible] لمنع التبذل
و[illegible] ومن عقل سليم [illegible] أن حرمة
الأعراض والأخلاق مثل هذه [illegible] من الشرائع والقوانين أو
تصرف لا نظير له في [illegible] الأموال

والازواج . فلا فائدة للرجل ولا للمرأة ولا للامة في حجبها من هذا [illegible]
الذي [illegible] الاخلاق [illegible] امكنوه .
وهو في الوقت نفسه لا ينزه النفس البشرية من [illegible] والمجتمع اذا
عرضت [illegible] لكل من [illegible] ومن دون تفرقة بين الامرين
بالتفرقة بين [illegible] حقيقة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الى الصواب في مسألة (الحجاب) [illegible] في
الاعتدال بين [illegible] الشديد في [illegible] لا [illegible] فيها
الرأي عن حقيقة [illegible]
حساب في الشرائع والآداب [illegible] حسب الاغراض والاسباب ، [illegible]
يطلب من الشريعة عدل وصحة تقدير ، ونحن لا [illegible] ولا صحة تقدير
[illegible] في حقوقه [illegible]
الطبيعة فلا [illegible]

* * *

وقال الكاتب المنفلوطي في مقالة له في مسألة الحجاب (١) :

ذهب فلان الى أوربا وما ننكر من أمره شيئاً ، فلبث فيها بضع سنين ثم
عاد وما بقي مما كنا نعرفه منه شيء . ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها ،
وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة . وذهب بقلب كقلب الطائر
يأنس بالعفو ويفزع الى العذر ، وعاد بقلب مقفل مدخول لا [illegible] السخط
على الأرض وساكنيها وعلى السماء وخالقها . وذهب بنفس [illegible] خاشعة ترى

(١) العبرات ص ٤٩

كل نفس فوقها، وعهدي بنفسه نفسا نزاعة لا ترى شيئا فوقها ولا تلقى نظرة
واحدة على ما تحتها، وذهب بنفسه نفوسه حكمته ورأيه، وعهدي برأسه كرأس
التمثال المثقب لا يملؤه الا الهواء المتردد، وذهب وما على الأرض أحب اليه
من دينه ووطنه، وعاد وما على وجهها أصغر في عينه منهما. وكنت أرى أن
هذه الصبغة الغريبة التي يتراءى بها هؤلاء الضعفاء من نقلة العادات من تلك
الديار الى أوطانهم انما هي أصباغ مفرغة على أجسامهم انما لا تلبث أن
تصقلها شمس الشرق حتى تنصل وتتطاير ذراتها في جو السماء، وأن
مكان المدنية من نفوسهم مكان [illegible] من [illegible] عنها [illegible]
منه، ورأيت أن [illegible] الصديق، فلبثت على علاته، وفاء بعهده السابق
ورجاء عوده [illegible]، متحملا في سبيل ذلك من حمقه ووسواسه وفساد
[illegible] وغرابة أطواره ما لا صبر لمثلي عليه، حتى جاءني ذات ليلة
[illegible] وعلى وجهه [illegible] عينيه [illegible] فرأيته
واجما مكتئبا [illegible] فقال [illegible]
[illegible] ولا
[illegible] قال [illegible]
[illegible] كثير
الامر [illegible] قال ليس لي في الحياة الا أمل واحد
وهو أن [illegible] ولا أرى برقعا على وجه امرأة في هذا البلد.
[illegible] قال ان كثيرا من الناس يرون في
الحجاب [illegible] أمر [illegible] لا يحول بين نزعه عن وجوه نسائهم
[illegible] الرجال [illegible] لا العجز [illegible]
[illegible] لا تزال [illegible] الاقدام على أمر جديد.
[illegible] وقف سدادون

(١) [illegible]

سعادة الأمة و[illegible] دهراً طويلاً، و[illegible] على [illegible] على يد أحد
[illegible] من دعاة الحرية وأشياعها. وعرضت الأمر على [illegible] وحتى [illegible]
وأعظمته [illegible] [illegible] الختام،
و[illegible] أنها [illegible] لا تستطيع [illegible] إلى السماء بعد [illegible]
حياة [illegible] وجهلا. ولا [illegible] ولا [illegible] و[illegible] الموت والجمود و[illegible]
الذي [illegible] الله على هؤلاء [illegible] في [illegible] أن [illegible] في [illegible] من
حدودهم [illegible] حتى [illegible] من [illegible] في [illegible]
الآخرة [illegible] أن [illegible] أمتي وأن [illegible] الرأس [illegible] متحجر
[illegible] أحدى [illegible] [illegible] من حديثه
[illegible] : أعلم أنت
أيها الصديق ما تقول؟ قال [illegible] خديعة [illegible] بها
[illegible] أن
أقول لك إنك [illegible] في [illegible]
[illegible] في شيء مما
لا [illegible] من حيث لا يشعر
[illegible] أن أقول لك
إني [illegible] على [illegible] أن [illegible] الناس [illegible] قال
إن المرأة [illegible] أن [illegible] من [illegible] في
[illegible] لا [illegible] قلت له
[illegible] في
[illegible]
كله لا وجود له إلا في [illegible]، فإذا أردنا أن نفتش عنها في
قلوب الناس وأفئدتهم [illegible] لراكد لا يزال
[illegible]

النفس لا جوهر من جواهرها، وقد ثبتت الألوان على أشعة شمس
الحقيقة. قال أتنكر وجود العفة في النفس. قلت لا أنكرها لأني أعلم أنها
موجودة في نفس الوضيعة والشريفة والمتبذلة، ولكني أنكر وجودها عند الرجل
القادر المحتال والمرأة الحمقاء المغفلة إذا سقط بينهما الحجاب وخلا وجه كل
منهما لصاحبه. في أي جو من أجواء هذه السماء تريدون أن تطير بناتكم
وخالاتكم؟ أفي جو [illegible] وفيه من [illegible] [illegible] لها
[illegible] أم في جو [illegible] وفيه من [illegible] على أعين خلائله وأن
حياء وخجلا إن خلع جبته [illegible] من الآلام من صور عشيقته وخليلاته أو
أقفر من رسائل الحب والغرام، أم في جو [illegible] وكل ما فيه
يدخل بين خدنها دليلا [illegible] وقد [illegible] تقصة المرأة
والتطلق[1] حديثها ولعبها واللغو [illegible] وأمر [illegible]
وأمرها. كأنكم قد قمتم بكل واجب للأمة عليكم في أنفسكم [illegible] إلا أن
تقصوا من تلك النعم على [illegible] هذبوا [illegible] أن [illegible]
عجزتم عن [illegible] من النساء [illegible] أمهاتكم [illegible]
أنها شئتم ودعوا هذا الباب موصدا [illegible] إن فتحتموه فتحتم على أنفسكم
ويلا عظيما وشقاء طويلا. أروني رجلا واحدا منكم يستطيع أن يزعم في
نفسه أنه يملك هواه بين يدي امرأة يرضاها، فأصدق أن امرأة تستطيع أن
تملك هواها بين يدي رجل ترضاه. إنكم تكلفون المرأة ما تعجزون أنتم
تعجزون عنه وتطلبون عندها ما لا تعرفونه عند أنفسكم، فأنتم تخاطرون بها
في معركة الحياة مخاطرة لا تعرفون أتربحونها من بعدها أم تخسرونها، وما
أحسبكم إلا خاسرين. ما شكت المرأة إليكم ظلما، ولا تقدمت إليكم في أن
تحلوا قيدها وتطلقوها من أسرها. فادخولكم بينها وبين نفسها، وما تصنعكم

(1) التطلق التصويت باللسان عند استطابة الطعام

بأنكم و[illegible] غصصها وأحزانها [illegible] لا شك لأصواتكم و[illegible]
ومضايقتكم لها و[illegible] وجهها حين [illegible] وأي حب ، حتى [illegible]
وجه [illegible] فلم تجد [illegible] سبيلا [illegible] بنفسها في بيتها فوق ما تجنها
أهم [illegible] من دون [illegible] وأسست [illegible] تبرما بكم وفرارا من
أصواتكم [illegible] على باب سجنها تبكون
و[illegible] ، ولا [illegible] علي
[illegible] على أ[illegible] في [illegible] وسعد [illegible] خلاعة
واستهتار [illegible]
هناك [illegible] وكان [illegible]
في [illegible] كل يوم [illegible] حتى [illegible]
[illegible] حتى [illegible] وكاد حتى لا [illegible]
قصره واحدة [illegible] عاشت [illegible] في [illegible]
[illegible] عن [illegible] وعن [illegible] كل [illegible] في واجب [illegible]
لنفسها ، أو [illegible] ، [illegible]
تحملها الى جارتها [illegible] شرف كل
الشرف في خضوعها لأبيها وائتمارها [illegible] وكانت
تفهم معنى الحب وتجهل معنى [illegible] وجه كما تحب ولدها
لأنه ولدها ، فإن رأى غيرها [illegible] أن [illegible] أساس
الزواج أساس الحب ، [illegible] هؤلاء [illegible] من أهلك
[illegible] عقلا ولا [illegible] ولا أقدر على [illegible] من النظر
لنفسك ، فلا حق لهم في [illegible] لأنفسهم عندك .
[illegible] أباها وتمردت على [illegible] وأصبحت [illegible] كل [illegible]
من الأعراس الضاحكة [illegible] ولا [illegible] أو [illegible] وقد [illegible]
لا بد لك أن [illegible] حتى لا [illegible] أهلك عن سعادة

مستقبلك فاختارت بعضها أسوأ ما [illegible] لها، فلم يزد عمر سعدها عن
يوم وليلة ثم الشقاء الطويل بعد ذلك ونغصات الأيام، وقلتم لها إن الحب
أساس الزواج فرأيت نفسك غريبة في وجوه الرجال مقصدة مصونة حتى
شغلها الحب عن الزوج فعبثت به عنه. وقلتم لها إن سعادة المرأة في حياتها
أن يكون زوجها عاشقها ولم تكن تعرف إلا أن الزوج غير العشيق فأصبحت
كل يوم زوجة جديدة تجيء من لوعة حب ما [illegible] الزوج القديم فلا قديما
استبقت ولا جديدا أفادت. وقلتم لها لا بد أن تعملي لتحسين تربية ولدك
والقيام على شئون بيتك فتعلمت كل شيء إلا تربية ولدها والقيام على شئون
بيتها، وقلتم لها إن لا زوج من نساء إلا من تحبه و[illegible] ويلائم ذوقها
ذوقه وشعوره شعورها، وقلتم لها إن لا بد لها أن تعرف مواقع أهوائكم
ومناهج أذواقكم [illegible] منكم ما تريد، فراحت تقرأ من حياتكم صفحة
صفحة فرأت فيها [illegible] للمشهورات والضاحكات اللاعبات
والأعين [illegible] على ذلك ووقفت فتحمت واستهوت أنفسكم فصادكم
[illegible] ثم مشت لكم [illegible] لشعاف [illegible] نفسها
عليكم عرضا كما تعرض الأمة نفسها في سوق الرقيق فأعرضتم عنها [illegible]
عنها وقلتم لها إن لا زوج [illegible] لأنكم لا ترضون أن تكون نساؤكم
الأمة حمقاء [illegible] إذا [illegible] ورجعت [illegible] حائرة منكسرة
[illegible] فلم تجد من يدها غير [illegible] لسقوط
فسقطت وكثرت [illegible] في عرس الأمة [illegible] الطلاق بين
[illegible] القضاء بينهما وأصبحت البيوت
كالأديرة لا ترى فيها إلا [illegible] وكثرت العانسات
ذلك بكاؤكم على المرأة أيها الراحمون، وهذا رثاؤكم لها وعطفكم عليها.

(١) الأميرة [illegible]

[illegible] كما تعلمون أن المرأة فى حاجة الى العلم ، فعلموها أو دعوها ،
[illegible] من العلم[1] والى اختيار الزوج العادل الرحيم ، [illegible]
الآباء اختيار الأزواج لبناتهم وليحسن الأزواج عشرة نسائهم ، [illegible]
[illegible] اليهم [illegible]
[illegible] فى [illegible] عليهم [illegible] ،
[illegible] الآباء والأخوة والأزواج [illegible]
[illegible] على اصلاح [illegible] على
إصلاحها

أعجب ما أعجب له [illegible] كل شيء [illegible] واحداً [illegible]
الى مداركم أن [illegible] فيها ،
ولكل نبات زمناً [illegible]
[illegible] سوادها
[illegible] فى [illegible] معرفة [illegible] الأولى [illegible]
[illegible] وخطواته فى
[illegible] فلا
[illegible] أن [illegible] لا [illegible]
[illegible] فى [illegible]
من حيث لا يستطيع أن [illegible] فى [illegible] ،
[illegible] التى [illegible]
[illegible] من شاء وتخلو
من شاء [illegible] موقف [illegible] من [illegible]
الشرق [illegible] أن [illegible] موقفه [illegible] امرأة

(1) [illegible]

الأوربية الحرة استطاعت في كثير من مواقفها مع الرجال أن تحفظ نفسها وكرامتها. فأين هي من المرأة المصرية الضعيفة الساذجة أن تبرز للرجال بروزها وتخلط نفسها اختلاطها. وكل نبات يزرع في أرض غير أرضه أو في ساعة غير ساعته فإما أن تنبذه الأرض وتلفظه وإما أن يستنبت فيها فيفسدها

انا نضرع اليكم باسم الشرف الوطني والحرمة الدينية أن تتركوا البقية الباقية من نساء الأمة آمنات مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن، فكل جرح من جروح الأمة له دواء إلا جرح الشرف، فإن أبيتم إلا أن تفعلوا فاصبروا بأنفسكم قليلا ريثما تنزع الأيام من صدوركم هذه الغيرة التي ورثتموها عن آبائكم وعند ذلك تستطيعون أن تعيشوا في حياتكم الجديدة سعداء مسرورين

فما انتهى إلى آخرها حتى طوى الصحيفة وابتسم ابتسامة الهزء والسخرية وقال: تلك حماقات ما جنانا إلا العاجز المقصر عنها حتى يقضي الله بيننا وبينها. فقلت له: إن أمرك في نفسك وفي أهلك فاصنع بهم ما تشاء، وأذن لي أن أقول لك إني لا أستطيع أن أختلف إلى بيتك بعد اليوم إذا عدت وعن نفسي لأن الساعة التي يسقط فيها حجاب ستر من أستار بيتك عن وجه امرأة من أهلك تقتلني حياء وخجلا. ثم انصرفت وكان هذا فراق ما بيني وبينه

وما هي إلا أيام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون أن فلانا هتك الستر في منزله بين نسائه ورجاله، وأن بيته أصبح مغشيا لا تزال النعال خافقة ببابه. فذرفت عيني دمعة لا أعلم هل هي دمعة الغيرة على العرض المذال أو الحزن على الصديق المفقود

مرت على تلك الحادثة ثلاثة أعوام لا أزوره ولا يزورني ولا ألقاه في طريقه إلا قليلا فأحييه تحية الغريب للغريب من حيث لا يجري لما كان بيننا ذكر، ثم أمضي في سبيلي

ولما عدنا الى المنزل ليلة أمس وقد مضى الشطر الأول من الليل [illegible]
رأيته خرج من [illegible] جندى من
جنود الشرطة كأنما هو يحرسه أو يقتفيه ، فخفت أمره ، ودنوت منه فسألته
عن شأنه فقال لا علم لى بشىء سوى أن هذا الجندى قد طرق الساعة بابى
يدعونى الى مخفر الشرطة ولا أعلم ما هذه الدعوة فى مثل هذه الساعة [illegible] ،
وما [illegible] ولا [illegible] أن أستصحب [illegible] صديق [illegible]
الذى كان [illegible] فى وجهى [illegible] بعض المعونة
فيما قد يعرض لى هناك من شئون [illegible] لا أحب أن [illegible] ومشيت
معه صامتا لا أحدثه ، لا [illegible] فى نفسه كأنما
[illegible] يمضى الى [illegible] ، فعدت فحدثته وقلت له ألا
تستطيع أن تذكر لهذه الدعوة سببا [illegible] أخوف
ما أخافه أن يكون قد حدث [illegible] فقد [illegible] من منزلها
لم تعد الى المنزل حتى الساعة ، وما كان ذلك شأنها من قبل ، قلت ما كان
يصحبها أحد ، قال لا ، قلت ألا تعلم المكان الذى ذهبت اليه ، قال لا ، ولكن
[illegible] لا أخاف شيئا سوى [illegible]
[illegible] واقعة
[illegible] الى مخفر الشرطة [illegible] الجندى الى
قاعة المأمور [illegible]
الفتى اليه وقال له : يسوءنى أن [illegible] يا سيدى [illegible] الشرطة قد عثروا
بابنتك فى مكان من أمكنة [illegible] ، فأوردوها
الى المخفر [illegible] الحقيقة فى
أمرها ، فان كانت صادقة [illegible] اكراما لك [illegible] على
شرفك ، والا فهى امرأة [illegible] لا نجاة لها من عقاب الفاجرات ، وها هما
[illegible] أخرى ، فأسمعت [illegible]

فإذا المرأة [illegible]، وإذا الرجل [illegible] أصدقائه ، فصرخ صرخة [illegible]
حواس [illegible] وصار [illegible] وأبه عيونا وآذانا ، ثم سقط مكانه مغشيا
عليه ، فأشرت على الأمور أن [illegible] المرأة [illegible] أبيه [illegible] ، و[illegible]
[illegible] ، ثم [illegible] في [illegible]

ثم ذكر [illegible] ، [illegible]
كذا [illegible]

ومن [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، فإن كان
الحق هو الأول فلماذا يحرم على المرأة [illegible] الحق هو [illegible]
[illegible] ولا جواب عن [illegible]

فيقال له بل الجواب عن هذا أسهل من [illegible] لا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ، وإن كان هو
[illegible]
هذا كله مبني على [illegible] أن يكون كالمرأة في
كل شيء ، وهذا [illegible] شرعا [illegible] وعقلا قال تعالى ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ فإنه
لو كان [illegible]
بالأنوثة [illegible] في كل شيء [illegible] في
جميع الأحكام من كل وجه [illegible] المختلفين من أكبر الظلم وأعظم
[illegible] في [illegible]

و [illegible] عليه درجة ، وهذا [illegible] في [illegible] والثانية أن هذا الذي تدعو
إليه علم ، وهذا باطل أيضا والثالثة أن كل علم نافع ، وهذا باطل كذلك ،
فإن تعليم السحر وطرق المعاصي مضر ، وأنت معترف بأنه ليس كل علم محمودا
فهذه الدعوى ساقطة فقط ، بل عليك أن تقرر أن هذا الذي تدعو إليه علم
بالمعنى الصحيح ثم تقرر أن كل علم نافع [illegible] هذا العلم الذي تدعو إليه
وتصرح بحقيقته ، ثم تقيم البرهان على أنه نافع وأنه داخل في العلم النافع ، ثم
بعد هذا تقيم الأدلة على وجوب تسويته [illegible] في كل شيء ، ولا [illegible]
كل علم نافع [illegible] مطلقا ، و [illegible] من هذا [illegible]
ادعيت [illegible] في كل شيء وهذه الدعاوى
لا تقوم على أدنى حاجة [illegible] مجردة فيكتفى فيها بأن
يقال قد أوجب [illegible] في كل [illegible]
الفارق المعنوي والصوري وهذا ظاهر [illegible]

الكلام على المبحث الخامس

عنوانه في كتابه :

(كراهة الحياة الدنيا ـ امتداح الجوع والفقر والمرض ـ الدعاية الواسعة للزهد المحض ـ جهاد الدين لمحاربة العمران)

وقد اشتمل كلامه هذا على أربعة أمور : أحدها أن المسلمين كلهم زعموا في كراهة الحياة الدنيا ، والثاني أنهم امتدحوا الجوع والفاقة والمرض ، والثالث أنهم قاموا بالدعاية الواسعة للزهد المحض ، والرابع أنهم جعلوا الدين أداة جهاد لمحاربة العمران .

وهذه الأمور الأربعة إن صح شيء منها فهو حق أريد به الباطل فقد رمى المسلمين بها ، وزعم الكاتب وأضرابه من أعداء الإسلام أن المسلمين مدينون بها ، وأنها من أصول الإسلام ومبادئه ، ثم يحملون عليها ويلومون على هذه الحالة منتصرين بها وأنها من أسباب تأخرهم . وقد سبق عن قرب أن موضوع هذه الأقوال هو المدنية عند الإسلام وتأثيره في تقدمه وتأخره ، وغرضه من هذا البحث أن يثبت أن فيه ، وهو الإسلام ليس سبب تقدم أهله ، فهو يتذرع بكل وسيلة في إثباته وتحصيل ما يطمح إليه .

ونحن نتكلم على كل أمر من هذه الأمور التي ذكرها كلاما مجملا ، ثم نذكر ما اعتمده في هذه الدعاوى ونجيب عنه مفصلا كما وعدنا بذلك سابقا :

أما الأمر الأول ـ وهو دعواه أن المسلمين أوجبوا كراهة الحياة الدنيا ـ فإما أن يريد أنهم كرهوها وعزفوا عنها بكل معنى وتجنبوها ولم يسعوا في طلبها ، وإما أن يريد أنهم كرهوها ولم يطمئنوا إليها كل الاطمئنان ، فإن أراد الأول فيكفي في تكذيبه الواقع والمشاهدة ، ولا أدل من برهان الحس والمشاهدة ، فإن هذا يقتضي أنهم رفضوها وحبسوا أنفسهم عاكفين في المساجد والمعابد وعطلوا معايشهم

وملاهيهم وجميع ما فيها من لذة مباحة وغير مباحة . فأى هذه حال من كره الدنيا ومقتها ولم يعمل بها . ومعلوم أن هذا خلاف الواقع فى كل مكان وزمان من ظهور الإسلام الى هذا الوقت . ومن ذا [illegible] يعلم أن الناس اليوم منهمكون على الدنيا منهمكون فى [illegible] كما شئنا ، وأكثرهم يقدمها على كل شىء من حق ودين . ومن عجب [illegible] هذا المدعى [illegible] رأى الناس أشد [illegible] الى [illegible] الناس حتى فسدت أخلاقهم [illegible] أكثر آدابه وأخلاقه أخذ فى تشنيع [illegible] ودعوته [illegible] . وقد كانوا أشد [illegible] من هذه [illegible] وقفت على [illegible] فى محبة الدنيا [illegible] فى [illegible] فى هذه الدعوى [illegible] من أتى الى قوم قد أصابهم أنواع الأمراض [illegible] من شدة الجشع وكثرة الخلط [illegible] شهوات ومعاسات [illegible] وفكر فيهم قال لهم [illegible] لا من أشياء قليلة هى شدة الجوع وعدم الأكل ومتابعة الصيام [illegible] فى العلوم والآداب والفلسفة [illegible] دائرة علومكم فى الفلسفة [illegible] ولم تقتصروا على [illegible] واحد وعلم واحد لكان ذلك هو شفاءكم [illegible] هذا المغرور فى هذه الأغلال ، [illegible]

[illegible] بل عصوا عليه بالواحد [illegible] الأرحام وعملوا كل ما أمكنهم من الاحتيال على [illegible] من كل وجه وبكل وسيلة كما هو الواقع ، فقد خالفوا الكراهة [illegible] . فإن القول [illegible] بعكس [illegible] كرهها وبعضهم لم

يكرهها من أحب [illegible] . فقد أثبت [illegible] فصمت الدعوى و[illegible] لم
يختلط به [illegible] . ثبوت هذا فإنه لا تزال في آخر قوم من أمة أو شعب
إلا ويوجد فيهم من هذه الأخلاق شيء كثير في طلب المعيشة وغيرها .
وجميع الناس يعلمون أن حب الزهد و[illegible] في التصوف أظهر منه في
جانب اليهود منذ العصور القديمة ، ومعلوم التفرق بين تقدم هؤلاء وتأخر
هؤلاء من آلاف السنين الطويلة ، ولكن حب اليهود [illegible] مقصدا لهم [illegible]
والسلطان [illegible] والمسكنة ولكن [illegible] في ذلك مؤثرا في عدم
اتصال [illegible] الخشوع والخضوع [illegible] طريقة [illegible]
العقلاء [illegible] في [illegible] ومسكنه [illegible] الى [illegible]
والسعي [illegible] الصناعة [illegible] المكر [illegible] وأكل السحت [illegible]
للكلم عن مواضعه ، وهذه هي [illegible] كلها [illegible]
فرد أو شعب أو أمة في هذه الخصال [illegible] هذه
الخصال [illegible]
وهذه الأخلاق [illegible] من كل وجه كما هو الواقع

أما الأمر الثاني [illegible]
فهذه الدعوى كسابقتها [illegible] في البهت والفجور والمكابرة ، فليس في المسلمين
من [illegible] ولا يمكنه أن يثبت هذه الدعوى
على [illegible] من المسلمين [illegible]
وأصرابهم في المسلمين ، فقد [illegible]
أقوال لا [illegible] لتصوفه شيء من ذلك [illegible]
المسلم هو الذي [illegible] أحبه [illegible] وأغلاظ [illegible] ولا [illegible]
من قال شيئا من ذلك هو [illegible] ، وعلمت أن [illegible] أن الذي ادعى
بمثل ما قلت من المسلمين [illegible] كلام [illegible] . وهذا لا
يمكنك أن [illegible] في كتب الصوفية من الحث على

[illegible] والاستغناء [illegible] أكثر ما [illegible] فلا يجوز
[illegible] أن [illegible] منها ما فيه شبهة [illegible] هو [illegible] وأيضا [illegible]
الصوفية فيها كثير من الشرك وتقضي [illegible] على [illegible]
وتقرير الاتحاد وغير ذلك [illegible] الإسلام [illegible]
من كلامهم في [illegible]
عليه إلا أقل القليل [illegible]
وتمسك [illegible] في كتب [illegible]
ونحوها في [illegible]
المجد وأصراره [illegible]
وتبذيره وعداوته بالكلية ، فان هذا لا يقوله [illegible]
المراد من ذلك هو الصبر عليه والاحتساب [illegible]
[illegible]
منها أن [illegible]
الكتب [illegible]
وإعانة الضعيف والملهوف [illegible]
المال ورفضه وترك الدنيا [illegible]
لكن [illegible]
الاكتساب ويجعلونه [illegible]
أبي وقاص رضى الله عنه [illegible]
الثلث والثلث كثير [illegible] الاكتساب ونهى عن إضاعة [illegible]
شديدا ، وكذلك كان [illegible]
الاعدام من المال بالكلية لأمر [illegible]
[illegible]
الأحكام [illegible]

وهذا المحدث أن في أشياء أوضح من الشمس فيغالط فيها . ولا فحرص
الناس على الدنيا أمر لا يحتاج فيه أن يطنب في الاستدلال عليه ، وليس
حرصهم عليها كحرصهم على [illegible] ولا عشر معشاره ، ومع ذلك شنع عليهم
[illegible] وشنع عليهم لتقصيرهم في
الحرص على [illegible] وهو [illegible] يقول
شيء [illegible] مرة واحدة بدون مغالطة .
[illegible] بالآخرة ورفضوا الدين
[illegible] ولا معنى لهذه الهبة فإن
أصحابه [illegible] والله علماء
وأماء [illegible] هو مراده فلا
[illegible]
[illegible] والوظائف والإجارات ولذا كثير
[illegible]
[illegible]
[illegible] حتى
[illegible]
[illegible]
[illegible] العلم ويرونه شركا في الربوبية ،
[illegible]
والمشاهدة [illegible] وكان العلم قد
[illegible]
[illegible] وقد [illegible] في أعلاله
[illegible]
وكان [illegible] الله عليهم [illegible] على

الاحتساب بالفقر والصبر عليه مع من أخذ في [illegible] بما ينبني على
محاسن هذه الشريعة الغراء وتحقيق [illegible] على [illegible] لا يسأل إنما عمل ما في
وسعه في طلب الرزق فقد يوفق وربما تعترضه عوارض وموانع لا قبل له
فلا يوفق فتصيبه مصائب تؤدي به إلى الحاجة والفقر كما هو الواقع [illegible]
الندب مقصور على الفقر [illegible] الأحوال [illegible]
لشروطه [illegible]
الفقر والمرض والجوع فكان من [illegible]
في الصبر على هذه المصائب والاحتساب [illegible]
المرء مأمور [illegible]
عند الله [illegible] فهو [illegible] كل [illegible]
حرج [illegible] الله على [illegible]
أجر [illegible] ويكون ما [illegible] من الصبر والاحتساب [illegible]
بما [illegible] من المصيبة [illegible]
[illegible] كما ورد [illegible] كل أمر [illegible] أصابته [illegible]
كان خيرا له [illegible] أصابته [illegible] كان [illegible]
رحمته [illegible] وتعالى [illegible]
[illegible] والمصائب [illegible] في [illegible]
وأمثالها [illegible] مكلف [illegible] وذلك [illegible] في
الجوع والمرض [illegible] الذي [illegible] الجوع [illegible] هو لا
وإنما [illegible] الصبر عليه والاحتساب عند الله [illegible] وقد كان هؤلاء الذين
يمدحون [illegible] يذكرون فضل الجوع [illegible] يذكرون فضل الصبر والاحتساب ونحو
ذلك [illegible] فهو [illegible] لا [illegible]
[illegible] من هو [illegible] كلامهم [illegible] لأنهم قد ذكروا
تحريم الإضرار [illegible] الجوع أو غيره وفي حديث [illegible]

لتعيش عيشة حقة وروحية عيشة حقة ، والأخبار في هذا كثيرة . أما ما ذكره عن المرض وادخاله مع الفقر والجوع فهو من [illegible] الخبيثة التي اعتادها في مصنفاته ، ولا شيء [illegible] أن المستشفيات والأطباء وما إليهم في جميع مدن الإسلام أكثر من أن تحصر ، وهو يعلم أن الحكومات الإسلامية تنفق على [illegible] الأموال الطائلة وتحرص على ذلك غاية الحرص وهو يعلم أيضاً أن كتب الشريعة تأمر بالتداوي ووجوب اجتناب ما يضر حتى جعلوا من أصول الأشياء المحرمة كون هذا الشيء يضر بالبدن ، فإذا ثبت أنه مضر فيكون محرما بلا نزاع . وهذا هو النهي عن اجتناب وسائل الأمراض . ولم [illegible] أحد من المسلمين [illegible] المرض بالمعنى الذي [illegible] والاحتساب [illegible] وقوعه [illegible] أو [illegible] والاحتساب عند موت الأبناء [illegible] ولم يكن [illegible] على فقد البصر أو غيره من المصائب [illegible] بالعمى ، وأمثال ذلك كثير [illegible] عنها [illegible] التي [illegible] منها كما [illegible] إن الله يحب المحسنين ، وقد [illegible] ولم يحرمه أحد من أهل العلم فكيف [illegible] ولكن مقصوده هو ما ذكرناه في [illegible] بأمر بالمرض فهو فاسد ، هذا مقصود [illegible]

فصل

قال [illegible] والفقر والمرض ، الدعاية الواسعة [illegible]

فلهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك وعجل له القضاء . ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره
(زعموه حديثا نبويا صحيحا) (١)

نزل على جبريل بأحسن ما كان يأتيني في صورة فقال إن السلام يقرئك السلام يا محمد ويقول إني أوحيت إلى الدنيا أن تمرري وتكدري وتضيقي وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائي ، وتوسعي وتسهلي وتطيبي لأعدائي حتى يكرهوا لقائي . فإني خلقتها سجنا لأوليائي وجنة لأعدائي (زعموه حديثا نبويا)

جاء رجل فقال يا رسول الله إني لأحبك (ثلاث مرات) قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه . وعن أنس قال : جاء رجل إلى النبي فقال : إني أحبك فقال : استعد للفاقة . وفي حديث آخر عن أبي سعيد قال : الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي ومن أعلى الجبل إلى أسفله (زعموها أحاديث نبوية)

والجواب أن نقول قد صنف هذا الباحث بهذه الروايات مستدلا بها على تصحيح دعواه بأن المسلمين كما هو الحاصل لديه قد امتدحوا الفقر والخنوع والمرض . وأنه ومعيبة من جميع نصوص أعلامهم ، ويروجه أنه يعرف أنه شديد الولع بتتبع كل ما فيه شبهة في القدح في الدين . وأنه يتوسل بكل واهن وضعيف وكل ما في قدرته من وسيلة مهما كانت درجتها من الضعف والنكارة . إلى التشهير على الإسلام ونبيه وشريعته وإلصاقه كل قبيح وذم إليه

وهذه الروايات التي استشهد بها لا يفيده شيء منه . فإنه إنما كان يريد به الاستشهاد بها أن المسلمين رووها وصححوها وعملوا بها . وإن كان يريد أنهم رووها ولم يصححوها ولم يعملوا بها فإن أراد الأول فقد كذب وادعى

(١) هذا تهكم بالمسلمين ، فمن هو الذي زعمه صحيحا

زوراً وبهتاناً ظاهراً . وهو لم يستدل على صحة هذه الدعوى بل بمجرد سياق
الروايات على وجه التهكم والاستهزاء . فتكون دعوى مجردة فتقابل بمنع
الرد . فعليه أن يقرر أن المسلمين يروونها في كتبهم المعتمدة وصححها علماؤهم
وعملوا بها . فلا بد من هذه المقدمات الثلاث حتى تصح دعواه هذه في قدح
المسلمين بها . والمقدمات الثلاث كلها ممنوعة فلا تمكنه ان يثبتها وهو لم يذكر الا
رواياتها على وجه الاستهزاء والسخرية ، وهذا لا يكفي فليس كل ما يروى
من حديث في كتاب من الكتب يكون صحيحاً وهو معترف بهذا في صراحة
التي صرح فيها بأن ولا يكون معمولاً به أيضاً بل قد يوجد الحديث
صحيحاً ولا يعمل به بل هو منسوخ قد كذب الحديث صحيحة في مقابلة هذه ،
فيحمل هذه الروايات على الأقل منها

والحديث الاول الذي ذكره بزعم أنه صحيح كذب وبهتان . بل
أكثر أهل العلم على أنه ضعيف لا يعول على صحته ، وأن رواية ابن ماجه بسند
ضعيف . وكذلك سائر الروايات في جنسه . وهذا المعترض مراده أنه توجد
روايات كثيرة فيها الحث على الترك وقدح في الصحابة وعن شيء قد عدل
عنها وجه بهذه الروايات ومن أعظم ضرراً وأشد خطراً . وان كان يريد أنها
صحيحة وأنهم عملوا بها فليس المراد ذلك وردّ عليها بها على الوجه المنكر من
السخرية والاستهزاء رداً على المسلمين بل هو رد على من قاله وهو الرسول
ﷺ . فلا حاجة الى الرد على المسلمين لانهم مأمورون بالامتثال والسمع
والطاعة . وان اراد الثاني وهو أنهم عملوا بها وهي غير صحيحة فهذا أيضاً
بهتان ظاهر ومكابرة للحس ، ضرورة على ما صرحنا من قبل ، فان المسلمين
قد حثوا على طلب الرزق كما قال تعالى « فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه »
وأدنى رجل عاقل يرى الناس كلهم ساعين جادين في طلب أرزاقهم ، وكلهم
يحبون الله ورسوله ، وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم قد كان فيهم أغنياء
وهم يحبون الرسول محبة تفوق محبة المال والولد والنفس . وان اراد الثالث

وهو [illegible] فلا وجه [illegible]
الروايات التي لم يصح [illegible] جدا [illegible]
على القدح في [illegible] لا حجة [illegible] على كل تقدير.

وهذا [illegible]
[illegible] وكل [illegible]
قال [illegible]
[illegible]
وهذه [illegible] في هذه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الرحمة [illegible]
[illegible] من مخالطة الكفار في الدار
كما أن أولئك [illegible]
الطبيعة [illegible] في [illegible] لأن [illegible]
مقتضيات الطبيعة كما قال [illegible] فكل اختص
بما [illegible] رحمة [illegible]
ورحمه، وأولئك [illegible] عن [illegible]
[illegible] الطبيعة [illegible] كانوا في [illegible] وشرورها.
وهذا عين العدل والقيام بالقسط. ولأنه [illegible]
الحياة الدنيا بما فيها من زينة [illegible] كما
أن كثيرا من الحيوانات يحصل [illegible] من الرحمة [illegible]

العيش الذي لا يعدو أن يكون شهوات عاجلة فقط

وينبغي أن يعلم أن الله سبحانه لم يذم الحياة الدنيا مطلقاً ولم يمدحها مطلقاً، بل ذم من قدمها على الآخرة واستحبها عليها كما هو رأى هذا الضال، ومدح من أخذ نصيبه منها ولم ينس نصيبه من الآخرة. قال الله تعالى «إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» وقال تعالى «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين. قال إنما أوتيته على علم عندي» يعني على ما عندي من الأسباب والمواهب التي مكنتني من معرفة طرق المكاسب والتجارة فلم يفتقر إلى أحد في أي شيء. فإنه جرى على كلام أولئك الملحدين. قال الله في جوابه «أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا» أي فلا القوة ولا الجمع يغني عن صاحبه شيئا فلا ينفعه غير طاعة الله تعالى فإنها العروة الوثقى كما قال تعالى «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور» فلا ينفع شيء من القوة مهما كانت دون الله سبحانه وتعالى وقال تعالى «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة والله لا يهدي القوم الظالمين. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون» وما أخلق هذا الملحد بالدخول في هذه الآيات، فإنه الذي استحب الحياة الدنيا على الآخرة. نسأل الله السلامة بمنه وكرمه

فصل

ثم قال: وكانت العرب في جاهليتهم ولا سيما قريش تنظر إلى حياة الدنيا
بعين المشوق المتيم، وكانوا يحبون المال حبا جما، ويأكلون التراث أكلا لما،
كما أخبر القرآن عنهم. وكانوا يحبون الطيبات ويستمتعون بكل ما استطاعوا
الاستمتاع به منها. وكانوا يتفاخرون ويتكاثرون بذلك. وكانوا يمقتون الفقر
والفاقة وكل ألوان الشقاء والهون، ويرون فيها من النقائص والعيوب والعار
كالشح والجبن وفقدان المروءة. ومن أشعارهم أبيات في هذا المعنى ولا تحصى.
وكانوا من أجل هذه الروح المادية الدنيوية لا يستمتعون بمال كلهم ولا سيما
أشرافهم وسادتهم. وكانوا يعظمون من شأن التجارة كل التعظيم، ويرون
المهارة فيها والحذق والقدرة برهان الرجولة ودليل الشرف والسيادة. وفي
ذلك الدعوة كانت قريش قوما تجارا، ومن ذلك كان لهم نفوذ في كل شيء،
حتى لقد قيل إن كلمة قريش معناها التجر.

والخوف أن يقال: اضطرت الحال هذا المخرف إلى أن احتج على
مقصوده في مدح حضارة الدنيا بأفعال كفار العرب وقريش في جاهليتهم،
وقد برهن على أنه جاهل مذبذب ونظره ومفكر. وقد نسي المسكين قوله
في ... إن الإسلام كان في وقت نزول القرآن لا تبعد جدا عن طور
الحيوان، وأنهم ما كانوا يعرفون الحقائق إذ كانوا يعبدون الظواهر ويحكمون
على الأوهام الصحراوية ولا عجب في كثرة تقلبه وتناقضه واضطرابه فإنه منافق
مرتاب. ولو أن هذا الرجل أنصف في هذه الدعاوى التي ذكرها ما كانت عليه
العرب وقريش في جاهليتهم من الخصال الأخرى المذمومة لكان من جنس
احتجاجه هذا سواء بسواء. وكانت أخلاقهم كل أمة وتقبل سنن. وكانت
شديدة محبة عبادة الأصنام والمحاماة عنها. وكان الفوضى والهمجية والتقليد
الأعمى كل ذلك فاشيا ومنتشرا فيها. وذكر نحو هذه الخصال مما هو كثير

لكان قد أدى خدمة . أما اقتصاره على كونه يحوى التجارة فهو ضلال
ظاهر واحتجاج ساقط ، فإن اقتصارهم سبب من الخيبة فى شيء وبعضهم
الآخر كعبادة الأوثان وأكل الميتة ووأد البنات أمر، وأشد من أعمالهم
فى التجارة من ... ليست من خصائصهم ، ... عن الاحتجاج
بفضل العرب فى التجارة فى جاهليتهم وفضل ... فى تجارته ... فى هذه
الخصلة أمم وأحدث وأقدم . ولا ندرى كيف صرف هذا المحاول عن
الاحتجاج بالكتاب والنصوص والسنة التى لا تحصى فى فضل السعى
والتكسب وإنه حض عليه كما أمر فى ذلك وطلب بجميع أنواع الحلال ،
ولكن هذا هو ... بالقلب المقلوب . ولا بد أن يكون مكبره ووطنه
مقلوبه ، ... اكتسب المال ... أمر به الشرع
لطهره ... جاهلية هذا ... على ... ، ... مأمورون
... فيما ... ، ولكن ... أحد ... فى
هذه السنة ... على ... ومن لم يكن له دين
الا أفعال الجاهلية فقد خاب وخسر

... ما كانت العرب ولا ... كما ... وفيهم
حرص شديد على جمع التجارة ، فأى شيء نفعهم ذلك ، وهل كان ذلك سبب
لتقدمهم على غيرهم . وقد مكثوا سنين متضافرين على هذه التجارة وما نالوا ملكا
وسلطانا بهـــا ، غاية ما فى ذلك أنهم بقوا على مكانهم وحرمتهم لا بسبب
التجارة بل بسبب البيت الحرام وقد عرف أن ... قاتلوهم يوم بدر
وغيره كانوا أقل منهم مالا ومع ذلك تقدموا عليهم وقهروهم . وقد كانت الأمم
المجاورة لهم أوسع تجارة وأعرف بكثير من هذه الأمور التجارية والاقتصادية
والصناعة فكيف تقتصر على تجارة قريش فى هذا الاحتجاج ... ولقد
كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا التقدم الذى ناله العرب
وقريش إنما كان بسبب الدين العظيم والقيام به ، وأن التجارة لا دخل لها فى

ذلك منه ، ولم تكن الأمة التي حاربتهم أعظم منهم ثروة وأكثر عدة وعددا .
وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في بعض الغزوات مع النبي ﷺ في حالة
معروفة من الفقر والجوع فقد غزوا غزوة تبوك وكان أحدهم لا يناله في
هذه الغزوة في اليوم إلا تمرة واحدة . وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان
يأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار . ومن تتبع سيرة الصحابة من
أول وقت الدعوة عرف قلة ما في أيديهم من عدة الحرب وضيق العيش . وأنهم
لم ينالوا ما نالوه من النصر والتمكين والتقدم على غيرهم إلا بالتقوى [illegible]
الصالحة [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] أوسع [illegible] واحسن [illegible]
[illegible] حتى [illegible] من [illegible]
والتمكين مع [illegible] من [illegible]

ونحن نقول إن الواجب بذل الجهد في تحصيل الأسباب [illegible]
واستعمال جميع الوسائل [illegible] الإسلام والمسلمين [illegible]
وحال ما تحتاجه الأمة في قوام دينها ودنياها [illegible] الإسلام
[illegible] في [illegible] على [illegible] الأموال
والاستمتاع [illegible] سقوط هذه الحجة . وأنه لا يحتج بها إلا أعمى
البصيرة ، وقد عرفت أن [illegible] على [illegible] . وإنما قدمهم الإيمان
والأعمال الصالحة . [illegible] أن [illegible] في [illegible] أقرب من
المدح لها . وإنما [illegible] الاكتساب ولا [illegible] خدمته
[illegible] وتعقبه

فصل

ثم شرع يستدل على حب المال والتوسع في الاستمتاع [illegible]
، وقد كان حب المال [illegible] هو [illegible] حب [illegible] . ومن الممكن أن يقال

على نحو آخر [illegible] حب الجمال [illegible] أحب
الجمال [illegible] أحبة أو [illegible] أحب الجمال [illegible] وقد [illegible] في
أيام [illegible] (١) في حب [illegible] كانوا [illegible] في [illegible]
ويصورون [illegible] موضوع شعرهم [illegible] وحيطم المشبوب ومنطقهم الدقاق،
ثم [illegible] في توسيع هذا المعنى [illegible] . وأسهب في
الاستدلال عليه . ولا [illegible] أن [illegible] واحب [illegible]
حثوا عليه ورغبوا فيه وأوجبوا [illegible] . ولكن [illegible] في معرفة هذا [illegible] ،
فإنه جعل الالحاد [illegible] أخلاق [illegible] قبيحة هي [illegible] . و [illegible]
البديع الحقيق الذي أعلاه عبادة [illegible] وذكره [illegible] المطهرة
وما [illegible] كل [illegible] من [illegible]
[illegible] معرفا خبيثا وجعل المثاء
وا [illegible] عت الموت
و [illegible] كل [illegible]
وهددهم [illegible] في عكس [illegible]
عن [illegible] أئمة المسلمين في حب الجمال وا [illegible]
والمسلمون [illegible] في حب [illegible]
[illegible] حقيقة [illegible] حقيقة ،
[illegible] والخرث
والأ [illegible]
ذلك [illegible] وهو في حقيقة [illegible] هو [illegible]
[illegible] الإسلامي
[illegible] فمن ادعى أن المسلمين يكرهون [illegible]

(١) [illegible]

مطلقا فقد كابر وباهت . ويكفى فى [illegible] هذه الأمور [illegible] فى أخلاقهم
ولباسهم ومساكنهم وفرشهم وجميع أمتعتهم وغيرها . ومن [illegible]
يراه بعقله جمالا فهو جمال من فواحش وغيرها فقد [illegible] . ولا
يمكنه بحال أن [illegible] ، [illegible] وأيضا فيه [illegible]
[illegible] الحقيق هو [illegible]
[illegible] لله و [illegible]
[illegible] من حرام [illegible]
هو [illegible]
الكريمة [illegible]
[illegible]
من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كالحيوانات التى تدخل [illegible] لا كل
والشرب وغير ذلك [illegible]
والدين أن يدعى حب [illegible]
[illegible]
[illegible] سكوت عن [illegible]
كالشمس [illegible]

فصل

ومن [illegible] أمره [illegible] جميع [illegible]

واستدل على ما ادعاه من فضل المال وفضل الكسب بقول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ : إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، وذكر أن رجلا مشركا قال لأبي بكر مثل ذلك (١) [illegible] هذا في رواية قوله تكسب المعدوم أي تكسب الشيء المعدوم الذي لا يستطيع [illegible] أن يكسبه لعدم مثاله ، ولا يكسبه محتاج [illegible] على القوة والمهارة [illegible] صحيح ، وهذا [illegible] الملك ترحل [illegible] (٢) [illegible] على [illegible] في [illegible] وعلى [illegible] في [illegible] ، [illegible] على كسب [illegible] وعلى [illegible] من فضل [illegible] .

والجواب [illegible] على مثل هذا ، وأن [illegible] كسب [illegible] في موضع [illegible] من فضل [illegible] ثم كلامه هنا على هذا [illegible] في قولها تكسب معدوم أنك تاجر [illegible] والرسول عليه الصلاة والسلام [illegible] ، وقد [illegible] الله على أن يكون [illegible] هو [illegible] فيها ، وكذلك أبو بكر [illegible] مشهورة ثم كلامه يتضمن أن كل من هو [illegible] في [illegible] لا يخزيه الله أبدا ، وقد قرر هذا

---

(١) [illegible] هذا المشرك ليكون أقوى له [illegible]

(٢) [illegible] في الحديث في الخروج ، والغاية في الخزي ، ولكنه [illegible]

المخذول في أغلاله هذه أن [illegible] أمهر الناس في [illegible] التجارة وأقدرهم على
تحصيلها وعلى هذا لا يجزيهم الله شيئا . ومعلوم أن [illegible] حرائم [illegible]
فهذا [illegible] كما أنه [illegible] في التجارة ممدوحة
مطلقا ولا مذمومة مطلقا ، بل ان كان المطلوب من التجارة النفقة والتقوى على
طاعة الله وصرفها في وجوهها المشروعة فهي ممدوحة . وان كان المراد [illegible]
عكس هذا [illegible] في [illegible] فهي مذمومة
وليس المراد بكسب المعدوم في حديث [illegible] في [illegible] والتقوى في ضدها
[illegible] كسب
المعدوم [illegible] في وجوهه المشروعة [illegible] الكسب [illegible]
كسب [illegible] الكسب [illegible]
التقوى [illegible] كسب المعدوم
فقط بل ذكرت هذه الاوصاف كلها [illegible] كسب
المعدوم [illegible] في [illegible]
مشروعة . [illegible]
[illegible] مذمومون [illegible]
[illegible] الاجر [illegible] في [illegible]
[illegible] هو [illegible]
كسبه من كل وجه ثم البخل به مطلقا كما هي [illegible] . وهذا [illegible]
مقتضى الحديث . لأن فيه الاعانة على نوائب الحق وصلة الرحم وهذا هو الذي
دعى اليه المسلمون من الحث على كسبه و[illegible] في وجوهه النافعة ، وهذا هو
العدل . ثم الحديث أيضا حجة عليه من [illegible] لأن فيه ترغيب على
صلة الرحم ولا يعرف احد أشد من هذا [illegible] بعدا عن صلة الرحم . و[illegible]
[illegible] موجودة [illegible]
[illegible] لا [illegible] ولا [illegible] في

صعره . ولما أخزى الله هذا [illegible] رجل [illegible] وجعله [illegible] له
التي ظهر بها في أغلاله

فصل

ثم أطال في مدح اكتساب المال وحب الجاه [illegible] كتاب [illegible]
على الكسب وتنمية التجارة . [illegible] ثم ذكر [illegible]
[illegible] بسبب التجارة عند [illegible] . و[illegible]
[illegible] قد أثقلتها الاديان المحرفة ، [illegible] في حالة سوء ولذلك وصلوا
الى [illegible] ، وكل هذا كذب [illegible] قصد خبيث وهو
أن [illegible]
لم [illegible] محمد ﷺ [illegible]
و[illegible]
[illegible] أحد في [illegible]
الأ[illegible]
المشتملة على امتداح الآلام والعذاب والأمراض و[illegible]
و[illegible] شبيه [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] وقد أكثر من [illegible]
[illegible] والتخليط والخلط والتشكيك في
الدين ما يطول وصفه . ولا [illegible] مقدمة للصراع بل هي مقدمة
[illegible] صرع فيه في هذه الأغلال [illegible] ، وقد بينا أنه
ان [illegible]
فان [illegible] في الآداب و[illegible] وفضل الاكتساب
أكثر من [illegible] . وان كان [illegible]

ذلك فيقف [illegible]
وعبادة القبور [illegible]
و [illegible] الملاهي . [illegible] أعرض [illegible]
شيئاً من هذه [illegible]
هذه [illegible] وقد كان [illegible]
تبين من دعا الى هذه الامور في [illegible]
نذكر ما يعتمد عليه ، أما مجرد [illegible]
المعنوي [illegible]
الذي لا ريب فيه ، [illegible]
الذين جعلوا أقصى ما لديهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وشه [illegible]
في [illegible]
و [illegible]
الله [illegible]
على [illegible]

[illegible]
أو [illegible]
[illegible]
تقدم [illegible] وقد

(١) [illegible] ج ٢ ص ٢٥٦

أصلوا كلام [illegible] ولو [illegible] والحجج والأساليب في الثناء على هذه اللفظة ومشتقاتها
أى يتقى [illegible] وقد ذكروا أن أعمال الخير كلها تنطوى تحت هذه اللفظة وأنه
أى يتقى به كل شيء .

والجواب أن تقول أنا لا أقول ولا أشك في صدق ما [illegible] أن أقول .
نعم يجب أن لا تشك في كذب دعواه [illegible] وإذا كنت لا تشك في صدق نفسك
فهل يجب [illegible] من الناس أن لا يشكوا في دعواك ، أم تريد أن تجعل الناس
كالأنعام [illegible] وقد [illegible] في نفس من [illegible] ، كما
تقول [illegible] وسواء كنت صادقا في ادعائه
من أنك لا تشك في صدق [illegible] وكذب [illegible] على أحد من
الناس أن [illegible] لا تشك في صدق ما تقول ، كيف
وقد حكى الله [illegible] عن بعض خلقه أنهم عملوا أعمالا معتقدين أنهم
على هدى وهم [illegible] على أتم الضلال ، فقال تعالى ﴿ قل هل أنبئكم
بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا ﴾ وقال ﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا
الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرأيت
من زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم
مهتدون ﴾ إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الصريحة الدالة على أنه ليس
الكفر والضلال مخصوصا [illegible] بل من أعرض عن
طلب الحق [illegible] هو عليه من الرأي أو قلد آباءه أسلافه أو غيرهم واتبع
هواه أو [illegible] الإسلام في أصول الدين فهو
كافر سواء كان ذلك جهلا أو عنادا [illegible] الحجة بلاغ يمكنه فهمه
بحيث [illegible] أو فهمها وأعرض عنها فلا

شك في كفره . ومن أنكر ما علم بالضرورة من دين الإسلام فهو كافر . وقد
سبق لكل كافر أن يدعي في كل حجة أنها لم تظهر له . وأصول الدين واضحة
كالشمس . قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١) : كل من لم يقر بما جاء به الرسول
فهو كافر ، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه
اتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به . فكل مكذب لما جاء به فهو كافر .
وقد يكون كافرا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به . ولهذا أخبر في غير موضع
من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله وإن كان له مع ذلك حجة
واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت المكذبين
والمنافقين . المعنى وذلك لأن المقصود من الإيمان أمر أخص من التصديق
الخالص ، والتسليم للطاعة والانقياد ، وهو أمر مجمع عليه عند المسلمين كلهم .
فإن من صدق الرسول ولم يتابعه ويذعن لما جاء به فهو كافر ، فإن فرعون
مصدق برسالة موسى ولكنه لم يتبعه استكبارا كما قال تعالى حاكيا عن
موسى أنه قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض
بصائر ، وإني لأظنك يا فرعون مثبورا . ومعلوم أن فرعون موسى ما بقي
لم يثبت وقال تعالى : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا . وكذلك
كان أكثر كفار قريش أو كلهم علموا صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه
اتباعا لأهوائهم كما قال تعالى : قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . فهؤلاء كلهم مصدقون بالرسالة
ومحكوم بكفرهم لأنهم لم ينقادوا لما جاء به . فإذا تخلف الانقياد لم يحصل
الإيمان ، سواء كان ذلك عنادا أو إعراضا عن طلب الهدى . وأصول الدين
كلها واضحة كالشمس . كما قال عليه الصلاة والسلام : تركتكم على المحجة
البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك . وكل ذي عقل يعلم

---

(١) في كتاب العقل والنقل ص ٢٢٩ ج ١

أن من قصد [illegible] الحق واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد والحرص فلا بد أن
[illegible] الحق [illegible] كما قال تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر . وقال تعالى : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ﴾ فمن
أناب الى الله هداه اليه والى ذلك [illegible] هدايته وسلك طريق
[illegible] الرجوع الى الله وقصده وطلب توفيقه . وطرق الضلال
[illegible] عن الاستكبار [illegible] والاسلاف [illegible] وقد
[illegible] والزندقة كما نجد [illegible] طريقة الخداع والمكر [illegible]
[illegible] متى وقفوا على ما يصدر منهم من الأمور
[illegible] في كل [illegible]
[illegible] الاحق والاحسن [illegible] الناس لم
[illegible] الله [illegible]
[illegible] قصد حسن .
وما [illegible] أن هذا [illegible] المتقين الأولين [illegible]
[illegible] كثير من [illegible] أيضا
[illegible] فانه قال لقومه ﴿ ما أريكم إلا ما
أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ . وقال تعالى عن المنافقين ﴿ واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ﴾
[illegible] وقال تعالى ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما
أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به
ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ، فكيف اذا أصابتهم
مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا احسانا وتوفيقا ،
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم
قولا بليغا [illegible] لو أنهم اذ ظلموا

أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما .
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [illegible] ما في هذه الآيات من العبر
العظيمة ، [illegible] على بصيرة من أمره . فقد بين الله
فيها صفة المنافقين [illegible] حقها .
[illegible]
[illegible] من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله
يشهد إنهم لكاذبون) ولو أن [illegible] أطاعوا كل من [illegible] وقدح في
الإسلام والمسلمين وادعى أنه [illegible] الإصلاح [illegible]
فيه وعبث به ولعب كل من شاء [illegible] الله [illegible] كل شيء
[illegible] للصادق [illegible] على صدقه والكاذب كذلك جعل له علامة على كذبه
[illegible] على دين الإسلام [illegible]
[illegible] الإحسان [illegible]
[illegible]
عقله ، وليعلم أنه لم يعرف دين الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا شك في [illegible]
[illegible] الإسلام
[illegible]
[illegible]
جدلا ، والا فنحن نباهله على أنه لا يعرف ذلك [illegible]
[illegible] فإن هذا من أعظم
[illegible]
[illegible]

وذم الخيانة و[illegible] ويقف به [illegible] أردت أن كتب أهل العلم من أهل السنة
المعمول بها موجودة فيها هذه [illegible] لا تجد في واحد
منها شيئاً مما ذكره على ما زعمه [illegible] ولا كلمة ولا نصف كلمة ، وان أردت
المؤلفات [illegible] من الأكاذيب و[illegible] فالمسلمون مخالفون لك
ولهم في كل ما يقولونه في أصول الدين وقواعد الاسلام وفروعه ، مع أن
في كتب هؤلاء شيئاً أخرى [illegible] ولا يصح [illegible] هذا [illegible]
الى المسلمين على كل تقدير [illegible] في أي كتاب من كتب أهل السنة
وجدت مدح [illegible] وان كان [illegible] وان كان
الفقر هي كل شيء لو تكلم بها [illegible] حتى يسيل لعابه على صدره لاستكثر
الناس منه [illegible] فكيف [illegible] الأرذلة الأدنية التي تركها أمة فهوى
[illegible] واذا [illegible] في [illegible] واذا [illegible] في [illegible]
من [illegible]

فصل

ثم ذكر [illegible] ومدح الفقر [illegible] الى شيء من
الكتب ، وليس فيها ما يدل على [illegible] على [illegible]
واذا كان مدعيا تزويرها [illegible] أوردها في
أول البحث . لكن في هذه [illegible] عليه السلام ، [illegible] أحيني
مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ، [illegible] هم
الفقراء [illegible] ، [illegible] على [illegible] ، وهذا كذب
[illegible] على [illegible] وعلى الشرع [illegible] من [illegible] بعض [illegible]
لمعيشة [illegible] ذلك [illegible] لا علاقة له [illegible] ولا بأس ، فكم
من فقير أشجع وأنشط وأدين وأثبت وأعقل وأعلم من مائة غني أو أكثر ،
وهل [illegible] الصحابة الذين [illegible] وهم على [illegible] المعروفة ما أصابهم

من القلة . وهل يقال إنهم مذمومون بذلك ، فالشجاعة والنشاط والتدين والهمة
العالية ليست من وظيفة البطن والفرج ، ولا هي من وظيفة القلوب والأبدان ،
والدرهم والدينار مادة واحدة ضعيفة من مواد كثيرة في حياة الإنسان وقوته
وصحته ونشاطه . ولا يلزم من ضعف هذه المادة أو حدة ضعف حياة
الإنسان ، فإن مادة التدين والعلم والعبادة أعظم مادة للقلوب وحياتها
الصحيحة ، والفقر من هذا من الفقر المدقع المميت . والذي [illegible] في سبب من
الأسباب إن [illegible] على وجه [illegible] وقد تكون سببا للموت
وكذلك الاعتقاد في حديث إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها فقد جاء كلمة
فإنه حذف آخره الذي [illegible] الدنيا ملعونة [illegible] من جميع ما فيها
ملعون فإنه قال : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى وما والاه
أو عالم أو متعلم ، ويدخل في هذا ما يستعمل في الأمور المباحة والمشروعة إذا
استعملت على وجهها داخلة في قوله عليه السلام : وما والاه ، وأما الأمور
الأخرى فلا شك أنها ملعونة وملعون أهلها [illegible] ومن
العجب اعتقاد حديث : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء ، وهو حديث صحيح متفق عليه ولكنه استغرب
واستشكل كونها بهذا الرخص عند الله مع كونها غاية عبده ومعبوده ،
فكيف تكون الدنيا هذا الحد في الرخص عند الله حتى تكون أرخص من
جناح البعوضة ، فإن هذا الرخص عظيم جدا لا تطيقه نفسه ولا يمكن أن
يدخل عقله ، وكيف يحمل على [illegible] شفقة [illegible] وتكون الدنيا كلها
من أولها إلى آخرها عند الله أرخص من جناح بعوضة مع صغر جناح
البعوضة وخسته وضعفه وحقارته . ونسبة [illegible] الآخرة [illegible] والدين
وأهله في عينه مع عظم هذه الأمور وجلالتها يكون على بصيرة . ولهذا فإنه
أورد هذا الحديث في [illegible] على المسلمين ظنا منه أنهم يحجون بما يحمله . هذا
مع كون الحديث لا علاقة له بأمر ولا نهي [illegible] من أنه لا

[illegible] المسلمون احتلوا الدنيا عندكم
كثيرة ثم إنه عليه السلام برهن على ذلك بقوله [illegible] كافرا منها شربة ماء
وهذا برهان قاطع إذ كونه سبحانه يعطي أعداءه منها عطاء موفورا [illegible]
[illegible] والعظائم دليل على أنها ليست بشيء لديه . وفيه تسلية
[illegible] ولا الاجتهاد في العمل والتجارة ،
فإن [illegible] والاستعلاء عن الاكتساب [illegible] والفجور ، فالمؤمن
[illegible] إلى الكافر [illegible] ما هو عليه من المعاصي والكفر يستغرب
[illegible] بأن الدنيا ليست عند الله بشيء ، إنما الشيء العظيم هو الدين
والعمل الصالح كما قال تعالى [illegible] بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون ، وكما قال تعالى ، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن
الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ، وقد اشتد أيضا حديث ما ذئبان
جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف
لدينه ، رواه أحمد وصححه الترمذي . وقد [illegible] إلا بلفظ ما ذئبان
ضاريان أرسلا في غنم بأسرع فيها [illegible] في دينه يحب الشرف والمال
وهي [illegible] خلاف اللفظ المشهور ، وهو لم يعزه إلى شيء من
الكتب بل [illegible] على وجه [illegible] لأن الفرق بين
هذه الرواية [illegible] الرواية [illegible] واضح ، لأن الرواية
الأولى فيها لفظ الحرص وهذه فيها لفظ الحب وفرق ظاهر بين الحب والحرص
فليس كل من أحب شيئا حرص عليه . وهذا الحديث [illegible] المعارض
من جوامع الكلم الذي أوتيه صلوات الله وسلامه عليه ، فإن هذا الحديث
العظيم اشتمل على أمرين عظيمين [illegible] من الحرص على الشرف وعلى
المال وشبه حرص الإنسان عليهما بذئبين جائعين ، لأن الحرص على المال
[illegible] في الجشع [illegible] والرشوة [illegible] المرض وسرقة وشهادة الزور [illegible]
كما [illegible] في [illegible] الخضوع [illegible] النفس وسقوط المروءة [illegible] ربما [illegible]

[illegible] ولا شك [illegible] فهو كالذئب [illegible]، لأن
[illegible] كاندفاع الذئب الضارى هذه الغنم
[illegible] وأما
[illegible] والمكر
[illegible] الأغنام [illegible]
على [illegible] وهذا [illegible]
[illegible] سماعون للكذب أكالون
[illegible] والثانى الحرص على المال، وهذا
[illegible] الكلام هو جماع الانقياد
[illegible] الخسارة وحلت
[illegible] الخلق، وقد كان
[illegible] وعدوه [illegible]
لطف الله أنه لم [illegible] والله [illegible]
نصير. ولا شك أن الحرص الشديد على حب الشرف [illegible]
[illegible] السلام: لا ترجعوا بعدى كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض. ولا شك [illegible] هذا الحرص كالذئب الضارى الذى
يفسد الغنم [illegible] هذه الأخلاق [illegible]
[illegible] فى ذلك
[illegible] المعنوية
[illegible] عليه [illegible] أن
[illegible] أو صعفه، ثم بين ما
[illegible]
[illegible]
[illegible] فقط، وسواء

كانت صحيحة أو ضعيفة فقد يفهمه بعضهم أنه نص على بعض ما في هذه حرمة الأحاديث ومعه شيء من ضعف، فهو كتب في غلافه كل ما حظر على باله مما وافق هواه ودينه، لأن غرضه الذي قصده لا يتم في رأيه إلا بذلك، وقد فقد الخوف والأمن وتجده يعرض لديه ما يقع من عجز. ونفحة بحجره، لأن هذه المواقع قد رتبت وحمل عليها الشبهة والصحة وعدم الدس

واعلم أن جميع ما يعتمد على الأحاديث الصحيحة هو من حسن الاعتقاد هذا، فيكون نقطة في كل حديث ورد على وجه لا يعقله بين صحيحه أو ضعيفه وبين ضعيفه وبين المنسوب عزوا به، ولا وروده والاحتجاج به مرفوع ومصروف به وجهه لأنه ثم لا يستمر إلا يضبط عنه وليس من التحقيق والعرفان، لأنه بني على سوء صورته وقد عرض عن أحاديث كثيرة صحيحة في مدح الكتب والسنة وغيره لغفلته وأسوأ بغير حاجة وعملت بما لا ذنب فيه

إذا عرفت هذا فاعلم أن الأحاديث الضعيفة في ورده وكذلك ما نقله عن كتب الصوفية وغيرهم لا يعمل به في شيء لأنه لا يرد على المسلمين فإن حكم الحديث الضعيف عندهم معروف وهو عدم الاحتجاج به. وأما كتب الصوفية أو الحكايات فقد أجمعوا على عدم العمل بها ومن حسن الظن بهم فإنه يقول لا يجوز لأحد بعضهم ، فكان عدم العمل بها متفقا عليه ، وبهذا تندفع جميع ما بناه على هذه الروايات والنقول الصوفية، على أن ما نقله قليل جدا بالنسبة إلى ما اقترفه ووزره، فإن أكثر كلامه خرافات أوهام لا حقيقة لها يخترعها ثم يشرع في التعجب بعد أن يرمي بها مسلمين لمن آمن بها، ومعلوم أن هذا لا يفعله إلا من أصيب في دينه وعقله جميعا، وهذا هو الواقع في هذا الرجل المسكين المخذول المسكر

فصل

ثم أخذ على [illegible] [illegible] في [illegible] كتب [illegible]
في الزهد . وانتقده [illegible] [illegible] في [illegible]
ولا [illegible] [illegible] [illegible] وخشوع ،
وأن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هذا
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هذا الحصول
[illegible] [illegible] الكتاب المعروف
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
الإسلام وأهله ، [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] كتابا في هذا الغرض في ذم
[illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] يشعر
[illegible] [illegible] في ذم [illegible] كثيرة
سمى كتاب الزهد [2] [illegible]
فقال [illegible] [illegible]

---

(1) [illegible] تقد [illegible]
[illegible]

(2) [illegible] في كتاب الزهد [illegible]

وسيرهم في خطبهم في ذم الدنيا [illegible] العالية
وكنت كاتبا [illegible]
وهؤلاء يقولون في مذهب [illegible] نصوص [illegible]
النبوية قال الله تعالى [illegible] وقال تعالى ﴿ أنما الحياة الدنيا
لعب ولهو [illegible] للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ وقال تعالى
﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ وقال تعالى ﴿ ذلك بأنهم
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة [illegible]
الحياة الدنيا إلا متاع الغرور [illegible]
الآخرة هي دار القرار [illegible]
الحياة الدنيا وتقديمها على الآخرة [illegible]
[illegible] وهذا عكس [illegible]
كما أن [illegible]
تجد فيه من [illegible]
الأغلال في ذم الدين والعقل [illegible]
الملاحدة والزنادقة [illegible] من ذم الدين والآخرة
فيكون [illegible] ابن أبي الدنيا من الحادين
[illegible] ولما كان هذا المخذول معترضا على ابن أبي الدنيا وغيره كالإمام
[illegible]
أحمد [illegible]
ودينه ، فإن من فعل هذا فلا بد أن [illegible] الإسلام وأهله
والعجب أنه [illegible]
وجعل [illegible] لله وحده
كان [illegible] وشدة [illegible]
[illegible] من جميع ما لأئمة المسلمين من

[illegible] الإسلام والجهاد في ذات الله ولم
يعرف [illegible]
[illegible] الطويل العريض عليهم [illegible]
[illegible] واحدا ولا زنديقا ولا [illegible]
عليهم قولا واحدا مع [illegible]
[illegible]
يديه وجعلها حججا يحتج بها في القدح في [illegible] انه أعجب جدا
[illegible] عمرو [illegible]
الكلمة [illegible] العاص [illegible]
ﷺ لعبد الله بن [illegible]
أصبحت فلا تنتظر [illegible]
لسقمك ومن حياتك لموتك [illegible]
وأحسن أثر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والمسكنة وعدم الأخذ بالحيطة والحذر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من صحتك لسقمك [illegible]
[illegible]
الإ [illegible]
عمرو بن العاص ان صحت عنه وهي قوله [illegible]

فإن هذا هو الشقى الذى يرى أنه يعيش أبدا لا يعمل للآخرة بل يرفضها
ولا يعمل للدنيا عملا كبيرا بل ينغمس فى الراحة والكسل والتراخى فى العمل
لأنه يسوف نفسه [illegible] من وقت الى وقت آخر لأنه يرى الزمان ممتدا
أمامه، وفى إمكانه أن يقضى أمره متى شاء، ويستمتع بشهواته فينغمس فى
الملاهى و[illegible] وقضاء شهواته، وهكذا [illegible] الأيام لأنه يرى أنه
سيعيش [illegible]، وهذا كان أكثر المنغمسين فى شهوات
أنفسهم [illegible] لا يفكرون فى الآخرة والموت
[illegible] الذين يستعدون للآخرة
[illegible] أقوى [illegible] وأثبت
[illegible] عقولا [illegible] على
[illegible]

فصل

[illegible] والأمراض،
[illegible] شهوته وهواه [illegible] فى أهواء [illegible] الأوهام
[illegible] هذه الأمراض الخبيثة عند هؤلاء،
[illegible] الأعراض والأمراض كل [illegible]
[illegible] فى الإسلام
وأهله، [illegible]
[illegible] المقصود [illegible] وقد تقدم ما [illegible]
[illegible] أخطاء [illegible] وأغلاط
[illegible] و[illegible]
والآخرة [illegible] فى كتب أكثر
[illegible] وقل أن تجد كتابا

ليس فيه الدعوة الى الأضرار بالنفس أو نحو من الحث على الطهارة والنظافة .
وهذا كتاب (وصف السعي والحركة) للحمد مستقل مطبوع كله في الحث على
السعي ، وأمثاله أكثر من أن يحصر

ثم ذكر عنهم أنهم لم يقفوا عند مدح الفقر وحده بل تجاوزوا ذلك
وقاموا يمدحون الأمراض والأسقام ، وأطال في هذا ، ثم ذكر عن كتاب
(الاحياء) للغزالي أنه نقل فيه قال : جاءت امرأة الى الرسول فقالت يا رسول
الله اني عندي فتاة حية أحببت أن أهديها اليك زوجة ، فقبلها . ثم قالت
يا رسول الله الا أنها لم تمرض . فقال عليه السلام لا حاجة لي بها ، ثم
ساق روايات من هذا الجنس . ولكن السيوطي صنف كتابا في هذا
الموضوع والعجب أنه كثيرا ما ينقل أبوابا ثم يقدح فيها ثم يشنع على
المسلمين بوجودها في كتبهم مع علمه أنهم لم يعملوا بها ، ومع علمه بأنهم لا
يعتقدون أن أهلها معصومون من الخطأ ، ومع علمه بأنه قد يوجد في هذه
الكتب من الشرك وسوء الصفات وغيرها أضعاف أضعاف ما يوجد فيها مما
ذكره . ولكن هذا الملحد سريع الانطلاق الى نقل كل ما يجد فيه رائحة من
القدح في الدين ، ولا هو يعلم حقيقة الحال في مثل كتب الغزالي وابن عربي
وغيرهم لا يعتمد على كل ما فيها ، بل علم أن فيها بدعا تنافي الدين ، وقد كان
من الواجب عليه لو كان يريد الحق أن يعدها من هذه الناحية ، وهو يعلم أيضا
أن كتاب الاحياء هذا قد قدح فيه كثير من العلماء وبكي ما حشاه فيه من
الأحاديث الموضوعة والضعيفة من دون أن ينبه عليها ، وقد جرى احراقه
في المغرب برأي جمع عظيم من علماء المسلمين فكيف يدعي هذا الملحد أعلاطه
ويجعلها سواء ينعي بها الاسلام مع أن فيه من الثناء على النظافة وتجنب
الامراض والأسقام وحب الاكتساب شيئا كثيرا ، ولو أن هذا الملحد وجه
هذا التشنيع الذي شنع به على الغزالي الى حسن السبكي وابنه وابن حجر
الهيثمي وأمثالهم من المتعصبين له المعتذرين فيه كان أولى به ، أما توجيه التشنيع

بما فيه هو وأمثاله على المسلمين مع انكارهم له فلا يفعله الا خبيث السريرة مطموس البصيرة . والله سبحانه قد بين لنا في كتابه العزيز وجوب تجنب المضار وسؤاله العافية فقال تعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » وقد أمر عباده أن يقولوا « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وقد قال ﷺ « اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة » وأمر بذلك وقال عليه السلام « اسألوا الله العافية » وأمر بشيء من مبادىء الطب ، وأباح للمريض والمسافر والمرضع الفطر رفقا بهم ، وقال « يسروا ولا تعسروا » ، وكتب المسلمين فيها ما لا يعد ولا يحصى من بيان الادوية واستحبابها ، وذهب كثير الى وجوب التداوي . فهذا الارجاف والصياح والحبوب والنحس المكرر في الدعاية بأن المسلمين يمدحون الاسقام والأمراض والجوع والشقاء . قبحه الله ما أجرأه وأحقره

فصل

وكذلك دعواه أن المسلمين يحرمون أو يكرهون البناء والعمران وأنهم ينسبون الى الدين أنه حاث على ذلك . كذب وبهت ظاهر بهذا الاطلاق ، وقد حاول أن يؤيد هذه الدعوى الكاذبة المرذولة بأن نقل بعض روايات فيها النهي عن البناء ، مع أنه اعترف بأنها لم تصح . فلا ندري أهذا الملحد يشنع على المسلمين برواياتهم أو بالعمل بها . فان كلامه متهافت متناقض . وأدنى حل من العامة فضلا عن غيره يعلم أن المسلمين لا يحرمون البناء ولا يكرهونه وهذه كتب الفقه وغيرها من جميع المذاهب مملوءة بذكر البناء وحكم الجوار وأحكام بيع البيوت والدكاكين وغيرها . فالحس والمشاهدة بالحواس كل ذلك يكذبه . فان مدن الاسلام وقراه كثيرة معروفة

وليس يصح في الاذهان شيء ۞ اذا احتاج النهار الى دليل

وأي جور أعظم من الادعاء على المسلمين أنهم يكرهون العمران

ويحاربونه، وهو يرى المسلمين كلهم من أهل القرى حالين في البناء يدخلونه ويخرجون منه ويصلون فيه في كل وقت وحين. ومن بلغ به الفجور في هذا الحد فقد بلغ الغاية في الخبث والمكابرة وسوء الاعتقاد. ثم إن هذا الملحد لم يكتف بهذه الدعاوى الخبيثة من تعديه بالبلاء والشقاء وسوء القصد، إلى أن أضاف إلى المسلمين أنهم يمدحون القذارة والوساخة ونقل بعض روايات مجهولة لا تكاد تعرف وليست عن إمام معروف مستدلا بها على هذا الزور، وضرب صفحا عن جميع ما قاله وفقه علماء الملة في كتبهم من وجوب الطهارة والنظافة وتحريم مباشرة الأقذار والأوساخ، وأي كتاب من كتب المسلمين موجود هذا فيه. وأعرض عن هذا كله وتتبع ما في كتب الأحاديث من الصوفية ونحوهم. فكأن غيبة عنها وثيقة بينه وبين الملاحدة أن لا يجد فيه أو حصة في رحل من مجموع من ينسب نفسه للإسلام فيه شيء من النقد ولعب إلا ذكرها وأضافها إلى المسلمين. وقد سبق أن الغرض من وضع هذه الأغلاط هو تشويه سمعة الإسلام، وهيهات وما كيد الكافرين إلا في ضلال. وقد ألجأت الضرورة هذا المخذول إلى أن احتج بأنه يوجد في تذكرة الانطاكي شيء من هذا، وادعى أنه كثيرا ما يوصي بأكل القمل والحشرات. وهذا غاية ما قدر عليه هذا الزائغ، ونسي أن في تذكرة الانطاكي صريح شرب الأكر ومخالطة النجوم ودعاءها، وهو يعلم أن المسلمين يكفرون من فعل هذا مع أن الانطاكي هذا نفسه ذكر في تذكرته هذه حث على سنن النظافة واجتناب الأوساخ أكثر مما ذكر عنه. مع أن هذا النقل كذب بهذا الاطلاق. ثم أطال في ذم الفقر والمرض واحتال على عادته في تكرار العبارات والأسلوب في المعنى الواحد. وقد سبق الكلام عن هذا مرارا فلا حاجة إلى إعادته

وذكر أن الله يحب أن يحب. وقد تقدم الكلام عن هذا أيضا. ثم إنه ذهب في تفسير الجمال إلى غير ما ذكره أهل العلم حيث تكلم على حديث إن الله جميل يحب الجمال فقال: من الأحاديث المضحكة في هذا الباب أن رجلا

فان النبى الكريم قال ان أحدنا يحب أن يكون ثوبه أجمل من ثوب أخيه ونعله أجمل من نعل أخيه فهل فى هذا بأس أو كبر ، فقال عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال ، كلمة تقوم على معانيها الحضارة الانسانية كلها ، بل التاريخ أجمع بل الوجود كله ان جميع ما كتبه علماء الاجتماع والفلسفة وغيرهم فى تجميل الحياة وجمال العمل وتجميل كل ما يتناوله الانسان لا يبلغ مبلغ هذا الحديث فى القوة وفى الحث والتحريض ، لماذا خلق الله الشمس والقمر والنجوم وسائر المجموعات الشمسية ما نرى منها بالعين المجردة وما لا يرى منها الا بالآلات الدقيقة المقربة وما لا نرى منها شيئا[1] . لماذا خلق الله هذه كلها جميلة رائعة الجمال ، ولماذا خلق الله الليل الجميل والنهار الجميل والألوان جميلة والأصوات الجميلة والمناظر الجميلة والانسان الجميل والحيوان الجميل وكل هذا الوجود الجميل . خلقه كذلك لانه يحب الجمال . ولماذا يحب الجمال . يحبه لانه تعالى جميل والجميل يحب أن يكون كل شيء جميلا ، ثم انظر الى هذه الثروة التى تستحق العمر من حكايتها . وقد جعل الوجود كله جميلا ثم جعل الجمال يحبه الله من أجل أنه جميل ، ثم ركب على هذا أن الجميل يحب ان يكون كل شيء جميلا ، فهل هذا فليس فى الوجود شيء قبيح . وقد قال تعالى (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) فأخبر عن هؤلاء الملاحدة المعاندين لرسوله أنه أتبعهم فى الدنيا لعنة وأنهم فى الآخرة من المقبوحين ، ومعلوم أنهم من هذا الوجود ومن خلق الله ، ولكن لما كانوا ملاحدة كانوا مقبوحين بسبب ما عملوه من القبائح المضادة لمصادر الجمال التى هى الأعمال الصالحة وكل ما ذكره عن هذا الحديث هوى مركب ليس عليه أثارة من علم وهو تكلم فى ذات الله وصفاته بلا دليل بل جرأة على الله ، وليس فى الحديث ما يشير الى هذا الذى ادعاه بل الحديث يدل على خلافه فانه قال عليه الصلاة

---

(١) الذى لا يرى البتة من الذى أخبرك به

والسلام «إن الله جميل يحب الجمال» ولم يقل يحب الوجود لأنه جميل فى حصر
الجمال بالمحبة وحده ، ومعلوم أن الكفر والنفاق والالحاد ليس من الجمال فى
شىء ، بل هو أقبح القبيح ، وكل قبيح فى الدين فإنه مبغوض لله لا يحبه لأنه قبيح
قال الله تعالى : «والله لا يحب كل خوان كفور» ، وقال تعالى : «ولكن كره
الله انبعاثهم» ، وقال تعالى : «إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده
الكفر» ، وقال تعالى : «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه»
ومعلوم أن هذا الذى أسخط الله هو الكفر والفسوق والعصيان ، والله لا
يحب الظالمين ، فإذا كان سبحانه يحب الحسن فمعلوم أنه يحب ما يحبه من
الأعمال الصالحة ويكره ما يضاد ذلك من الفواحش وأنواع المنكرات فيكون
أولى ليس دخولا فى هذا الحديث فأهل السنة صحيحه ، والملاحدة ليس
لهم حظ منه ، والله فهم المستحق أنه لا يحب الوجود كله ، ولو فرض ذلك
لم يسأل ، لأنه لا فرق بين أن يكون بعضه حسنه وبعضه سيئه وكذلك
ثوبه لأنه كله محبوب فإنه كله من الوجود ، والذى عليه أهل السنة أن الله سبحانه
جعل هذا الوجود من صور وصفات من جمال وقبح ونور وظلمة وكفر
وإيمان ، فالإيمان كله وجميع فروعه ومتعلقاته وشعبه جميل ، فالله سبحانه يحبه
ويحب أهله ، والكفر بجميع أصنافه وفروعه ومتعلقاته قبيح فالله يكرهه
ويكره أهله كما أخبر بذلك كما تقدم فإذا كان سبحانه يحب المؤمن وإيمانه ويكره
الكافر وكفره فكيف يدعى أن الوجود كله جميل من كل الوجوه والليل
والنهار فأى علاقة لهذا بهذا ، وإن الشموس منها شىء حسن وشىء لا يرى
وأمثال هذا الهذيان ، فإن أراد أن الله يحب هذه الأشياء كلها وأن كل ما
خلقه فهو يحبه فإن هذا ممنوع شرعا وعقلا فكل ما فى الوجود من ذوات
وأقوال وأفعال فهى خلقه ، ومع ذلك فهو يحب صالحها ويكره طالحها ثم إنه
لبعض شقاشقه فسر الجمال المذكور فى الحديث بالجمال الذى قد وصف لأن كلامه
فيما تقدم شامل لجميع ما قاله ، ومعناه أن الجمال المذكور هنا هو الدين ، وذلك

لانه ذكر في جواب السؤال عن حسن النعل والثوب . فانه يحب جمال الثياب وجمال البيت وجمال الملبس وجمال الظاهر والباطن وجمال الصنعة والزراعة وجمال الحياة وجمال كل شيء ، هكذا قال . وهو برهان على شدة جرأة على الله . والكلام في دينه بما لا علم له به ، وهو مما يدل على عدم مبالاته بمقام الربوبية والنبوة . فهذا الاطلاق الذي ذكره غير صحيح ولا مقبول ولا معقول ، فان الله سبحانه لا يحب مظاهر هذه الاشياء المادية أعني صورها وذاتها ، وليس في الحديث دلالة على هذا . فمن ادعى أن الله تعالى يحب مظاهر هذه الأشياء فقد اجترأ على مقام الربوبية وهو كفر صريح . وكيف يحب سبحانه مظاهر الصناعات بما فيها من مكاين وأدوات ومصنوعات وسكاكين وابر وحبال وأغنام وأدهان وثياب وغير ذلك . وكيف يحب مظهر جمال الزراعة على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وكذلك الثياب ، بل هذا الرجل عمم حب جمال كل شيء ، فمن أين له أن الله يحب مادة جمال كل شيء والرسول ﷺ لم يذكر حب كل شيء ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، وهذا الحديث نص صريح مفيد بمنطوقه أنه سبحانه لا يحب مظاهر هذه الصور المادية كلها ولا ينظر اليها ، وهو شامل جميع الاموال من الصناعة والزراعة والمأكل والملبس وغير ذلك ، كما أنه شامل جميع الصور من الآدميين ، والملحد بنى تقريره على ما فهمه بفهمه المنكوس في الحديث المتقدم بأن ذلك مفهوم الحديث . وهذا الخبر الصحيح أفاد بالمنطوق نفي ما فهمه مطلقا . ودلالة المنطوق مقدمة على دلالة المفهوم بالاتفاق . فالذي أفاده حديث « ان الله جميل يحب الجمال » ليس هو ما فهمه الخصم ، بل أفاد أنه سبحانه يحب المتحقق بهذا الخلق الذي هو الجمال ، لا يحب نفس الشيء المتجمل به أي المادة التي يتجمل بها كما فهمه الزائغ ، فانه قرر أن المراد بالجمال الجمال المادي ، وليس كذلك ، بل الجمال هنا هو الجمال الفعلي الخلقي ، لا الصحابي

سأله عن استعمال هذه الأمور وتحسينه لهذا الاستعمال، فأجابه بذلك الجواب،
فدل على أن المراد بالمحبوب هو نفس الخلق. وذلك كالصدقة فإنها تطلق على
المال الذي يتصدق به وتطلق على نفس فعل المتصدق. فالله سبحانه يحب نفس
هذا الفعل الذي يبتغي به وجهه، لا نفس المال المتصدق به. وهو سبحانه
يحب الستر وهو نفس الفعل لا الآلة التي يستتر بها. ويحب الجمال الذي هو
نفس استعمال وليس هو الأشياء المادية التي يتجمل بها. فإنه لو أخذها غاصب
فلبسها فهي بحالتها لا محبوبة ولا مكروهة له بها كما تقدم. وبالجملة فحديث
«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»
صريح في الدلالة على ما ذكرنا. فالجمال الذي هو التجمل من الأعمال التي
ينظر الله إليها بحسب نيات القلوب. وهذا الحديث دل بمنطوقه أن الله ينظر
إليه الأعمال وما يتعلق بالقلوب لا إلى الصور المادية، ثم من أين له أنه
يحب الزراعة والصناعة وجمال كل شيء. وليس في الحديث ذكر لهذا. فما هذا
إلا من مجاوزة الحدود. وقد سبق قوله «وكل هذا الوجود جميل. فعلى هذا
فكل هذه المخلوقات يحبها الله من حيوان ونبات وجماد» والبلية استدلاله على
ذلك بالحديث، فجمع بين الكذب على الله تعالى والكذب على رسوله عليه
الصلاة والسلام بهذا الهذيان البارد. والرسول ﷺ لم يقل للصحابي الذي
سأله عن محبته للنعل الحسن والثوب الحسن إن الله يحب النعال أو الثياب
الحسنة أو يحب هذه الأشياء الحسنة. بل قال «إن الله جميل يحب الجمال»
لأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن مقصود الصحابي التجمل بلبسها كما هو ظاهر
كلامه في سؤاله. والجمال الذي نوعان: جمال الباطن بالعمل الصالح والتقوى،
وجمال الظاهر بالنظافة واللباس المباح حتى الذي يسره. فالجمال الباطني هو
المقصود والظاهر تبع له. فالله سبحانه يحب من الإنسان أن يتجمل بظاهره
وباطنه. ولهذا ورد في الحديث «الطهور شطر الإيمان» لأنه جمال الظاهر. كما
ورد في الحديث الآخر فيمن قال «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

رسول الله . اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من عبادك المتطهرين ، في آخر
الوضوء ليجتمع للانسان جمال الظاهر بالطهارة وجمال الباطن بالشهادة والدعاء
المتضمن للتوحيد ، فيكون الانسان يتجمل باللباس والخلق الحسن أمام
الناس ولا سيما في المجامع من الأمور المحبوبة . ولا شك أن جمال الظاهر
كالسمت الحسن يدل على جمال الباطن غالبا ، وهو وسيلة إليه . وإذا اعتاد
الانسان التجمل بأحدهما اعتاد الآخر . فتجمل الظاهر لا بد أن يكون له
علاقة بتجمل الباطن . ولا بد أن يكون بينهما مناسبة وإلا كان زورا فلا بد
أن يفضح صاحبه . وليس كل جميل في لغة قوم وعرفهم يكون جميلا في
الشرع ولا كل جميل عند طائفة يكون جميلا عند كل الناس . بل الجمال
الممدوح يجب أن يكون له ضابط نهتم به ، وهو ما شرعه الله ورسوله وما
كان متعلقا بذلك . ولكن يجب أن نفهم أن جميع المحرمات وشعب الكفر
كلها قبائح ليست من الجمال الممدوح في شيء وإن عدها أهلها جمالا فإن ذلك
يفضي الى أن كل الأشياء جميلة ممدوحة وهو خلاف الشرع والعقل
والضرورة ولا قائل به . فاعتماده على هذا الحديث من الهذيان والتزويرات عنه
فهو من مهازله التي اعتادها في الخداع والشعوذة والتمويه على العوام وضعفاء
البصائر .

إذا عرفت هذا عرفت سقوط كلامه كله في موضوع العبارات في الجمال وأنه
تمويه لا حاصل له . ولم يتكلم أحد من المسلمين بحب الجمال . فما ادعاه كلام لا
محل له البتة . ولا ينبغي لمثله أن يتكلم في الجمال ولا الدخول في موضوعه ، فإنه
ممسوخ باطنا وظاهرا فدخوله في ميدان الجمال والتكلم فيه من أكبر الأغلاط
التي وقع فيها فإنه دخل فيما هو أجنبي عنه . ولهذا كان كلامه فيه متهوعا متناقضا
متعكسا لأنه دخل في شيء لا يعرفه ولا يفهمه كشأن كل داخل فيما لا يعرفه
ولا يفهمه . فيجب محاربته ودفعه والحيلولة بينه وبين هذه المباحث الجليلة
الجميلة لكيلا يلوثها بقذارته ووسخه بما يلصقه عليها من هذه الأفكار الخبيثة

فصل

ثم رجع وأطال في ذم العقل وفي [illegible] وأكثر من الاستدلال
على حب الجمال والصداقة ، وكل هذا لا [illegible] ولا وجه للإطالة فيه ، لأن
المسلمين لم ينكروا حب الجمال وحب الأرواح وحب العلم والعمل ، وتقدم
الكلام على مثل هذا مرارا . ثم انه بعد أن فرغ من هذه [illegible]
حب الجمال من كونه تعالى يحب الجمال [illegible]
تحليل [illegible] ﷺ [illegible] على الله ورسوله فقد
ويشهد [illegible] النبي عليه السلام في حب الجمال مذهب [illegible] كان
دائما [illegible] خلوة [illegible]
إني أراه لأن عليه السلام [illegible]
فيه قليلا بعد أن [illegible] على الأحقاف [illegible]
برفق وهون خشية أن يوقظ [illegible] الخروج من [illegible]
تركا وراءه الدنيا [illegible]
[illegible] الى السماء [illegible]
[illegible] والاشراق [illegible] ان
النسيم [illegible] على وجهه المشرق بالأمل والجمال فيلامسه ملامسة
خفيفة [illegible]
يناجي [illegible]
الحروف [illegible] انه يرى
كل شيء جميلا لأنه هو جميل [illegible] من جمال ذلك بقدر جمال نفسه

---

(١) من الذي أخبرك أنه [illegible]

(٢) من الذي [illegible]
لا يعرف الا بالوحي ، فهل أوحي اليك بذلك

ومراحه . انه لا يرى هناك قبحا لان نفسه ليس فيها قبيح والمرء انما يرى الاشياء بنفسه وطبعه . فكل جميلا تر الوجود جميـــلا . انه يرى فى الكواكب فوقه الاشراق والارتفاع والنظام والدوام فتمتلىء نفسه الكبيرة بهذه المعانى وينصب تصوره لها الى أن رسالته يجب أن تشرق اشراقها وترتفع ارتفاعهـا وتدوم دوامها وتنتظم انتظامها . انه يغمره من هــــذا الاشراق والارتفاع والانتظام والدوام ما يرفع عن نفسه الحدود والقيود والموانع . انه يقفل من هذا المشهد الرائع معتقدا أنه لا شىء تستطيع أن يقف فى طريق الجيل الذى تزوّد به ما شهد ورأى والذى قفل به عن أن يتم وعن أن يأخذ طريقه الى الوجود . انه رأى قمرا واحدا وسع نوره الكون وشهد سمـــاء واحدة قد أظلت الوجود . وانه الآن لبرى قلبا واحـدا يستطيع أن يتسع للوجود وأن يملأه ضياء وحرارة . انه يشاهد انسانا واحدا يقدر أن يحمل هذا القلب . ها هو ذا قافل وها هو ذا سجل المدينة يشرق عليها لتشرق هى على الدنيا . انه لا يستطيع فراق الطبيعة (١) لأنه لا تستطيع فراق الجمال . ان كل شىء فيها يزرعه جمالا . وان الليل والنهار والظلام والضياء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف والرعد والبرق والغيم والصحو والرياح والنسائم والجبال والسهول والأنهـــار (٢) والغدران وكل النبات والحيوانات وكل ساكن ومتحرك . ان كل شىء من هذا ليأخذ لبه وبصره (٣)

---

(١) هنا وصف لهدف ، والجمال الذى يدعو اليه ويدعمه جمال الطبيعة اى جمال المادة والا لجمال الايمان والاعمال ليس عنده شىء

(٢) ليس فى الحجاز ولا فى المواضع التى أمامنا عليه السلام أنهار البتة

(٣) اذن فالرسول كالطفل دائما فى روعة ودهشة . اذا كانت هذه الموجودات كلها تروعه فليس فى الزمان لحظة واحدة تخلو من هذه المظاهر الطبيعية . وقد تقدم ما ذكره عن الانسان الأول أنه يهرب من كل متحرك مضطرب ، ويعبد كل متحرك مضطرب ، وهنا ادعى أنه عليه السلام دائما فى روعة ودهشة مأخوذ لبه وبصره بسبب هذه المظاهر ، أما التوجه الى الله فانه أعرض عنه ولم يلتفت اليه

ويلهمه الجمال ، فقد وسعت روحه الوجود كله »

والجواب أن يقال : ليتأمل المسلم العاقل هذا الكلام من أوله الى آخره ولينظر الى هذه القحة والجسارة المردودة التي لم يسبق اليها ، وحسبك دليلا على بطلانها أن كلامه هذا تضمن أن هذا الرجل علم ما في نفس الرسول ﷺ ومن خطر على باله وما يختلج صدره وما توسوس به نفسه ، لأنه أخبر عما تكنه الضمائر وما يجري في الخواطر ، فإن هذه الأمور مما لا يطلع عليه الا الله كقوله « إنه كان ذا نفس تحس الطبيعة وتحنو عليها » فأين دليله على هذه الفرية الكاذبة ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا . ولم نعلم أحدا من كفرة الأولين والآخرين اجترأ على هذه الدعوى فادعى أنه عليه السلام كان يحس الطبيعة وأنه لا يستطيع الخروج عنها وأنه يحبها لأنه يحب الجمال ، وكقوله « فتمتلئ نفسه بالسرور والرضا » وكقوله « انه يرى كل شيء جميلا لأنه هو جميل ، إنه يدرك جمال ذلك بصدر جمال نفسه ومراحه ، لأنه لا يرى هناك قبيحا » وكقوله « إن كل شيء فيها يروعه » الى قوله « وكل شيء يأخذ لبه وبصره » فكل هذا بهت للرسول عليه السلام وجرأة على مقامه الكريم وفاحشة رائعة وفضول لا يتكلم به من له أدنى مسكة من عقل .
وقد عاتب الله الذين يرفعون أصواتهم فوق صوته وأخبر أن ذلك من أسباب حبوط العمل لأن ذلك دليل على عدم هيبته وتعزيره وتوقيره وتعظيمه واحترامه ، فكيف بمن يتهجم على ما في صدره ويدعي عليه بأنه يحس الطبيعة وأن كل شيء يروعه ويأخذ لبه ولا يستطيع فراق الطبيعة ، يقول ذلك بمجرد ظنونه الخاطئة وأفكاره الفاسدة ، وكل هذا الكلام الذي ذكره هنا تضمن أنه عليه الصلاة والسلام كان يعبد الطبيعة ويتعشق مظاهرها ويهيم بها في حياته وأنه دائما موجه فكره اليها معلق آماله عليها ، ولهذا قال فيما يأتي « إنه بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة ومناجاتها » الخ وهذا كله صريح الكفر بل حياته ﷺ هي في التفكير في آيات الله و لآلاء ربه وذكره وتسبيحه

وتقديسه والتوجه اليه ومناجاته ودعائه والتضرع اليه سبحانه وتعالى كما دلت
على ذلك الاحاديث الصحيحة فى الأذكار وغيرها وهذه المقالة انما يذهب
الى بعضها ملاحدة الاتحادية وأمثالهم من زنادقة الفلاسفة ، وانما اتصلت اليه
من طريقهم والعجب أنه ترك ذكر صلاته فى جوف الليل ودعائه وتضرعه
الى الله ، مع أن قيامه وصلاته ودعاءه بالليل كان معتادا ، بخلاف خروجه الى
الصحراء . ولكن لما كانت هذه العبادات تناقض دعوته أعرض عنها وذهب
يتلمس ذلك فى التأمل الفارغ لأجل أن يظن أنه بدا على شيء من التحقيق

فصل

ثم قال : هذا بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة وبمناجاتها فوق غار حراء ،
وختمها بمناجاتها أيضا وهو فى حجرة عائشة حينما كان يجود بأنفاسه ، فقد
كان فى تلك الساعة شاخصا ببصره الى السماء لا يحوله عنها هول ولا أهل .
ويقول : اللهم فى الرفيق الأعلى .

فقال وهذا أيضا من جنس ما قبله فى البهت والكذب على الرسول عليه
الصلاة والسلام وأنه كان يصرف قلبه ويوجه همه وذاته الى الطبيعة . وكل
هذا دعاية صريحة الى التعلق على الطبيعة وعبادتها . ولم يكتف بالدعوة اليها حتى
تجاوز الى نسبة الرسول عليه السلام الى كونه لا يستطيع فراقها وأنه دائما
يناجيها ويخاطبها ويعشقها وأنها تروعه وتأخذ بلبه وتسهمه الجلال وهذا صريح
بأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان يخشى ربه ولا بدأ رسالته بمناجاته
ولا كان يتوجه بالدعاء والذكر والتسبيح والتكبير والتحميد والاستغفار ، وانما
كان كالفيلسوف الطبيعي الذى قصر همته على التفكير فى الطبيعة ومصادرها ،
فهو يناجي الطبيعة ويخلو بها . وهذا يتضمن أنه كان يعبدها ، لأن العبادة
ليست بأكثر من التوجه والمناجاة والخلود وتحسس الأمن ونحو ذلك . فهذا
هو روح عبادة ، وليس وراء هذا القول كفر وزندقة ثم العجب من

دعواه أنه ختم رسالته عن جاذبية الطبيعة أيضا . واستشهاده على ذلك بقوله « اللهم في الرفيق الأعلى » فمن قال إن الطبيعة في الرفيق الأعلى ، حتى يكون شاهدا لما ادعاه . بل هذا يتضمن أن الله تعالى هو الطبيعة بمقتضى استشهاده . ثم من أين هذا الملحد أن النبي ﷺ كان يناجي الطبيعة ، فإن هذا لا يعرف به إلا من حضره وشاهده ورافقه في خلواته وثبت ذلك بطرق متواترة فإن ادعاء مثل هذا أمر كبير عظيم في الأمور الدينية لا يجترئ عليه إلا من لا يهاب الله ولا يحترم كتب الحديث . وكيف يجوز له أن يتفوه بمجرد أن خطر على باله بدون نظر إلى ما وراء ذلك من الخطيئة الكبرى دينا ودنيا . ثم قوله « فوق عرش » خطأ آخر مركب على ما قبله . فالمعروف في الصحيح وغيرها في عرش « لا فوقه » وفرق بين هذا وهذا ، وبطلان مثل هذا أشهر من أن يطنب في رده

فصل

ثم رجع إلى مدح الجمال المادي وذم [illegible] والخروج لأنه وجد هذه العبارات المنبوذة [illegible] (١) [illegible] إمكانه أن يحشو كتابه الذي هو أغلاه من هذه [illegible] ، لما أخذ [illegible] في هذه الأبيات [illegible] كما أراد . وقد نقل هذه عبارات الصوفية أكثرها من باطلها ، وقد وجد كتب الصوفية [illegible] ليس [illegible] شبهة يرى بها الإسلام . وقد بينا مرارا [illegible] أن المسلمين [illegible] من كل ما تقوله الاتحادية وأنه هو أولى بهم . ولو أن يهوديا احتج عليه بكلام هذا الملحد في الإسلام والمسلمين واستدل به لكان [illegible] من احتجاج هذا الملحد بكلام الاتحادية بمجرد أن كلامهم يدعي عليه أنه مسلم ، لكن الاتحادية أحسن حالا من هذا بكثير كما نبهنا عليه فيما تقدم ، وقد كان [illegible] على هؤلاء الصوفية في دعاويهم هذه ، فالواجب عليه أن يرد لهم كتابا منفردا ويوجه إليهم الذم ويرد عليهم

بالأدلة الصحيحة لا بمجرد الاستهزاء والتهكم ، ولكن هو أحقر وأصغر من أن يرد عليهم ، فإنهم أكبر عقولا وأصح آراء منه وممن أمثاله ، وإنما غايته أن يشابههم في خثالة فكرة من أفكارهم ، وهم لم يتحسروا أن تفوهوا بمثل ما تفوه به ، فإن غاية ما يعارضهم به أن يثبت ضرر الخوع وهم في إمكانهم أن يثبتوا ضرر التخمة وكثرة الخلط ، وكذلك الفقر في إمكانهم أن يثبتوا ضرر الجشع والطمع والشح على الدنيا والتخبط فيها وأخذها على غير وجهها وأن يستدلوا باللصوص والأضرار العظيمة التي حصلت بسبب ذلك ، وأما المرض فلم يمدحه أحد وفي إمكانهم أن يعارضوه بأنه حث على أسباب الأمراض المعنوية والمادية فإن كتابه هذا كله في الحث على الأمراض ولا سيما أمراض القلوب لأن مرضها من أعظم أسباب مرض الأبدان ومرضها هو الضرر الحقيقي وهو الداء العضال ، ونحن قد سلكنا المسلك الأوسط في هذه الأمور على ما بيناه فيما سبق

ثم ذكر أن التعاليم الفاسدة أو الصحيحة إذا تعلمها الصغير فإنها تنتقل الى خزانة العقل الباطن وتطبع انطباعا شديدا حتى تظل مهيمنة عليه بحيث يكون كالمستحيل عليه الخروج منها ، وهذه الدعوى باطلة على هذا الإطلاق ، قال الله سبحانه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لجميع الناس صغيرهم وكبيرهم ، فلو كانت التعاليم على حسب ما ذكر لم يستجب للرسل أحد من الكبار والشيوخ وأمثالهم ، وهذا خلاف الواقع ، فقد علم بلا أدنى شك أنهم قد استجاب لهم أناس كثيرون من سائر أصناف بني آدم من صغير وكبير إلا من حق عليه القول ، وكذلك الدعوات فإنها تؤثر في الكبار كثيرا والتائبون من الكبار لا يحصيهم ولا يحصيهم إلا الله ، وكذلك المرتدون — وهذا الملحد منهم — أكثر من أن يحصوا ، وهذا الرجل مكث ما شاء الله على ما يدعي من أنه تعلم الدين الصحيح في صغره ومكث مدة طويلة ثم انقلب على وجهه هذا الانقلاب المفاجئ المنكر لدى من علم أحدا من العالمين سبقه

الى مثله . فانه يوجد من ينتقل من بدعة الى بدعة أو من حق الى بدعة أو
من ملة الى ملة أخرى كاليهودية والنصرانية ، ويوجد أيضا من يرتد مطلقا
ولكن لا يتعرض للأديان . أما هو فانه تجاوز هذه الحدود كلها فلم يقنع
بالردة من دين الى آخر ولا بالردة مطلقا بل كفر ونافق وأخذ وحارب الله
ورسوله والمؤمنين بمحاربة الأديان كلها حربا لم يسبقه أحد فيها بعلمي من
الملحدين المتهاجمين ، ولهذا كان عندي أولى بتعلم من أعداء الأديان الذين ما في
وسعهم إزالتها وإماتتها وهدمها ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

وبالجملة فما ذكره من تأثير التعاليم في حداثة الصغر وأن الصغير لا يقدر
أن يتخلص بعد ذلك من تعاليمه غير مقبول ولا معقول لما ذكرنا . ونحن لا
ننكر تأثير التعاليم في الصغر في نفس الانسان في الجملة . لكن ننكر حكمه
على أن الخروج منها مستحيل أو كالمستحيل اقتداء بمن زعمه أن سيدنه علماء
النفس فرددنا ذلك القدم قولهم ـ لو صدق ـ على الشرع والعقل والحس
والضرورة ، وهذا واضح ولله الحمد

فصل

ثم ذكر شيئا عن حوادثه السابقة في أن بعض العلماء في حقه ، وقصده
وغرضه من هذا تصوير حالة المؤمن الشجاع في تدينه ، ليتوهم الأحداث ومن
لم يعرف الدين أن المؤمنين هذه هي حالتهم فيكرهوا الايمان وينفروا منه
ويمقتوا أهله ، فهو يتوسل بكل ما يقدر عليه في التنفير عن الاسلام والقدح
فيه وفي أهله ولو بالحكاية عن نفسه والقدح فيها فقط .

ان ذكرى تفيض بالمرارة والحسرة [1] تعاودني كلما مر بخاطري عصر
مشئوم قضيته مسحورا بهذه الآراء . كنت أومن بالجنة وكنت أخشى من قيمة

---

(١) الأنسب المرارة والحسرة والخسارة

الحياة. لقد كنت لا أجد ما يحملني على أن أرفع قدمي لو علمت أني إذا رفعتها تكشف ما تحتها عن أعز ما عليه يتقاتل الأحياء. وقد ضاعت على من أجل ذلك فرص كان يمكن الافادة منها لا يمكن استرجاعها. كان الغرور الديني (1) قد استبد على كل شعور في وجودي وخياله. وكنت مؤمنا بأن من في المجتمع لو كانوا يرون ما أرى ويزهدون زهدي لوقفت الأعمال كلها ولما وجد عالم بدلا من أن يخرب (2) كنت أنظر إلى من يهيمون بالحياة ويعملون فيها ومن يجمعون المال ويجمعونه ويحتفون من أجلها نظرة أقل ما فيها الاحتقار والاستصغار. وكنت لا أرى أحدا مهما كان عظيما ومهما كان قادرا على النفع والضر، وما كنت أفكر في أن أجد فرصة للقائه أو للقرب منه أو الاتصال به (3) وكنت لا أحفل بالمال ولا بما يسعى إليه الآخرون من أجله، وكان شعاري في ذلك الحين قول الشاعر المغرور المخدوع مثلي:

إذا صح منك الود فالكل هين — وكل الذي فوق التراب تراب

فليتك تحلو والحياة مريرة — وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر — وبيني وبين العالمين خراب

فقد كنت أعتقد أن كل هين وأن جميع ما فوق التراب وما في العالم من جبال وهضبات ومساحات ومن أقوام وأمم وشعوب تراب، وكنت لا أبالي أن يحدث شيء من ذلك أو يهلك ولا أن يرضى أو يغضب ولا أن يعمر ويخرب كما يقول هذا الشاعر المسكين. وكنت أرى أني بذلك أرضي الله وأني إذا أرضيته فلن يضرني شيء. وكانت الدنيا كلها تدور من حولي من غير

(1) هذا اعتراف من حضرته بأنه كان على غرور ديني

(2) لعلك مما تحدث من ذلك تعرف العلم بتصحيح الحياة كما تدعي أن المتحللين من الأديان هم الذين صنعوا الحياة

(3) هذا تحامل بالكذب، فإنه في بدء السنين كان يعمل في التملق والتردد على أبواب الأغنياء ويرى [illegible] من أجل أغراضه الدنيوية

أن أدور معها أو أحس دورانها . وكان يخيل الى والى غروري الديني الأعمى
أنه لا قوة كقوتي لأن الله معي ووهب لي القدرة (١) ليقلب العالم كما شاء وليجمع
من الأسباب ما ضرب به وليحول من أحب نفسه ما يحاول ، فإن ذلك كله لا
قيمة له ولا حظ له بالنسبة الى قوة من استقوى بطاعة الله . ومن ترك الأسباب
جانبه متمسكا بأسباب الله وحدها ، وكان يبدو لى أنه بقدر إيمان الانسان
بذلك وبقدر كراهته العالم والوجود والدنيا والانسانية كلها وبقدر استصغاره
لها واحتقاره اياها وكفره بها ومعاداتها ومحاربتها بل سبها ولعنها يكون قربه
من الله ورضاه عنه ودلالته عليه . وكانت هذه الاعتقادات أو الخيالات تحيط
بي وتعمو وتخص لي وجودا خاصا وعهدا خاصا ... خاصة تدور من أجل
واحد ووجود لأجل واحد أيضا . وهذا الواحد أنا صفي الله ووهب له كل معانيه
ووهب له على حسب منطق كل ما يريد . ولو كان في جملة ما يريد اعزاز
الأمم واذلالها . انتهى

والجواب أن يقال أولا ان أكثر ما ذكره هنا عن حالته السابقة كذب
ظاهر تكذبه أعماله وأقواله الصادرة منه في تلك الحين . وانما قصد بهذا
تشويه حالته الماضية ليقنع عنده من لم يعرف الاديان وحقائقها . وحسبك دليلا
على كذبه في هذه الدعوى سيرته مع أمه وعقوقه لها وعدم صلتها بشيء لا
قليل ولا كثير بل ولا رسالة واحدة ما ينيف عن ثلاثين سنة مع أنه أخذ
مدة طويلة وهو يستلم رواتب وغيرها بل كان مشغوفا متهالكا على حب المادة

---

(١) ويحكى الآن عن البث واني عرفت الأخرى المعكوس أنه لا قوة
كقوتك ، لأنك قررت بأن في الانسان استعدادا ذاتيا في إمكانه أن يصل به الى
كل شيء وأن يتغلب على كل شيء كما تزعم ، فغرورك معك انما تبدلت متعلقه وهو
الدين كما تزعم بالالحاد ولعل هذه الخيلاء مما حداك الى تأليف هذا الكتاب
تتحدى رغما على الأقل للدعوة

إلى حد بعيد عند كل من عرفه ، بل كان معروفا عند كثير من المطلعين على
حياته بأنه كان يؤجر نفسه في إنشاء مقالات يعرض بها نفسه للنقد والسباب
وقد اشتهر ما عمله قبل ردته بسنة حتى وصوله إلى الحجاز من اللجاج والتملق
والمصانعة والمداهنة وما استعمل مما أمكنه من الوسائل في التوسط له بإدخاله
إحدى الوظائف العلمية . فما أخفق عمله حتى مال في وسعه في طلب زيادة راتب
فعمل من المراجعة والملق والتذلل مالا يحتاج إلى شرح طويل فإن شهرته في
ذلك تغني عن التطويل

ثانيا على فرض أنه ليس معه غرور ، أظهر ما ذكر عن نفسه في هذه الجملة
القاطعة فقط . ولكنها ممزوجة بشيء كثير من العجب وفيها الاعتقاد
والزهو وهذه الآفات كثيرا ما تظهر في مؤلفات كتبه ومقالاته كلها . وقد
ازدادت هذه الصفات في نفسه حتى أصبحت من أهم أركان حياته بل تجاوزته
إلى تلامذته وأصحابه وجميع من حوله ومن اتصل به ، فهذه الأغلال هي ثمرة
هذه الصفات الكامنة في طريقته ولا شك أن نظرته في ذكر هذا عن نفسه في
زهده نظرية باطلة فالمؤمن الحق لا يجب أن يكون على حذر من مكر
الله ، ويجب عليه أن لا يعتمد إلا على الله سبحانه وتعالى وأن يعلم أنه مأمور
ببعض الأسباب التي تقدر دفعه وقيده ، وأن يعلم أن الله تعالى سيعينه متى صح منه
وأخلص فيه ما لم يكن هناك مانع من جهة العبد . ثم إنه يشترط لها ويعينها
ويعتقد أن في وسعه أن يفعل ما يريد في هذه الدنيا كما يريد ولو كان من ذلك
إغراء الأمم وبلاد فيها لا يعتقد إلا خرص مغرور مثله ولهذا كان
مصيبة المغرور في حياته كلها ، فهو المغرور الذي يعتقد على نفسه هو معه
الآن . ولما نفى الأخلاق الدينية فقط [1] وأبدلها بأخلاق إلحادية ، فتلك
الأخلاق انعدمت حتى نشب فيه الغرور والكبر والإعجاب . وكانت تلك

(1) أي إن كان ثم شيء

الأخلاق الفاضلة المدحوة متمسكا به عن السقوط ، فقد ذهبت [illegible]
هذه الأخلاق لإنه معه فسقط منكبا على أم رأسه في هذه [illegible]
والعياذ بالله . وكنت [illegible] العيش ولطف [illegible]
والراحة [illegible]
فما ذهب ذلك [illegible] في الأرض [illegible]
على الدنيا بهذه الشدة الغريبة والجشع الفظيع ، [illegible] عن الأدب
بالإلحاد ، وعن القناعة باللهث والجشع [illegible]
[illegible]
نسأل الله السلامة بمنه وكرمه

فصل

ثم قال «وكانت الخطب الأسبوعية [illegible]
المتكررة المستمرة والكتب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كل أسبوع [illegible]
الأسبوعية [illegible]
إلا [illegible] أن [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) تأمل هذا ، هل اجترأ أكفر [illegible] على مثل هذا القول

(٣) [illegible] دعواه أن الأ[illegible]

تنويم صناعي أو شيء آخر من تلك العمليات المفيدة . وكانت خطبة يوم الجمعة من أعظم وأقوى ما يقوم بهذه العملية لأنها لتكررها لا تترك فرصة لانطلاق معنى طيب من معاني الإنسانية ، انتهى

وقد قدمنا له شيء من الكلام في سنن الخطب ، ولكنه لم يشف غيظه فأعاده هنا بما من ولع الخبث والحقد على الدين وأهله . وقد فصل الكلام في سنن هذا الشعار الأعظم الإسلامي ، وأودع جميع ما جمعه في صدره من القبح والعداوة الماكرة . وهذا المسجد مقصد ـ كما قال غير مرة ـ لتقلب القلب والفكر والرأي والقول والعمل . وقد قال أن أي الأمور التي هي أوضح من الشمس ضحوة في نصف النهار فينكرها ويكابر في جحودها . كل ما ذكره في هذه الجملة الخبيثة من أن الخطب في المساجد عبارة عن الهذيان ، وقد علم بالضرورة والمشاهدة أنها هي التي توقظ النائم وتنفخ فيه روح القوة والنشاط وشهامة الجهاد . فهؤلاء الذين يصلون الجمعة ويستمعون الخطب أعظم الناس شجاعة وقوة وثباتا وقياما بالأعمال وأشدهم مكافحة للأجانب [illegible] ضد أعدائهم ، وإن أولئك الذين لا يحضرون الخطب أيام الجمع هم أجبن الناس وأكسلهم وأوهنهم ، فلا تجدهم إلا في مواضع اللهو واللعب وأنواع الملاهي ، فلا يعملون أعمالا دينية إلا مدفوعين إليها دفعا ولو تركوا لم يعملوا أعمالا نافعة أبدا . ولهذا لا يوجد الخبث والجبن والوهن والكسل إلا فيهم . وإذا أردت تحقيق ذلك فانظر إلى الذين يعتادون المساجد وإلى الذين يعتادون مواضع اللهو وانظر إلى أيهم أنشط وأقوى قلوبا وأعلى نفسا . ومن أعجب العجب أن هذا الزنديق قد أبصر ورأى هؤلاء الذين يشربون الخمور وأنواع المسكرات والمخدرات في المعابد ومواضع اللهو ولعله لم يتكلم فيهم بشيء ، بل أشار إلى رضا عنهم مع كثرتهم وقلة ذمهم وعموم ضررهم . وعمد إلى هؤلاء الأقوياء الصحيحة الأتقين الذين يصلون الجمع ويستمعون الخطب التي تشتمل على ذكر الله ودعائه

وتقديسه على موقظ حرارة لاتنام ونبهها وتبعث الهوى النفسية فتدعى أنها تحضر ، مع أن هؤلاء هم الذين يسمون الأمة [illegible] في جميع مواقفها . فهو ينظر الى الخمر والمخدرات فيسكت عنها ويعمد الى ضدها فيدعى أنها تخدر ، ولا عجب فليس ينتظر من الملحد الاباحى أن يقول [illegible] هؤلاء المسمون [illegible] هم أعظم الناس حضورا للخطب ولا استماع لهم هم أشد الناس منعة وقوة فى جميع الأعمال التى يباشرونها ، بخلاف ما [illegible] الناس [illegible] فى جميع أحوالهم وأعمالهم [illegible] السكوت لاستماع الخطب . والسكوت لا بد منه سواء كانت خطبة دينية أو دنيوية فى الجمعة أو غيرها ، بل لا بد لكل سامع كلام من الانصات وإلا فلا فائدة من كلام المتكلم . [illegible] وتشويه [illegible] فى منابر المساجد تخدره لأن [illegible] الأخلاق [illegible] والخطب [illegible] الناس على طبعه . فإن الناس لو [illegible] ولا شك أن هذه الأخلاق [illegible] عن التدهور بصاحبها . [illegible] أبوه أو [illegible] وهو [illegible] عن [illegible] إلى [illegible]

وقوله : كانت الخطب [illegible] إحدى النكات ، هكذا [illegible] محمد [illegible] الأشهر فى [illegible] هو أعظم مظهر دينى إسلامى أسبوعى ، فجعله إحدى النكات بدون حجة ولا تكتم ولا خوف ولا حياء ، فواغوثاه

[illegible]
وفى هذا [illegible] أعظم [illegible]

وأى كفر فى الدين أظهر من هذا التكفير . ولا شك أن خطب أيام
الجمعات يحتوى تكذيب عقيدتهم وعلى أشد من الالحاد ، ولهذا هى التى أحرجت
صدورهم [illegible] لأنها ضد اعتقادهم وضد مقاصدهم
من هدم [illegible] فإن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ،
ويحبون الاطلاق فى ميدان الاباحة المطلقة والصد عن سبيل الله . وهذه
الأمور لا تتفق مع خطب فيها تجديد تكذيب عقيدتهم وعلى أصحابها ، وهذا
كان [illegible] المجددين [illegible] هؤلاء الدعاة والأشقياء الهدامين
لأنها تبعد عن الاباحة وتحافظ على قواعد الفطرة وتصون النفوس وتبعد
عن الشهوات واتباع الهوى ، فهى [illegible] الأمور [illegible] . وهذا
[illegible]
[illegible] كل
[illegible] ، أن
[illegible] . وقد سبق
[illegible] على [illegible]
[illegible] والاحسان [illegible]
[illegible] وخبث ،
[illegible] وانظر الى هذا
[illegible]
[illegible] على ذلك
[illegible]
[illegible]
[illegible] القوية ،
[illegible] الشهوات [illegible]
[illegible] والجبن

ولفتور وقضاء الشهوات النفسانية . وهي تضاد الطبيعة الأولى وتضاد مقاصد
الخصب فلا تتفق معه وهي مسلطة عليها وهي أعظم أعدائها [illegible] تعقلها
وتعدمها وتذهب عن مقاصدها وهي إحدى [illegible] علم وعلى [illegible] ،
وحلق أهل هذه الطبيعة أن [illegible] ومن قام به . لأن
الشباب [illegible] واقصد في المقاصد والأمور [illegible] أصل [illegible] في
كل شيء

فصل

قال [illegible] في [illegible]
و [illegible] كل أسبوع
[illegible] كل [illegible] أحيانا . ثم تحث هؤلاء المخذ [illegible] على [illegible]
وتوظفهم وتقطع لهم من أموال الدولة المكافآت الشهرية [1] [illegible]
من أعجب مناقضات القوانين وغرائبها . انتهى

والجواب أن [illegible] خال ما ذكرت فنحن ننبئك بما هو أعجب
[illegible] من يحاول البحث بنظامها
[illegible] أحكامها [illegible]
رأسا [illegible] لأسسة
[illegible] ومع هذا كله
[illegible] الأمور [illegible] وصدرت
[illegible] الأشهاد ومع هذا كله [illegible] و [illegible]
[illegible] من [illegible]

---

(1) [illegible] على [illegible] في شيء [illegible]
[illegible] وإن هذا برهان على ضلالك

أحكامها عليه، فإن كانت في إكرامه هؤلاء الناس يذكرون الله ويدعونه على
المنابر في بيوته التي أذن أن ترفع ويصلون له فيها ويعبدونه منتقصة مع أنهم
أحق الناس كلهم بمال الله الذي تفضل به على عباده فإنه إنما أعطاهم ليعبدوه
فهي - أي القوانين في ترك من حارب الله ورسوله والمسلمين وشن الغارة على
هذه المبادىء المقدسة - أعظم تنقصا. وإن لم تكن منتقصة نقضت دعواك

ونحن لا نشك كما لا يشك غيرنا من المنصفين أن المقصود من كل مثل هذا هو
الحث على محاربة هذه العبادات وإبطالها بالذهب، وأن مغزى هذه الدعوى هو
مغزى قول الذين قالوا لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قال
تعالى ﴿ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾

والمسلمون كلهم على اختلاف مذاهبهم ونحلهم في أقطار الأرض يعرفون ويعتقدون
أن خطبة يوم الجمعة من أعظم واجبات الدين كالصلاة بلا فرق وهي من
أعظم شعائره وإنما الغرض لا يتم من فروضه ولا كماله إلا منها فمن قدح في
الخطب والخطباء وطلب إزالتهم وصد الذهب وحجبه عنهم فكأنه قد خشي
فقد صرح بأنه يحب نقص الدين ويحاول هدمه وتخريبه، في هذه من أعظم
مظاهره ولا سيما مع ما تقدم من دعواه أن الذهب مصروف حيث، ومعلوم
أن الخطب تحميد وتشهد وصلاة على النبي ﷺ ومواعظ من القرآن والسنة
وما يتضمن ذلك، وهذا كله موجود في القرآن وفي الصلاة وفي جميع
العبادات وهذه المصاحف قد ملأت أكثر الأمكنة فضلا عن معابدها،
فإن من قدح في هذه المظاهر فلا شك أنه قادح في الإسلام بجملته وكلامه
من أول إعلانه إلى آخرها يدور على هذا القصد الملعون، وليت شعري كيف
تجاهل هذا الخبيث ما في مواضع اللهو من الخمر والاستهتار والفجور والخلاعة
وما في بيوت السينما من هذه الأمور التي لا تعد ولا تحصى وما تنشره المجلات
والجرائد اليومية والشهرية والأسبوعية من أحاديث الفواحش التي تدعو إلى الفسوق
والفجور وضروب المفاسد التي تفوت حصر صورها ومقالاتها، إلى ما لا يدع

فيها مثل هذه الدعوى وهو نحو حقيقته [illegible] الذين شغفوا بهذه الامور أكثر من أهل [illegible] و[illegible] وأن [illegible] وقت كله [illegible] ثمرة [1] [illegible] وحامله على أهل المساجد والمنابر من أعظم البراهين على خبث [illegible] وأنه أعدى عدو للاسلام وأهله وأنه [illegible] هذه الأعلال [illegible] لأعداء [illegible] هواه وشهوته وانخراطا في سلك [illegible]

فصل

ثم قال [illegible] لقد [illegible] [illegible] وجبلتها اليها [2] وأن [illegible] حتى [illegible] ولا تنظر الى نفسها والى خبيثها [3] [illegible] الدمار والظلام والجهل .

[illegible] مصمرة من هذه السنين الطويلة [illegible] هذا القبح كله في هذه

---

(١) [illegible]

(٢) قد علمت مما مر أن النعمة والجهل [illegible] فقبح الله من يخفى عليه كفر قائل هذا [illegible]

(٣) قد تقدم قوله ان الانسان حتى بطبيعته شريرا خبيثا ظالما ، فهل يريد أن تنظر الى هذه [illegible] ما أقذر كلامه

المدة . ولا عجب [illegible] أنك مكثت ست سنين [illegible] مريض
تشفى إذا حدثت فيها وتمرض إذا سكت عنها . ولا بد الآن من إخراج هذا
البلاء المخصوص الذي أكل صحتك ووقتك ولا قيمتك . لقد خاب سعيك
وأظلم وجهك [illegible] العقل وأصبحت من الخاسرين . لقد قذفت من
حالق [illegible] في [illegible] فؤاد [illegible]
[illegible] . حتى كنت أحقر من [illegible]
إلى [illegible] قال الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن [illegible] الله
[illegible] الحمد لله [illegible]
[illegible] . فهذا هو شر ما يؤدي عنده ،
[illegible] الملاهي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صادق
الأخلاق [illegible] أعظم من استغراق
أوقات [illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible]
[illegible]
[illegible] أن يعمل على الخطب
في المساجد [illegible] علانية .
[illegible] أو [illegible] وشق

غرضه منه ولهم ، وهيهات وما كيد الكافرين الا في ضلال

وهل حط قدر البدر عند طلوعه [illegible] ما تلا أكرته [illegible]
ومن يبصر [illegible] ان قام [illegible] على شمسه يرى اليه الصحوة

وقد بين في هذه وجه تقدمه على الناس في خطبهم ، حيث انهم يتوجهون الى الله تعالى ويحمدونه في دعائهم ، ومعلوم أن هذا شأن الخطب الدينية كلها . وقد أكد هذه بقوله [illegible] وجوده [illegible] من خارجهم لا من انفسهم [illegible] وكل من [illegible] من نفسه [illegible] فهو [illegible] من الشناعات . وقد صدق قائلهم في الخطب والمناجاة لا [illegible] . وانما [illegible] المسلمون [illegible] ان الانسان [illegible] شخص [illegible] الفقير الذي لا [illegible] ولا [illegible] ان [illegible] في خطبه ومناجاته [illegible] مطبوعة على [illegible] فصدق [illegible] احد والوجود [illegible] الله له [illegible] المفتي الرحيم [illegible] هذا الكلام من [illegible] الى [illegible] وفي [illegible] والافتقار الى الله والاستعانة والاستعاذة به [illegible] يصرف كل عنايته الى [illegible] هذا الملحد صدق

---

(١) [illegible] وجوه

في حمل الناس وأخذهم جميعا على هذه الحالة في الاعتماد والتوجه الى الله تعالى والاستعانة به في كل أمورهم محققين ذلك قولا وعملا، فانهم لو فعلوا ذلك لبلغوا آمالهم. وانما جاءهم هذا البلاء من أجل تركهم [illegible] تحقيق هذا التوجه الى السماء وتقصيرهم في إخلاصه ومحافظته عليه. فتفرقوا شيعا فبعض منهم قصد [illegible] بحروب عاجزة عن دفع أضعف شيء عنها، وقصد بعض آخر نفسه وطبيعته، وعقد عليها [illegible] بأمثال هذه الآراء السخيفة وترك الخطب والمساجد، واندفع في الملاهي وغيرها، وظن المسكين أن توجهه الى خالقه وفاطره الذي بيده ملكوت كل شيء لا ينفعه ولا يجديه شيئا فاستصغر هذا الامر العظيم واحتقره، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. وهذا حال كثير من فروخ الملاحدة العصريين الذين شحنوا [illegible] عن العقيدة بالعلم [illegible] فكانت عاقبة هؤلاء أن [illegible] في الدنيا والآخرة وهم [illegible] شيئا ما [illegible] كانوا على أسوأ [illegible] وأخسر [illegible] وضل سعيهم [illegible] كانوا يصنعون.

وقوله: [illegible] بها من [illegible] أشعث [illegible] والجهل، [illegible] اخسأ يا عدو الله، ولن تعدو قدرك، هذه نفثة مصدور وأنه مغرور، موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور، فان هذه المنابر [illegible] لتكون شجى في حلقك وقذى في عينك و[illegible] في قلبك الى أن يقطع الله دابرك [illegible] كيف يقبح [illegible] الأمة الاسلامية في [illegible] أمثاله من [illegible] لقد [illegible] الاسلام [illegible] [illegible]

فصل

ثم قال الملحد: كم أرثي لهؤلاء البائسين المساكين [illegible] جميعا

أمامهم يوم الجمعة وآذانهم مرهفة وأعينهم مشدودة بذلك الخطيب الذى عبث بجسده ليحدث المشوه الخبال والشقاء وكل ضروب الحرمان . ينتظرون منه أن يطعمهم وأن يكسوهم وأن [illegible] الصحة والعافية وأن يبنى لهم المنازل الجميلة وأن يقضى لهم كل حاجة ورغبة وأن يقدم لهم الاستقلال والسيادة كهدية خالصة رخيصة . وأن يدخلهم أخيراً مع النبيين والصديقين والشهداء فى صفوف الأبرار المقربين ، والحق أن ذلك كله لا يعدو كونه [illegible] محولات [illegible] ، وبعض حركات [illegible] أو [illegible] كما هو الصحيح بدون أن يفهموا [illegible] معنى أو [illegible] [illegible] وكل [illegible] [illegible] يسيرون تحت ذلك الخطيب [illegible] ويحنون بأعطافهم المحطمة تحت نير الأسر [illegible] كل [illegible] [illegible] وكل [illegible] [illegible] الصدمة [illegible] والأهوال [illegible] .

والغريب أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واسمه [illegible] ونهكم بمظاهر الأديان السماوية ومحاربة لها بدون حجة ، وقد ادعى ـ على وجه المغالطة ـ أنهم يطلبون هذه الأمور كلها من الخطيب [illegible] [illegible] [illegible] من السماء [illegible] [illegible] من الخطيب [illegible] وادعى أيضاً أن المسلمين ينتظرون الأحمدية من الخطيب(١) وكل هذا تهكم [illegible] مرذول لا يكتب به إلا مخبول ، وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] كافر . فقوله كما أتى لهؤلاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيقال له إن كنت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحملون الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ويرثون [illegible] ويقولون [illegible] [illegible] [illegible] تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ، وقد [illegible] من هو

---

(١) يفهم من كلامه أن الخطيب يأتى كل يوم جمعة [illegible] وعمائم وأقمشة [illegible] على المصلين . فانظر إلى هذه الوقاحة والفجور [illegible]

على ما كانت عليه السخرية والاستهزاء بذكر الله وعبادته كما في قوله تعالى: «وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون». وكما قال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون لمن آمن مع النبي ﷺ: «غر هؤلاء دينهم» وقال تعالى: «زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا» وقال تعالى مخبرا عنهم: «إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون، وما أرسلوا عليهم حافظين». فكان عاقبة كل من هؤلاء وهؤلاء ما ذكره الله تعالى بقوله: «فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون». فانقلبت الحال وأصبح المستهزئ هو المستهزأ به، وأضحى الساخر هو الذي يسخر منه. ونحن نقول هذا الشيء وما [illegible] على هؤلاء المتصوفين حفظا ومسيطرا [illegible] [illegible] ولا [illegible] ولا خائل تحته. ولو [illegible] فعلينا أن [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] طرق [illegible] من [illegible] لكان [illegible] عليهم باطلا بكل حال لأن ذلك دعوى عدو على عدوه دون حجة. [illegible] وأعني [illegible]. وكثير من هؤلاء [illegible] ومعه من الملق والذل والضراعة كما شوهد ذلك وعرف. [illegible]

[illegible] بها، فنقول: قد علم المسلمون أن الخطب مشتملة على حمد الله والشهادتين والصلاة على النبي ﷺ والأمر بتقوى الله وطاعته، فإذا كانت هذه لا تجدي

شيئ ولا نفع فيه وقد كان سيد[illegible] الصلاة والسلام وأصحابه بعده والمسلمون الى
هذا الوقت يفعلونه ، ولا تعني شيئا غير التعب والنصب وأغلاطك هذه هي التي
تصرفهم عن طريق العقل فقد صار هؤلاء كلهم وكانوا سفهاء وأصبحت أنت
وحدك ورأيت هؤلاء من أهل هذا الخطأ [illegible]
أغلاط مشكلة ، وحدها [illegible]
معقول [illegible] أو [illegible]
هذا [illegible]
[illegible]
أصوات وحروف [illegible]
أغلاط [illegible]
الا الكلام ، ولم تطرد سابقا من الا [illegible] وقد ما فقت وحصلت
على بعض الشيء من مقاصدك [illegible]
وجعلك مشئوما في كل ناد وعند [illegible]
بالكلمات ، والنكاح والطلاق [illegible]
والمكر والخبث والفلسفة كل [illegible]
من الناس بالكلمات [illegible]
خصص ذكر الله وعبادته بعدم الفائدة من أجل أنها كلمات وحركات ، وغيرها
كذلك وكل [illegible] وان [illegible]
[illegible] أنه لا فائدة [illegible]
موضوع البحث ، فيكون تصغيرك وتحقيرك لها حينئذ كفرا وضلالا لأنه

---

(١) ومعلوم أن [illegible]
[illegible] من أسباب التقدم والنصر ، وهي كانت [illegible]
[illegible]

هكم واستهزاء ألفاظ دينية محضة . وإذن نقول لك دعواك أنه لا فائدة فيها
دعوى مضروب بها وجهك وإذا طالبناك لو أتيت بالأدلة على ما ادعيته ،
وإن لم تعرف شيئاً من ذلك وغاية ما عندك في هذه الدعوى أنك شغفت بالتهكم
والاستهزاء المجرد . ونحن نعارضك بمثل دعواك أو أصح منها ونقول : لا
فائدة في كل كلماتك ، وكيف [illegible] على [illegible] كتب سخفه أنت لم تسبق إليها
ولا أنت فيه سابق . وأنت مقر ومعترف بأن هذا الذي تدعيه مخترع لما كنت
مصنفه من قبل مع اعترافك في عقيدتك الأولى أنه على براهين وأدلة صحيحة ،
ومعلوم أن تراجعك لا براهين . وخروج هذه الامور وغيرها برهان على أنك
مريب مضطرب في [illegible] ولا [illegible] . وقولك إنه مضطر لجعل الصلوة في
هذا الوقت وهذه خطبة تلقى على المنبر على رءوس الأشهاد من
الملايين وملايين الملايين من [illegible] عشر وغيرهم ومن [illegible] فيه أحد لفظة
واحدة من جميع أهل الإسلام عامتهم وخاصتهم . وهذه الصلاة تؤدى في
المساجد كل يوم من زمان معروف من ظهور الإسلام الى هذا الوقت وجميع أهل
الإسلام عامتهم وخاصتهم [illegible] وكل هذه مظاهر العبادة مشتملة على أذكار
مشروعة كالتحميد والتشهدين وقراءة القرآن والصلاة على النبي ﷺ . فأي
عقل سليم يعرف أن العبادة الخاصة من كلمات الخطبة أعظم وأجل وأكثر من
العبادة الخاصة من كلمات [illegible] وغيرها [illegible] لو قدر أن فيها فائدة ،
كيف وهي [illegible] لأصنفة بعض كلامك على كل تقدير ، وصار هذا الكلام
وأمثاله الذي صدر منك ـ كما تقول ـ بكلام وأمثاله ككلام الاطفال والمتوهمين
والمجـــانين الذي لا معنى له ، وصارت حالتك أحط حـــالة من البائسين
والمساكين . فالأولى أن تبكي على نفسك من دعيته على غيرك فانك أولى بذلك

وقوله « وبعض حركات يمثلونها أو تمثيل به كما هو الصحيح » يعني أن
الصلاة كالخطبة حركات لا معنى لها وأنه يرثى لأهلها ، فعبر عن الصلاة
بالصفة لا بالاسم ، فكأنه قال قيلا ولا معنى هذه الهيئة . فإن من عرف

لدين لا تشكل عليه هذه المقدمة مع صرائح تكفر في عرفه . ومن ختم
الله على قلبه وأعمى بصيرته فلن يتأثر من ذلك ولو صرح به . فلو عبر عن
الصلاة بالاسم الصريح لاستراح من هذه العقدة النفسية فيما تكنه من هذا
الرأي الخبيث المضر . ولا شك أن من قدح في الخضوع قدح في الصلاة ،
والخشوع في الصلاة أظهر من السكوت في الخطبة . وقد صرح بأن الساجد
أدت شرعا ما يؤدي [illegible] ثم تحول في الدعاء في الصلاة من كونها حركات يمثلونها
أو تمثل بهم كالقعود في الخطاب سواء على ما مر لأن الأعمال ليس كلها
حركات من خير وشر ، فلا معنى لتخصيص الصلاة بالقدح وعدم الاعتداد من
أجل ذلك ، فإن هذه العلة يشترك فيها سائر الأعمال ، والحكم يدور مع علته
وجودا وعدما

فصل

قال [illegible] وقد كان من الممكن أن يقتصر [illegible] أو [illegible]
[illegible] في أعناقهم [illegible] أو [illegible]
[illegible] علم من هذا [illegible]
هؤلاء المخدرين ، [illegible]
الخطب مفروضة على هذا الاجتماع فرضا ، [illegible]
[illegible] من أعمالهم [illegible] وأنت قد عرفت
أن [illegible] على [illegible] لم [illegible]
على [illegible] على عنوان [illegible] لا يعرف [illegible] ولا
[illegible] كما تقدم ، [illegible] قام هؤلاء العلماء يصنعون لهم الطريق بالأنوار
[illegible] في [illegible]
[illegible] على هذا
[illegible] لا [illegible] لهم

في الوحدة المطلقة السحيقة واصلا لا طريق عن معرفة الحقيقة ، وكل هذه الدعوى
سب صريح لله تعالى ولأديانه وللدائنين بها . فإنك معترف بأن هذا الاجتماع
مفروض فرضا وهذه الخطب كذلك مفروضة فرضا . فادعيت في هذا الذي
فرضه الله على عباده أنه لا فائدة فيه سوى التخدير والتعويق ومنع إضاءة
الطريق . وأنه شر وخبث ، وتركت ما فرضه الملاحدة وأعداء الملل من
الكفر والفجور والفسوق والغناء وإماتة الأرواح المعنوية في الشعوب كلها ،
وقد علمت أن الذي فرض الخطب والاجتماع لها هو الله رب العالمين على
ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام . وأن الذين عملوا مواضع الفجور هم
أصناف الملحدين الضالين فجعلت هؤلاء الذين أخرجوا الناس من الظلمات
إلى النور هم الذين وقفوا للناس في طريق الخلاص والنجاة والنجاح وصدوهم
عن ذلك وحالوا بينهم وبين السعادة والخير فخدروهم وعوقوهم وصبوا عليهم
الذلة والمسكنة وصفدوهم بالأغلال والقيود . وبذلك ادعيت أن الملحدين عن
أخلاق أجناسهم وأديانهم وهبوا الخير شيئا جديدا . وادعيت أن الذين
صنعوا الحياة هم المتقدمون من الأديان المتجردون عنها . وأي طعن في الله
وشرعه وأنبيائه أعظم من هذا الطعن . بل لم نر أحدا من الأولين والآخرين
من جميع الطوائف وأعداء الديانات تجاسر على هذا وبلغ هذا المبلغ . فلعن
الله من قال هذا الكلام ولعن من رضي به أو راج عليه . وقد تقدم فيما سبق أنه
لولا هذه الأذكار والخطب المذكرة والمقويات الدينية التي هي وقود حرارة
الإيمان في قلوب الناس لما مشى على وجه الأرض أحد ولتعصى من في
الهلاك والدمار والشقاء السرمدي . وهذا قال النبي ﷺ : لا تقوم الساعة حتى
لا يقال في الأرض الله الله . وهذا دليل على أنه إذا خلت الأرض من ذكر
الله حل عليهم الغضب والنقمة المدمرة لأنه زوال موجبات الرحمة . فالأذكار
هي مادة حياة القلوب وحياة الأرواح وسرورها ونعيمها . وإنك لا تكاد تجد
رجلا خاليا من ذكر الله وخطبائه إلا وجدته مكتئبا منغص الحياة قد

ضاقت عليه الأرض بما رحبت كما قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن
له معيشة ضنكا﴾ وقال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فلنحيينه حياة طيبة﴾ فالأذكار الدينية هي الاستمداد من مصدر النور والحياة
والقوة. وبقدر هذا الاستمداد يكون مقدار النور والحياة والقوة من زيادة
ونقص. وقد بينا فيما سبق أن منفعة الدعاء والذكر والتعبد هي التي تبعث
القوى الكامنة في أعماق الفطرة. وهي لدافع القوى بمثابة الأسباب وأعظم
ملهب لها ومنير لها الطريق، وأكبر مصادم للكسل والوهن وضعف الهمة
ومضايقات النفس، فإن ما تتضمنه من الترغيب والترهيب والحث الدائم والحض
على إقامة العدل والإنصاف وتحذيره شديد التحذير من الظلم ومقت الغدر والاستبداد
والجور والتعسف والإرهاق وأمثال ذلك هو أفضل مؤثر في ترك عمله
جميع حظوظ الحظ والحمية الجاهلية. ولهذا لا يوجد أشد حماسة وأعظم
غيرة وقوة شكيمة ولا أقوى رجولة ولا أشد حبا للعدل والإنصاف
والإحسان ممن نشأوا في هذه البيئة الدينية وطبعوا بطابع هذه التربية العالية
النقية، وهذا بخلاف أولئك الذين نشأوا في بيئة الفجور والإلحاد والفسوق
وحب الملاهي فلا يوجد أحط أنفسا ولا أخبث طباعا ولا أظهر فيهم همة منهم،
وهذا ظاهر لا خفاء به، ولولا غروره لتبين له صحيح الأساس الذي بنى عليه
كلامه في هذه الأمور لمصادمة الشرائع بحجة أنها مصادمة لأغراضهم. وهذا
الملحد لما كان منكوس القلب معكوس الرأي مقلوب التفكير مركوس
السريرة رأى الأشياء كلها على عكس حقيقتها كما هو شأن الذي فسدت فطرته فإنه
يحس الأشياء على خلاف طبعها قال الشاعر

وما على العنبر الفواح من حرج ... أن مات من شمه الزبال والجعل

فهو كالجعل الذي اعتاد الحشرات فهو يستلذ النتن ويستقذر الطيب ويقتله
العطرة أو يموت من روائح الطيبة، وهذا هو الذي حدث لهذا الذي انتقد الإسلام
من مفرق رأسه إلى قدمه. فهذا قمة ما يحطه وأبى له الحق يقدوه

الله في مساجدهم حتى [illegible] إليهم سهام [illegible] واحفظ الشعب عليهم وجعلهم هدفه
في كل ما حفظ [illegible] من سباب وإيهام وشتم وعداوة على [illegible] ما جرم
فعلوه [illegible] منهم إلا أن [illegible] وحقروه ونصروه لما خاص به البلاء من
كل جانب وطلب [illegible] ولم يجد من [illegible] ولكن [illegible] نفس حسنة وفي
[illegible] النفس الحسنة أن يخرج من الدنيا الا وقد أساءت الى
[illegible] كما أمر [illegible] ولعل هذا [illegible] إن استراح
من هذه [illegible] لم يجد في قلبه من العداوة والحرق ،
[illegible] الا [illegible] وما مثله في هذا إلا كمثل
[illegible] ولا [illegible] من هـــذا
الا [illegible] قال الله تعالى
﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾

فصل

قال [illegible] في كثير من [illegible] ،
ولكن [illegible] الانسان
[illegible] تعذيبهم
[illegible]

[illegible] حتى تعرف طرق
[illegible] دعوات [illegible]
[illegible] سكوت لا [illegible]
كل [illegible] وواعظ [illegible] لا تمكن اصلاحه [illegible]
[illegible] دعوات [illegible] من
[illegible] لا [illegible]
أو [illegible] على

المنابر . فإن المنابر لم توضع للأعمال بل وضعت للدعاء والذكر والأمر بتقوى الله . هذه هي خطة الدين الاسلامي على المنابر . وليس من المشروع في خطة الاسلام من عهد الرسالة الى هذا العهد أن المسلمين يطلبون حاجاتهم من أنفسهم وطبيعتهم أو [illegible] أن يردوا أيديهم في أفواههم أو يمدوها الى أنفسهم وطبيعتهم التي فررت منها خيفة [illegible] . أم تريد أنهم يطلبونها منك أنت وحدك كما ادعيت ذلك حيث قلت :

لو أنصفوا كنتُ المقدمَ في الأمر (١)

ولم يطلبوا غيري لدى الحدث النكر

الى آخر أبياتك القديمة . وحاصل هذا الانتقاد كله أنهم يطلبون من الله حاجاتهم لا يطلبونها من أنفسهم . فهم يعبدون الله ويدعونه ، لأن التوجه القولي والمعنى هو روح العبادة ولبها . وما كنت معتقدا [illegible] هذا لأن العبادة على مقتضى [illegible] لا [illegible] أو أنه [illegible] لا يستحقها الا [illegible] احدا بطاعته [illegible] هذا الاصلاح هو [illegible] في [illegible] الاعتقاد [illegible] على [illegible] الخطب [illegible] التوجه الى الله [illegible] الأعمال [illegible] عندك [illegible] الخبيث . فيعتمدون على الطبيعة وحدها ويصرفون كل همهم الى الطبيعة ونواميسها . ومعرفة [illegible] على [illegible] لا تقطع [illegible] لا تكون [illegible] . وليس [illegible] كما صرح [illegible] (٢) . [illegible]

---

(١) شعر [illegible] في [illegible] الأولى وهو [illegible] فاجتمع فيه القبح في وزنه ومعناه ولفظه

(٢) أي في المشكلة

لأنك قررت بأنه لا اله بلا فصل . ثم قررت أن الاقرار بالفعل يوجب الاقرار بتغير الأسباب وهذا يوجب التأخر وهو خلاف المطلوب ، ثم ذكرت أن هذه الطريق لا يوصل اليها إلا شيء واحد وهو معرفة الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة ، ثم ان هذا عندك شيء عزيز الوجود جدا فلا يمكن الوصول اليه أيضا إلا من طريق واحدة لا طريق سواها وهو التمسك بأعلالك هذه ، التمسك بالحقائق الازلية الابدية . التمسك بهذه الافكار التي لا يستغني عنها مسلم واحد من أربعمائة مليون مسلم ، التمسك بها والاعتصام بها لأنك قلت تركها أمة تهوى وتأخذ بها أمة فتنهض . فاذا عرج الانسان الى سماوات هذه الحقائق عليها ووصل الى ملكوت حقائقك الازلية الابدية استخرج كنوز نواميس الطبيعة وقوانينها منها ، كما تدون ذلك فوق له ثم وقف ثم ولى له ، لأنك أغلقت الأبواب كلها في وجهه فقد صرحت بأن تركه منه فتهوى ، فهو حاد عن طريق هذه الأغلال هوى ولا حول ولا قوة الا بالله . ولكنه اذا تمسك واعتصم ولم يجد منه نهض . وكل الأمم والافراد تطلب النهوض ، فيا هو ذا ، فعلى جميع الناس أن يصحوا جميعهم الى هذه الأغلال ويحطب بها على الناس . لأن اصلاحهم كله معقود بناصية الاعتصام بها . ولأن أربعمائة المليون المسلم لن يستغنوا عن معرفته ولا حبه . وهو حديث عهد فلا يمكن معرفة منه الا على هذه الملايين المتقطعة في الارض أنما إلا بأن ينشر ويخطب به على الناس ليحصل الارتداد لعامة بذلك ، وبذلك يحصل المقصود وهو الخصوصية بين الناس وبين نوحها الى ربهم كما يحصل تقدمت في الأمم والعادات الخ ، أو على الأقل تكون منه بحث في تاريخ الرق يرسوب ودون المولى . فلقد تحررت واسعا وطولت الطريق في طلب ما تمنيته فلهذا كانت عاقبتك أشنع عقبة . فقد كان من الواجب المحتم على كل عاقل يريد أن يتكلم في مسألة وعيه من فروع الأحكام في تفقه فيقدح فيه ويشوهها ويتهكم بها وبأهلها ، عيبه في ذلك شرعا وعقلا وعرفا أن يدرك المسألة بصورتها الواقعية ،

ثم يذكر دليل من قطعها، ثم يذكر انتقاده عليها، ثم يذكر دليل انتقاده، ثم يجيب عن دليلها ويعرضه على الناس بدون تهكم ولا استهزاء احتراما للدين ولأهله. فكيف بمن يهجم على أكبر مظهر من مظاهر الدين الحنيف في كل أسبوع، وكله يشتمل على أصل الدين وروحه وركنه الأكبر، فيقدح فيه بكل ما خطر على باله من سباب واتهام، ويقدح في نفسه ويتهكم ويستهزئ بهم ويسفههم تسفيها لا يقدم عليه من له أدنى عقل وحياء، فهل هذا كله إلا من الجرأة على الله وعلى أديانه وعلى الأمم التي تدين به، وهل السكوت عنه إلا من ضعف الدين وإدباره، وذهاب عظمته وحرمته وقدسيته من قلوب الناس، وأن أكثرهم نسوا الله فنسيهم وأعرضوا عنه فولاهم ما تولوه، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض. وهذه المواضع خصوصية في حفظها عن الخطب والصلاة والمساجد والمنابر هي من المواضع التي أوسع فيها الخبط والخلط من المس، فزاده رجسا إلى رجسه وعتوا إلى عتوه كما اختار لنفسه ذلك، عافانا الله مما ابتلى به

فصل

ثم قال: وقد أراد جماعة من المتأخرين أن يحددوا في معنى الزهد وأن يحدوه تحديدا فقالوا إن الزهد محبة القلب لا [illegible] يعنون أن القلب هو الذي يجب أن يزهد في الدنيا وأن يكرهها ويعرض عنها [illegible] يجمع وتعصب. [illegible] أقوال هؤلاء شيوخ و[illegible] ما تطلبه الحياة من عمل ونشاط.

قلت: ما نسبه إلى هؤلاء [illegible] في قولهم إن الزهد محبة القلب صحيح، ولكن تفسيره لكلامهم باطل وضلال. فإنهم قالوا إن الزهد محبة القلب لا اليد، وهو فسره بغير ما يريدون، فإنه قال يعنون أن القلب هو الذي يجب أن يزهد في الدنيا وأن يكرهها ويعرض عنها. وهذا تفسير غير مطابق ولا

وجه له ولا يفهم أصلا من كلامهم ، ولا يقصدونه ، ولا في لفظهم ما يدل عليه ، فهم لم يقولوا ان الزهد بغض القلب للدنيا وكراهته لها والإعراض عنها . وانما قالوا انه عمل القلب لا اليد . وفرق ظاهر بين قولهم محله القلب وبين ما ادعاه من الكراهة والاعراض . بل مقصودهم من قولهم هذا هو اطمئنان القلب فيما حصل له من الدنيا بدون جشع وخوف عليه . هذا مقصودهم وهذا هو الزهد الحقيقي لا ما ادعاه . فاعتراضه اعتراض ساقط لا وجه له البتة . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مسألة الزهد في المال (1) : وان سلم قلبه من الهلع ويده من العدوان كان صاحبه محمودا وان كان معه مال عظيم ، بل قد يكون مع هذا زاهدا أزهد من فقير هلوع . انتهى . وكلام الأئمة في مسألة الزهد على هذا المعنى ، فالزهد طمأنينة قلب الانسان بما آتاه الله من الدنيا بعد ومن من غير استحضاره كما هو من ضروريات الحياة . وهذا شامل للعمل والنشاط فيه ، لأنه متى كانت الأمة محتاجة الى ذلك وجب السعي فيه لأنه من المصالح الدينية الضرورية . والاجتهاد في العمل لا ينافي الطمأنينة . فان الطمأنينة اذا كان المقصود بها أمرا دينيا فهي موجودة مع العمل والنشاط فيه . وأما اذا كان العمل مقصودا به منافسة وحقد فهذا لا يحصل معه طمأنينة قلب سواء اجتهد أو لم يجتهد . فكم من عاجز كسلان ياكل أنامله غيظا وكمدا على عدوه بدون عمل . وكم من هادىء ثابت الجأش جاد في عمله سائر في طريقه باهتمام واخلاص وقوة . وليس بين حب الدنيا وبين ... والاجتهاد في العمل ملازمة ، بل قوة العمل والاقدام عليه يرجع الى العوامل الباعثة له ، فان كانت دينية صادقة على أساس صادق واعتقاد قوي العمل ودام النشاط فيه واستمر استمرارا صحيحا ، وان كانت العوامل والبواعث دنيوية محضة فهو بحسب ذلك يكون في قوته وضعفه ، فقد يكون قويا وقد يكون ضعيفا

---

(1) الآداب الشرعية ص ٢٥٣

وهو الأعلى . ولكن إذا قوى فلا بد أن يكون قوة دون قوة [illegible]
باعثه عوامل دينية صرفة . و[illegible] يكون ضعيفا إذا كان [illegible] و كان
لمصالح شخصية مؤقتة . وهذا هو [illegible]

ثم قال : وعند هؤلاء أن هذه الفكرة مستحيلة متناقضة ، وذلك أنه من
غير الممكن أن يكره المرء لذات نفسه أو لا يحب نفسه ثم يعمل لها [illegible]
صابرا على مشقات الطلب والعمل »

قلت : ما قاله هـــذا الذي ذكره . ولكنه [illegible] من [illegible]
يقصدونه ، وذلك أن هذا الذي قررته وعرضت به إنما يصح على أصلك الذي
فسرت به الزهد القرآني . أما على أصلهم فلا يرد [illegible] عليه أبدا ،
فإنك أصلت أصلا من كيسك ، وفرعت عليه على حسب ما تريده وتهواه ؛
وبطلان الأصل يقتضي بطلان فرعه

ثم قال : [illegible] الذي يبعث على ذلك هو حب [illegible]
ولا [illegible] لا [illegible]

وقال : [illegible] هو حب [illegible]
فهذا الباعث لا يوجد على أكمل الوجوه إلا في [illegible] والعمل الصالح ، لأن
ذلك يتضمن طلب حصول [illegible] ولا [illegible] ولا
أجل من هذا الأمــل الدنيوي الأخروي [illegible]
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ فالعمل [illegible] الغاية العظيمة [illegible]
محبتها في القلب يكون العمل في الضعف و[illegible] الأعمال [illegible]
لأن مقصوده [illegible] . وقد يكون [illegible]
هذا الأمل العظيم إنما يحركه [illegible] مادته الدينية ، وأعظم هذه
المادة هي [illegible]
هي التي [illegible]

الى الله وعبادته هو نور وهو الروح ، ومعلوم أن كل نتيجة فهي بقدر العمل ، وكل عمل فهو بقدر العلم ، وكل علم فهو بقدر صحة التصور ، وانما يحصل ذلك بتحرير النفس والعقل وطرد كل المؤثرات الفاسدة من الشهوات والشبهات التي تحول بينه وبين ادراك الحقائق . ولا يمكن أن تحرر النفس والعقل بدون فهم النصوص الدينية والانقياد لها ، لأن من أعرض عن ذلك فلا بد أن يعتنق نصوصا غيرها ولا بد أن تكون فاسدة أو أكثرها فاسد ، وحينئذ إما أن تحصل الحيرة والتمزق والاشكالات ويرجع الانسان الى حيث ابتدأ ، واما أن يقف في عرض الطريق بدون الحصول على حقيقة ، واما أن يضطر الى تقليد فكرة غيره على غير براهين صادقة . وكل هذه الأمور الثلاثة لا منشأ عنها الا الغرور المحض . أما النصوص الدينية فانها وفق الفطرة ، وهي نور القلب والعقل ، فتمنع النفس والعقل عن الخروج الى سبل الأوهام والخرافات وتطلقه في السبل الصحيحة الموصلة للحقائق . فليس في النصوص حرف واحد يمنع عن الأعمال النافعة والتفكير في كل ما به نفع للبشرية لكن هناك أمور لامعة كالسراب قد يظن الغافل أنه ماء ، فتمنع عنها لكون ضررها محضا ، أو لأن ضررها أكثر من نفعها (1) . وهذا كله مع من يصدق بالنصوص ، أما من هو خلاف هذا فله شأن آخر . وقد قال تعالى : (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور) ؛ فعلق النجاة والنجاح على التوجه الصحيح والعمل الصحيح ، فمتى حصل التناسب بين التوجه الذي هو طريق العلم ، والعمل المصدق له وهو التوجه العملي ، حصل النجاح في الأعمال الأخرى التي لا تتنافى مع هذا ، فالغفلة عن الذكر

---

(1) ويدلك على هذا أنك تجد كل من خالف النصوص من فحول النظار وغيرهم على كثرتهم ليس فيهم الا من هو معترف بالحيرة والشك والقلق ، مع ما في كلامهم من التناقض ، ومع ادعائهم أنهم أهل المعقولات الصحيحة

والدعة والعادة هو المرض الذي لا بد أن يؤدي إلى الموت الذي لا حياة صحيحة بعده

ثم قال: وإن الذي يمكن في هذه المسألة هو العكس، أي إنه من الممكن أن يحب قلبه ويزهد يده، بل الواقع المشاهد أن نكون محبا للدنيا وللمال جدا بدون أن يمنعك هذا الحب من الانفاق وصرف ما في اليد رجاء المثوبة أو رجاء أمر آخر أو طاعة لعاطفة نبيلة، وكل المحسنين المعروفين تقريبا هم من هـــذا النوع.

قلت: هـذا خروج عن المقصود، فانه في التوفيق بين الزهد والعمل للانتاج المادي، ليس هو في التوفيق بين الزهد والانفاق وكلامك هنا في الثاني والمقصود هو الأول، فانك قد عكست المسألة - كما زعمت - فعليك أن تقرر أن الزهد في اليد وحب المال في القلب يبعث على العمل بالقوة والنشاط عكس الادعاء الأول وهذا لم يمكنك شيء، وهذا المبدأ أحوجك عدولك إلى المغالطة بأمر آخر وهو وجود الانفاق مع حب المال، وأولئك العلماء لم يتعرضوا لهذا حتى تدعيه، ما ادعوا أن حب المال في القلب لا ينافي الزهد، فليس الزهد عندهم هو تعطيل القلب عن المال وكراهيته - كما تدعي - بل الزهد هو ما ذكرنا من تعريفه فيما تقدم، والاعتراض عليه بهذا فاسد لا محل له

ثم قال: وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله - ولكن البر من آمن بالله - إلى قوله - وآتى المال على حبه ذوي القربى - وقوله - ويطعمون الطعام على حبه) وهـــذه الآيات صريحة في أن المؤمنين الذين يحبهم الله ويثني عليهم وبأوصافهم كتابه هم الذين يحبون المال.

فيقال: وهذا لا يثبت شيئا، بل هو حجة عليك، لأن الآيات الكريمات ليس فيها دليل على أن حب المال في القلب والزهد في اليد باعث على العمل، لأن هذا هو مقتضى ما ادعيته أنت، والآيات إنما أفادت بيان حال هؤلاء المنفقين

أموالهم في هذه الأمور الخبيثة مع حبهم لها. وهذا شاهد قوي لما قررناه من أن الزهد ليس هو بغض المال بل حبه لأجل وضعه في موضعه النافع، وحبه لأجل وضعه في طرقه لا ينافي الزهد، وإنما الذي ينافي الزهد هو الحرص والشح كاجتلابه من غير طرقه أو تقديم محبته على واجب ديني، ثم منع حقوقه أو منعه عن مستحقه. وهذه الآية فيها مدح هؤلاء بكونهم قدموا محبة الله ودينه واتباع أوامره على محبة المال، فهذا دليل على أن محبتهم للدين راجحة على محبة المال. ومعلوم أنه متى تزاحم محبوبان في نفس فلا بد من ميل النفس إلى الأكبر الأقوى. وهذا بخلاف الشحيح والحريص الشديد مع إمساك عن السداد، لا يحصل منه شيء من الإنفاق الخيري. وكثيرا ما يقدم على فعل الطاعة الواجبة وهذا يتنافى مع الزهد

ودعواه أن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم الله ويشيد بهم وبأوصافهم كتابه هم الذين يحبون المال، فهذه الدعوى تخبط صريح و[illegible] ومغالطة حيثيه، وليس في الآية [illegible] واحدة فيها ما يشير إلى أنهم يحبون المال مطلقا، وإنما أثنى على هؤلاء من أجل تقديم حب الطاعة على حب المال وبذلهم في طاعة الله مع حبهم هذه الصفة لا من أجل حب المال، فذكر حب المال هنا غير مقصود، بل لبيان أنهم قدموا هذا العمل الديني المالي مع محبتهم للمال، لأن هذا يدل على صدق الإيمان والإخلاص وحسن الظن بالله. وكل هذا ينقض أصوله. وهذا رأيه محض الإعراض [illegible] والمغالطة في [illegible]، فحب المال بدون إنفاق مشروع ليس ممدوحا في الشرع أبدا

ثم قال: أما هؤلاء المحرومون [illegible] يعلمون أن حب [illegible] هو رأس كل خطيئة، فالمرء [illegible] ثم [illegible] ويمكنه أن [illegible] ثم يعمل له.

فيقال: أما أن «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فهو حديث رواه البيهقي، والواقع يصدقه، وإن الذي نعنيه من أن يكون رأس كل خطيئة [illegible] فيه

على الوجه الأمر [illegible] شرعي وحينئذ لا يكون خطيئة لأن العمل به في الوجوه
الشرعية أخرج صاحبه عن أن يكون مخطئاً [illegible] له على [illegible] ،
فمن فرض أركانه [illegible] الواجبة والمستحبة [illegible] لامتحان
العبد [illegible] فضلا من الله ونعمة [illegible] فقد خرج
[illegible] من كل شيء [illegible] المال الذي هو [illegible]
[illegible] كما قال تعالى : إنما أموالكم وأولادكم فتنة [illegible]
[illegible] قلبه ، فإن عمل بما أوجب الله عليه فيه فقد
قدم [illegible] وخرج عن أن يكون عبداً [illegible] ،
وكان في دعواه [illegible] وإن قدم [illegible] علم أن دعواه في الإيمان
غير صحيحة [illegible] صدقها
[illegible] ، ولا يمكن [illegible] الصادق الخالص ومنع الزكاة أبداً ، كما لا
يمكن [illegible] الصلاة والصوم [illegible] والمفسدة
[illegible] .

وقوله [illegible] فإن [illegible]
[illegible] لا يكون [illegible] الإنفاق
[illegible] شرعي [illegible] إلى
[illegible] ، فصاحب المال الذي يحبه لا بد أن ينفق
[illegible] أن يكون [illegible] على [illegible]
[illegible]

وقوله [illegible] أولا [illegible] لا [illegible] له
وخصومة [illegible] ولا وجه [illegible]
[illegible] أمر [illegible]
[illegible]
طرف [illegible] شخص [illegible]

وجب الذئب الى طلبه أو قتله لأن هذا العامل الأقوى ترجح على هذا العامل الأضعف . وأمثال هذا كثير

فصل

ثم عاودته تجيبه في الشخص ، فذكر هو كلاما طويلا هدم به جميع ما ذكره في صدر هذا البحث في محاسن الزهد والقناعة . ووجه فيه نظره الى الزهد والقناعة وحسن تأثيرهما . فقلت هب نعوذ أن هذا الجنس من الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين قال : غير أن هذه المسألة قد تدرس على وجه آخر فيبدو من دراستها على هذا الوجه أن ما يقوله الزهديون وهم ، أو إنه هو الوجه الصحيح ، ذلك أن في القضاء المطلق علينا أن الاختلاف بين الناس في وضعهم الاجتماعي وفي تفاوت درجاتهم من حيث الغنى والفقر والصحة والمرض والقوة والضعف ونحو ذلك وغير هذه الأمور لا يمكن أن يقضى عليه ، بل يوجد الى جانب غني واحد عشرات الفقراء أو مئاتهم أو آلافهم ولو فقراء نسبيا ، كما يوجد تحت أقدام السيد الأعلى عشرات الملايين أو مئاتها يهبون حياته ونعمه اذا نادا ويخضعون لأوامره اذا غضب ، وهكذا القول في كل ناحية من نواحي هذه الحياة المحكمة المعقدة وحينئذ فالمسألة ذات فرضين . أحدهما أن الحياة يجب أن تقوم على أساس الحرية المطلق الذي لا حدود له ولا قيود ، وأن من عجز عن منافسة الآخرين وقعد عن غرض من أغراضه أو شهوة من شهواته لزمه أن يعد نفسه مغبونا محروما ، ووجب عليه أن لا يقر له قرار ولا تهدأ له نفس ولا يقر له مسعى حتى يوفى على كل شهواته وأغراضه وحتى يزاحم الذين وردوه الآخرون السابقون وأسبقه في ذلك تلاف جسمه وزهق نفسه . والثاني الفرض أن الأمر دون ذلك كله ، وأن الذئب ما هي الا حاجة دنية تكون منها ما أمست الحياة ، وأن التفاوت في مظهرها مثل تفاوت في مظهر الموت يجمع عيب وشر

منها . ويكون بها ولكن لا يكونها وان القميص حريرى يلبسه الغنى بالنسبة
الى القميص القطنى أو لما دونه هو ككفن الحرير يلف به الميت بالنسبة
لكفن القطن أو لما دونه . وان امره ليس الا عقله وفكره وأخلاقه ، أى
ليس الا ذاته المعنوية . وليس هو ما تتصل به اتصالا عارضا فيه دائما . اما
العرض الاول فهو لا شك فى عنفه على البشرية وقسوته عليها . فان البشر لا
يستمتعون فى حال من الأحوال على القرار والاطمئنان أو بعضه بما هم فيه ولا
هدأوا أو عصفت بهم الحسرات . وما الرضا والقرار فى هذه الحياة إلا
كالظل والماء و الخصب بالنسبة للصحراء المحرقة التى تشرف عليها الشمس المحرقة ،
وإن البقاء فى هذه الحياة بدون هذين الأمرين . الرضا والقرار ، مستحيل استحالة
الحياة فى هذه الصحراء بدون الماء والظل والخصب . ولا شك أن هذا الفرض
فى الحياة ينتزع منها أسبابها ، ولن يوجد شىء إذا لم توجد أسبابه ، فاذا قامت
الفكرة الانسانية العامة على ان وجودها لا بد أن يكون ملحمة مادية قاسية
متواصلة وأن حظ كل فرد منها هو ما يقتنصه من عناصر هذه الملحمة وأن
سعادته وشقاءه هو فى ذلك ، فلا شك أنها ـ أى الانسانية ـ ستحرم حينئذ
حرمانا باتا من السعادة والهدوء والاستقرار ، فان كل انسان [illegible]
سيجد أمام عينيه من هو فوقه فى شىء أو فى أشياء كثيرة ، وسيجد مجال
التطلع والنظر فى شاسعا واسعا دائما ، وسيشعر هنا بالفرق وهذه الفروق ،
وسيمر عليه أحلى ما فى حياته من طيبات ، وسيبقى من هذه الناحية ولاجل
هذا الوجه ولو نال أقصى ما تطمح اليه أكثر النفوس مثل من حرم الحرمان
كله ، لأن كلا منهما يرى من هو دونه ومن يتميز عليه فى أمر من الأمور ،
ويصغر ما قعدت به عنه قواه ويداه ، وسوف يظل هذا الشعور والاعتبار
مبعث آلام لا تنتهى ، ومصدر عذابات لا [illegible] فان أكثر العدوان
الذى يقع من البشر دائما انما يقع بالبيان لهذه الفروق المادية ، ولا شىء يستطيع
القضاء على هذا العدوان للبشر فى كل زمان ومكان ما لم تتغير النظر الى الحياة

والى حقيقة الانسان . وما لم تذهب هذه النظرة المادية الجشعة الطاغية . وعلى [illegible] ولا بد من الايمان بالافتراض الثانى ،
[illegible] وأشقى معه
الوجود كله . ولا [illegible] أن من [illegible] هذه الحروب الشاملة هو هذا
الا[illegible] ولو أنها نبهت من هذا
[illegible] فى ذلك بعض [illegible] أو كلها . ولهذا فقد
[illegible] على هذا الافتراض . و[illegible] فى تحميله
[illegible] عن أن ينظر المرء الى
[illegible] لمن هو دونه لهذا المرض نفسه ،
[illegible]
[illegible] أحدهما طبيعة [illegible] الى [illegible]
[illegible] كل ما
[illegible] كل [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الوقت
[illegible] من كل [illegible] الآلام ونقص
[illegible]
[illegible] ولا
[illegible] إجابة لآمال [illegible]
[illegible]

تناولها هي - أي يتناولها بقدر ما يقول له وجوده وبقوته تدول . لا بقدر ما تقول له أطماعه ذلك . فيعيش هو ومن حوله في سلام آمن ونعمة مطمئنة شاملة وعيش لا ينتهي . وهؤلاء الذين مدحوا الفقر والقناعة وذموا الحرص والجشع والتهافت إنما قصدوا هذه المعاني الظاهرة الخيرة . وقد أرادوا أن يسموا بالإنسانية على أوضاعها المادية ، وأن يقربوها في معانيها وأخلاقها من الملائكة . وأن يبعدوا من نفوسها الحقد والحسد والبغضاء التي تبعثها حب اللذة والإسراف في طلب المادة وما يتصل به . وأرادوا أيضا أن يفهموها . والإنسانية قد تستغني عن أشياء كثيرة . ولكن شيئا واحدا لن تجد ما يغني عنه . هذا الشيء هو نماء المعنى الخلقي فيها وهو وحده أساس كل ما في قيامها . والزهاد المخلصون استطاعوا أن يحيوا بهذه المعاني وأن يجدوا فيها لذتهم وحاجتهم منذ أن رأوا هذه الدعوة لطيفة متقمصين هذه الروح الخيرة ، فكانوا ملائكة إنسانيين . وكانوا ملاذا يأوي إليه كل من ضلت سفينته الخلقية في خضم المطامع والأهواء الفاسدة . وكانوا هداة يجذب كل من جارت به ضلالته فمضى عن الطريق والنهي .

والحق أن ابن تيمية لم يكن زاهدا . ولكنه يجد فكرة الزهد حجة عليه ، وأكثره منقول من بعض القائلين المؤيدين لهذه الفكرة . وقد أدخل فيه بعض المجازفات من الجانبين كعادته . ومع هذا فقد أقر بصحة أكثره رغم تحامله على ضده . ثم إنه بعد أخذ يتشكك في بعض أشياء منه ، وقد سبق لك بيان الطريقة التي هي طريقة نفسه في هذه المسألة في صدر هذا البحث وغيره . وإن من هنا اتسعت هوة الخلاف بينه وبين خلافه من أنداده . فارجع إليه . فستنتبه إلى ذكره من التعصب في هذه الحجة عليه وردوده على قوم كانوا يدعون من ادعاء نفسه بنفسه لأن في أصحابه من هو ساقط لا يحتج بها ثقة وقال ابن تيمية في كلامه لأن هذا يذكر وكل هذا يمكن أن يقال ، وكثير منه

صحيح . ولكن لا نكون بنجحه اثبات فضيلة الفقر [1] والقناعة ، ولم يدل بمجموعه على ذلك . وما تقدم فى هذا الفصل يكفى قضاء فى هذه القضية »

قلت : قد سبق الكلام فى تعريف فضيلة الفقر وبيان المراد به عند من أطلق هذا اللفظ ، وكذلك القناعة . فلا معنى لاعتراضه هنا البتة . وقوله وما تقدم فى هذا الفصل يكفى قضاء فى هذه القضية ، فقد بينت ما اعتمد عليه هنالك وأجبنا عليه بما فيه كفاية

فصل

ثم أخذ يناقش كلامه السابق فى فضيلة الزهد والقناعة ، ولكنه يؤيده أحيانا كعادته فى التقلب والتناقض فقال : « ثم أن الانسان لن يستغنى فى حياته عن العزاء الذى يهبه الرضا فانه تخل عن الخلاف ، ولو أن انسانا ما فقد هذا العنصر النفسى فقدانا تاما بحيث لم يبق أمامه جانب واحد يرضيه ويعزيه أو جانب واحد يحدث له بعض الرضا وقليلا من العزاء بحيث لا حيلة ربما انتحر أو مات أسى وحسرة . وكل انسان إنما يعيش بقدر ما له فى وجوده من آمال صادقة أو كاذبة تقص على نفسه لتلهمه ألوانا مختلفة من هذين العنصرين الضروريين للحياة الانسانية »

فيقال : هذه موافقة لقوله حكمت خاتمته فيما تقدم ، فإن العزاء الذى يهبه الرضا هو نفس القناعة كما سبق

ثم قال : « ولكن ليس معنى ذلك هو الفقر والبؤس والشقاء »

قلت : هذه مراوغة وخروج عن موضوع البحث ، فقد تقدم تعريف الفقر ، وهو يرجع الى الرضا والقناعة المحمودة . وأما البؤس والشقاء

(1) بل الزهد والقناعة كل مطلوب ، لأن بحثه فى الزهد لا فى الفقر ، فلا حاجة الى هذه المغالطة

فادخالها هنا معترضة ظاهرة . فإن لم يدخل فيه فقد ، ولا اعتراض على صاحبه من أصله ، بل كان يجب عليك هنا أن تقول ليس طريق ذلك هو الزهد والقناعة ، لأن البحث في هذا . لكن انحرفت عنه لكونه ينقض أصلك

ثم قال : ورأى طرفه أشياء أخرى ، منها رياضة المرء نفسه وعقلها على الشرور المعتادة وعلى الأحداث العجيبة ولو المكروهة بالصبر والاستسلام ومحاولة الخروج منه بالصبر وتحقير حب الاستسلام ، وأن يكون مثله مثل الجندي المغوار يتهيأ للموت ويدفعه اليمين والشمال وهو يرسل أهله تحية ،

فيقال : وهذا أيضا موافق لما ذهبنا إليه في تعريف الزهد والقناعة وبيان الفقر . وهو يناقض ما ذهب إليه ، وهو من جنس ما ادعاه قريب . وإنما غير العبارة فقط . وليست العبارات هي المقصودة بل المقصود في مثل هذه الأمور هو المعنى لا الألفاظ

فصل

قال : ومنهم يعتقدون الصحة الكاملة ويحسبون على ضوئها الاكتئاب واليأس تعرف في القبح ، ويعرف القبح ببحثه طبيعته لا بعرف الصحة ،

فيقال : وهذا أيضا غير وارد ، فقد سبق قولنا في حديث تعريض الأمراض وإهمال تقوية الجسم وأن المسلمين قد دعوا الأمراض والأسقام من أمر ما يتداوى واحتفظ على الصحة بكل ممكن ثم كرر الكلام في مدح الصحة وذم المرض . وقد سبق الكلام على هذا الأمر ، فلا فائدة في إعادته

ثم قال : ثم إن الجبناء وهم نسبة وليسوا صحيحي أحوال ، بل هي سائرة وهم سائرون في الطرق شتى ذلك لم يسدوا ، وإنما على رحمة لا يعيبهم القناعة والحرية ، فيعيبون الآخرين أن يرضوا لأنفسهم هذا الذي يعتقدونه بأنهم سيسيرون في طريق الآخر وحينئذ يدعون في هدوئهم وقرارهم ، ويعيبون النفسية الخائنة ،

فيه . وهذا أيضا ليس بوارد عليه . لأنا لم نقل إن القناعة هي السكوت
والراحة فقط وترك ما يجب عليه من أمور الدنيا والدين ، بل قد عرفنا
أن القناعة هي الرضا بالقضاء [illegible] ، وفعل ما يجب فعله مما فيه قوام
الدنيا والدين ، وعدم الإكثار من الجشع والطمع على الدنيا . هذا هو مقصودنا
من الاقتصاد [illegible] ، وهذا هو الحد الوسط بين التفريط والإفراط .
وحينئذ فلا [illegible] ما أوردناه

فصل

قال : [illegible] إن جميع [illegible] هو الذي وقع في الحروب والشرور
والمصائب بين الناس [illegible] من حيث الحق والصدق ، [illegible]
لأمر ، وهو أن [illegible] أو خوف [illegible] أو خوف حاجة [illegible]
[illegible] من الحق أكثر هذه العداوات والخصومات .

[illegible] القناعة [illegible] الجشع الذي هو الذي أوقع في
الحروب والشرور . ولكن [illegible] أن [illegible] وخوف الحاجة يوقعان في ذلك
أيضا وهذا قول [illegible] . فإن خوف [illegible] وخوف حاجة عن
[illegible] والحاجة [illegible] هو كثيرا ما يكون ضربا من الجشع ، فإن الجشع ضرورة
[illegible] الحاجة [illegible] في الاعتداء وعدم الصبر والثبات ، وعن
[illegible] كما قسم ،
وفي هذا [illegible] ما ذكره [illegible] أمر [illegible] عن الوقوع في
الشرور والحروب ، [illegible] وضرورة . [illegible] لم
[illegible] وكثيرا ما
يعقب الى الجشع والعدوان [illegible]
[illegible] ، واللصوص [illegible] على الأمن [illegible] وأكثرهم
[illegible] ، وأن الحروب

تقع بين الفقراء كما تقع بين الأغنياء .

فيقال : هذه شواهد لقولنا . فإن الدافع للصوص وأضرابهم على التلصص
وعلى التلصص ليس هو الفقر ، وإنما هو الجشع . فكم من فقير لم يتلصص ،
وأما الجشع فلا بد أن يحمل صاحبه على التلصص أو السرقة أو قطع الطريق
ونحو ذلك من طرق العدوان من السلب والنهب . وقوله : إن الحرب قد تقع
بين الفقراء ، كما تقع بين الأغنياء ، يقال : هذه [illegible] عن الجشع ، فهي في
الجشع والطمع لا في الفقر والغنى . وعلى فرض التسليم في هذا القول : إذا
كانت تقع بين الفقراء والأغنياء ، فقد تقع لا لأجل [illegible]
الجشع في [illegible] ، وكثير [illegible] من ناحية الطمع ،
فإن الاعتداء [illegible] يكون من جهة [illegible] . فالطمع ضرب من الجشع
واللهف الذي [illegible] . وقد كانت حروب عظيمة [illegible]
الدول الكبار ، مع كونها ليست فقيرة ، وقد [illegible]
[illegible] فإنه لا يكاد
يقع بينهما حرب ولا شر فيما يختص [illegible]
[illegible]
[illegible] سواء كان [illegible]
أو شقاء أو غير ذلك [illegible] من الأخلاق [illegible]
اعتداء وعداوة لا حد لها . [illegible]
ولا [illegible] . فإذا فقد [illegible] فكان كالوحوش [illegible]
لا [illegible] والأخلاق [illegible]
[illegible]
[illegible] أحق في [illegible]
[illegible] . فمن ينظر إلى الدين مطلقا ، فهو [illegible]
معه في كل حق [illegible] وسعة [illegible]

المعدل الفطرى ، ولكنه نبذه وراءه ظهريا ، والعجب من قوله بعد هذا :

« ومن أن عهود القناعة والزهادة الدينية كانت تشب الحروب على نطاق أوسع وأفظع مما تشبه عهود المادية الجشعة ، وكل هذا صحيح لا ريب في صحته ».

فيقال : بل هو باطل ، ولا شك في بطلانه ، بل هو من الهزل والمضحكات التي لا يتكلم بها إلا مسلوب العقل ، فهذه الدعوى مكابرة ظاهرة . فأين عهود القناعة والزهادة الدينية التي شبت حروبا على نطاق أوسع وأفظع مما شبته عهود المادية الجشعة . وفي أي وقت صار هذا . وأين وجد . ولا يمكن لأحد أن يثبت هذا أبدا . فإن الحروب التي في القرون الوسطى وإلى عهدنا هذا ليس منشؤها القناعة والزهد ، بل منشؤها الجشع والتكالب على الدنيا والمزاحمة في الرئاسة ، فأي قناعة في هذا ، وأي زهد . وكيف وقعت في عهد توجد فيه القناعة لا من شيء . وإنما الكلام في كون القناعة والزهد هي الأسباب في نشوبها . ويكفيك دليلا على فساد هذه الدعوى وجود هذه الحروب الحاضرة ولا أوسع ولا أفظع ولا أشنع منها ، ولا شك أن الذي نشبها هو الجشع المادي الذي هو ضد القناعة والزهد ، وهذا أمر معلوم بالضرورة ولا خفاء ، فدعواه هذه من أعجب العجب ، وأقبح الكذب ، وقد نقضه قوله ان هذه الحرب لم تصب البشرية بحرب أفظع منها ، وهذا تناقض ظاهر .

وقوله : « إن دعوة القناعة والزهادة لا تعطى الخير المرجو منها ، ولكنها تجلب الشر المخشي منها فقط ».

فيقال : بل القناعة والزهادة على الوجه الذي شرحناه تعطي الخير المرجو منها كما يجب ، وإنما الذي يجلب الشر ولا يعطي الخير هو الدعوة الى الجشع والطمع الحيواني الذي هو ضد الزهد والقناعة ، وقد وقع أثر هذا بالعيان واليقين ثم قال : ولما كان الإنسان مدفوعا بغرائز مطبوعة أصيلة فيه . فإذا صادفت

دعوات دينية أو غير دينية تكافح في ظاهرها هذه الغرائز الطبيعية كانت النتيجة أن تختفي هذه الغرائز عينها تحت مظهر أخرى قد تكون أعظم فتكا وإيقاعا بالإنسانية وبأصحابها .

فيقال هذا كلام ساقط مرذول لا يقوله من يدري ما يقول . فما هي هذه الغرائز المعيبة الأصلية فيه ، فإن الغرائز تختلف اختلافا كثيرا متباينا ، فإن أردت أن هذه الغرائز فطرية طبيعية خيرية فلا نسلم أن الدعوات الدينية تضعفها حتى تختفي تحتها ، بل تكون الدعوات الدينية عونا لها وإمدادا لها لنفس الداعي الخارجي والغريزة الداخلية فيحصل الخير والنفع والمصلحة التي هي أضداد الشر . وإن كانت الغرائز خبيثة شريرة فكانت الدعوات الدينية معدلا لها وعاصما من آثارها وتنظيفا لها وبحث بحسب قوة وضعف من أخذ بها ، وهذا مطلوب شرعا بحسب الإمكان ، وإن كانت الدعوات غير دينية والغرائز كذلك حصل الشر المحض وتوسعت دائرة الفوضى والشرور . فكان ما ذكره حجة عليه لأنه لم يجعل للدعوات الدينية أثرا في الغرائز مطلقا من حيث مضادة الغرائز الأصلية من كل وجه . وهذا في غاية السقوط كما هو ظاهر .

فصل

قال : وأما حديث الأعمش (انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) فهو حديث يراد به التخفيف من حدة غيرة صاحبه ، ذلك أن الإنسان مجبول على الغيرة من الآخرين وعلى الحسد للمتفوقين عليه ، والغيرة والحسد قد يجعلان شقاء الكثيرين بيده وشقاء الحاسد هنا ، ويؤدي وبطش بالمحسود والمغموص عليه . وقد يترتب على هذه الأمور شرور كثيرة وآفات اجتماعية شديدة .

فيقال : هذا الكلام مع كونه موقفا غريبا في مسألة الزهد والقناعة فهو أيضا مناقض لما ذكره في ص ٢٩ في طبعته الأولى عن خطئه ودعائه على

آعدائهم الظالمين حيث قال «حتى تقصر ألسنتهم(١) بالسوء والسب، وتفيض
قلوبهم بالحقد على المتفوقين والحسد لهم» ثم قال في ص ٣٠ «وقد كان المفروض
في هذه الشعوب والأفراد الحانقة الغاضبة الجامحة على من ظلموهم أو فاقوهم
وسبقوها أن يقوموا بعمل تام مثمر لتحطيم هذه الحواجز والقيود والأغلال
والفروق الظاهرة المحرجة تدفعهـا قوة الحق وقوة الحسد والمنافسة» انتهى
فكيف يشنع هنالك على الحقد، ويأمرهم برفض الخضوع والتمرد على عدوهم
بدافع قوة الحسد والغيرة والحنق، وهنا يدعي أن الغيرة والحسد يجعلان شر
الكثير بأن يتألم ويشتد الحسد [illegible] ويدعي هنا أيضا أن هذا الحديث يراد
به التخفيف من حالة نفسية ضعيفة، ومعلوم أن قوة الحقد والحسد والغيرة
حالة نفسية طاغية، وإنما الدافع القوي الذي ليس بحالة نفسية ضعيفة هو دافع
الإيمان وحب الدين، وقد تقدم كلامه هنالك في الحث على الغضب هذه الحالة
النفسية الغاضبة وهي الحسد والغيرة والحقد حتى [illegible] وجعله مصدر
حيث من أجلها، وهنا هو العكس كلامه وكذبه كما ترى، ولا عجب فهذا
ديدنه في أقواله كلها. ونحن ولله الحمد على صراط مستقيم نقول إنه لا يمكن بحال
من الأحوال أن يدرك الاستقلال [illegible] أحد منكم إلا بالإيمان
الصادق والاعتقاد القوي الصحيح وذلك لا يحصل إلا بالتحلي بالأخلاق
الدينية الصحيحة على ما تقدم شرحه مرارا

فصل

قال: «ويمكن تصور هذه الاختلافات متى فكرنا في شعب أو مجتمع كل
فرد فيه يغلي غيظا على من هو أرفع منه في شأن من الشئون، ثم فكرنا أن
هذا الغيظ قد يتطور في نفوسهم [illegible] ولا يقنع من أمكن، وفي [illegible] الحسد و

---

(١) أي ألسنة المسلمين

الحالة من الحيوان أن يفقد الاخلاص والتعاون والحب والانسجام بين أفراد
هذا الشعب، ونتيجة هذه الآفات لن تكون سوى الانحلال العمراني الذي لا ريب
فيه، فكان لا بد من وضع علاج لهذا. وكان من المعلوم أن البشر كما
يتحاسدون ويتغايرون فهم يتلاقى بعضهم ببعض ويختلف [illegible]
آلام الآخرين على حد قولهم مشهور، [illegible]
بالآلام [illegible] لا حقيقة لا [illegible]. فكان من الصواب
إذن أن [illegible] مكان المتألمين ليهون
هذا من شعوره [illegible] لى أن ينظر الى من هم
أشد منه هولا [illegible]

فقال [illegible]
[illegible]، فهو
ناقص [illegible] هو [illegible]

فصل

قال [illegible] أو واحد منهم
[illegible] فهو في موضع [illegible]
هو في [illegible] وهو
[illegible] لا [illegible] ولكن [illegible] يجب
عليه أن [illegible]
احتياج [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]
كلامه هنا كيف نفض به [illegible]

(٣) ما ندري ما المراد من غيره

غيره من عباد الله .

قلت : كلامه هذا من جنس ما تقدم ، وقد عرفت ما فيه . غير أنه ألحد في الآية إلحادا بينا ـ كعادته ـ فإنه حذف منها ما يفسد تقريره ، وهو قوله ﴿لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ . وآخر الآية يبطل دعواه من أنه يجب على العاقل أن يمتع نفسه بماله إن استطاع من زهرة الحياة الدنيا وغيرها . وبهذا تنقض فحوى الآية ، فإن الله بين أن ذلك فتنة وابتلاء ، لا لأجل أن يبلغ الإنسان كل تمتع [illegible] منه ومن غيره إن استطاع . ولهذا قال ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ . أي فيجب أن تطلب الذي هو خير وأبقى منها . ومن مد عينيه إلى ما غيره من زهرة الحياة الدنيا وطلب إعطاء نفسه آمالها فقد عصى الله ، فإن الله نهى عن أن يمد الإنسان عينيه إلى هذه الزهرة ، وبين أنها فتنة ، وأن الأولى بالإنسان أن يمد عينيه إلى الآخرة التي هي خير وأبقى كما قال في [illegible] الأخرى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ . ومعلوم أن ما قاله يتضمن أن الاهتمام [illegible] أعظم من الاهتمام بالآخرة ، وهو خلاف أمر القرآن العظيم الناهي عن مد العين إلى ما متع الله به الكفرة من زهرة الحياة الدنيا ، لأن الله [illegible] أعطاهم [illegible] والآخرة [illegible] سبحانه خير من هذه الزهرة التي هي فتنة ومتاع إلى حين فلا يغتبط بها إلا من هو منقوص العقل والدين كما هو الواقع .

ثم قال : والآية في تفسير معنى الزهد وإقناعه [illegible] والجهود والأعمال والإنتاج للإنسان . فلو حسبنا أننا نشيد ثقتنا على تحسين الحياة وتحسين العمل من حيث ، وأن نقف بكل قوانا أمثال حكمة ذلك للنعمة القائل [illegible] في ذلك نقصان ، وأن نرى بذلك القول الجديد الجميل في تعريف معنى السعادة ، إنما هي القدرة على العمل ، فإن السعادة هي القدرة على العمل ، وليست هي العمل بدون القدرة عليه ، وليست أيضا هي البطالة والسكون [illegible] الحد القديم شيمة الزهادة والقناعة .

فيقال من الآية في معنى الزهد والقناعة بالمعنى الذي قرره المسلمون كما ذكرناه . لا على ما فسرته بمقتضى شهوتك وإرادتك . فإنك عدو للاسلام فلا يقبل ادعاؤك عليه وعلى أهله . وإن فسرت ذلك بما يحط الهمم والجهود لقصد التعمير . [illegible] فالواجب أن [illegible] هذه عرض الحائط وشيد الثقافة على حب الآخرة والى ما يقرب منها من أمور الدنيا من مشروع أو مباح . ونشيدها على حب الله وحب العمل له وما يقرب منه ويحرزه فيعيش في ظله سعداء آمنين بخلاف من شيد ثقافته على حب الدنيا دون الآخرة ، فإنه يصبح خوانا كفورا كالكلب [illegible] حتى في [illegible] كلها إلا في شهوته وهواه [illegible] شهوته ونفسه من هذه الحياة ولو [illegible] لإصلاح حياته . فهو لم [illegible] الصحيحة . وهو [illegible] كما تقدم تقريره

وأما [illegible] في دينه نقصان ، وتسفيه له فهو من جنس [illegible] مقصود [illegible] في حقيقته . لأن الانسان [illegible] في نقص إلا في [illegible] كما قال تعالى : [illegible] إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible] السورة . فأخبر تعالى أن الانسان في خسارة إلا من آمن وعمل صالحا . ومعلوم أن [illegible] معنى النقص ، وهذا القائل الحكيم ذكر أن الانسان في نقص إلا من زاد من خير ، فإنه قال :

زيادة المرء في دنياه نقصان … وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له … فإن معناه في التحقيق فقدان

فهذا القائل استثنى من كسب في [illegible] ، ومعلوم أن الإيمان والعمل الصالح هو رأس الخير . فهي كلام هذا القائل فيه معنى سورة العصر التي قال فيها الامام الشافعي : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم . لأنها أخبرت عن الخاسر من الرابح في نوع الانسان ، و[illegible]

طريقة الربح كما سنت طريق الخسارة. وهي إضافة لطرق الربح على ما بينه في
هذه السورة وسورة النبي. ولهذا عدّ العلماء هذا القول من الحكم، وجعلوه في
الأبواب والكتب التي يذكرون فيها الحكم. حتى جاء هذا المعكوس فأراد أن
يعاكسهم، وهيهات، فإن البيت في غاية الصحة والحكمة والبراعة والدقة

وقوله: وأن نؤمن بذلك القول الجديد المبتذل في تعريف معنى السعادة
بأنها هي القدرة على العمل، فنقول: هذا ليس بشيء، فهو قول محض ليس فيه
حق ولا جدّة وليس فيه تعريف للسعادة فلا يجب الإيمان به. فالقدرة على
العمل ليست سعادة ولا شقاوة، إنما السعادة هي تحصيل نتيجة العمل المقدور
عليه على الوجه المطلوب الصحيح، هذه هي السعادة. ولا فالقدرة على العمل
وسيلة للسعادة والشقاء أيضا، وقد تكون ناجحة في عمل مثمر صحيح فتحصل
السعادة. وقد تكون ناجحة في عمل غير صحيح فتكون وبالا على صاحبها. وقد
لا تنجح مطلقا فتكون فشله وعملها حابطا فتورث الخسرة والندامة فتكون
شقاء أيضا. وكثير من الناس يقدر على العمل لكن ليس له من قدرته على
عمله إلا التعب والنصب. كالأسير يهدي عمل غيره، وكالأفراد الكثيرة في
الشعوب الأسيرة كالمحكومة التي لا تحصل شيء من أعمالها إلا كما تحصل
للبهيمة مقابل عملها أو دونه. ونتيجة لتصحيح تعريفها فالسعادة نتيجة
العمل فقط على أنه يتحتم لا بد من القدرة على العمل وجود العمل وليست
القدرة هي العمل. ولا بد من العلم وصحة عمل قدر من قدر على شيء
يعمله. ولا بد من الإنتاج الصحيح منها. ولا بد من بعد الحاصل فالقدرة
سبب واحد من أسباب نتيجة واحدة من نتائج كثيرة، وهي السعادة. فقولك
نعم إن السعادة هي القدرة على العمل، نقول: لا، بل السعادة حصول النتيجة
الصحيحة من الأمر المطلوب. والقدرة لا تكفي في ذلك وحدها. وليست
هي العمل بدون القدرة عليه. نقول: لا يوجد عمل بدون القدرة عليه. فهذه
ثرثرة زائدة، وكأنك تريد أن تقول وليست هي ترك العمل مع القدرة

حدثت القرمطة المفتوحة على مقتضى تفريعك على قاعدة . أما نفي السعادة
عن العمل بدون المعرفة فلا يصح على هذا القول [illegible] ، لأنهم لا
أن يكون من مشى به حقيقة لا [illegible] الا [illegible] لا يطلب الا [illegible] أو [illegible]
أقدامهم في أوحال [illegible] . وأما [illegible] فلا معنى له عندهم [illegible] وقوله
ولست أيضا هي [illegible] ونكص [illegible] وراء ذلك الحد . فيقال ولست
هي أيضا ذلك [illegible] وخشع [illegible] وراء [illegible] [illegible] .
وليس هذه الأشياء واردة على قول [illegible] وقاعدة [illegible] الشرعي عند
[illegible] على [illegible] ولكن [illegible] مطلقا
مع إقرار أئمة المسلمين كالامام أحمد والشافعي وغيرهم حتى صنف الامام أحمد
في ذلك كتابا يعرف بهذا الاسم . [illegible] فيه أقوال أئمة [illegible] فشمخ هذا
[illegible] عن هؤلاء الأئمة وعن [illegible] وعقائدهم . ولكن [illegible] غر هذا الأنف
الذي شمخ به في مجالسات الملاحدة [illegible] . وطال له ذلك وهدأت عليه
[illegible]

فصل

ثم قال [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] حديث صحيح ،

ويقال [illegible] هو حديث [illegible] صحيح [illegible] اللفظ ، لم يقل النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] وهذا [illegible] في الكذب على الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا يبالي في ذلك ، ويسوق [illegible] ولا [illegible] الكتب ،
ثم [illegible] أحد [illegible]
و[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وقد أجمع [illegible]
[illegible]

فالكفر عدل من الذنوب، مع أن الفقر ليس بذنب البتة، فكيف [illegible]
الكفر، هذا لا يسوغ في عقل ولا دين. قال تعالى «إن شر الدواب عند
الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون» فأخبر تعالى أن الكفار شر الدواب عند
الله، وليس الفقراء هم شر الدواب عند الله. وقد قال تعالى «للفقراء
المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله» إلى
قوله «وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون» فأثنى عليهم مع أنه
نعتهم بأنهم فقراء، فكيف يثني عليهم وهم كالكفار على مقتضى قول هذا
الملحد، وقال تعالى «للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله» الآية فأثنى عليهم
مع وصفهم بالفقر، فمن ادعى أن الفقر كالكفر عند الله فلا شك أنه
كافر لأن الكفر جريمة اختيارية خلاف الفقر. وقد فرق الله بينهما في كتابه
العزيز وأجمع المسلمون على ذلك. وهذا الملحد يأتي بالطامات التي لا تطاق
من الكذب على الله وعلى رسوله وكتابه والمؤمنين فيجعلها أصولا، ثم يشرع
في التفريع عليها، ثم في ذلك يأتي إلى الأحاديث الضعيفة فيجعلها في منصب
الحديث الصحيح، ويأتي إلى الأحاديث الصحيحة المتفق عليها أو المروية في
الصحيح فيقول: هذه مزورة أو كذب، كما قال في حديث «لا [illegible] لا
والذي بعده شر منه»، ونحوه من الأحاديث المروية في الصحيحين وغيرهما.
فهو يريد أن يفرض على المسلمين أن يكون هو المقدم في كل أمر، هو المقدم
في علم الحديث وعلم الفقه والفلسفة والتفسير واللغة والشعر والهيئة وكل العلوم.
من يريد أن يكون الأمر كله له فلا نصيب لمن عداه ولا يرجع إلى سواه. وهو
المقدم في أمور الدين والدنيا [illegible] لا حد لها. وقد سبق الكلام في
بيان الفقر عند المسلمين في أول هذا البحث. فإذا عرفت أن هذا الحديث غير
صحيح وأن النبي ﷺ لم يجعل الفقر عدلا للكفر بطل ما فرعه على هذا الحديث
لأنه مبني على أصل باطل كعادته في التفريع على أوهامه في تفريعه ويرمي
بها الإسلام ثم يبطل التفريع عليه فهو يدعي لنفسه ويشهد لها ويحكم لها.

ومجرد قرن الفقر بالكفر في الاستعاذة لا يقتضي [illegible] وأن يكون عدلا
له ، فإنه قرن معه الكسل والجبن والبخل وليست هذه الأخلاق كفرا عند
جميع المسلمين

فصل

ومن عجائب سفسطته وتحريفه ما قاله في معرض هذا البحث [illegible] في
بيت المسلمين أنهم [illegible] الدنيا وكرهوا [illegible] وعشقوا الزهد وعرف
أن الناس سيعيبون [illegible] وكذبه وفساد دعوى [illegible] على نفسه [illegible]
أعوج وأجاب عنه بكلام [illegible] تقدم أنه [illegible] في [illegible]
القدرة التامة على الخروج من كل تناقض يقوله [illegible] ، وهذا فيه لا [illegible]
عما يرد على كلامه من كفر وتناقض [illegible] أوتي من العلم
والمعرفة [illegible] أحد [illegible] تخرج
من كل تناقض كما [illegible] ولا [illegible]
قوله

ولم يذكروا [illegible] مثل [illegible]
وقوله :

إذا قلت [illegible] عنه [illegible]

إلى غير ذلك مما [illegible] يكون [illegible]
عليه التناقض أم كيف [illegible] أو [illegible] مما لا يكون [illegible]
أبدا ، فقال :

« فإذا حاول معترض أن [illegible] وإن كان [illegible]
في الحياة وفي [illegible] لأن [illegible] لا
تأثير لها في العواطف وعزائم [illegible] لا يوجد منهم [illegible]
بترك الدنيا [illegible] في أن يكون [illegible] وعملا [1] فويل هؤلاء

---

(١) كذا [illegible]

لشيوخ الطرق [illegible] فإنهم كلهم كما شاهدنا يعبدون المال والمادة ويحاولون
كسبه بكل الطرق - حتى الطرق المحرمة كالغش والتزوير والسرقة - وبكل
الوسائل . ولا تأثير لهذه الأفكار والآراء الميتة الموجودة في تلك الكتب
الميتة كتب أولئك [illegible] ، في حين [illegible] أفواههم الواهية بعقيدة ، وانتهى
[illegible] عبث النظر في هذه الآراء الأهوج [illegible] على ما أحب ،
كيف يكون [illegible] في الخيبة وفي [illegible] المادة كما ذكره من الزهد ، ومع
هذا يعبدون المال والمادة ، هذا من أمحل المحال ، إذ كيف يزهد الإنسان في
الدنيا ومع هذا يعبدها [illegible] لكن هذا ما نجده في المتصوفة [illegible] حتى في
الأ[illegible] التي يوردها على نفسه ، وقد [illegible] فيما سبق طريقته المتصوفة في
الاكتساب والزهد وحب الاستزادة في [illegible]

ثم قال مجيبا نفسه على هذه الآراء ، وإذا قال قائل هذا واعترض
هذا الاعتراض قلت في الجواب [illegible] ليس هناك شك في أن المتصوفة جمهورهم
وخواصهم يحبون المال والمادة ويحبونها ويعبدونها [illegible] والاستزادة
منها بكل الطرق حتى المحرمة منها ، هذا [illegible] ، فاعتبروا يا أولي الأبصار
والبصائر ، كيف يزعمون أنهم يكرهون الدنيا والزهد [illegible] ، ثم يقول
[illegible] ليس هناك شك في أن المتصوفة جمهورهم وخواصهم يحبون المال والدنيا
[illegible] أنهم يكرهونها ويسعون [illegible] في الزهد ثم [illegible] في
الاستدلال على ذلك [illegible] كما في [illegible] كل [illegible] ،
وهم يدعون أنهم [illegible] ويكرهون [illegible] بكل طرق حتى المحرمة .
وأما [illegible] ما فيه شك [illegible] أن الناس كلهم [illegible] أو
أن المتصوفة قوم [illegible] كلهم [illegible]
[illegible]

[illegible] أن بعض من الناس [illegible]
[illegible]

عقب وأعروه على احوال البلاد [illegible] ، ما ندري من عبث هذا [illegible] والصحافة احوج به الى [illegible] وتحقيق وحنو

[illegible] العلم زمانه ، ما وجدت من الاعتراضات الا هذا الاعتراض لصحف [illegible] هذه الاحوال [illegible] على [illegible] [illegible] كرهوا الحسبة [illegible] وعاونوه حتى [illegible] العقير ، ثم مكس [illegible] من هنالك شك في أن [illegible] وخواصهم [illegible] الدنيا والمال [illegible] [illegible] بكل [illegible] محرومة منها لو أصبت الله [illegible] [illegible] والله فصحت [illegible] على [illegible] من أمثال هذه الاعمال المسكين

[illegible] أراد أن [illegible] الله [illegible] قادر على أن يجمع من [illegible] [illegible] جيدا [illegible] من كل وجوهه ،

[illegible] في [illegible] من دماغك ، وكل عقبة من عقباتك ، أمكنه [illegible] ها أمر [illegible] :

... [illegible] في [illegible] وأن [illegible] في الناس من يجري »

[illegible] [illegible] ها و [illegible] من كل وجوهها المظلمة

أو [illegible] الحسبة [illegible] وعبروا [illegible] هؤلاء [illegible] لا يحسبون [illegible] قد [illegible] لأنهم [illegible] كل ما [illegible] على وجه الأحسن من كل الأمر وان كرهوه من أجل أمر [illegible] فانهم [illegible] كانت [illegible] ، لأن هؤلاء لا يتبعون الحق وحقيقته [illegible] وانما يتبعون أهواءهم « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

ثم قال لعز الدين في لمح البصر: ذلك أنهم يحبون الدنيا والمال بغرائزهم وشهواتهم، ولكنهم يكرهونها ويذمونها بأفكارهم وآرائهم وعقولهم وعقائدهم وأديانهم وأقوالهم ودعاويهم[1]. فالشهوات والغرائز يريدون ذلك ويطلبونه والاعتقاد والدين والعقل والرأي يرفضونه ويكرهونه. فتتعارض القوى والعوامل فيهم فإذا وجدوا الدنيا والمادة سهلة قريبة لا تحتاج إلى عناء ولا تحمل أخذوها واحتشوها بسلطان الشهوات والغرائز والطبع[2] بالطرق كلها والوسائل أجمع حتى المحرمة. وهذا في الأغلب. وإذا وجدوها بعيدة المنال محوجة إلى الجد والدأب. وهي كذلك في الأوقات والحالات ما خلا النادر الشاذ، تعلقوا بعقائدهم ورأيهم وقولهم ومذهبهم القائل بأن الحرص على المادة والدنيا خطيئة وغواية، والقائل لهم أيضا إن الزهد والفقر والقناعة فضيلة وهداية فكسلوا وتكلوا، وعجزوا عن الطلب وعن الجهاد في سبيل ذلك. فينتج من هذا أن يكونوا حريصين على الدنيا التي توجد بالوسائل المحرمة لأنها حينئذ تكون في الغالب سهلة قليلة الأعباء والمشقة، بعيدين عنها زاهدين فيها إذا كانت تطلب بوسائل الجلاد والجلادة. وهذا أعجب شيء. على أنه هو الواقع الحاصل المشهود. انتهى خطه لهذا الإيراد

ونحن لا ندري هل هذه من محكم حقيقته أو من متشابهه. وقد قدمنا الجواب عن مثل هذا أول البحث. ولكن نريد هنا أن نحققه عن آخره، ونبينه من وجوه

أحدها أن ما ادعيته من كونهم يحبونها بغرائزهم ويكرهونها باعتقادهم دعوى في غاية البطلان . ولعلك نسيت دعواك في صحيفة ١٦٩ في قولك

---

(١) كذا بالأصل

(٢) كذا بالأصل

ولكن الناس يعلمون جميعا أن مبدأ الأعمال كلها الاعتقادات، وأن العامل إنما يتجه وجهته ويعمل على مقتضى ما يوجهه له معتقده، وكذلك قولك فيما تقدم ان الذي شب الحروب هي الغرائز والميول الشريرة. ومعلوم أنها لا تشبها إلا دعوى للسيادة. وعوامل الزهد إن كانت دينية قوية ضعفت الغرائز المضادة لها ولم يكن ثم حب ولا تمن ولا حرص شديد يوجب أحدها تطرق الحرام. وإن كانت عوامل الزهد ضعيفة لحصول ما يضادها كاف في تحصيلها وأخذها بالجد والاجتهاد

الوجه الثاني أن كلامك هذا محض ملبس ليس كاف في الإجابة على السؤال، فإن تشجيات عدة لا هوادة فيه أن تبين لنا الظن من المصدق في تحصيلها ثم تثبت أن المسلمين تركوا هذا الطريق وأنهم لم يعملوا به من أجل زهدهم وقناعتهم لا لعجزهم، وهذا لا يمكنك أبدا

الوجه الثالث أنه لا يوجد في الدنيا طريق واحد سواء كان ذلك الطريق مشروعا أو غير مشروع أو محرما تمكن تحصيل الدنيا به إلا وقد سلكه طوائف من هذه الأمم الإسلامية كما سلكه غيرهم من الدول الأخرى. ولكن الموفق من وفقه الله. وحيث إنهم أضاعوا أكثر دينهم لم ينفعهم ذلك. وأما غيرهم فقد بينا الفرق والسبب فيه فيما تقدم

الوجه الرابع أن قولك، فإذا وجدوا الدنيا سهلة فإنه لا تحتاج إلى عناء ولا عنت أخذوها واحتاشوها، قول ساقط، فإنهم لم يعصوا هذا الطريق للاكتساب، بل أراقوا دماءهم. ومنهم من خرج من دينه. ومنهم من غامر بحياته في هذا السبيل وفي غير ذلك من الأعمال الشاقة. فمنهم من حصل بعض مقصوده، ومنهم من عجز عن ذلك فدعوى أنهم لا يأخذونها إلا بالطرق القريبة كسب طامع لا يخفى عن أدنى عاقل

الوجه الخامس أن قولك، وإذا وجدوها بعيدة المنال محوجة إلى الجد والدأب — إلى قولك — تعلقوا باعتقادهم ورأيهم، قول أسقط من الذي قبله،

فما هو الطريق الذي يرونه بعد ذلك فيأتونه ويتركونه من أجل زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة . أليس أنهم من زمن اختصوا في هذا الوقت وهم يتهافتون عليها ويتشاكون ويتلاعنون ويتباغضون ، ثم هي أسباب تقسيم واقتسام المسلمين على أنفسهم هذا الاقتسام المشاهد ، فهل هذا كله من الرغبة في الآخرة أو أكثره من أجل حب الدنيا . بل كل هذه الفتن وهذه الحروب وهذه الخلافات والجدال والمخاصمة والمجاهدة والمعاندة والمحاربات المتصلة حلقها كلها من أجل الدنيا ، فدعواك أنهم تركوا الدنيا وجدوا في طلب الآخرة والدأب دعوى في نهاية السقوط وهي أوضح في بطلانها من أن نسهب فيه

الوجه السادس أن الزهد الحقيقي الذي وصل إلى من شأنه نسبي لا يوجد إلا اسمه في بطون الكتب فقط ، ولم تعلم بوجوده ، وإنما أحدث به هذا تشويها السمعة النسبية ، ولا توجد حكومة واحدة اعتمدت هذا الزهد واعتنقته واتخذته لها دستورا تسير عليه أو دينا تتعبد به . بل الزهد وملحقاته والصبر على الفقر كان أكثر في زمان التابعين والصحابة ، وكانوا في غاية القوة والتقدم ، ... نصرهم وجود الزهد فيهم ، وليس هذا لمسمى الزهد ولا كراهة أحد للدنيا . بل هذا لا يوجد أبدا . وكل ما قيل من أول البحث إلى آخره في مدح الزهد وتفضيله والحث على تركها وأن الناس كرهوها كله لا أصل له . وأسهبت هذا وأصبحت كله مكونة تدور على شيء واحد وهو أنهم تكسروا بالآخرة ورفضوها ، خففت عليهم كدهم بالآخرة هو كراهة الدنيا والزهد فيها فهذه العقيدة التي هي التي طوحت بك في هذا الميدان إلى هذه الظنون والتهويل والدوران الذي كل شيء لا أصل لصحته

الوجه السابع أن اعترافك هذا ... عن ... كاف في بطلان جميع ما قررته في هذا البحث . لأن حظ المسلمين ... من العمل والاكتساب والأخذ للدنيا مضمون وتركهم متحققا وهذا اعترفت صريحا بأنهم يحبون المال والدنيا ، وأنهم يحاولون ويسعون

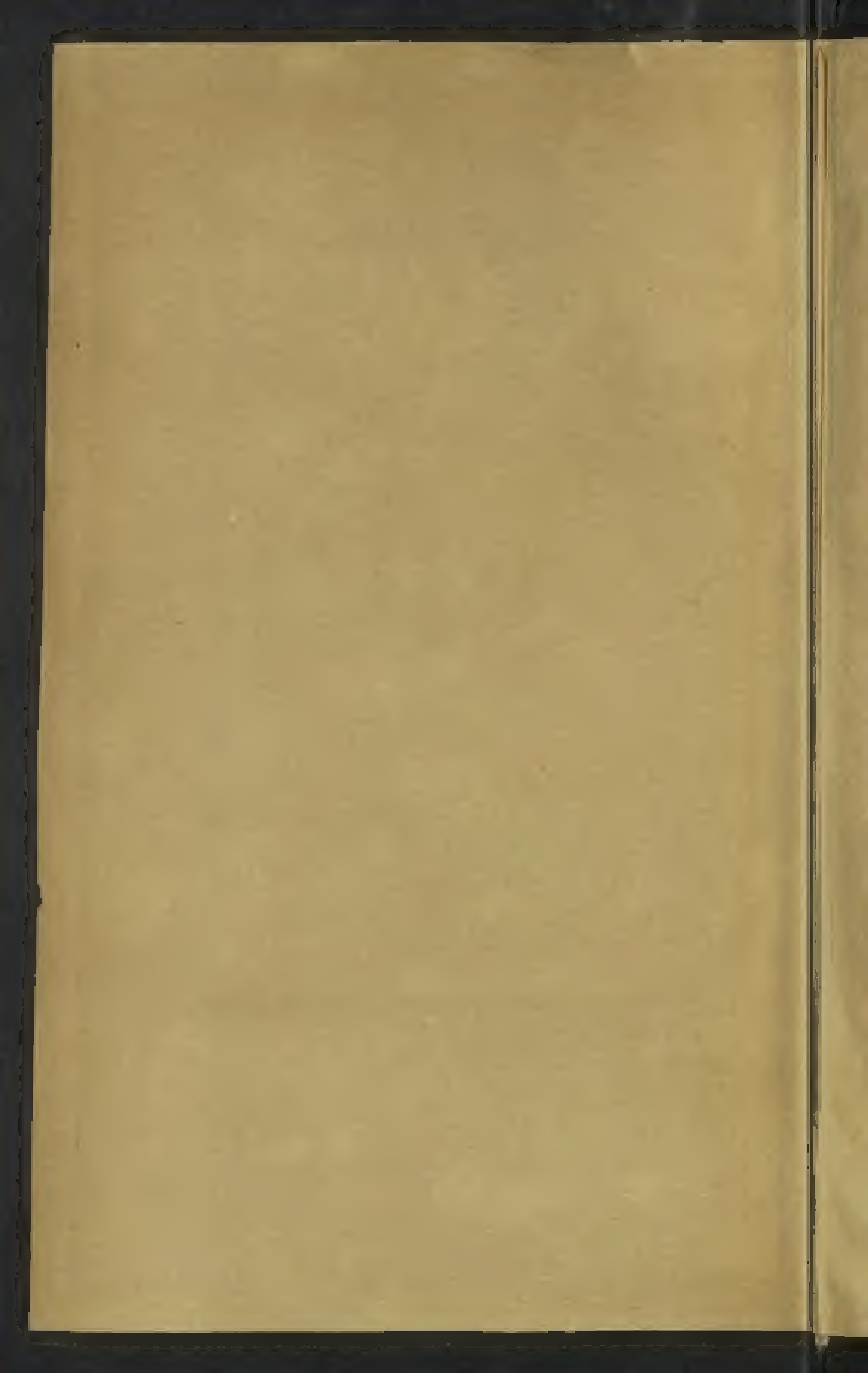
(تم الجزء الاول)

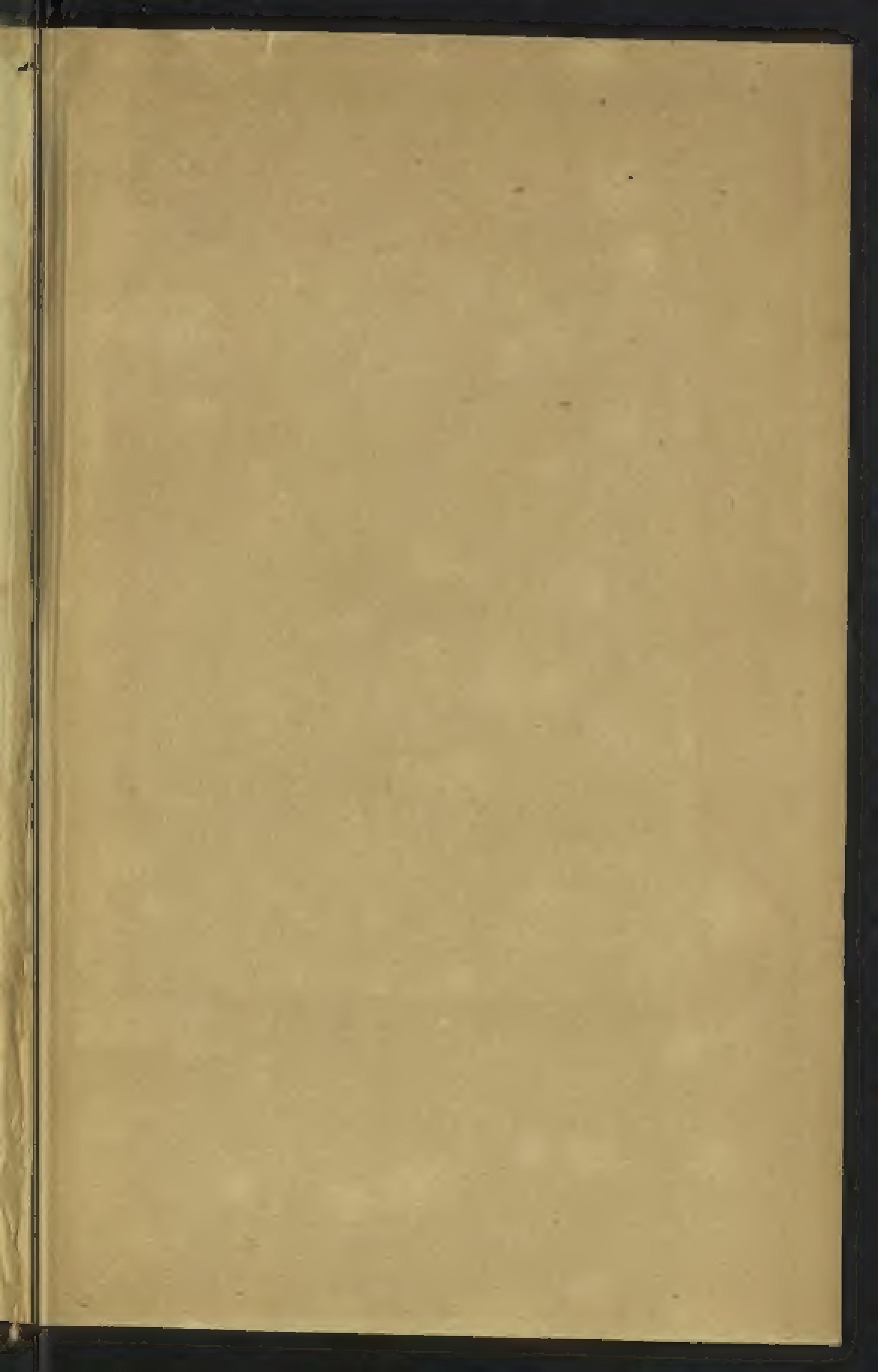
فهرس

صحيفة

صفحة

صفحة





297.3:Su96bA:v.1:c.2
السويح ،ابراهيم بن عبد العزيز
بيان الهدى من الضلال في الرد على من
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

American University of Beirut



297.3
Su96bA
V.1 C.2
General Library

